

نقد القراءة الحداثية لتاريخ الصحابة

مقالات الغفوري أنموذجًا



د. عبد المجيد محمد الغيلي



نقد القراءة الحداثية لتاريخ الصحابة

مقالات الغفوري أنموذجاً





حقوق الطبع محفوظة



جميع الحقوق محفوظة لحكمة يمانية

اليمن - تعز

البريد الإلكتروني:

hekmahyemanya1@gmail.com

اسم الكتاب: نقد القراءة الحداثية

لتاريخ الصحابة - مقالات الغفوري أنموذجاً

تأليف: د. عبد المجيد محمد الغيلي

الطبعة الأولى: ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

القياس: ٢٤x١٧

عدد صفحات الكتاب: ٧٤٤

رقم المعيار الدولي: ٥-٥١-٨٤٧٩-٦٢٥-٩٧٨

حقوق الطباعة محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب،
أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي
شكل من الأشكال، أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون إذن خطي
سابق من المؤلف

Stored in retrieval system or, All right reserved. No part of this
book may be reproduced transmitted in any form or by any
means without prior permission in writing from The author.



خدمات التصميم والإخراج والطباعة

مركز الثقافة العربية - للنشر والتدريب والأنشطة الثقافية - إسطنبول

E-mail: arabculturecenter@gmail.com

TEL: 00905526092022

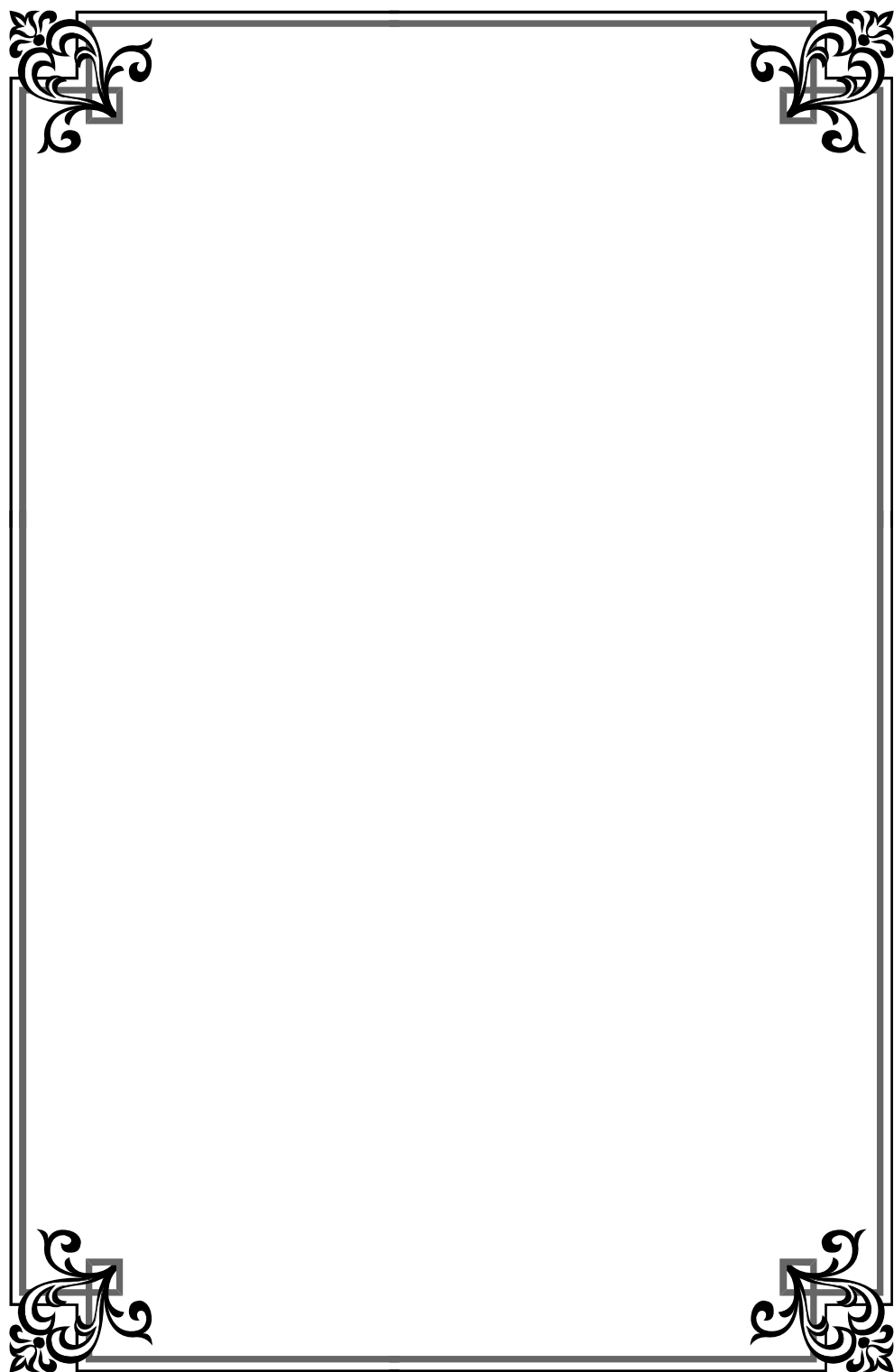


نقد القراءة الحداثية لتاريخ الصحابة مقالات الغفوري أنموذجاً

تأليف

د. عبد المجيد محمد الغيلي







مقدمة

في آخر ذي الحجة بدأ الدكتور/ مروان الغفوري بنشر مجموعة مقالات تتناول سيرة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، واستمر في نشرها على صفحته قرابة شهر، بدءاً من (٦ يوليو ٢٠٢٢م)، وبعد أن أخبر قراءه أنه انتهى من كتابته في هذا الموضوع وأغلق ملفه، نهضت للرد عليه علمياً ومنهجياً، فنشرت ٢١ مقالاً على صفحتي في فيسبوك، على مدى شهر تقريباً (٢٠ أغسطس ٢٠٢٢ - ١٠ سبتمبر ٢٠٢٢م)، ثم نشر د/ مروان مقالاً معقّباً على مقالتي، فرددت عليه بثلاثة مقالات.

فإذن لم أكتب هذه المقالات ابتداءً، كما فهم بعضهم، بل كتبها للرد على افتراءات وتزويرات كتبت بحق علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسوقها كاتبها على أنها رأي علماء المسلمين كابن تيمية وابن كثير، زوراً وبهتاناً.

مقالاتي لم أكتبها للدفاع عن علي، أو نشر فضائله، أو الكتابة في تاريخه، مقالاتي أكتبها لأجل تفنيد دعاوى الدكتور/ مروان الغفوري بحق علي بن أبي طالب (عليه السلام)، هذا كل ما في الأمر.

وليست القصة في أنها كتابة موجهة ضد علي بن أبي طالب، بل هو توجه حدائي معاصر يتعامل باستخفاف مع تاريخ الصحابة بصفة خاصة، ومع تاريخ المسلمين بصفة عامة، كما يتعامل باستخفاف مع تراث الأمة، وعلماء المسلمين عبر التاريخ.

ومن ثم كان توجهي ليس لمجرد تفنيد كتابات باطلة بحق أحد الصحابة، بل

فضح الآليات والدعاوى التي يتخذها جهلة الحداثيين للنيل من الإسلام وتراثه
ورجاله عبر التاريخ، باسم العلمية!

ولذلك فكتابة مروان نموذجاً، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) نموذجاً؛ نرى من
خلال هذا حجم الاختراق والاختلاق والتزوير والإفك والتشويه والانتقاص
لتاريخ الصحابة.

أعدت تهيئة المقالات لإخراجها في كتاب، وثمة تعديلات وإضافات
عديدة، وساء داخل المقالات المنشورة، أو إضافة موضوعات أخرى، مع مراعاة
تغيير عناوين بعض المقالات بما يتناسب مع الكتاب.

في هذا الكتاب درست تلك المقالات من منظور علمي فقط، وذلك
باستخدام منهج تحليل الخطاب، ونقد الخطاب المرواني من داخله، لن يجد
القارئ مني ذهاباً إلى سرد فضائل علي ومناقبه، أو سرد الآيات التي تتحدث عن
صحابة رسول الله ورضوان الله عنهم، أو سرد الأحاديث التي تذكر الفضائل.

لن يجد القارئ أيّاً من ذلك، أنا أحد قراء د/ مروان، هذا كل ما في الأمر،
لم أنقض عليه من خارجه، بل وقفت داخل خطابه، أدقق النظر في نتوءاته، وأنبه
الناس من الفخاخ المنصوبة فيه، وأحذرهم من الحفر المبعثرة في أرضيته، تلك
الحفر التي سترها بالقش؛ حتى لا يسقط الناس فيها، ولا فرق بيني وبين أي قارئ
آخر، فكلنا قراء، إلا أنني وقفت أسأل الخطاب من داخله.

حين يقول مثلاً: (قال ابن حجر:)، كل الذي أفعله، أيها القراء، أنني أعود
إلى ابن حجر، فأؤكد هل قال ذلك أو لا، فإذا قال ذلك أؤكد من سياق المقولة،

فإذا تأكدت من سياق المقولة أتأكد من سلامة النقل وعدم تحريفه، وأتأكد من عدم خلط النقل بغيره، هذا كل ما أفعله.

وحين يأتي برواية حديثة، كل الذي أفعله أتأكد من تلك الرواية الحديثة، وفق منهج المحدثين، وأرجع في تأكيدى إلى أهل العلم والاختصاص من رجال الحديث، وعلماء الجرح والتعديل.

وحين يقول مثلاً، أن الكتاب الفلاني مكذوب، أتأكد من أنه لم يعد مرة أخرى؛ فيستشهد به ليدعم نتيجة يريد بها، أو حكماً يريد.

وحين يتجاهل المصدر التاريخي - فلا يسند الرواية إلى مرجع، فكذلك أنا، غالباً أتجاهل الرواية، فليس لي حاجة لنقد روايات يرويها رجل بعد ١٤ قرناً من الزمن بلا سند أو تاريخ، هذه أتركها، وأمضي، فهي رواية مختلقة، طالما أنه لم يسندها.

وحين يصدر أحكامه عن علي، فيقول مثلاً، إنه غير فقيه، أو لا أثر له، أو فقير... إلخ، كل الذي أفعله يسير، أعود فأؤكد من المصادر الأولى؛ أسألها عن حقيقة الأمر، وأنظر: ما الذي تنص عليه؟

فأنا، إذن مجرد قارئ، وأعود إلى المصادر، التي استشهد بها، أتأكد أيضاً، هل قرأها جيداً؟

ومقالات د/ مروان التي تناولتها دراستي، هي:

١- علي والأشتر: التعاقد مع الشيطان.

٢- علي والأشتر: التعاقد مع الشيطان، مناقشة.

٣- أن تركب ظهر النمر، علي وأوهامه.

٤- علي في المتاهة، أو ما جناه الأب على آله.

٥- ربع قرن بلا معركة! أو: لماذا تخلف البطل عن كل الحروب؟

٦- الإمام الفاضل عن الحاجة، أو: السيرة والترقيع.

٧- على طريقة أبي جعفر المنصور مع أبي مسلم الخرساني: من المحتمل

أن عليا قد اغتال الأشر!

٨- الظل والظلام! يوميات أبي الحسن في المدينة.

٩- طريق الضجيج، عن رجل يسطو على فضائل رفاقه وأخبارهم).

وأعتذر للقراء عن هذه العناوين النابية، التي يستخدمها مروان كما لو كان يكتب عن شخص معاصر يحمل عداً شخصياً له، بل إنه يخجل أن يستخدم هذه اللغة مع أي شخص تجمع به معرفة، وأجدي مضطراً لإيرادها في مقالي، كما أضطر إلى اقتباس ما فيها من سُخْف وهَرَف.

وأعتذر للقراء عن اضطراري إلى إدخالهم معي في مدينة مروان، التي بناها وسماها "مدينة علي"، ثم وقف على بابها، مدعياً أنه بواب أمين ومرشد صادق، وحين دخلناها لم نجد لها إلا "مدينة الشيطان"، لم نجد في تلك المدينة آثار علي وحقيقته، بل وجدنا علامات الشيطان!

كان من اليسير على مروان أن يخدع القارئ الذي دخل المدينة بلا أدنى تسلح بمعرفة تاريخية، أو من أراد كذلك أن ينخدع لأهواء، أو ميلان عاطفي نجده في نفس القارئ هروبا من ضغط الواقع، للتكيل بجماعة ما.

ولو أن مروان تناول شخصية علي عليه السلام في غير هذا التوقيت أو بدأ بشخصية صحابي آخر ثم عرج على علي، لما وجد لمقالاته صدى، إذن الاستجابة بسبب التوقيت الزماني الذي وجد له صداه في وعي القارئ لأسباب وعوامل نفسية يملئها عليه ضغط الواقع.

ولو أن مروان أخذ عدته وذهب ليصطاد في المياه الصحية والأمنة لاستطاع أن يحدث ثورة تصحيحية كنا سنهب خلفه هبة رجل واحد نؤيده، لكن للأسف استخدم ذكاهه للصيد في الماء العكر.

الدكتور/ مروان زعم أنه يقود ثورة تصحيحية، ولو أنه فعل ذلك لوقفنا نؤيده، لكنها دعوى متضخمة أراد بها تغطية حقيقة ما يفعله، فكل ما أحدثه مجرد زوبعة وشرشرة لم يحتف بها إلا المغرضون وأصحاب الأهواء.

الدكتور مروان الغفوري صديق أظلتنا الصداقة بظلالها، جمعتنا "أم الدنيا"، أيام لا تنسى من تجاذب أطراف الحديث، واللعب بكرة القدم، والرحلات إلى شواطئ مصر، ومناقشات أدبية وعلمية وفكرية، ومساجلات شعرية.

مروان الغفوري طبيب القلب، والكاتب الروائي، صديق يقرأ بنهم، أحببت هذا الطالع فيه وتنبأت بأن يكون ذا شأن، كيف لا وهو ينتمي إلى تعز مدينة العلم والثقافة، أنا لا أعرف أسرته إلا منه، وحتما أسرة أنجبت شابا يقرأ مثله، ويكرس نفسه للكتابة هي أسرة تهتم بالعلم والمعرفة.

وحين أتحدث عن صديقي العزيز في هذه المقالات، فأنا أتحدث عن مدونة محدودة (تسعة مقالات) لا أتجاوزها في أحكامي إلى ما سواها، فلو

بينت، مثلاً، التزوير أو التدليس، فذلك خاص بهذه المقالات، دون أن يعني ذلك أنني أصدر حكماً عاماً عليه، مروان الذي أتحدث عنه في هذه المقالات هو مروان الذي كتب عن علي، فقط لا غير، أما كون مروان وراء ذلك عالماً أو أدبياً أو مناضلاً أو باحثاً، فهذا خارج إطار هذه المقالات.

إذن، فإذا حدث نقد على مروان، فأنا لا أهاجم شخصه، بل أنتقد (روايته التاريخية ودرايته في النقد والتفسير، وتعامله مع المرويات، ومع الاقتباسات التي يستشهد بها)، ونقدي لروايته ودرايته ليس على إطلاقه، بل محصور بجدران مقالاته عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأصارع القارئ أنني ليس من عادتي، ولا أستطيع، الهبوط في الرد باستخدام الألفاظ البذيئة، والصور النابية، وللأسف أن صديقنا تمادى في استخدامها مع صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلغتي لا عنف فيها، ولا بذاءة، ولا انحطاط، ولكنني مضطر لاستخدام درع أتقي بها هذه الأسلحة المروانية، درع فحسب، والدرع يحمي ولا يقتل.

ولقد نشأت منذ صغري على عفة اللسان، وعفة الخيال، ولا يعينني عفة خيالي؛ فأحميه من الولوغ في الأعراض، ولا يهمني بعد ذلك لو كان خيالي متواضعاً، ولا يعينني الرد على من يتهمني أو يطعن في، وأردد مع الشاعر:

أعرض عن الجاهل السفيفه فكل ما قال فهو فيه

وإذ قد بينت منهجيتي في مناقشة المقالات، وهي منهجية النقد العلمي، التي أقتفي فيها خطى الباحثين والعلماء، وسأحرص على ألا أناقشه إلا بطريقة

علمية، فإني وراء ذلك غيور على ديني، تستفزني الإساءة إلى الدين، وإلى الرسول الكريم، وإلى صحابته العظام، أيا كانوا، وإذا كانت الإساءة مجرد سب وشتم، فهذا أمر هين؛ فلا أجيد السب أو الشتم، ولا أهتم بالرد عليه، ولكن حين تلبس الإساءة لباس العلم، ويتظاهر فاعلها بمُسوح الغيرة والأخلاق، ويقول للناس كما قال فرعون لأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)، فأصبح فرعون هو صاحب الرشاد، وموسى هو صاحب الضلال.

عندئذ أجد من واجبي تفنيد الخطل والهذر والفحش من القول، والتزوير والخيانة باسم العلم، والتضليل والتشويه والإغواء والخداع، وبيان زيف تلك الترهات التي تقدم على أنها علم، وحقيقة تاريخية، ولا يهمني من قال ذلك، أو من رضي أو من سخط، بل أقول، ويسجل التاريخ أن الباطل لم يمر بسلام، ولو سكت كل امرئ بحجة الأولويات، أو بحجة المعركة الأهم، لازداد السفهاء سفهاً، والغواة غواية، والضالون ضلالة، واليوم نسكت عن شتم علي، وغدا عن شتم أبي بكر وعمر، وبعدها عن رسول الله ﷺ، وهكذا، فالألسن الخرس لا ينصر الله بها دينه.

ومن المقولات الخاطئة الشائعة: "أميتوا الباطل بهجره"، ولذلك قد ينتقد بعضهم الكتابة في هذا الموضوع، قائلاً: إن الردود تؤدي إلى اشتها الطعون.

ونقول أولاً: الباطل كالبذرة التي تلقى في الأرض، الآن لا زالت ضعيفة، ويتفاجأ الناس بها بعد ذلك وقد صارت شجرة كبيرة.

لذلك من المهم القضاء على تلك البذرة، وبيان السم الذي فيها.

ورفض هذه العبارة ينطلق من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
ووجوب بيان العلم على أهل العلم، وعدم كتمانهم، ولو سكت كل من رأى باطلا
بهذه الحجة، لما أنكر أحد على أهل الباطل باطلهم، ولاعتقد الناس أن ذلك مرده
إلى قوة حجة الباطل، وبذلك فالسكوت عن الباطل يؤدي إلى إحيائه لا إماتته.

وإذا كان الدفاع عن رسول الله ﷺ، وعن صحابته عنصرية، فليشهد الثقلان
أنني عنصري!

وإذا كان النصر على العدو لا يأتي إلا من بوابة قذف أعراض الصحابة،
والسخرية منهم، والتندر بهم، فلا مرحبا بهذا النصر!

ومن يقول عني أنني عنصري، فهذه مقالاتي منشورة، وهذه كتبي صادرة،
فعليه أن يثبت بالدليل أنني عنصري، فإن فعل فيلزمني الإقرار أو الاعتذار، وإن لم
يفعل فبذلك يلزمه الاعتذار أو الإصرار، فإن أصر فهو يثبت للناس من الذي
تَعَنَّصَر!

صحابه رسول الله ﷺ، الثناء عليهم، والدفاع عنهم ضد من يهر وينبح، ليس
واجب زيد أو عمرو، بل واجب كل مسلم، والدفاع عنهم دفاع عن الدين، وحين
يكون النقد لهم خاليا من العلم وتزويرا له، فيكون الدفاع عنهم دفاعا عن العلم،
وحين يكون النقد لهم خاليا من الأدب، فالدفاع عنهم واجب اجتماعي للحفاظ
على الأخلاق والفضيلة المجتمعية.

واللجوء إلى سلطة التصنيف، وإرهاب الناس بها، هي أداة العاجزين
والضعفاء والسفهاء، الذين يفتضحون حين ينطق العلماء، ويخزون حين يتكلم

الأدباء، يشتمون عليا، ثم يتربصون وبأيديهم الشياطين: من يدافع عن علي فهو رافضي، ! من يدافع عن أبي بكر أو عمر فهو ناصبي، ! إلخ.

علي ليس ملكا لأي طائفة تغلو فيه، كما أن المسيح عيسى ابن مريم ليس ملكا للنصارى، المسلمون أحق بعيسى رسول الله ممن ألهه، والمسلمون أحق بعلي وبعمامة الصحابة رضوان الله عليهم، ووجود فرق ضالة ألهت عليا أو غالت فيه أو زورت فيه الروايات، لا ينقص من قدره، فهذه مشكلة تلك الفرق وليست مشكلة علي، كما أن تأليه النصارى للمسيح مشكلتهم هم وليست مشكلته، ونحن لا نفرق بين رسل الله، كما أننا لا نفرق بين أصحاب رسول الله ﷺ.

صحابه رسول الله ﷺ، كلهم رجال رباهم رسول الله العظيم، أبو بكر، عمر، عثمان، علي، الزبير، طلحة، سعد بن أبي وقاص، عائشة، معاوية، عمرو بن العاص، أبو موسى الأشعري، عمار بن ياسر، الحسن والحسين، رضي الله عنهم أجمعين.

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبِقٍ لِأَدْنَى سَبِقِهِمْ تَبَعٌ

وصحابة رسول الله ﷺ، ليسوا بحاجة إلى دفاعنا، بل نحن نتحمل مسؤولياتنا وواجباتنا الأخلاقية والدينية والعلمية، أما هم فقد زكاهم الذي أنزل القرآن، وأسبغ عليهم رضوانه، ووعدهم بالنصر والتمكين، وحققه لهم، وبشرهم بالجنة، عاشوا رجالا، ملء الأرض، خلدوا التاريخ، بل هم اللحظة العظمية التي افتتحت التاريخ، هم الذين رسموا مجرى التاريخ، هم الجبال الشامخة، هم البحار الزاخرة، هم النجوم الباهرة، المجد إليه متهاهم، والشموخ بهم يفتخر، هم بيت الفضائل، هم أطيب الثمار وأزكى السنابل.

وبعد ذلك، فما استخدمت في الرد على د/ مروان، إلا أرقى أوصافه، وأنظف ألفاظه التي يستخدمها مع صحابة رسول الله ﷺ، فليلمس لي العذر من يقرأ ذلك، والله أسأل ألا يجعل عملي رياء أو سمعة أو انتقاماً أو فيه حظ من حظوظ النفس، وأن يجعله شفيعاً لي يوم ألقاه، وما قلت إلا صدقت يا ربي حين قلت: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُم بِحَسَنِ رِزْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرِضْوَانُ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]، فاجعلنا ممن اتبعهم بإحسان.

المقالات القادمة سأتناول فيها بدراسة علمية، وأبين مدى اتباع الكاتب: المنهج العلمي، والأمانة العلمية، وأدرس مصادره التاريخية، ومعايير تقييم الشخصية، وكذلك الروايات التي تجاهلها، وغير ذلك من نقاشات ذات علاقة.

وثمة سؤالان، فحسب أنا معني بالإجابة عنهما في نقد تلك المقالات: إلى أي مدى كان أميناً فيما ينقل ويكتب؟ وإلى أي مدى كان متسقاً وصادقاً مع نفسه في آرائه وأحكامه؟

وأعذر للقراء عن الإطالة في الرد على تلك المقالات التي خصصها د/ مروان للانقضاء على شخصية علي بن أبي طالب الحقيقية، وليست شخصيته المزورة! منه ساخراً، به مستهزئاً، له مستحقراً مستصغراً، عنه مفترياً مزدرياً مزوراً، ومن شأن النقد أن يكون طويلاً، فالكاتب قد يرمي بكلمة أو رواية في بضع جمل، لكن الناقد يضطر أن يطيل، من أجل تتبع الروايات، ومناقشتها، وكل ذلك يسبب مزيداً من الإطالة، كما أنني أضطر أحياناً إلى توضيح أبجديات من العلم؛ فليس كل القراء يدرك المصطلحات ودلالاتها.

وأعتذر للقراء أيضا في الوقت نفسه عن الاختصار، فقد تغاضيت عن كثير من الافتراءات والتزويرات، ولو أردت الوقوف عند كل أكذوبة لاستغرق الأمر مجلدات، وحتى الردود على الأباطيل التي رددت عليها، كنت أكتفي من الرد، كما يقول المثل (يكفيك من القلادة بما يحيط بالعنق)، ويحز المفضل، ويكشف الزيف، تاركا للقراء إعادة قراءة مقالات مروان قراءة ناقدة.

وأود أن أعتذر لعلي بن أبي طالب عليه السلام نفسه، أو لمن سواه من الصحابة رضي الله عنهم، فكثيرا ما سأذكر أسماءهم مجردة من الترضية، اختصاراً، ومحاولة لتقليل الكلمات أمام عين القارئ، لا سيما مع كثرة تكرار الاسم.

وأما مقالات الدكتور مروان، فقد نقلتها من صفحته في فيسبوك، ونسختها عندي في برنامج الوورد، ولذلك حين أقتبس أقوم بالنسخ عادة، وغالبا، فإني لا أحيل إلى عنوان المقال، حتى لا أطيل، ولم تخرج اقتباساتي عن مقالاته التسعة.

يأتي هذا الكتاب في أربعة أجزاء وملحق:

- الجزء الأول: جزء تمهيدي يشتمل على مجموعة من المقدمات.

- الثاني: يناقش المنهج العلمي عند مروان.

- الثالث: يناقش الدعاوى الشخصية بحق علي بن أبي طالب.

- الرابع: يناقش الدعاوى العامة بحق الخليفة الراشد.

- وأخيرا: ثلاثة ملاحق:

○ الملحق ١: فيه تعقيب على رد الدكتور/ مروان.

○ الملحق ٢: مقالان تعقيبيان على مقالين للدكتور مروان.

○ الملحق ٣: المنهج الحجاجي لابن تيمية في كتابه "منهاج السنة".

والجزء التمهيدي يشتمل على ثلاث مقدمات: إحداهما لبيان اختراقات الخطاب الحدائي في قراءة تاريخ الصحابة، والثانية لبيان مغالطة "التجربة البشرية" في قراءة تاريخ الصحابة، والثالثة لبيان معايير النقد التاريخي.

وهل أناقش كل شيء؟ الإجابة: لا، فليس من غرض هذا المقال الرد على كل ما يُقال، ولكنني أكتفي بعرض عينات لمناقشتها، وقد أخذت مناقشتي للمقالات أربعة أنواع:

الأول: مواطن تفصيلية، ناقشت تفاصيلها، سواء روايات كانت أم أحكاما.

الثاني: مواطن عامة، تمثل توجهها عاما، ناقشتها بطريقة عامة، وقد أحيل إلى شواهد.

الثالث: إحصاءات تتبعتها في مقالاته، ولا سيما في المصادر.

الرابع: مواطن لم أناقشها، ولم أتطرق إليها، إما لتكرارها، وإما لخلوها من أي مصدر، وإما اختصارا على القراء، واكتفاء بما ناقشته، وثقتي أن القارئ يستطيع النقد.

قد يقول قائل: لم كل هذا الشرح مني لمنهجي النقدي؟ والجواب أن ذلك يرجع إلى احترامي للكلمة، لاعتقادي أن الكلمة أمانة ومسؤولية حين أقرأها وحين أكتبها، وظلم الناس جريمة أخلاقية، أما ظلمهم باسم العلم؛ فهو جريمة علمية أيضاً، ولأنني أحترم ما يكتب باسم العلم، وقفت أناقشه فيما كتبه.

فمروان، إن كانت له من حسنة تذكر في هذه المقالات؛ فهي أنه استفزني، واستفز غيورين آخرين، غيورين على الدين، أو العلم، أو الأخلاق، استفزهم ليكشفوا الزيف، ويبينوا للناس الحقيقة، التي يريد الحاقدون طمسها وإخفاءها، بل تشويهها:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت، أتاح لها لسان حسود

وأخيراً، أشكر والدي وشيخي وأستاذي، العلامة محمد بن علي الغيلي، الذي رباني منذ صغري على احترام الصحابة جميعاً، وأشكره على جهوده معي في تربيتي وتعليمي، وأشكره كذلك على قراءته مقالتي كلمة كلمة، وإبداء ملحوظاته تجاهها.

الشكر موصول لوالدي، ولأسرتي: زوجتي وأولادي وأقاربي وأصدقائي، ولجميع من حولي، الذين أسهموا بالدعم والمساندة.

أقدم شكري لكل من أسهم في تطوير هذا الكتاب، زملائي وأساتذتي، الذين أفادوني بملحوظاتهم، وأخص بالذكر الدكتور/ عبد الله الجوزي لملحوظاته ودعمه، والدكتور/ كمال القطوي الذي راجع مسودة الكتاب وأبدى ملحوظاته القيمة.

وأشكر بالخصوص أختي العزيزة الدكتورة/ سميرة الغيلي، التي راجعت مسودة الكتاب، وأفادتني بملحوظاتها القيمة.

وأشكر القراء والمعلقين في صفحتي بفيسبوك، الذين كان لتعليقاتهم وأسئلتهم دور في تطوير الكتاب، وكان لهم دور في دعمي واستمراري.

أختتم بشكري لموقع حكمة يمانية، الذي بادر بتبني مراجعة الكتاب
وتصميمه وطباعته ونشره.

وكتبه الدكتور/ عبد المجيد محمد علي الغيلي
٢١ محرم ١٤٤٤ هـ/ الموافق: ١٩ أغسطس ٢٠٢٢ م.

*** **



الجزء الأول

مقدمات تمهيدية



اختراقات الخطاب الحداثي في قراءة تاريخ الصحابة

في هذا المدخل أتحدث عن خطورة ما يكتبه د/ مروان، والضرورة التي استدعتني للرد.

الاختراق الذي يمثله ليس في قصة هجومه أو قدحه في علي عليه السلام، ولكن أبعد من ذلك، وسأبين هذا الاختراق في أربع نواحٍ، الأولى: تطبيع وعي المسلمين تجاه قدح الصحابة، والثانية: نقل الدين من خانة الرسالة الإلهية إلى خانة الفعل الثقافي، والثالثة: إهانة التاريخ بتحويله إلى رواية ساخرة، والرابعة: تضخيم الخلافات والأخطاء والانغماس في التفاصيل الهامشية.

* تطبيع وعي المسلمين تجاه القدح في الصحابة:

الاتجاه الإسلامي عبر التاريخ نظر إلى الصحابة باحترام، واحترم تركية الله لهم، وتركية رسوله لهم، وانطلق أهل السنة من محكمات القرآن الكريم في تأويل ما حدث بينهم من خلافات، دون أن يقولوا بعصمتهم أو تقديسهم، ودون أن يسبوهم أو يحتقروهم أو يشيطنوهم.

شذ عن هذا التوجه طوائف انحرفت في نظرتها إلى الصحابة، أولهم الروافض، والخوارج، والمعتزلة.

وقد تصدى علماء السنة لهذه الفرق، وحافظوا على سلامة المعتقد الإسلامي عبر التاريخ، وكان عامة المسلمين يرفضون أي سب للصحابة؛ لأن حصونهم محمية؛ فسأب الصحابة رافضي أو خارجي.

لكن الدكتور مروان، حاول اختراق هذه الحصون، موهما القراء أنه يستند إلى كتب أهل السنة وأعلامها، في أن يفعل ما فعلته الروافض في حق أبي بكر وعمر، والخوارج في حق عثمان وعلي، وذلك بالسب والشتم والسخرية والاحتقار والشيطنة، ولأنه يعلم أنه نباش متسلل، فقد وصفني أنني حارس؛ لأنه عرف طبيعة مهمتي، وطبيعة مهمته.

لهذا السب رأيت واجبا علي تبين افتراءاته وتزويراته، وكشف محاولته في تطبيع أكاذيبه ضمن الاتجاه السني، وكشف العلاقة بينه وبين الاتجاه الرافضي والخارجي القادح في الصحابة، ولا غرابة أن تجد مروان يمجّد الخوارج، كتمجيده لابن ملجم في قتله عليا عليه السلام، وأن يحتفي بمرويات الروافض، ويعتبرها البحر الذي يجد فيه بغيته.

فليست القضية دفاعا عن علي أو غيره من الصحابة، إنما هي كشف مبكر للافتراء المتغطي بلباس أهل السنة، والتقول على علمائها، كابن تيمية وابن كثير، والحفاظ على سلامة الاعتقاد الإسلامي بحفظ مكانة الصحابة واحترامهم، والتأكيد على أن القدح في الصحابة لا يمكن نسبته لعلماء السنة، بل هو تزوير محض، ارتكبه الدكتور/ مروان، ولا علاقة لما يفعله بالنقد التاريخي، الذي قام به علماء أهل السنة، بل ما يقوم به قدح وشتم واحتقار يقتضي فيه أثر الروافض.

*** نقل الدين إلى "النقد الثقافي":**

تتمثل خطورة ما كتبه مروان أيضاً في محاولة نقل الدين إلى الخانة الثقافية، فرسول الله صلى الله عليه وسلم - عند مروان - ليس مؤسساً لدولة إسلامية، بل (مؤسس

دولة عربية) [مقال: الظل والظلام]، ومن ثم فهو مثل أي ملك يسعى لتأسيس دولة قومية، ذات مرجعية قومية، يتغاضى المثقف الحداثي عن النظر إلى رسول الله أنه حامل لرسالة إلهية، ومهمته نشر الإسلام، وليس تأسيس دولة قومية!

ويتأكد هذا المنحى، حين يصف مروان أم المؤمنين بـ "السيدة الأولى" [مقال: علي والأشتر، ومقال: علي وأوهامه]، وهو وصف يوحي بأنها زوجة "الملك أو الامبراطور أو الرئيس"، بعيدا عن كونه رسول الله ﷺ.

وهكذا إذن يتم إعادة تقديم الدين بوصفه مجرد ثقافة، من خلال مصطلحات تتسلل بخفة، وتتجذر رويدا رويدا، حتى تتهيا النفوس لتقبل اختيار هذه الثقافة أو تلك.

إن هنالك فرقا بين كاتب يؤمن برسول الله أنه رسول من الله جاء برسالة الله، ثم يخاطبه على أنه ملك أو امبراطور، يسعى في تأسيس دولة قومية! هذا الخطاب نقبله من مستشرق، كون المرجعية المشتركة معه مختلفة، أما المسلم فلا يصح ذلك منه، وإلا كان متناقضا بين ما يقوله وما يؤمن به.

وكذلك استخدام مصطلح "امبراطور" و "امبراطورية"، الذي يحمل دلالة التوسع الاستعماري الاستيطاني، وبذلك يتم إعادة النظر في تاريخ الصحابة خاصة، وتاريخ المسلمين عامة - على أنهم مجموعة من العرب تطلعوا إلى فرض هيمنتهم على العالم، وليسوا حملة رسالة إلهية، سعوا في نشرها، وضحوا من أجل ذلك، ووعدهم الله بالتمكين فمكّنهم ونصرهم.

وفي المقابل، يعمد مروان إلى استخدام لفظ "الإسلام"، ووصف

"الإسلامي"، في مواطن الاحتقار والتشويه، ويربط استخدام هذا الوصف عادة باحتقاره لعلي وأفعاله، في حين يستخدم لفظ "العربي" في جوانب البطولة والإشادة.

فمن أمثلة استخدام لفظ "الإسلام"، يقول عن علي: (أول زعيم للمرتزقة في التاريخ الإسلامي)، ويقول: (متسببا في شرخ الإسلام إلى فلتتين متقاتلتين حتى الآن)، (أعلن نقل عاصمة الإمبراطورية الإسلامية إلى الكوفة، وهي مكان بلا هوية ولا تاريخ)، (نشأت، تحت إشرافه، أول بؤرة للتوجيه المعنوي في التاريخ الإسلامي)، (غياب علي وأبنائه عن حروب الخلافة الإسلامية)، (رؤيته للدولة أنها مؤسسة هاشمية، كما سنعرف، وكان ذلك مبلغه من فهم الإسلام)، (وتلك سابقة في الإسلام أن يدفع القائد جنوده للقتال ثم يبشرهم بالجحيم).

ومن أمثلة استخدام وصف "العرب": (عاشت فيه الإمبراطورية العربية عصرها الذهبي)، (ودع فيه العالم روما وفارس واستقبل الإمبراطورية العربية)، (أخطر مواجهة بين الإمبراطوريتين العربية-الرومانية حدثت في اليرموك)، (فضيلة تاريخية للأباء المؤسسين للحضارة العربية)، (وكانت الدولة العربية الجديدة قد أخذت مكانها وبرزت ملامحها)، (وكانت ليلة الهجرة فاتحة التاريخ العربي).

قد كنت سأقول: إن الأمر عابر، ولكن حين أرى الكاتب يلتزم ذلك في مقالاته، فالأمر ليس عابرا، بل مقصود، والنتيجة تشويه الإسلام، وربطه في أذهان القراء بذلك الرجل الفاشل، والحاكم الضعيف، والمتحالف مع الشيطان، و... إلخ، أما الصورة المضيئة، والمشرقة في تاريخنا، فهي من نصيب "العرب" لا

"الإسلام"، أليس ذلك إذن تشويها متعمدا يستخدمه مروان لكل ما هو إسلامي؟! يذهب لهدم الصورة الإسلامية، ويقيم على أنقاضها الصورة القومية العربية.

وفي هذا الإطار تأتي الصور والألفاظ والافتراءات التي يستخدمها مروان في وصف رابع الخلفاء الراشدين، الصور المليئة بالتحقير والسخرية والإهانة؛ حتى يتقبل الناس النظر باحتقار إلى من نقلوا لهم الدين، وبلغوه، سواء علي أو غيره، فهم ليسوا إلا جهلة سخفاء جبنا كذابين سفاكين للدم، فيهم جوع للسلطة... إلخ.

كما أن تناول أحداث الخلاف بين الصحابة، والنفخ فيها، وعرضها بصورة درامية ساخرة، هو محاولة أخرى لإبراز تاريخ المسلمين على أنه تاريخ فتنه وحروب ودماء، فكأنه يقول للناس: هذا هو تاريخ الصحابة أنفسهم، ليس جديرا بالاحترام، فما بالكم بما بعده؟!

وتناول سيرة علي عليه السلام، بالقدح والاحتقار، هو خطة قديمة متجددة، فمن أجل هدم تاريخ قوم، فما على الهادم سوى الذهاب إلى الصور المشرقة فيهم، وإبرازها بصورة مشوهة، فإذا كان خيار القوم ذوي صور مشوهة، فما بالك بمن سواهم!

استغلال اللحظة الراهنة في اليمن، إنما كان ذريعة لهدف أكبر من ذلك، وحتى يبقى هدف الحداثيين بريئا؛ فقد ركب ظهر الكراهية ضد الإمامية.

ويعزز هذا، ما فعله مروان من قصره مفهوم "بشرية مجتمع الصحابة" على ما يرتكبونه من ذنوب، كالزنا، ووصفه لهم وللتابعين بأنهم: مرتزقة، قطاع طرق، شبيحة... إلخ.

وحتى الأحداث المشرقة، يحاول تصويرها بصورة ظلامية، فرغبة الحسن في الصلح وسعيه في ذلك يصبح "استسلاماً"!

وأبعد من ذلك، حين يقدم مسألة الكفر بالإسلام على أنها فهم وذكاء من أبي لهب، في حين أن إيمان علي والعباس إنما هو غباء، ولم يفهموا الدين إلا أنه شركة عائلية! ولذلك كما يرى مروان أنهم قاموا بوضع الأحاديث وتزويرها، وتسلمت تلك الموضوعات إلى كتب الصحاح كالبخاري ومسلم!

حتى النبي نفسه لم يستثنه مروان من بني هاشم محدودي الخيال إلا باعتبار ذلك معجزة، بعبارة أخرى: حتى النبي فقير الخيال في طبعه البشري كونه من بني هاشم، ولكن بمعجزة إلهية لم يعد كذلك، [وهكذا يتسلل الدكتور مروان إلى نقد النبي نفسه من بوابة أقاربه وأهل بيته].

بهذه المنطلقات تسهم كتابة د/ مروان، بقصد أو بغير قصد، في تحطيم قداسة الدين، ونقله إلى "دائرة النقد الثقافي"، وتحطيم الصورة الإيجابية المشرقة لتاريخ المسلمين، وتصوير تاريخ المسلمين على أنه تاريخ وضع حقير، لا يستحق أن نفخر به، فضلاً أن نتمسك به.

وحين يصبح الدين رأياً ثقافياً، فلا حاجة أن يستفتي الناس علماء الدين في الأحكام الدينية، بل أي كاتب أو روائي سيفتيهم في أحكام الدين؛ ذلك أنه ثقافة يحق لأي مثقف الإدلاء فيه برأيه.

*** إهانة التاريخ: رواية بدون رواية:**

[التاريخ رواية، أي يكتبها المثقف كرواية، بدون رواية: أي دون الحاجة إلى المرويات التاريخية الصحيحة].

"الكتابة الخيالية" عن التاريخ لا تحتاج إلى المرويات والأدلة، بل يطلق الكاتب لخياله العنان، ويحلل نفسية الشخصيات، ويعكسها كما يريد، أما التاريخ فهو حقيقة قبل أن يكون تأويلا وخيالا.

التاريخ لا يحب الخيال الواسع؛ لأن صاحبه سيكتب تاريخا آخر، في اللحظة التي تبني فيها التاريخ فأنت تكتب رواية لا تاريخا، التاريخ موجود، يحتاج من يحقق حتى يكتشفه، وينفض عنه الغبار، فبابل تحتاج إلى علماء الآثار ليكتشفوها، ولا تحتاج إلى مصممي "الثري دي" لينوا لنا بابل أخرى، ثم يوهموننا أنها بابل!

والمتقف - الفائق في الخيالات، الفقير في تحقيق الروايات - لا يصلح أن يكتب التاريخ بهذه المنهجية، ذلك أن إثبات القضايا والشخصيات أو نفيها - لا يحتاج إلى خيال مجنح، بل يحتاج إلى محقق مصحح، يبحث عن النصوص الصحيحة، فنحن نتعامل أولا مع ثبوت الواقعة، ثم نتحدث عن تأويلها.

مرويات مروان، التي يبني عليها النتائج والأحكام، في أحسن حالاتها تشبه أخبار الواسع أب، قيل، ويقال، وقالوا، هذا كل مروان!

بالكتابة الخيالية للتاريخ إذن؛ فإننا نهين التاريخ بتحويله إلى روايات خيالية شاطحة، وتأويلات لا تهتم بأي مرويات تستند عليها، ويفقد التاريخ مكانته وقيمتها النقدية في المجتمعات.

وإهانة التاريخ الإسلامي من خلال تقديمه كرواية ساخرة، هو فعل متعمد يهدف إلى جعل المسلمين يحتقرون تاريخهم، وينظرون إليه كما ينظرون إلى خرافات ألف ليلة وليلة، وقصص الزير سالم.

* تضخيم الخلافات والأخطاء:

يقوم الخطاب الحداثي - محتمياً بدعوى "التجربة البشرية" - بإبراز تاريخ الصحابة على أنه كتلة من الأخطاء والمخالفات والصراعات، بدءاً من حادثة السقيفة، وانتهاء بمقتل ابن الزبير، يتجاهلون التاريخ البشري، الممتلئ بالإشراق، ولا تفتح أعينهم إلا على الخلافات والأخطاء، ثم يقومون بنفخها وتعتيمها، وإبرازها على أنها تاريخ الصحابة فحسب.

مثلهم مثل المستشرقين، الذين يقدمون التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ حروب واقتتال فحسب، هؤلاء يأخذون قطعة من الجسم، ثم يكبرونها بالمجهر آلاف المرات، ثم يقدمونها على أنها الجسم كله! يبرزون ١٪ ويضخمونها ويسحقون ال ٩٩٪، ثم ينفخونها في الهواء هباء منثوراً!

فخلافه أبي بكر لا يرون فيها إلا حدثين، الأول: حادثة السقيفة، والثاني حروب الردة، أما السقيفة فيظهرونها على أنها خلاف بين قريش والقبائل اليمنية المتمثلة في الأنصار، وأن قريشا استأثرت بالحكم على من سواها، ثم داخل قريش كان الصراع على الحكم بين بني هاشم وغيرهم، وهكذا تبدو تلك الحادثة مجرد صراع على السلطة، في حين أن قراءتها بإنصاف تظهر الصورة الإيجابية للصحابة في تداول الرأي والتشاور، والخروج برأي موحد، وتوصل المجتمعين خلال جلسة واحدة فقط إلى الاتفاق بشأن أخطر أمر يهدد الدولة الناشئة، ووجود خلافات داخل هذا الاتفاق أمر طبيعي، ولا تقلل من شأن الاتفاق العظيم... الخطاب الحداثي لا يرى الاتفاق العظيم، يذهب لتكبير تلك الخلافات وتعتيمها، والاقتيات عليها.

وأما حروب الردة فلا ينظرون فيها إلى أنها منعت الدولة من التشرذم، والتمزق، بل ينظرون إلى ما تفاصيل صغيرة جدا، نحو: ما الذي فعله خالد مع مالك بن نويرة؟! ومن ناحية أخرى يرون أن حروب الردة ذات دافع سياسي محض بعيدا عن الدين، متجاهلين الدافع الديني وراء حركة المسلمين منذ عصر النبي ﷺ، وبعضهم يضخم من شأن الحروب، ويصور أن العرب كلها ارتدت عن الإسلام ولم يبق سوى قلة بالمدينة، في يحن أن المرتدين هم القلة في الجزيرة العربية، وترك هذه القلة من شأنه أن يؤثر في كيان الدولة المسلمة.

ويطول بنا المقام لو ذهبنا لتتبع هذا الاختراق في الكتابات الحديثة، سواء ما يتعلق بخلافة عمر أو عثمان أو علي، أو من بعدهم في الثلث الأول من العصر الأموي.

وبالنظر في كتابات مروان مثلاً، نجده يتجاهل القضية الأساسية في خلافة علي، وهي قضية رفض معاوية للبيعة، واستخدامه قوة الشام لإضعاف جيش الدولة، وبغية على الخليفة الشرعي، لا يناقش هذه القضية، بل يذهب لمناقشة قضايا تفصيلية، ويضخمها لتصبح هي المشهد الكلي في حياة علي وخلافته، كالنشاط الجنسي لعلي، والقفز من شاطئ السنة إلى بحر الشيعة للبحث عن الروايات الجنسية لعلي، وأن محمد الصديق أدخله جوف حمار ثم حرقوه، وأن الأشتر ضرب عجز البغلة، وأن فاطمة كانت تكره عليا، وأنه أخفى جثتها [ربما التهمها]، وأن عليا حين غسل جسد فاطمة كانت معه أسماء بنت عميس التي تزوجها لاحقا، وأن عليا كان مشغولاً بمهاجاة امرأة، وأن عليا لم يكن يمارس الرياضة، وأن عليا كان أعمش العينين، صاحب كرشة، وأن عليا كان يمشي ويتعب... إلخ، هذا فعل الحكواتي، وليس فعل حتى الروائي!

وهذا عدا عن تصوير الصحابة على أنهم جوعى إلى السلطة، انتهازيون، يضرب بعضهم رقاب بعض، ويتآمر بعضهم على بعض، ويتحالفون من أجل الهوى حتى مع الشيطان! ومن ثم إبراز في صورة المتمردين القتلة المتعطشين إلى الدماء.

وهكذا يقدمون تاريخ الصحابة بهذه الانتقائية والاجتزائية؛ بهدف تشويهه، ثم يقولون: هم بشر! فلا يرون بشريتهم إلا في هذه التفاصيل الصغيرة، وفي هذه الصور المشوهة!

ومن وراء هذا التشويه يصلون إلى نقطة يبتغونها، وهي أن الصحابة إذا كانوا قد عجزوا عن تطبيق الإسلام، وعجزوا عن التمثل بأخلاقه، وهم (خير القرون)، فمعنى ذلك أن الإسلام عاجز عن إصلاح الناس وتقويم أخلاقهم وسلوكهم، فضلا عن أن يكون صالحا لاتخاذ منهج حياة في مختلف الشؤون.

وهي نتائج خطيرة وحقيرة في الوقت ذاته؛ خطورتها؛ لأنها تسعى في هدم الإسلام من خلال هدم حملته السابقين، الذين رباهم رسول الله ﷺ نفسه، وحقارتها؛ لأنها تنتهج التزوير والافتراء والانتقاء، ولا تفتح الكتب غلا للبحث عن الروايات المغرضة التي تخدم نتائجهم الحقيرة.

الصحابة ومغالطة "التجربة البشرية"

مصطلح "التجربة البشرية" مصطلح حق يراد به باطل، فهو مجرد غطاء للنيل من الصحابة، كما بينت آنفاً، فالخطاب الحداثي يقول: الصحابة بشر، ولكنه لا يبحث عن بشريتهم إلا في الروايات التي تقول: فلان زنى وفلان سرق! في هذا المدخل أتناول مجموعة من الأسس التي تمثل درعا حصينة ضد التسلق إلى الطعن في الصحابة من باب "التجربة البشرية".

* مغالطة مقولة "البشر ليسوا الدين":

يقولون "البشر ليسوا الدين"، وهذه المقولة خداعة، تبدو بريئة وصادقة، ولكنها مجرد سلم لهدم الدين كله.

ونحن نقول: لقد جاء الدين محفوظاً من ارتباطه بأي بشر، في القرآن الكريم آيات عديدة توضح بشرية الرسول، وأنه مبلغ للرسالة، ومن ذلك: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]... إلخ، فالدين هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، والرسول هو مبلغ هذه الرسالة إلى الناس، وقد نعى الله على النصارى وأنكر تأليههم المسيح، وهو بشر مثلهم يأكل الطعام.

والقدوس هو الله سبحانه وتعالى، وكل البشر هم بشر، وينبغي دراسة سيرهم للفائدة والعبرة، واستلهم تلك التجربة لما ينفعنا في حياتنا وآخرانا.

إلا أن الدراسة التاريخية حين تتحول إلى سخرية واستخفاف واحتقار وتحكم وازدراء، فهذا لا علاقة له بنفي التقديس، بل لا أحد منا يرضى اليوم أن تدرس شخصية أحد المعاصرين بهذه الطريقة، وتتحول سيرة علي أو غيره إلى بديل مظلم لقصاص ألف ليلة وليلة! فلا علاقة لكل هذا السخف بالنقد التاريخي.

والسؤال: هل النيل من البشر يعد نقدا للدين؟

عبارة "النيل من البشر ليس نقدا للدين"، عبارة مبهمّة، فعبارة "النيل من فلان" يدل على السب والشتم والقذح، وليس النقد.

وإذا كان النقد التاريخي غير مرفوض، فإن الشتم مرفوض، ولا ينبغي أن نقبل به.

وإذا كان السب لرجال ارتبطوا بنشأة الدين، فإن ذلك يعني المساس بالدين نفسه.

فلو سب أحدُ الرسول أو شتمه، فهذا يعني أنه يسب الدين نفسه، وقرش كانت تحاول هدم الدين من خلال القذح في حامل الرسالة، الدين لم ينزل إلينا مغلفا من السماء، بل جاءنا عبر بشر، أولهم الرسول نفسه، فالطعن فيه يقتضي الطعن في رسالته التي يحملها.

وأما الصحابة فإذا كان السب فيهم قادحا لنقل الدين، فإن الطعن يكون في الدين نفسه، فحين يتهمهم أحد بأنهم كاذبون وضاعون للحديث، فمعنى ذلك أن الدين الذي نقلوه قد زوروه وأعادوا نسجه بحسب أهوائهم ومصالحهم.

والدين هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فإذا كان هؤلاء الذين نقلوا الدين كذابين، فالقرآن نقله كَذَبَة، والسنة نقلها كَذَبَة.

النتيجة التي تقول (الصحابه بشر، ونقدمهم ليس نقدا للدين) نتيجة صحيحة في عمومها، ولكن لا بد من مراعاة طبيعة النقد، فرق بين أن أقول إن عليا أخطأ في قتال الجمل أو صفين أو النهروان، وبين أن أقول إن عليا دعا الناس إلى تأليهه، وإن عليا كان يضع الأحاديث في امتيازاته... إلخ.

و فرق بين دراسة: لماذا لم يشارك علي في الفتوحات، وبين تقديمه بصورة مضحكة ساخرة، وأنه (فائض عن الحاجة)!

و فرق بين دراسة: علاقة علي مع أصحابه، والقول: إن عليا كان انتهازيا، يسرق فضائلهم، وإنه أسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في قتلهم والتخلص منهم! فرق بين دراسة حكم علي ورجاله، والقول إنه زعيم شبيحة، ومتحالف مع قطاع الطرق والمرزقة!

وحين أخطر من تحويل الدين إلى خانة النقد الثقافي، فهذا لا يعني أنني أكفر الناس أو أفسقهم، فأنا بعيد عن ذلك تماما، ولكن التحذير من تحويل الدين إلى رأي ثقافي ينطلق من مرجعية علمية، فالرسول مهمته إبلاغ رسالة الله وتأسيس أمة مسلمة، وليس مهمته تأسيس دولة قومية.

*** قراءة سيرة الرسول بوصفها تجربة بشرية:**

وأما نقد سيرة الرسول والتعامل معه بمعيار "أخطأ وأصاب"، ففي المسألة تفصيل:

- الجانب الديني لدى الرسول، قد قَوَّمَ الله أي فعل ديني له، فإن أخطأ يبين الله له خطأه، حتى لا يصبح الخطأ ديناً، ولذلك فالرسول معصوم من الخطأ في تبليغ رسالة الله.

- أما أفعاله الاجتماعية والسياسية والشخصية فهي اجتهادات، ليس المهم تقويمها بمعرفة الصواب والخطأ، بل الأهم الاستفادة منها كتجربة بشرية، قد تختلف سياقاتها، ومن ثم يختلف التعامل معها بحسب تلك السياقات.

فثنائية (الصواب والخطأ) تنظر لمواقف الناس بلونين فقط، وتتجاهل التدرجات اللونية التي تزخر بها الحياة.

وبدلاً من التفكير هل فلان أصاب أو أخطأ، ينبغي أن يكون التفكير: لماذا اتخذ فلان هذا القرار، ما العوامل والمتغيرات التي أدت به إلى هذا الفعل، ما المتغيرات التي لم يراعها، ولماذا؟

هنا يصبح النقد ثرياً، وليس مجرد البحث عن أخطاء الناس، فهذا ليس نقداً، بل تتبعاً للعورات.

فالناقد التاريخي ليس قاضياً أو ضابط شرطة، يريد أن يحقق من المجرم أو المذنب أو، وحين يتحول كاتب التاريخ إلى مُحاكم ومدين، لا يصبح ما يكتب تاريخاً، بل مرافعات ناقصة الأدلة!

مقولة (الرسول بشر) يقتضي عدم قداسته، وأنه بشريته (بشكل عام) كغيره من الناس يعيش مثلهم، ويمرض ويموت مثلهم، ولكن لا يعني ذلك عدم وجود خصائص في الرسول، تجعله مختلفاً عن الناس، ومن ذلك:

أول ميزة فارقة أنه اصطفاه الله لتلقي الوحي ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، وهذا الفارق هو ما جعل كثيراً ينكرون الرسالة والنبوة، ويزعمون أن الله لا يصطفي أحداً من الناس لحمل رسالته! ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا

بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴿[يس: ١٥] فَقَالَتِ الرِّسْلُ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

- أنهم معصومون في أفعالهم الدينية، وفي بلاغ رسالة الله.

- الرسول مغفور له: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

- جعله الله أمانة للناس من العذاب: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[الأنفال: ٣٣].

- حرم الله نكاح أزواجه من بعده، ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾

[الأحزاب: ٥٣]، وجعل أزواجه أمهات المؤمنين ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

- عصمه من الناس: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

- أجرى على يديه المعجزات، كغيره من الرسل، ومن أشهر المعجزات

التي اجراها الله لرسله: طوفان نوح، وانفلاق البحر لموسى، وإحياء الموتى لعيسى... إلخ.

فلا بد من إقرار الفرق بين الرسل وغيرهم من الناس، فهذا جزء من الدين،

ولا يعني ذلك أننا نقول بتقديسهم، أو رفع مكانتهم فوق البشر.

بل البشر في تعاملهم يعطون لأهل الفضل حقهم من المكانة، ولا يعني

ذلك أنهم يقدسونهم، فالإنسان يزداد كرمه ومكانته بما يحمل من علم وفضل

وخير، فكيف بمن يحمل الرسالة الإلهية؟

*** الفهم الخاطئ لقراءة التجربة البشرية:**

أنتقد النقد المتعالي المتحامل لفترة الخلافة، وخاصة أن هذا النقد

مصحوب بتشنجات وتوترات معاصرة، أثرت سلبا على قراءة التاريخ، ووجهت القراءة مسبقا، بعيدا عن الأحداث.

فبدلا من أن نرى علي بن أبي طالب الخليفة البشر، الذي اجتهد وتأول، فأصاب وأخطأ، كغيره من الخلفاء، في عوامل ومتغيرات عديدة، ونضع أيدينا على تعامله مع تلك المتغيرات، وإلى أي مدى نجح وإلى أي مدى أخفق، أصبحنا نقرأ عن علي الفاشل الضعيف، المتعاقد مع الشيطان، المتواطئ في القتل، الانتهازي، الجائع إلى السلطة، زعيم المرتزقة، قائد الشيعة، سارق الرئاسة، الهامشي، الذي لا يهتمه أمر الناس، الذي يوظف جيشا إلكترونيا يدعو الناس إلى تأليهه، لا يتورع عن وضع الأحاديث في امتيازات شخصية، الجبان، الجاهل، الفائن عن الحاجة، الذي يسرق فضائل أصحابه... إلخ.

فهل هذه هي القراءة التي تنظر إلى تلك المرحلة على أنها تجربة بشرية، نستفيد منها؟!

أنا لم أقل إن "عليا معصوم"، ولم أبحث عن أدلة ذلك، بل قلت لمن شيطنه: علي بشر، وليس شيطانا، ونقضت أدلته، هذا كل ما في الأمر.

وحين أنقض أدلة من شيطان عليا ببيان ضعف أسانيدنا ونكارتها، فما الحاجة بعد ذلك إلى أن أناقش تأويلاتها وخيالاتها؟ سيكون ذلك مجرد استخفاف بالعلم، وإضاعة للوقت.

وبهذا، فأنا أدافع عن المنهج العلمي والتاريخي في تناول شخصيات التاريخ وأحداثه، وفضح الزيف الذي يمارس باسم العلم، وكشف الأخطاء العلمية، ورفض الانطلاق من النتائج المسبقة إلى البحث عن الأدلة.

حين أقدم عليا بصورته البشرية، بشر مثل البشر الآخرين، لا يعني ذلك إنكار جهاده وتضحيته وفضله وعلمه وأدبه، فالقول بالبشرية لا تعني غمط الناس، وبهتانهم، وإنكار الروايات الصحيحة من أجل الافتراء عليهم، بل تزوير التاريخ وأقوال العلماء من أجل شيطنتهم.

ومن الأخطاء القول: (إن الشخصية لها جانب مظلم وآخر مضيء)، وإذا كان "هو" يبحث عن الجانب المظلم، ف"أنت" تبحث عن الجانب المضيء!

الجانب المظلم والجانب المضيء، هذان المصطلحان في حد ذاتهما، يستندان إلى عصمة البشر، فالبشر هو بشر، يصيب ويخطئ، وينجح ويخفق، ولا يصبح بإصابته معصوما، كما أنه لا يصبح بأخطائه شيطانا.

وهذه إحدى مآخذي علي مروان، أنه جعل النتيجة المسبقة في عينه "علي شيطان"، ثم ذهب يتتبع الأدلة لإثبات دعواه.

فمثلا: حين يدعي د/ مروان أن عليا كان فقيرا، وأنه لم يكن يعمل، وأنه كان يتعالي على المهن، وأنه لم يكن يجد ما يتصدق به... إلخ.

فأنا لا أقوم بتلميع علي، والبحث عن جانبه المضيء، بل مناقشة دعاوى مروان، وفق الروايات الصحيحة، ووفق المصادر التاريخية.

بل أكثر من ذلك، حين قال مروان: "علي هو الوحيد الذي لم ينفق في العسرة"، طالبت مروان بإيجاد أي دليل على هذه الدعوى، من المصادر، فكتب التفسير ذكرت أشخاصا آخرين، ولم تذكر عليا!

وحين يقول مروان إن عليا تعالى على المهن، أثبت بطلان دعواه بالمهن التي عمل فيها.

وهكذا إذن.

* احترام مكانة أهل الفضل:

إن الله في القرآن الكريم يبين لنا أن لأهل العلم مكانتهم، ولأهل الفضل مكانتهم، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]؟ ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا﴾ [الحديد: ١٠]، ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥].

ولذلك حين نقول بأن للصحابة مكانتهم، وندعو إلى احترامهم، فهذا لا يقتضي تقديسهم، ولا القول بعصمتهم، بل هذه طبيعة البشر في احترام بعضهم البعض، واحترام ما يحملونه من علم، واحترام تضحياتهم.

والصحابة يقول الله عنهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال عنهم ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال عنهم: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرُّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال عنهم ﴿وَأَصْبَرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]... إلخ، فهي آيات ترسخ لمكانة الصحابة واحترامهم في نفوس المسلمين، وليس لقدسيتهم، وتجاوز ذلك تجاوز للدين نفسه.

بل إن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يفضل بعض الصحابة على بعض، يقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ [النساء: ٩٥].

وفي حديث أنس: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها؟ ! فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ، فقال: "دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغت أفعالهم"، والحديث بدون القصة في الصحيحين: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) (١).

وإن القول بحفظ مكانتهم واحترامهم لا يعني تقديسهم، ولا القول بعصمتهم.

وكما قال ابن تيمية (٢): (وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة - ﷺ - عليه فضل إلى يوم القيامة، وكل خير فيه الشيعة وغيرهم فهو بركة الصحابة، وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين، فهم كانوا أقوم بكل خير في الدين والدنيا من سائر الصحابة، فكيف يكون هؤلاء منبع الشر، ويكون أولئك الرافضة منبع الخير).

* هل الدفاع عن الصحابي تقديس له؟

الدكتور مروان اعتد بروايات خرافية وواهية، وبنى أحكامه عليها، وقال إن علياً هو الذي أسس لقداسته، وهو الذي أسس لتأليهه، وهو الذي أسس لعصمته،

(١) مسند أحمد (١٣٨١٢)، وصححه الأرنؤوط، وصححه الألباني في سلسلة الصحيحة: ١٩٢٣.

وانظر صحيح البخاري (٣٦٧٣)، وصحيح مسلم (٢٥٤٠).

(٢) منهاج السنة، ٣٧٦/٦.

وهو الذي أسس لأصحابه وضع الحديث، وهو الذي أسس لأصحابه سرقة فضائل أصحابه... إلخ.

كنا ننتظر من مروان أن يهدم الخرافات والأساطير التي حيكت على علي، لا أن يسهم في تأسيس الخرافات، ومن ثم تأسيس القداسة بردها إلى علي نفسه، فمروان بهذا الهجوم أسهم في نفخ الروح المقدسة لدى أصحاب الخرافات والأساطير.

ومن المفارقات أن د/ مروان يمجّد الصورة التي نقلها "المتدينون التقدميون" عن المسيح، الذي "كان يعمل، يكّد، لا يتعالى"، وبذلك يشني على المسيح "العامل"، ولا يعتمد الصورة التي توارثتها الطوائف المسيحية عن "المسيح الإله"، فهلا فعلت مع علي ما فعلت مع المسيح!

حين خاطب الله المسيح فقال له: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ [المائدة: ١١٦] فبرّأ عيسى نفسه أمام ربه، وربه به أعلم، فالله يعلمنا المنهج الناقد في الثبوت من الروايات والافتراءات والأباطيل، كان عليك أن تسأل عليا: أنت الذي قلت: ألّهوني؟ أنت الذي قلت لهم أن يرووا عنك تلك الأباطيل؟... إلخ، ويجيبك علي من خلال المصادر التاريخية الموثوقة، وتتأكد بالنقد القويم، ولكنك لا تكتفي بنقل ترهات الروافض، والخرافات التي في كتب التراث، بل تذهب أبعد من ذلك، كعادتك في الجرأة والإقدام، فتجعل عليا هو الذي يأمرهم بتأليهه، هو الذي يكون له فريقا إعلاميا يسبح بحمده ويقّده، بل تجعل عليا نفسه يمارس الكذب على رسول الله، (وكل هذه الافتراءات سأناقشها في الموضوعات القادمة).

وبدلاً من أن تنقض الروايات والأساطير التي حيكت حول علي بن أبي طالب، إذا بك تستشهد بها وتعتمدها، وتستخدمها؛ لبناء عَلِيَّكَ "عليّ مروان"، ثم تحاول أن تلوذ بحقو ابن تيمية، ولم تبلغ كعبه، في حين أن ابن تيمية سل قلمه وهدم الصورة الباطلة عن علي، هدم الصورة الأسطورية، هدم الخرافات، وحسناً فعل ابن تيمية، أما أنت فجئت لتحيي تلك الصورة الخرافية، وتقول: هذا علي! فاتفقت مع الغلاة والشيعة.

حتى رسول الله ﷺ نفسه قامت حوله ركامات هائلة من الخرافات والأساطير والروايات الباطلة، فهل يعني ذلك أنه شخصية سيئة، أو شخصية زائفة؟ أو أن منتهى ما يعنيه أن الروايات هذه هي الزائفة والسيئة والباطلة؟ ولكن ماذا فعل العلماء؟ هل رفضوا شخصية الرسول وقالوا إنها زائفة؟ أم أنه من أجل ذلك نشأ علم رجال الحديث، نشأ الجرح والتعديل؛ فميزوا به الصحيح من السقيم، والحق من الباطل.

وفي المقابل، كان نقدي لهذه الخرافات التي حاول مروان إلصاقها - زورا وبهتانا - بعلي، كان نقدي لها هو إسهام مني في هدم القداسة والصنمية.

وقامت مناقشتي لدعاوى مروان عن علي، على أمرين:

الأول: نقد ما استشهد به من ضعيف أو باطل أو منكر.

الثاني: تقديم تأويل، منطقي، لما حدث، مما صح.

لم أقل أن عليا هو الفارس الأوحده، أو العالم الأوحده، أو، بل قلت: هو فارس، وهذه الأدلة، هو عالم وتلك الأدلة، هو خطيب، وتلك الأدلة، وذلك مقابل نفي مروان لكل هذه الأحكام.

أما أنا فأقول: علي بشر، صاحب رسول الله، وهو عبد الله، رحل إلى ربه بعمله، وهو الذي يحاسبه.

ومن قال بعصمته، أو تقديسه فوق بشريته، أو أحله محل الأنبياء، فهو كذاب مفترى.

ومن قال بضلالته، أو شيطنه، أو جرمه، أو احتقره، فهو كذاب مفترى.
وأنا من الفريقين براء، وأقول عنه وعن سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

لفت نظر مروان كثيرا، إلى أنه بإرجاعه صنمية علي إلى علي نفسه، أنه يقدم خدمة مجانية غير مدفوعة الثمن لمن يعتقدون في هذه الصنمية.

كان على مروان استخدام رؤية علي وأفعاله في رفض التورث، وفي بيعته للخلفاء من قبله، وفي احتجاجه بخلافته ببيعة الناس (وليس بالنص الديني)، وفي معاقبته لمن أرادوا تقديسه، ومعاقبته لمن فضلوه على أبي بكر وعمر، وفي تورعه عن المال العام، وفي سيره في ميراث النبي بسيرة أبي بكر وعمر... إلخ، كان عليه أن يستخدم ذلك في هدم الدعاوى التي يستند إليها الشيعة.

لكنه ذهب في تأييدها من حيث أراد هدمها.

ثم إذا كان مروان يريد هدم صنمية علي، فلماذا يريد إظهار علي بصورة شيطان، ونفي البشرية عنه، نفي كل فضيلة عنه، نفي كل علم عنه، نفي الفقه، نفي الشجاعة، نفي المروءة، نفي الأمانة، نفي الصدق، حتى وصل الأمر به إلى تعييره بالقباحة، و... إلخ.

هل هذا فعل من يريد هدم الصنمية؟

إذن، لم أكتب عن علي، ولا عن خلافة علي، ولا عن الأحداث التي حدثت، بل كتبت ردًا على التطاول والتحامل، الذي لا صلة له بالعلم، ولا بالأدب، ولا بالأخلاق.

وإذا كان هناك من ينتقني أنني لم أتحدث عن أخطاء علي، بالرغم من أنه ليس هدفي في مقالاتي، كما ذكرت، فهل ينتقد مروان أنه حول حياة علي كلها إلى أخطاء، بل خطايا وجرائم، وصور قبيحة؟!

وحين يقولون: أثبت بشرية علي بإظهار أخطائه، فنحن نقول لهم: أثبتوا بشرية علي بإظهار بعض صوابه، فمقالات مروان سجل مظلم لعلي وأولاده ورجاله، كل حياتهم ظلماً، كل أفعالهم سيئة، فهل هؤلاء بشر؟

ثم إن كتابتي ليست تقييماً لمسيرة علي، بل هي ردود على حملة جائرة تستهدفه بدون براهين.

ولا ندعي أن علياً أفضل الصحابة، بل أفضل الصحابة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، عليه السلام، وهذا ما عليه الصحابة أنفسهم، ومن بعدهم من جمهور علماء الأمة، وكل الصحابة أهل فضل، جاهدوا وضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله.

*** هل الدفاع عن الصحابي دعم للأيدلوجيات المعاصرة؟**

يعتقد بعضهم أن دفاعي عن علي إنما هو دفاع عن الشيعة، ودفاع عن أفكارهم وخرافاتهم التي يحملونها تجاه علي.

وهذا زعم باطل، فهل إذا دافعت عن المسيح يكون دفاعي دعماً للمشروع
الصليبي؟

علي بن أبي طالب، صاحب رسول الله ﷺ، ليس ملكاً للمشروع الشيعي
ولا لغيره.

الهجوم عليه لا علاقة له بمحاربة المشروع الشيعي، والدفاع عنه لا علاقة له
بدعم للمشروع الشيعي.

الذين يستخدمونه اليوم، يستخدمون القرآن الكريم نفسه، ويستخدمون
الرسول نفسه، فهل نحاربهم بالهجوم على القرآن والرسول؟

الجماعات الإرهابية تستخدم الرسول في تبرير أعمالها، فهل نهاجمهم،
بالهجوم على الرسول؟

(وللأسف، هذا منطق بعض الحداثيين اليوم، حين يقولون إن المشكلة في
القرآن وفي السنة، وليست في فهم الجماعات الإرهابية).

وهكذا لن تقف الصخرة المتدحرجة عند حد.

وعلى أي حال، فما ذنب علي أن نحمله ما يحدث في اليمن أو غيرها من
بلدان العالم الإسلامي؟

هل هدف مروان إحياء علي وإعادة محاكمته، في محكمة بدون شهود ولا
محامين، ثم إصدار الحكم، والتنفيذ؟

تقتلُ المقتولَ كي تحكمه!

ولكي ترتاح تشوي المعتقل

هل أسميك بهذا نجاحاً؟!

إن يكن هذا نجاحاً، ما الفشل؟!

إذا كان مروان ينتقص مني بأنني أريد جره إلى منطقة الأسانيد، فهو مدح لي لا انتقاص؛ لأن التاريخ لا يجوز إصدار الأحكام فيه بدون أدلة وبراهين، ولكن هل يريد مروان إعداد ساحة الإعدام بطريقة "الكابوي"، خارج نطاق القانون، فيقوم بالإعدام بدون أدلة وشهود؟

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزلا

وما ذنب المسيح حين كان الصليبيون - ولا زالوا - يقتلون الناس باسمه؟! وما ذنب الله تعالى [إذا صح هذا التعبير] حين تنحر الجماعات الإرهابية الأبرياء، ويقولون حين الذبح: (باسم الله، والله أكبر).

هل نتجه إلى الدين نفسه، ونقول: فيه المشكلة [كما فعل بعضهم]؟ أو نظهر براءة الدين من هذه الأفعال؟!

هل هذا هو حل المشكلة الراهنة لبلادنا؟

بدلاً من أن نعيش واقعنا، نعود إلى الماضي لتفريغ مشاكلنا فيه، وصب جام غضبنا على صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين؟!

مصطلحا الرافضي والناصري:

يقول بعضهم أن علماء السنة اخترعوا مصطلح "الناصري" لإسكات الناس من البحث في مسمى آل البيت وتاريخهم وشخصهم، في حين أن من ينتقد الصحابة لم يضعوا له مثل هذا المفهوم.

فالجواب:

مصطلح النواصب، مصطلح وضعه علماء المسلمين قديماً، كما وضعوا

مصطلح الروافض، فأطلقوا الروافض على من يسب أبا بكر وعمر، وأطلقوا النواصب على من يسب علي بن أبي طالب، [انظر الشريعة للآجري، ت: ٢٦٠هـ]^(١)

وأطلقوا على من يسب صحابة رسول الله زنديقا، قال أبو زرعة الرازي رحمه الله (ت: ٢٦٤هـ): «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق»^(٢).

هذه المصطلحات لم يطلقها الشيعة، بل علماء السنة، واشتهر مصطلحا الرفض والنصب؛ لكثرة الوالغين في أبي بكر وعمر وعلي، دون بقية الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

فليست المسألة إسكات من يريد دراسة آل البيت، فهاهم العلماء درسوا وحققوا في تلك المرحلة، منهم أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم، وابن تيمية في منهاج السنة، ولم يقل أحد إنهم نواصب.

ولو قرأت كتب التراجم، وكتب عامة أهل السنة، تجددهم يصفون من وقع في علي بالسب والشتم بالنواصب، ومن وقع في أبي بكر وعمر بالروافض.

وبالرغم من ذلك فأنا بعيد عن استخدام مثل هذه المصطلحات، ومن يقرأ هذا الكتاب فلن يجد فيها ذلك، ولكنني ذكرت هذا بيانا لمن يقول إن علماء السنة تساهلوا مع من يسب الصحابة وتشددوا مع من يسب عليا أو أبا بكر وعمر دون بقية الصحابة، وهو ظلم لعلماء السنة.

(١) ٥ / ٢٥٤٠، و٤ / ١٧١٤.

(٢) الكفاية في علم الرواية... الخطيب البغدادي، ٤٩.

مدخل عن النقد التاريخي

ثمة معايير لدراسة المرحلة المبكرة من تاريخ المسلمين، ولا سيما مرحلة الفتنة التي حدثت في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وتجاوز هذه المعايير هو كتابة لا علاقة لها بالتاريخ، من أهم هذه المعايير: التثبت من صحة الرواية، وثانيها: أن يكون تحليل الأحداث اجتماعيا لا أسطوريا، وثالثها: أن تكون قراءة الأحداث علمية لا روائية ساخرة ضاحكة.

* الدليل قبل التأويل :

قراءة الأحداث التاريخية وتقييمها، ينبغي أن يعتمد أولا على صحة الرواية، قبل الخوض في الدراية، فنحن ندلي بآرائنا في مواقف أناس، فكيف نقول آراءنا ونقيم مواقف لم تحدث أصلا، أو في حدوثها شك!

فليس من العدل والإنصاف أن نحلل الأحداث ونقيم الشخصيات والمواقف بناء على روايات باطلة، أو منكرة، وهذا متعارف عليه في أي بحث علمي اليوم، أو في أي قضية جنائية.

فقبل أن نرفع أقلامنا للتحليل فعلينا أولا أن نبحث عن صحة الدليل، فإذا صح الدليل تحدثنا في التحليل والتأويل.

قد يقول قائل: لو قرأنا التاريخ بمنهج المحدثين فسنسف معظم الروايات التاريخية، ونحن نقول: نحن نقرأ التاريخ بالروايات التاريخية، ونحقق فيها بمنهج النقد التاريخي، لا المنهج الحديثي، وهذا يشمل عامة الأحداث التاريخية، ولكن

حين يتعلق الأمر بالجنايات، والدماء، وتقييم الشخصيات، ومواطن الجدل، فإننا سنقرأ هذه الروايات التاريخية بمنهج المحدثين، لماذا؟

لأن أقدم المؤرخين أنفسهم، كخليفة بن خياط، والطبري، أسندوا مروياتهم، وأخبرونا بأسانيدها، وتركوا المسؤولية علينا في تحقيقها وتمحيصها، ولا يصح تجاوزها إلى التأويل، فكيف نؤول مرويات باطلة؟!

وطالما أن الحديث عن شخصيات وقضايا تاريخية، فإذا لم نحتكم إلى مرويات التاريخ، ونتأكد من صحتها، فلا م نحتكم إذن؟

إلغاء "الدليل الصحيح" يجعل الكاتب يعتمد "الحكم الكسبح"، بعبارة أخرى: سيتحكم الهوى بالكاتب في انتقاء الأدلة التي يريد، وترك الأدلة التي لا يريد.

لذلك، فالرواية هي عدة المؤرخ أولاً، قبل التفكير في تأويل الأحداث، فما بالك باستخدام الخيال، ولا سيما الخيال الخصب، الذي يتضخم فيلغي الرواية، ويصبح التاريخ مجرد خيالات!

وثمة أمر ذو علاقة بهذه القضية، وهي خطورة الازدواجية في التعامل مع المرويات، فلا تستدع منهج المحدثين في الروايات التي تجدها مخالفة لأحكامك، ثم تتغاضى عن منهج المحدثين في الروايات التي تجدها مؤيدة لأحكامك.

والناظر في منهج المحدثين في التحقق من الروايات يرى العمق العلمي في تلك المنهجية، فقد وضعوا معياراً يقوم على فحص السند والمتن، فيسألون

عن: اتصال السند، وضبط الراوي، وعدالته، وسلامة المتن من الشذوذ، وسلامته من العلة، وألفت كتب التراجم في بيان عدالة وضبط كل راو له رواية في كتب السنة، وألفت الكتب في تخريج الحديث وفحص سلامة متونها.

وفي العصر الحديث، أفاد باحثون وعلماء من هذه المنهجية، فخرجت كتب كثيرة في تخريج الأحاديث، وظهرت كتب أيضا في تخريج مرويات التاريخ وفق منهج المحدثين، ومنها: "تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين"، أ.د/ محمد أمحزون، و"فتنة مقتل عثمان" للدكتور/ محمد الصبحي.

ومن أهم شروط الاعتماد على الرواية التاريخية ألا تخالف رواية صحيحة، إذا كان هذا شرط معتمد حتى في ترجيح الروايات الحديثية، فمن باب أولى اعتماده بين رواية تاريخية (لا نعلم صحتها)، ورواية حديثية (تبين صحتها).

ثم من أهم شروط قبول الرواية التاريخية خلوها من التناقض والاضطراب في ذاتها، وكذلك خلوها من التناقض مع الروايات التاريخية الأخرى، وإلا فما المرجح الذي يجعلنا نرجح رواية على أخرى؟!

ومهما تكن الأحكام القائمة على الروايات التاريخية، فإنها تظل أحكاما ظنية، ولا يمكن الجزم بها بحال من الأحوال.

وبهذا أبين أنني أقبل الروايات التاريخية، وأخذ بها، ولست ضد الأخذ بها، ولكن بأربعة شروط:

الأول: ألا تخالف رواية صحيحة.

الثاني: ألا تتناقض مع روايات تاريخية أخرى، دون مرجح لإحداهما.

الثالث: ألا ينشأ عن التصديق بها مفارقات منطقية.

الرابع: تظل النتائج المبينة عليها في دائرة الظن.

فالخلاصة أن الكاتب عليه أولاً أن يتحقق من صحة الرواية، وعليه ثانياً ألا يتجاهل الروايات الصحيحة؛ لأن التجاهل يدل على وجود النتائج والأحكام المسبقة، وعليه ثالثاً عند تعارض الروايات أن يتبع منهج المحدثين في الترجيح بين الروايات.

وبدون الانطلاق من الرواية الصحيحة، فلا قيمة لما يكتبه المؤرخ، ولا قيمة لما يصدره من أحكام، فما بالك لو كانت الأحكام بدون روايات أصلاً؟! والاعتماد على الروايات الضعيفة في قراءة التاريخ، مثل الاعتماد على أخبار الواس، لا فارق بينهما، فهل تريد أن تكون محللاً لأخبار الواس؟

*** كتابة التاريخ لا تبدأ من الفرضيات والنتائج:**

دراسة التاريخ لا تنطلق من فرضيات، كالدراسات الإنسانية والعلمية؛ فمجرد وضع الفرضيات في التاريخ يقتضي التحيز؛ لأن التاريخ موجود بالفعل، ينتظر من يكتشفه، فعلماء الآثار ينقبون عن الأهرامات، ولا يقومون بصناعة أهرامات أخرى.

حين اكتشف علماء الآثار أول الأهرامات، لم يتوقفوا وينشغلوا بالخيالات، بل استمروا في البحث والتنقيب، يكتشفون أثراً بعد آخر، وكذلك مختلف الآثار،

ويحاولون دراسة تلك الآثار، واستخلاص التاريخ منها، لا من خيالات وافتراضات.

ولذلك؛ كتابة التاريخ لا تبدأ من النتائج والفرضيات، بل تبدأ من الأدلة، والبحث عن الروايات الصحيحة، وبناء على ذلك توضع الأسئلة.

ويتأكد هذا، حين تكون الأدلة التاريخية الصحيحة قليلة، وحين تكون المرحلة التاريخية مليئة بالفتن وتنازع الأهواء؛ فالكذب سيتشر في أخبار تلك المرحلة، ونحن نلاحظ ذلك في حياتنا، انظر حجم الكذب أثناء الحروب بين الأطراف، وحجم الكذب أثناء السلام، لا شك أن الكذب أثناء الحروب أكثر، وأكبر تعقيدا.

* التحليل السياسي والتحليل الأسطوري:

سيضيع الخليفة الراشد بين تقيمين:

الأول: يرى أنه معصوم من الخطأ، وأن كل أفعاله صواب، وكأنما كان الوحي يتنزل عليه مسددا ومصوبا.

الثاني: يرى أن أفعاله خطايا لا أخطاء، وألا شيء في مسيرته يوصف بالنجاح.

كلا التقيمين خاطئان، ينطلقان من مرجعية واحدة، وهي مرجعية أسطورية، تتمثل في قدسية علي بن أبي طالب، والخلاف فقط في تطبيق هذه المرجعية.

يخطئ المثقف حين يناقش شخصية علي في ضوء مقدمة منطقية شرطية،

وهي: علي إما يكون مقدساً أو شيطانا، ولكن علي ليس مقدساً بدليل الروايات التي استند عليها، إذن فعلي شيطان.

لم ير المثقف في علي أنه بشر، مثلما لم ير الروافض فيه ذلك، فالروافض رأوا عليا مقدساً معصوماً من الخطأ، حتى ألهمه بعضهم، أما المثقف فرآه أنه كان ينبغي أن يكون مقدساً، فلما لم يكن كذلك فهو شيطان! أرايتم اتحاد المرجعيات والمنطلقات؟

فليست المسألة أن القراءة التاريخية تجعل من الشخصية ملاكاً أو شيطانا، بل القضية كيفية الاحتكام إلى منهج التعامل مع التاريخ.

حين يقول المثقف أن (الصحابة مجتمع بشري)، فهذا كلام صحيح، فلماذا إذن نتناسى هذا حين نقيم الشخصيات والأحداث؟! لماذا نفترض ضرورة أن يكونوا ملائكة، ما لم، فهم شياطين؟!

إن مجرد أن يضع الباحث نصب عينيه: البحث عن الجانب المضيء للشخصية أو الجانب المظلم فيها، فهذا يجعله في عداد المنتجات الأسطورية، غير البشرية.

من المدهش أن يتخلى المثقف عن التحليل الاجتماعي للأحداث السياسية، ويتعلق بالتحليل الأسطوري الخرافي! كان بإمكانه أن يقرأ خلافة علي في ضوء علم الاجتماع السياسي.

هل توجد دولة تقوم على عصا الحاكم السحرية؟! لماذا نريد من دولة علي أن تكون كذلك؟! الدولة حين ننظر في أحداثها ونقيمها ونقيم شخصياتها، فإن

الحاكم ورجال الدولة، بل ورجال المعارضة، والمتمردين أيضا، وسائر المجتمع، كلهم يشتركون في بناء الدولة، وكلهم يشتركون في النتائج، سواء النتائج الإيجابية أو السلبية.

منطق "العصا السحرية بيد الحاكم" هو المنطق الأسطوري الذي جاء القرآن الكريم لهدمه وتصحيحه، وبيان المسؤولية الفردية والمشاركة، ولذلك حين استغرب بعض الصحابة هزيمتهم في أحد، وقالوا: (كيف نهزم وفينا رسول الله) قال الله لهم: (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)، والصحابة فهموا هذا المنطق البشري، ولذلك فالدولة في عهد أبي بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم، لم يكن الخليفة وحده المسؤول عن نتائجها سلبا أو إيجابا، بل رجال دولته، وأفراد المجتمع كله.

وبذلك فالدولة في عهد علي، ليس علي وحده المسؤول عن تردي الأوضاع فيها، فرجال الدولة، والخارجون على علي، والمعتزلون، وكافة أفراد المجتمع مسؤولون عن ذلك أيضا، فقراءة العوامل بإنصاف وتجرد، غير قراءة الأحداث بهوى وميول.

هل نحمل اليوم رئيس الدولة وحده مسؤولية مآل الوضع في بلاده؟! ونتجاهل القوى الأخرى الداخلية والخارجية؟! ولست أقارن بين قائدين، ولكنني أتحدث عن منطق ازدواجي في تقييم الأحداث والشخصيات.

* الخطأ في تبسيط الظواهر المعقدة:

من الأخطاء الشائعة في قراءة التاريخ، اختزال تفسير الظواهر المركبة المعقدة في بعد أحادي بسيط.

على سبيل المثال، حين يختزل الدكتور مروان المشاكل والأمور المعقدة والعوامل المترابطة والأسباب المتنوعة لما حدث أثناء مقتل عثمان، ثم لما تبع ذلك من حوادث في خلافة علي، يختزل كل تلك العوامل ويبسطها في الزعم أن "عليا" هو أساس البلاء، وكل المشاكل قامت بسببه، وأي حادثة تحدث فإنما مردها إلى علي، وأنه هو الذي حرّض وهو الذي تحالف مع الشيطان، وهو الذي حرك الأمور كلها، [والعجيب أنه بعد ذلك يصف عليا بالرجل الضعيف الهامشي، فأى تناقض في هذه المنهجية المروانية؟!].

وهذا يذكرنا ببعض ما تفعله وسائل الإعلام المعاصرة في اختزال المشاكل وردّها إلى سبب ما، يستخدمونه فزاعة، والدكتور/ مروان يستخدم عليا فزاعة المشاكل، وكيسها الجاهز، فمروان أينما تحرك حمل هذا الكيس معه وفتحها، ووجد فيه السبب جاهزا.

والصحيح قراءة الظاهرة بمختلف أبعادها، فالظواهر الاجتماعية من أعقد الظواهر العلمية دراسة، ويكاد العلم يضع في دروبها، بخلاف الظواهر الفيزيائية، بل حتى الظواهر النفسي هي أيسر بكثير من الظواهر الاجتماعية، التي تشترك فيها عوامل كثيرة، وتتداخل في نشوئها أسباب هائلة، وأي دراسة اختزالية لتلك الظواهر هي دراسة خارج سياق العلم.

* القراءة الساخرة والقراءة العلمية:

في هذا السياق، إن إعادة عرض المعارك والأحداث والشخصيات بصورة درامية ساخرة مبالغ فيها، هل هو جزء من تقييم تلك الأحداث؟ ثمة أحداث

وقعت وفتن، فلماذا تُقرأ بطريقة أحادية ساخرة؟ إذا كان أحدهم يفعل ذلك حين يقرأ الأحداث المعاصرة، بوصف السخرية جزءاً من الحرب النفسية ضد العدو، فما فائدة السخرية حين قراءة أحداث قديمة؟!

السخرية في هذا السياق لا يفسرها إلا الكراهية والحقد الدفين، والبحث عن الإثارة، فالقراءة العلمية للأحداث لا تجد لها رواجاً إلا عند أفاضل الناس، أما القراءة الساخرة للأحداث فترفع رصيدها في الحضور، وتجعل الناس سرعان ما يتلقفونها، فالسخرية هي كلمة السر التي تفتح بوابات القلوب والعقول الساذجة، الغوغائية، الذين يبحثون عن الإثارة أكثر مما يبحثون عن العلم.

وهل السخرية من الأشخاص، والاستتال في تقديمهم بصورة مضحكة للجمهور، أو صورة تستحق الشفقة البشرية، هل هذا يسهم في قراءة التاريخ وتجاربه بصورة منصفة عادلة؟ أم أن التاريخ مجرد مادة نبحت فيها عما نستفرغ فيه ضحكاتنا، ونتقيأ في وجهه بقهقهاتنا!

حين نقرأ الأحداث، ونتصيد الأخطاء، ونضخمها، وننفخ فيها أبواقنا، ثم نقدمها على أنها الحقيقة وحدها، فماذا يسمى هذا المنهج؟! هل هذه المنهجية العلمية في تقييم الأحداث والمواقف والشخصيات؟!

قراءة المفاضلات!

ومن أسوأ القراءات التاريخية: "قراءة المفاضلات"، والمقصود بها أنني لكي أثبت فضل أحد فلا بد أن أهدم مقابله فضل شخص آخر، مثلاً: شهادة الرسول إما لعلي أو الأنصار، الفضل إما لعلي أو أبي بكر، الفروسية إما لعلي أو

لخالد، الحق إما مع علي أو مع عائشة، وهكذا؛ فالقراءة التفضيلية توجه الأحكام والنتائج مسبقاً، وقارئ التفضيلات غير مؤتمن على التاريخ؛ لأن اعتقاده النفسي بفضل زيد يوجه كتابته بسحق عمرو!

ولهؤلاء يوجه الجاحظ درساً بليغاً، فالجاحظ في الحيوان، عقب على شعر للسيد الحميري فيه ذم لعائشة، فقال الجاحظ: "ولبئس ما قال في أم المؤمنين وبنت الصديق! وقد كان قادراً على أن يوقّر على علي رضي الله عنه فضله، من غير أن يشتم الحواريين، وأمّهات المؤمنين، ولو أراد الحق لسار فيها وفي ذكرها سيرة علي بن أبي طالب، فلا هو جعل علياً قدوة، ولا هو رعى للنبي صلى الله عليه وسلم حرمة"^(١).

ويتصل بقراءة المفاضلات: قراءة الثنائيات المتناقضة، وإلغاء التأويلات المتعددة، فيرى الكاتب مثلاً، أنه طالما تقاتل صحابيان فأحدهما مجرم والآخر ضحية، أحدهما على صواب مطلق والآخر على خطيئة مطلقة! ويلغي النظر إلى الصواب والخطأ في ظل الاجتهاد البشري، والتأويل، والاحتمالات المتعددة.

* إثبات الحكم ونفيه في ضوء المنطق العلمي:

من أبجديات البحث العلمي، أنك إذا أردت إثبات قضية ما، فدليل واحد صحيح صريح يفني بالغرض، ولا يلزمك الاستقراء، طالما بقيت في إطار الإثبات.

ولكن إذا أردت نفي قضية، يلزمك نقض أدلة الإثبات كلها، وأي انتقاء يؤثر في النتيجة.

(١) الحيوان، ٥/ ١٧٠.

مثلا، تقول: الطير يبيض، يكفيك التمثيل بمجموعة من الطيور، ولكن إذا قلت: الثدييات لا تطير، يلزمك تقصي كل الأدلة، ويمكنك في هذه الحالة تقييدها، إذا وجدت دليلا مخالفا، بنحو: غالبا.

فحين يريد الكاتب إثبات أن عليا غير فارس، وأنه جبان، فيلزمه أولا نقض أدلة الإثبات كلها، ويلزمه ثانيا إقامة ولو دليل واحد على دعواه، أما انتقاء مثال أو مثالين لنقضهما ثم القفز إلى النتيجة، فهذا مخالف للبحث العلمي.

* هل المشكلة في المصادر التاريخية أو في التعامل معها؟

يضع بعضهم إشكالية أن كل الكتاب، الذين يثبتون أو ينفون القضية التاريخية، يستندون إلى المصادر نفسها، فبأي معيار يصدق القارئ أحدهم ويكذب الآخر؟

والجواب:

القارئ بالفعل قد لا يستطيع الحكم، ولكنه يستطيع التأكد من المصادر والروايات وصحة الأدلة وسلامة الاستنتاج، وبذلك لا يتقبل ما يكتبه أي شخص. لهذا، أنصح القراء بالتأكد من مراجعي ومصادري، كما يفعلون ذلك مع سواي، فذلك يجعلهم يبنون معارفهم على قواعد متينة.

وهنا مجموعة من الإيضاحات ذات العلاقة بالأمر.

الكتب القديمة كانت تذكر الخبر مع السند، سواء كتب التاريخ أو الحديث أو الطبقات والتراجم، أو حتى بعض كتب الأدب، لماذا؟

المؤلف نفسه يقول لك: انظر السند وتحقق بنفسك من الخبر: صحيح أو لا؟

فكيف تعامل العلماء مع الأمر؟

الجانب الأول: بدراسة الأسانيد.

فمثلاً، في الحديث، سنن الترمذي أو النسائي أو أبو داود... إلخ وهؤلاء من أئمة الحديث، درس العلماء ما في كتبهم، فبينوا الصحيح والضعيف، فيقول المحدث، مثلاً: رواه الترمذي في سننه بسند صحيح، أو بسند حسن، أو بسند ضعيف، أو وهو منكر، ولا يعني ذلك القدح في الترمذي.

ومن المعاصرين مثلاً، للألباني: صحيح الترمذي، وضعيف الترمذي.

وجرح الرواة يستند إلى كتب الجرح والتعديل القديمة، وهي كافية.

ومن ثم فنحن ندعو الكتّاب إلى عدم الاستشهاد بالروايات الضعيفة، وترك الصحيحة.

الجانب الثاني: حين تأتي روايات صحيحة في أصح الكتب، كالبخاري ومسلم، ويتم تجاهلها لأجل الوصول إلى نتائج مسبقة، كقضية تعامل علي مع من قال بتأليهه، فهذه مأخذ آخر على الكاتب.

الجانب الثالث: حتى عند تعارض الروايات، فعلماء الجرح والتعديل وضعوا قواعد للتعامل مع الروايات المتعارضة، في حال صحتها، أما الضعيفة فتسقط عند التعارض.

ومن أجل التعامل مع روايات متعارضة بدرجة واحدة من الصحة، فإننا نتجه

إلى التأويل كآخر مرحلة، لروايتين لهما الدرجة نفسها من الصحة سنداً ومتنا.
وقد نلجأ للتأويل إذا كانت الروايات في ظاهرها متعارضة مع مبادئ أو
قواعد عامة، فإن تعذر التأويل، فإن الرواية تسقط بمتنها عندئذ.
فإذا رجعنا إلى تاريخ الطبري، فالمرويات المتعارضة تملأه، ولذلك
للتعامل معها، ننظر:

- ١- هل المروية صحيحة أو ضعيفة.
 - ٢- فإذا كانت صحيحة، فهل هي معارضة لمرويات أصح منها؟
 - ٣- وإذا كان كذلك، فبماذا فسرها العلماء؟
- فليست المشكلة إذن في وجود المصادر ذاتها، بل في التعامل معها.
- فإذا أراد القارئ الإنصاف والتأكد، فعليه:
- ١- أن يطالب من يدعي دعوى أن يأتي لها بدليل صحيح، وليس مجرد
دعوى ملقاة، أو البحث عن دليل ضعيف.
 - ٢- ألا يتعارض هذا الدليل مع أدلة أصح منه.
 - ٣- أن يتسق تأويل الروايات مع السياق النصي والاجتماعي والتاريخي.

*** لماذا أستخدم أسلوباً تصويرياً في مناقشة د/ مروان؟**

لم أكتب مقالتي ابتداءً في علي، بل كتبته رداً على مروان، وكتابات مروان
ليست مجرد أفكار علمية، بل هي أفكار وصور وأساليب، والصورة جزء لا يتجزأ
من الفكرة، الناس ينسون الفكرة ويتذكرون الصورة.

وهذا اضطرني إلى نقد الصور، وتفكيكها، فهذه إحدى آليات التأويل
الخطابي، ودراسات تحليل الخطاب تقوم على النظر في الأشكال بأهمية كبيرة
توازي النظر في المضامين؛ لأن الفكرة لا تأتي في الهواء، بل تأتي متجسدة
بألفاظها وصورها، فنحن في عصر الصورة.

وليس من عادتي كثيرا نقاش هذه الجوانب، ولكن فعلت ذلك في محاولة
إيجاد توازن للصورة الذهنية السلبية التي غرسها مروان عن "علي الصحابي
البشر" وليس علي المقدس".

** ** **



الجزء الثاني

النقد المنهجي لمقالات مروان



علي بن أبي طالب، أم "علي" مروان الغفوري؟

الذين عجزوا عن إحراز أي أهداف في المباراة الحقيقية، قاموا بصناعة رجل قش ضعيف، اختلقوه وصوروه كما يريدون ثم وضعوه في المرمى، ليستروا إخفاقهم في الميدان.

الدكتور/ مروان الغفوري روائي، لذلك يتعامل مع التاريخ بوصفه رواية، فالروائي ليس صحفياً يقوم بنقل الواقع - كما يراه - بل هو صانع للواقع كما يريده، فلذلك تعكس الرواية حقيقة كاتبها ورغباته أكثر مما تعكس حقيقة الواقع، وكما قال اسبينوزا (ما يقوله بولس عن بطرس يخبرنا عن بولس أكثر مما يخبرنا عن بطرس).

فمروان الروائي، ترك خياله يتضخم حتى ابتلع كتابته، وراح يفتش بين صور المسوخ المناوئة لأبطال رواياته، فعثر على صورة، وغدا يرسمها، ظناً منه أنها لعلي، في حين كانت هي صورة مروان من الداخل، أخبرتنا الصورة عن مروان أكثر مما أخبرتنا عن علي عليه السلام، لقد انطلق بحماسة يرسم صورة شخصيته، ونسي أنه يرسم صورته هو، صورة مروان، لا صورة علي بن أبي طالب.

والإسقاط النفسي ليس عيباً، فهو جزء من الطبيعة البشرية، يساعدنا على تخطي كثير من الأزمات، وإعادة التأهيل العلاجي لحسرات النفس وأوجاعها حتى تستمر في الحياة، الطفل، مثلاً، الذي يتمنى لعبة فلم يحصل عليها، فيحلم في نومه أنه حصل عليها، فيسقط رغبته في واقع آخر، وهو النوم.

ولكن الإسقاط يصبح عيباً، حين يعتقد الإنسان أن إسقاطاته حقائق، وأنه بإسقاطاته لا يعالج نفسه بل يعالج الواقع! لقد أسقط رغباته في واقع آخر، وهو الكتابة، وقدم عالم الإسقاط على أنه عالم الحقيقة، وازدادت هذه الظاهرة بروزاً مع شبكات التواصل، وإخفاقات العالم الواقعي، لذلك تجد بعض مشاهير التواصل يصنعون بطولات زائفة في كتاباتهم وحساباتهم، لتعويض النقص والعجز عن فعلها في الواقع، ولكن حين يمتد الأمر إلى تزييف التاريخ، واحتقار المنهج العلمي، لمصلحة المنهج النفسي، فهذا أمر غير لائق بفاعله.

إن ما فعله مروان، ومثله آخرون، تجاه علي بن أبي طالب عليه السلام، كمثل طبيب أتى إلى إنسان مكتمل الخلقة، فقام ببتّر أنفه الذي يخرج منه المخاط، وبتّر دبره الذي يخرج منه البراز، وبتّر ذكره الذي يخرج منه البول، وجمع هذه الأعضاء، ثم ذهب إلى صناعة بقية أجهزة الجسم كما لو كانت أنفاً ودبراً وذكرًا فقط، ثم قدمه على أنه الإنسان الذي خلقه الله! ثم يقول: انظروا، الله خلق إنساناً مشوهاً إنما يبول ويتغوط ويمتخط فقط، ولا يعمل شيئاً آخر!

الصناعة التجزيئية للواقع في إطار الفن، فن يتقبله الناس على أنه خيالات فنية، ونسمي من يفعل ذلك "فنان(اً)"، ولكن حين يعتقد "الفنان" أنه بخيالاته ينقل الواقع، وأنه يخبرنا بالحقيقة، فإننا نسميه "مروان".

في أحد أفلام بروسلي، وقف خصمه وأخذ خشبة وضربها بيده فحطمها، يريد بذلك إرهاب بروسلي، فقال بروسلي: إن الخشبة لا ترد الضربة! ونحن نقول: إن رجل القش الذي صنعتموه يتقبل ترهاتكم؛ لأنه ليس الرجل الحقيقي، وصناعة هذه الخيالات ثم مهاجمتها ينبئ عن عجز نفسي كبير، بل إعاقة نفسية

داخل الشخص تجاه الآخرين، جعلته يصنع صنما من ورق ثم يحطمه، بعد أن عجز عن المواجهة الحقيقية، بل هم في الحقيقة يهاجمون خيالاتهم، ويحاولون ستر عوراتهم النفسية بكشف ما اعتقدوا أنه عورات الآخرين!

"علي" مروان الغفوري، ليس بعلي الشيعة، وليس بعلي السنة، فليس تحديثا لإصدار سابق، بل شيء آخر، يراد تسويقه على أنه علي بن أبي طالب!

أي صورة يقدمها مروان عن علي؟

علي عليه السلام [كما يقدمه مروان] هو الرجل الخائن، الغادر بزوجه وأقرب المقربين منه، هو الذي يسرق فضل أصحابه، ويعيش على أمجادهم، هو السفاح الذي يفتك بالآلاف من رفاقه، يقتل ربع مليون مسلم في سنتين (ربع مليون! تحتاج إلى ابن خلدون كي يكتب عنك)، هو العاجز الجبان، هو الذي لا يفهم كيف يدير، هو الذي استعاض عن إخفاقاته بالإيعاز إلى شيعته أن يؤلهوه، هو الفضولي المتطفل، هو الهامشي في التاريخ، رجل بائس يبحث عن أي مجد، مجرد متسلق باحث عن مشروع سياسي، رجل شهواني ينام بين أكثر من امرأة!، نشاطه الجنسي فائض يحتاج إلى بحث آخر، علي يعلم أولاده أن يسخروا من الناس ومن قبائل العرب، لا حرفة له، يتسول قوته، ولا يعرف السوق، ولا يفهم حقيقة الناس، رجل كسول متعال متعالم، سيرته فقيرة، حياته مليئة بالفراغ، إرهابي يستغل الدين للخداع، فائض عن الحاجة، يصنع لنفسه بطولات وهمية، يفتقد إلى الكفاءة الأخلاقية، يكذب على النبي ويحور أحاديثه لمصلحته، المحابي لأقاربه، البعيد عن العدل والإنصاف، بنى دولة عائلية، جأع إلى السلطة، جبان، أكل منهم، رجل بدين، أعمش العينين، يمشي قليلا ويتعب ليلتقط أنفاسه، حتى زوجته فاطمة

لم تره ملء عينها، رجل بلا تاريخ عسكري، زعيم عصابة، قائد شبيحة، رجل مغرور، رجل فاشل سياسيا، وفاشل دينيا، كل فضله ومجده قائم على أنه زوج ابنة النبي، يستحق القتل؛ ولذلك أحسن ابن ملجم حين قرر قتله، وابن ملجم رجل فقيه غيور على الأمة، إلى بقية الأوصاف التي تزخر بها تسعة مقالات فحسب.

[لا تعتقد أيها القارئ أنني أفترى على مروان في أي وصف من هذه الأوصاف، فكلها ماثورة في مقالاته التسعة]، وبتعبير الأستاذ/ مهيب نصر أن مروان جعل عليا "طرطور الأسرة الهاشمية".

ما الماكينة التي تقلق راحة كاتب هذا الكلام، وتسهر ليله! ما الماكينة التي تجعله يأخذ مرآة وينظر فيها لنفسه حين يصف الآخرين!

حين يغضب الدكتور مروان من بعض من كتبوا عنه، ويتهمهم أنهم يشتمونه ويسبونونه، وهم لم يقولوا عشر معشار ما قاله في علي (رضي الله عنه)، فلماذا يغضب منهم إذن؟ ولماذا يغضب مما وصفها التحليلات النفسية لكلامه، في حين أنه يمارس التحليل النفسي بامتياز؟!

كيف تسنى له الوصول إلى هذه الأوصاف كلها لرجل يقول أن تاريخه كله خرافة، وأخباره كلها كذب! هل أوصافه خرافة أيضا؟ أم أنه يملك الحقيقة كما أوحى للقراء! وبالرغم من التناقضات الشنيعة بين هذه الأوصاف، فإن فيها استخفافا بمن يصدقها! فلا ندري من يستخف الآخر: أنت أم هم؟

لا شك أن كاتباً يستخدم هذه الصور والألفاظ، لديه أسلحة من الألفاظ البديئة، والتصورات المنحطة، التي يستطيع بها منفردا هزيمة جيش من الفضائل، وتدمير مدينة من الأخلاق!

كاتب مثل هذا، لديه "فائض السخرية"، ولا بأس أن تفيض سخريته عن الحاجة، يستطيع تفريغها في الترهات والتوافه من الأمور، وليس في الحديث عن العظماء في تاريخ المسلمين!

ثمة نوع من الكتاب - كلما تطاول تضاعف! وكلما أمطر أبعر -!

بهذه اللغة المبتذلة يكتب مثقف معاصر عن علي، أما علي فهو أسمى وأنقى وأعلى من أن تطاله هذه اللغة، وأما المثقف الكاتب فهذه بضاعته، وهذه مقدرته البيانية "والعلمية"، حين يكتب عن الرجال:

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

إن هذا الكاتب بهذه اللغة، وتلك الصور - يشحن كل فقرة من فقراته حقدا، وينفث سما، ويستفرغ ما داخله من غيظ، حتى يتخيل الكلمات أنها علي نفسه، يتخيله شاخصا أمامه، مكبلا، مسلسلا، وقد أمسك السوط بيده، ووضع نصل السكين في فمه، ورفع بنطاله؛ لينقض بكل ما أوتي من عنف على علي، يجرده من كل فضيلة، يرميه بكل نقيصة، يجلب عليه قدراته اللفظية، ومهاراته الساخرة، لينتج لنا عليا مذبوحا، لم يبق فيه إلا آثار طعنات الكاتب بقلمه، وهو الذي برر لابن ملجم طعناته بخنجره.

علي رضي الله عنه عند د/ مروان، لا فقه له، لا علم له، لا كفاءة له، لا أخلاق له، لا فضائل مروية فيه، لا تاريخ له، لا أثر له، ومروان يرسل هذا الإسفال اللفظي والتصويري، دون أن يقدم أدلة وشواهد، أي فعل هذا من يحترم قراءه؟

من السهل أن يضع الكاتب رجلا على رجل، ثم يكتب ما شاء من خيالات،

لكن كيف تتجاوز التاريخ؟! كيف تتجاوز الأخبار والروايات؟! كيف تعبت بكل ذلك الرصيد المتراكم؟! أعتقد أنك بلعبة "حجرة بجرة، قال عمي عد للعشرة" تختار ما تشاء من الروايات، ثم تصدر ما تشاء من الأحكام، وتدعي العلمية!

وحين أقرأ هذه المقالات دون أن أعرف كاتبها، فسأقول: هذا قلم محترف بامتياز في وصف السفلة من الناس، ولا زالت أمامه تطورات نوعية ليكون مؤهلاً لوصف العظماء، وحين أراه يقول هكذا أردد (لو ذات سوار لطمتني!)، فغاية هذا القلم إنما هو الحديث في ترهات الأمور وتوافهها، يجيد ذلك لما يملكه من مؤهلات.

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـا واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

يتمادى في استخدام العنف اللفظي، يذهب في الإسفاف التصويري حد الجنون، يترك اللغة تطيش في السخرية من العظماء، ينفخ في الكلمات ويزودها بالسياط لتجلد دون رحمة.

كل هذا العنف اللفظي يقوم به شخص بربطة عنق، وربما ببنطلون وقميص، يده ليست ملطخة بالدم، لكن قلمه ملطخ بالدم.

قديمًا قال الشاعر العربي: وجرح اللسان كجرح اليد، فالكلمة أداة عنف، مثل السيف، بل أشد منه، فغاية السيف قتل نفس حية واحدة، أما الكلمة فتقتل كل يوم، تقتل الأحياء، وتقتل الأموات أيضًا، تقتل النفوس الكثيرة، لا تكتفي الكلمة بالقتل، بل تفعل ما هو أسوأ من ذلك، تبرر القتل، تجعله مشروعًا، تمنح القاتل صك البراءة.

فالكاتب ليس بريئاً من العنف، حين يمارسه، ويلغ بقلمه فيه، قد يكون مليئاً
بالإرهاب أكثر من ذلك الإرهابي الذي يقتل الناس البريئة، ويخيفها ويذعرها.
كنت أنتظر من شخصية مثل مروان أن يقدم قراءة علمية لعلي بن أبي طالب،
وليس قراءة فيسبوكية، بحسب ما يطلبه المتابعون، وعندئذ نجد مادة نتحاور بشأنها
من منطلقات علمية، ولكنني أفتش عن علي في مقالات مروان فلا أجد إلا مروان.

** ** **

مظاهر أسلوبية أم ظواهر نفسية؟!

أعرف الدكتور مروان منذ زماننا في مصر، علاقتنا لم تكن عابرة، بل توثقت - عبر سبع سنوات - من خلال الأنشطة الاجتماعية المشتركة، والتطلعات المستقبلية، والتقارب الثقافي والأدبي، هو يعرفني كما أعرفه، وكل إنسان له إيجابياته وسلبياته، وبالرغم من ذلك فكل تلك المعرفة سأنساها الآن، وأنا أكتب عن الظواهر النفسية للدكتور مروان؛ ذلك أن هذه القراءة النفسية لا تعتمد على أي معرفة سابقة، تستند فقط إلى ما بين يدي من كتاباته بشأن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبشأن ردوده علي.

والتحليل النفسي من خلال الخطاب، جزء من تخصصي ودراستي الأكاديمية، وقد نشرت من قبل كتاب (نحو نظرية حجاجية إدراكية في تلقي الخطاب)، فالجانب الإدراكي هو الجانب النفسي الذي يتجلى في الخطاب.

حين نتأمل المظاهر الأسلوبية في كتابات الدكتور مروان، نجد مجموعة من تلك المظاهر، مثل: تكرار الفكرة بصور وألفاظ مختلفة، واستشارة الجانب العاطفي لدى القراء، واللعب على وتر مخاوف القراء، وانتشار الصور الاحتقارية والألفاظ الساخرة، واستخدام أوصاف احتقارية بعينها، والتحليل الأحادي الاختزالي للشخصية، والاستقتال على إضحاك القراء، والانتقائية في الروايات، والازدواجية في الأحكام، والاحتماء بسلطة علماء السنة، وتمير عباراته على السنة الشخصيات الأخرى، والتناقض الشديد على المستوى النقلي والعقلي،

والانفصام بين قراءة الواقع وقراءة التاريخ، والخروج من النقد العلمي إلى النقد الهزلي الساخر... إلخ.

كل هذه المظاهر وغيرها سيجد القارئ أمثلتها ونماذجها في ثنايا هذا الكتاب، أما هذا الفصل فهو مخصص لقراءة سريعة لبعض هذه المظاهر الأسلوبية ببيان ما تقوله لنا من ظواهر نفسية عن الدكتور/ مروان.

* الرهاب النفسي:

إنني لا أعجب من مروان، بل أعجب ممن يصدق هذه الترهات والافتراءات والتناقضات، ما الذي يبقى للمثقفين حين يهللون لكتابة طيب انفصل عن واقعه، وأصبح يعيش في التاريخ، وكل يوم، بل يكاد عامة منشوراته، لا تخلو من ذكر علي بن أبي طالب أو أحد أولاده، ويستدعيهم بسبب أو بغير سبب!

ثم إن رهابه النفسي أصبح شاملاً لكل ما يتصل بعلي بن أبي طالب، علي سيء، وأولاده سيئون، ورجاله سيئون، والمدينة التي نزل فيها سيئة، وآثاره الأدبية سيئة، وسلوكه سيء، وحتى شكله سيء، عينه سيئة، مشيته سيئة، بطنه سيئة، لا أدري: هل نقرأ كتابات مثقف، أم نقرأ كتابات مريض أصيب بالرهاب النفسي!

إذا كنا سنعذر المرضى في هذيانهم، فكيف نعذر من حولهم ممن يصدقونهم؟!

بعض من يصفق دافعه التنكيل بالحوثي، معتقداً أن هذا الخطاب يهزمهم، بعد أن صمت صوت المدفع، وبعض من يصدق دافعه الطعن في السنة النبوية، واعتقاد أن مثل هذا الخطاب يمثل نصرة له في هدم روايات السنة، والطعن في الصحابة الذين نقلوها.

ولا أدري ما إذا كان هناك فريق ثالث يصدق هذا الهذيان.

*** سأغيبك يا أمي:**

الدكتور مروان بعد أن كتب مجموعة مقالات، ونشر عدة فيديوهات، كان أعلن أنه استكمل كتاباته عن علي بن أبي طالب وأولاده، بعد ذلك توليت الرد عليه، كما رد عليه آخرون، إلا أنه رجع للكتابة عن علي وأولاده مرة أخرى، فعلام يدل ذلك؟

ثمة عدة دلالات نفسية:

أولها: نفسية الطفل المُغيظ، الذي يريد أن يغيظ والديه فيقوم بممارسة الأفعال التي يعلم أنها تغضبهم، والدكتور مروان يعتقد أنه بالعودة إلى الحديث عن علي أنه يغيظ من ردوا عليه، وهكذا يكون من السهل عليهم هزيمتهم بهذه الصورة، واجتناب مواجهتهم، فحملاته الآن ضد علي وأبنائه (عليه السلام)، ليست تنكيلا بالحوثي هذه المرة؛ وإنما تنكيلا بمن رد عليه!

ثمة طفل، تنبهه أمه باستمرار تجاه فعل خاطئ، مثلاً: (لا تقطع كتابك)، وحين يأتي ليطلب من أمه شيئاً، فترفض أمه، يذهب لفعل الشيء الذي قالت له أمه أنه خطأ، فيقطع كتابه؛ إغاضة لأمه، ولإثارة انتباه الغير.

فهذا السلوك يكشف عن نفسية الطفل العاطفي، الذي يحاول التغلب على هامشيته بإثارة الانتباه.

ثانيها: الانهزامية، فعودة مروان للكتابة هو دليل انهزامية علمية، حيث شعر أن خصومه وجهوا إليه ضربات ساحقة، فأراد أن يعوض تلك الهزيمة بالعودة في

الكتابة عن علي، وليقول للقراء: ها أنا قوي، وها أنا أعرف ما أقول، وها أنا أثبت لكم... إلخ، مثل الطفل الذي يُضرب، فلا يستطيع أخذ حقه، فيذهب إلى السب والشتم، وهذا يذكرني بالمثل (أوسعوني ضرباً وأوسعتهم سباً).

الدكتور مروان يريد أن يقول لقرائه: أنا ثابت هنا، لا أحد هزّني، هذا الفعل يستجلب الشفقة والتعاطف أكثر مما يستجلب الغضب.

بالرغم من أن المقالات التي كُتبت عنه أظهرت الخواء العلمي والثقافي والتاريخي لديه، بل أظهرت ضياع الأمانة العلمية واتباع النتائج المسبقة، وبينت التناقض والاضطراب والمفارقات التي لا يقع فيها مبتدئون في الكتابة، وكشفت أن الدكتور مروان بأدواته الحالية لا يمتلك كفاءة الكتابة في التاريخ.

والانهزامية العلمية، تظهر أيضاً في السب والشتم الذي يكيّله ضد علي بن أبي طالب، فالإنسان لا يلجأ للشتائم والسخرية إلا حين يفلس علمياً ومنطقياً، فتكون السخرية تعويضاً للنقص العلمي.

ثالثها: الرهاب النفسي، فمروان يشعر داخله برهاب نفسي يظهر في صورة حديثه المستمر عن علي، كما يفعل الغرب وهم يشعرون بالرهاب من الإسلام، فيحاولون الحديث السلبي المستمر عنه، محاولة منهم للقضاء على أي صورة نقية له.

*** أكرهك! سأدمر سفينتك:**

هل الاختلاف مع الآخر يعطيك الحق في الفجور في الخصومة؟

بمجرد اختلافك مع الآخر تستجمع قواك وقدراتك لتشويهه، وجمع الحطب لإحراقه، وخرق السفينة لإغراقه!

لمجرد خصومتك لعلي بن أبي طالب، تجعل منه (طرطور الأسرة الهاشمية، بحد تعبير أ/ مهيب نصر)، تجعل منه أسوأ رجل عرفه التاريخ، تحمله كل أوصاف الخسة والحقارة والندالة والشر، تجعل منه مسخا وشيطانا، ولكنه شيطان غير ذكي، بل شيطان غبي!

ولمجرد خصومتك مع الغيلي تبيع ما تعرفه عنه بما لا تعرفه!
وثمة آلية نفسية غاية في الأهمية، استعملها الدكتور مروان في هذا السياق، وهي: التلاعب بالمعلومات لخدمة النتائج.

الدكتور مروان، أخبر الناس أني هاشمي، وهي معلومة لا مصدر لها، وهو لا يملك إثباتا عليها، ولكنه استخدم هذه المعلومة المشكوك فيها؛ ليحقق النتيجة النفسية لديه؛ في شيطنتي، ونفي كتابتي العلمية؛ بدعوى أني أدافع عن سلالتي، فاتهمني بالهاشمية ليست تهمة نسب فحسب، بل تهمة توجه، فهو يخبر الناس أن الغيلي توجهه هاشمي، مثله مثل الشيعة في العالم الإسلامي، أو الحوثيين في اليمن.
ثم هو في المقابل، يخفي ما يعلمه علما موثوقا عني، وهو توجهي السني، وأنني كنت وإياه في القاهرة من أعضاء التجمع اليمني للإصلاح، وكنا نلتقي معا، وكنا نقيم الأنشطة معا، وكانت نقاشاتنا كلها داخل هذا الإطار، ولم نكن نتطرق من قريب ولا بعيد إلى الأنساب، ولم أتوقف عند كون اسمه (مروان) أو اسم صديقه المقرب، وصديقنا أيضا (هشام).

فما الدافع لمروان إذن؟

يريد تضليل القراء، وتقديمي لهم على أن توجهي شيعي، لا سني، ولم

يجرؤ على القول بأني شيعي، ولكنه ركب بدلا من ذلك القطار السريع الموصل إلى هذا التوجه، واختزله في (الهاشمي).

وبهذا يضمن الدكتور/ مروان فوزا سريعا على خصمه بالضربة القاضية؛ فقد شكك في دوافع خصمه وتوجهه، وليس بحاجة لمناقشته علميا.

وهو بعد ذلك، يذهب لينام قرير العين، فقد تأكد أن قراءه عرفوا أن خصمه إنما هو سلالتي، وسينفرون منه، في ظل الاحتقان الطائفي، ويضمن مروان أنه حصّن القراء من هذا الخصم السلالتي.

ولكن مروان - الذي لم يكن يعرف الأنساب، إذا به فجأة ينقلب إلى رافع الراية والترسيخ للعنصرية في اليمن، وهذا يبين التغطية النفسية للهدف الحقيقي، فحين يقول قائل: أنا لست إصلاحيا ولكن الإصلاح على حق، فهو يريد التخلص من أي تبعات تلزمه على دعواه في دفاعه، ومروان يقول: لم أكن أعرف الأنساب ولكن الهاشميين عنصريون، وبالتالي يمنح نفسه حصانة ضد أي نقد يتهمه بالعنصرية.

*** ماذا يخبرنا التعبير عن مروان الدكتور؟**

طبيب القلب يفهم أكثر من غيره من الناس أن سَمَن البطن لها أسباب عديدة، ليس فقط الكسل، أو قلة الحركة، وحين يتجاهل الطبيب كل تلك الأسباب ويتجه إلى هذا السبب فقط يكون قد اخترق حرمة التخصص الطبي، ولا أدري ما سيكون رأي الأطباء الآخرين في مثل هذا السلوك.

ثم إنه لا توجد أدلة صحيحة على سمنة علي، وكلها مرويات كتب التراجم، فهل الطبيب يتجاهل الأدلة الصحيحة ويذهب إلى الحكايات؟!

الطبيب المتمرس في الطب، يرفض غالباً تشخيص المريض إلا إذا حضر المريض بنفسه، فلا يعتمد على ملفه الطبي السابق، بالرغم من أن ذلك الملف الطبي يأتي عن طريق أطباء آخرين، وموثوقيته عالية، ولكن الطبيب يحرص على حضور المريض ومعرفة كثير من التفاصيل مباشرة، فيحاول تشخيص حالته، ومن خلال سيل من الأسئلة؛ حتى يضع يده على السبب الذي قد يكون وراء المشكلة، وبناء على ذلك السبب يقرر الإجراءات العلاجية المناسبة، وما إذا كان المريض بحاجة لوصفة طبية أم إجراء جراحي، أم بحاجة لتغيير نمط معيشته... إلخ.

السلوك الطبي هو سلوك علمي محترم، وهذا السلوك العلمي يصنع الطبيب في مختلف أبحاثه العلمية، سواء ما يتعلق بالطب أو ما يتعلق بغيره من كتابات وأحكام على الناس.

لكن، ماذا لو أن الطبيب يتجاوز التشخيص والأسباب والملفات، وبناء على معلومة ما يقفز إلى تقرير النتيجة، وتقديم العلاج!

فكيف يسمح الدكتور مروان لنفسه بفعل مثل هذا؟!

ثم، إن من أخلاق المهنة الطبية ألا يتحدث الطبيب عن مرضاه، ولا يذكر أسماءهم، ولا يفصح عن أمراضهم، وإلا فإنه يرتكب خطأ أخلاقياً يستوجب المساءلة، فما بالك أن يذهب الطبيب لتعيير المرضى بما فيهم؟!

لماذا إذن يبحث الدكتور مروان في الشخصية عما يعيرها به؟! لماذا يرغب الدكتور مروان في التعيير، ولا يستطيع كتابة منشور دون انغماس في التعيير؟!

هل هي رغبة نفسية داخل الطبيب، لا يستطيع أن يمارسها مع من حوله، فيذهب إلى استخدامها بشراهة تجاه الشخصيات التاريخية؟!

هل يخاف من تعيير مرضاه بعاهاتهم؛ حتى لا يفقد الرخصة؟! فبدلاً من ذلك يذهب لتعيير من لا تبعة عليه في تعييره؟! ولا سيما حين يكونون شخصيات تاريخية!

هل هذه الرغبة في جعل الناس يسخرون من شخص ما، تعكس رواسب نفسية قديمة في الصغر، من سخرية الناس و"تمرهم" تجاه الساخر؟! الطبيب الذي يحترم مهنة الطب، سيترفع عن تعيير الناس بعاهاتهم، ولا يفعل ذلك إلا لشيء ما داخله.

وهذا الشيء الذي بالداخل، كما يظهره التعيير، يظهره العنف أيضاً.

* ماذا يخبرنا خطاب العنف عن الدكتور مروان؟

الدكتور مروان يلبس بدلة أنيقة، وربما قميصاً شبابياً، لا يحمل سلاحاً، بل ربما لا يلبس الجنيبة، مظهره ينضح بالسلم، رقيق أنيق، يخبرك مظهره أنك لدى رجل السلم.

ولكن ما أن يستل قلمه؛ حتى يوجه طعنات دامية عنيفة إلى خصمه، تلك الطعنات ليست علمية، بل دموية.

يبحث عن الروايات التاريخية التي فيها عنف، فيختارها، ويهش لها، بما لا يظهره مظهره المسالم!

فعلى سبيل المثال، يروي أن محمد الصديق حين ظفر به خصومه شفوا أنفسهم فيه - لا أدري ربما شفوا نفس الدكتور مروان - فأدخلوه في جيفة حمار فأحرقوه، تأمل هذه اللغة بقلم مروان، يقول: (اليمني الشهير معاوية بن حديج،

الرجل الذي سينقض على محمد بن أبي بكر ويقطع عنقه ثم سيضع جثته في جيفة حمار ويحرقها)، تأمل لغة التشفي والإعجاب، فمعاوية بن حديج يمني شهير، وهو رجل قوي، انقض كما ينقض الصقر على محمد، يأخذ جثته ليضعها في جيفة حمار ويحرقها.

أيضا، حين يتحدث عن القتلى، لا بد أن يأتي برقم مليوني، ولما لم يجد ذلك الرقم، رفع العدد إلى (ربع مليون)؛ فهو رقم لائق بحدة قلمه، مشبع للعنف الذي داخله.

حين يمدح مروان ويصف قتله لعلي بأنه عمل ناجح، هذا العنف الذي داخل مروان، يدفعه لتبرير قاتل، أقدم على قتل الخليفة.

وقد أشرت سابقا في الصورة التي رسمها مروان لعلي، أن الصور مليئة بالعنف، حتى إنك تتخيل أن مروان أحضر عليا أمامه، وبدأ ينقض عليه، كما انقض معاوية بن حديج على محمد الصديق، وأنه يتفنن في إحراق شخصيته، ليس في جيفة حمار، بل في صفحة مروان.

* مهارة صناعة رجل القش:

وحتى يتمكن الدكتور مروان من ممارسة العنف بعيدا عن عيون الشهود، فإنه ينفرد بالضحية، ويغلق الأبواب، وينقض عليها، وحتى يتمكن من ذلك، فمروان ماهر في صناعة رجل القش؛ لأن رجل القش لا يقاوم الجزار، هو يستسلم فقط ويتلقى الطعنات.

هذه المهارة، استخدمها الدكتور مروان أيضا معي، فصنع مني رجل قش ثم

بدأ بالانقضاض عليه، ظل يبحث في مقالاتي عن ما يمكن أن يساعده في إعادة صناعتي، لأكون رجل القش، ثم بدأ بمهاجمته وخنقه، وخرج للناس وفي يده السيف، وثيابه ملطخة بدماء رجل القش، الذي أوهمهم أنه "الدكتور الغيلي".

ثم إن صناعة رجل القش ومهاجمته، لا تعكس النفس العنيفة التي ترغب أن تنفرد بالضحية لتمزيقها، بل تعكس أيضا الشعور بالنقص والعجز، عن مواجهة رجل حقيقي، والذهاب إلى مواجهة رجل قش.

ذات مرة، حضرت مباراة في صناعاء، وأثناء استراحة الفريقين بين الشوطين، نزل رجل من الجمهور، يبدو أن المنظمين قد عرفوه من قبل، فأخذ الكرة وكان يجري في ساحة الملعب، حتى يصل إلى المرمى، والمرمى لا حارس فيه، ثم يحاول إحراز هدف، فيفشل، فظل يحاول مرارا حتى نجح، عندئذ اتجه للجمهور، رافعا يديه، وكان يجري في الملعب فرحا بما أحرزه، لقد سجل هدفا على مرمى بلا حارس.

* ماذا تخبرنا المبالغات عن الدكتور مروان؟

سيجد القارئ أمثلة كثيرة للمبالغات المروانية، وتطرفه في الإثبات أو النفي، كقوله أن عليا دعا الناس إلى تأليهه، والقول بـ "ربع مليون قتيل"، وما سميته "النفي الجذري"، بمعنى أن مروان لا يعرف الوسط، بل يتغلغل في نفيه حتى الجذر.

هذه المبالغات والتطرف يخبرنا عن شخصية حادة في ثنائيتها، لا تعرف الوسط، تعرف فقط الطرف، إما معي وإما ضدي، إما يمين وإما يسار، إما أبيض وإما أسود.

الشخصية الحادة، لا ترى الناس إلا صنفين، الصنف الموافق والصنف المخالف، كل العالم لا بد أن يخضعوا لهذا التصنيف الثنائي.

* الولع بوصف الهامشي!

الدكتور مروان مولع برمي علي بن أبي طالب أنه هامشي، لا شأن له، لا قيمة له، العالم يسير من دونه، لا أحد يهتم به، تساءلت: لماذا هذا الولع بهذا الوصف؟

وجدت خيطاً من الجواب، في مقال الدكتور مروان [عن أشياء لا تهم أحداً]، كان يشعر أنه رجل معروف، إذا مشى في الشارع عرفه الناس كلهم، وأنهم يحفظون اسمه، ويعرفون ملامحه، حتى كسرت كبرياءه فتاة قادمة من الإمارات، دعتة للخروج معها، فاعتذر بأن الناس سيعرفونه، فقالت: وما المشكلة، ثم بعد يوم طويل، قالت له: (لم يعرفك أحد)، فهل رنين هذه الكلمة يجعله يخاطب علياً باستمرار: أنت لا تعرفك أحد، أنت هامشي؟!!

وفي مقاله هذا يكشف عن النبتة التي كانت داخله منذ صغره، يقول: (اعتقدت لفترة ما، بعد أن نشرت بضعة نصوص، أي قد وضعت حلاً للتاريخ، وصرت هناك، وفي كل مكان)، تلك النبتة لم تمت، بل كشف في مقالاته عن علي أنها صارت كبيرة، هو كل شيء، والآخر لا شيء.

وادعى في مقال آخر أن اليمينيين يتناقلون مقالاته ويتناشرون أخباره في المجالس وفي وسائل النقل... إلخ، فثمة تناقض ذاتي بين لهثته وراء الشهرة وشعوره بالهامشية.

* الحفر والنحت والتشويه:

مروان حين يصف عليا بوصف، لا يغادر هذا الوصف إلا إلى وصف آخر يرسخه، ويزيده ثباتا، التكرار التصويري في كتابات د مروان ظاهرة يلحظها كل من يقرأ له، فمثلا، ليصف عليا أنه جبان، يستخدم عشرات الصور التعبيرية، التي يضمن أن كلها تقود القارئ إلى أن عليا جبان، كذلك حين يصف عليا أنه متعال عن العمل، يكرر هذا الوصف في مقال واحد نحو خمس مرات، فضلا عن مقالاته الأخرى.

مروان يستخدم النظرية النفسية القديمة في التلاعب بالعقل اللاواعي لدى القراء، من خلال المقولة التي جسدها غوبلز، بوق النازية (اكذب اكذب حتى يصدقك الناس)، وكانت تستخدم لتشويه الشخصيات وإحراقها إعلاميا، بضخ صور كثيرة لدى الجمهور، فلا يملكون إلا التصديق والإيمان، ولا زالت تستخدمها الأنظمة القمعية في تشويه الشخصيات التي تريد إحراقها، إلا أن تلك النظرية مع شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت مستهلكة، وحلت محلها مقولة (اكذب اكذب حتى تصدق نفسك)، فأصبح الحفر التشويهي للشخصيات يعود على فاعله: يخدع نفسه، ويكشف الناس زيفه.

الدكتور مروان لا يهتم بكشف زيفه، فالشخصية حتى لو ثبتت براءتها، تكون سمعتها قد تلطخت بتلك الأكاذيب والافتراءات، لذلك هذا ما يفعله مروان، يمسك قلمه ويلطخ وجه الضحية حتى يجعله أضحوكة، فلو كشف الناس ما فعله، فإن تلك الصورة لوجه الضحية لا تنساها الذاكرة، وهذا الذي يكون قد حققه الدكتور مروان.

وهذا الأسلوب، مثلما فعله مع علي بن أبي طالب عليه السلام، في تلطيخ سمعته بصور نفسية مسيئة، كذلك فعله معي حين رد علي، واختار مجموعة من الصور، صاغها بعناية، وأمسك بقلمه ليلطخ بها وجهي، لا يهمه بعد ذلك لو تبين تزويره، فالركبان قد ساروا بالأخبار.

وبالمناسبة، هذه حيلة قديمة، وردت في كتب الأدب، حين أراد لبيد بن ربيعة تشويه صورة الربيع بن زياد، وكان مقرباً من الملك النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، فجاء لبيد وهما يأكلان معاً، فقال أبياتا ساخرة على الربيع، جعلت النعمان يعاف من مؤاكلته فتركه، فأقسم الربيع أن لبيدا يكذب، فقال له النعمان: "إنك لست قادراً على رد ما تكلمت به الألسن، فالحق بأهلك"، ثم كتب إليه شعراً، كان مما جاء فيه:

قد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذباً، فما اعتذارك من قول إذا قيلاً

كما أن مثل هذا الأسلوب التكراري، يدل على النفسية العنيفة داخل مروان، فهو كالجزار الذي يذهب ويعود بسكينه على الضحية، حتى يضمن أنها لفظت أنفاسها، أو كاللص الذي يطعن ضحيته بالسكين طعنات متكررة؛ حتى يوقن أنها ماتت، فهذا التكرار بغرض الشيطنة، يحمل عنفا نفسيا تجاه الشخصية الضحية، حتى إنني لأتساءل: هل يكتب مروان رواية عن شخصية ما؟ أو أنه يخلق شخصية ما ليتلذذ بتعذيبها؟!

*** الهروب من الحجة العلمية إلى الحجة العاطفية:**

أخبر الدكتور مروان القراء أنني صديق قديم، وجار دراسة، واستطرد

١ انظر العمدة في محاسن الشعر، ١ / ٥١.

متحدثا عني بما يوحى إلى القراء أن الدكتور مروان يعرفني جيدا، والأمر كذلك فعلا، ولكنه اختزل تلك المعرفة - وكأنه يقدم للقراء شهادة من صديق يعرف صديقه جيدا - اختزلها، في وصفي أنني "هاشمي".

إذن استخدم الدكتور مروان لفظ هاشمي في نقدي، وحتى استمر بعد ذلك في استخدام هذا اللقب، واختفى من كتاباته وصف الحوثيين، وبدأ يحل محله الهاشمي، وهكذا بمجرد خصومته مع شخص اعتقد أنه هاشمي، بدأ في اعتماد وصفي (الهاشميين) و(آل البيت)، واختزال الإجرام والفساد الذي يواجهه في هذا الوصف؛ مما يطبع في أذهان القراء أن المشكلة الفعلية إنما هي مع "الهاشميين"، وأن المجرمين الحقيقيين هم الهاشميون، وهكذا يسعى بآلية الشيطنة للتعبير عن خصومته مع شخص يقول مروان أنه من الهاشميين.

وهذا هو ما فعله، حين أخفى أهل العراق من مشهد قتل عثمان، وأحل محلهم أهل الكوفة، لماذا حتى يتمكن من شق أهل الكوفة، والتهيج العاطفي ضدهم، والتصوير الاحتقاري الساخر لهم.

وحين يشن هجوما علي، ويصفني أي هاشمي، وأنني أدافع عن سلالتي، ثم يعتمد وصف الهاشمية في منشوراته، فبدلا من أن يقول (مليشيات الحوثي أحرقت البيوت، أو نهبت الغذاء) صار يقول (الهاشميون أحرقوا البيوت، ونهبوا الغذاء)، وقد قال عني أي هاشمي، إذن فالمحصلة أنني واحد من هؤلاء القتلة والمجرمين واللصوص!

وهكذا يصل مروان الذكي إلى وصفي بأشنع الصفات، من خلال الثوب الذي ألبسني إياه، ثم راح يحدث الناس عن قذارة هذا الثوب!

كما أن هذا الأسلوب العاطفي له بعد آخر، وهو إخفاء الضعف العلمي لديه، فالدكتور مروان كتب عن علي كتابات زعم أنها علمية، ونحن ناقشناها بطريقة علمية، وبيننا خطأها بطريقة علمية، فكان من المفترض عليه إما أن يعترف بخطئه، وإما أن يدحض نقاشنا بطريقة علمية.

بدلاً من ذلك، اجتنب المعركة العلمية، واتجه إلى المعركة العاطفية، فوصفني بأنني كهنوت، وأنني حارس الضريح، وأنني هاشمي، وأن دوافعي دينية، وأنني أقدمس جدي... إلخ، وبالمناسبة هو لم يفعل هذا الأسلوب معي فقط، بل يفعله مع كل من يرد عليه، يبحث فيه عن وصف مسيء له من ناحية عاطفية، ويسهر في تحميل ذلك الوصف طاقات من السخرية؛ حتى يتقبله القراء سريعاً، ويمنحونه لقب الفائز علمياً بلا مواجهة علمية.

* عنصرية الساخر:

حين يختار الإنسان أن يسخر من الآخرين أو يشتمهم، فلا بد أن يكون على علم أنه سيواجه بمثل أسلوبه، وكما يقول المثل: (لا ترم بيوت الناس بحجارة، وبيتك من زجاج)، طالما أنك سوف تسب الآخرين وتسخر منهم وتحقرهم، فسيأتي من يواجهك بمثل أسلوبك.

فلماذا تغضب إذن، حين يسبك الناس، أو يسخرون منك، وأنت تمسي وتصبح على السخرية والسب والشتم؟!

هذا يدل على شيء واحد، يدل على العنصرية المتعالية داخل نفسك، فتعتقد أن لك الحق في السخرية من الآخرين وسبهم، ولكن ليس لهم الحق في السخرية منك.

وبهذا تظهر هذه العنصرية المتعالية في كيل السباب والشتائم - ليس لمن قاموا بسبه وشتمه فقط، بل لمن ردوا عليه ردا علميا، بعيدا عن السب والشتم.

وهذه عنصرية علمية أخرى، يعتقد د/ مروان أن ما يقوله هو الحقيقة المطلقة، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الناس عليهم أن يصدقوا ما يخبرهم به تصديقا جازما، وأنه إذا قال لم يترك مقالا لقائل، ولا معقب لما يقول.

ولذلك ظهرت ثورته وغضبه من الناس حين ردوا عليه، ثورة عاطفية جارفة، يقول للناس: بأي حق تردون علي؟!

وهكذا يتبين لنا من خلال أسلوب مروان في الردود، ما يُكِنّه من عنصرية وما يعتقده من فوقية علمية.

وإذا أضفنا إلى ذلك قوله لي: أنت هاشمي، بعبارة أخرى، يقول: أنت هاشمي فلا يحق لك أن ترد علي، أو أن تناقشني، فيرسخ لعنصرية طبقية حتى في العلم.

وأخيرا، فهذه الظواهر النفسية إنما هي انعكاسات من خطاب، قرأته، فأخبرني بما أخبرني، قد يكون صادقا فيما أخبرني به، وقد لا يكون كذلك.

** ** **

أين المنهج العلمي في مقالات د/ مروان؟

* ما الفرق بين العالم والمتعلم؟

العالم، صاحب المنهج العلمي، حين يدرس ظاهرة ما يقوم بجمع كل ما يتعلق بها، ودراستها، واختبارها، ونقدها، ومقارنة نتائج الاختبار بما يتعلق بها من ظواهر، ثم التوصل إلى النتيجة، إذن ثمة ثلاث خطوات كبرى تميز العالم في دراسته: ١/ جمع واستقصاء، ٢/ اختبار ونقد وتمحيص، ٣/ إصدار الأحكام والنتائج.

وتجاوز أي خطوة، أو القفز إلى النتائج أولاً ليس من العلم في شيء، بل هو تعالم، ولكن حين يصدر من شخص محسوب على العلم، ولو في مجال ما، فإن ذلك يكون انتهاكاً لحرمة العلم، ويكون تزويراً باسم العلم، ويكون تضليلاً وخداعاً للناس باسم العلم، ولو فعل ذلك عالم فيزياء أو كيمياء أو طبيب في تخصصه وهو يدرس ظاهرة ما لنبذه أهل العلم، وشنعوا عليه، ولن تقبل مجلة علمية محترمة أن تنشر له، حتى لو كانت المجلة منخفضة التصنيف.

أ/ النتائج والأحكام عند مروان:

والآن حين يدرس مروان شخصية على بن أبي طالب، وله الحق في ذلك، ولنا الحق في مساءلته علمياً طالما فعل، فالسؤال الأول: هل بدأ بجمع المادة، ثم نقدها، ثم إصدار النتائج؟ أو أنه بدأ بالنتائج ثم جمع ما يخدم تلك النتائج؟ وتجاهل ما لا يخدمها؟

الإجابة عن السؤال تكشف حقيقة ما قام به مروان، وهل هو علم أم تعامل وتزوير وتضليل، ومراجعة سريعة لما كتبه يتبين أنه يصدر الأحكام، بدءاً من العناوين لمقالاته، ثم توصيفه للشخصية، ورسم الصورة الخيالية عنها، ثم يبحث عن شواهد وأدلة تخدم تلك الأحكام المسبقة، وما أوردته من أوصاف رسم بها صورة علي، كاف في التدليل على هذا، وسنورد لاحقاً كثيراً من الأمثلة والشواهد، وما يخص النتائج والأحكام المشحونة في العناوين، يمكن الاطلاع على مقال الأستاذ/ عوض القيسي: "الغفوري ومقاربتة السوقية للتاريخ، العنوان وبلاغة الشتيمة"، منشور في موقع الوطن.

وأقول هنا كلمة إجمالية:

بمراجعة النتائج والأحكام التي أصدرها مروان، فإنها غالباً، لا تخرج عما يلي:

١ - أحكام أصدرها بدون أي دليل من المصادر التاريخية، فهي مجرد دعاوى أو حكايا، كقوله في أول سطر من مقال "علي والأشتر": "وكان حاكماً ضعيفاً"، دون دليل، وفي الفقرة الثانية من المقال يقول: "علي كان يتابع ما يجري، وقد نأى بنفسه عن تلك الأزمة رغم كونه مستشاراً سياسياً للحاكم"، أين الدليل؟ لا وجود له، وكقوله في مقال "الظل والظلام": "إن تتبع الحياة اليومية لعلي في المدينة يعطينا صورة عن رجل كسول، متعال، يحب النساء، يعيش داخل جزيرته الخاصة"، هكذا يحكم بلا أي مصدر!، أيضاً في مقال "علي وأوهامه" ادعى أن علياً أسس جيش الخوارج، دون أن يتذكر مروان إخبارنا عن المصدر!

٢- أحكام يصدرها بناء على أدلة محتملة، كما يقول، ومن ذلك مقاله "من المحتمل أن عليا قد اغتال الأشر"، المهم إصاق التهمة بعلي، ولا يهتم مروان إن كان ذلك بطريق الجزم أم بالاحتمال.

٣- أحكام مفتراة، أصدرها، بدون أدلة، وفي الوقت نفسه مناقضة للأدلة الصحيحة [في مصادر استشهد بها]، ومن ذلك دعواه أن عليا أمر الناس بتأليهه، متجاهلا صحيح البخاري (رقم: ٣٠١٧)، ومن ذلك دعواه أن عليا استولى على السلطة، متجاهلات الروايات الصحيحة في بيعة كبار الصحابة له، وأولهم طلحة والزبير.

٤- أحكام أصدرها على روايات ينقلها دون أن ينقدها، وذلك في كثير من أحكامه، يستشهد بمصادر التاريخ، دون أن يلتفت إلى أسانيدها، أو نقدها.

٥- تعميم النتائج، وذلك أن نتائج يستشهد فيها بحادثة أو قضية واحدة، ثم يعممها، (مثلا: كون علي ظل في المدينة، إذن هو بلا تاريخ)، أو أن مناقب علي أغلبها في التهديد والوعيد، أو أن مرويات علي نسبة منها ملحوظة في امتيازاته الشخصية... إلخ.

٦- نتائج يتجاهل فيها الروايات كلية، من ذلك دعواه أن عليا بلا مهارات ولا صنعة! متجاهلا عشرات الروايات، بل مئاتها، أو أن عليا غير فقيه... إلخ.

٧- نتائج يقيمها على التضليل، مثلا قوله (تأسست أسطورة الفارس الاستثنائي على قصتين مخترعتين، ويذكر قصة مقتل عمرو بن عبد ود في الخندق، ومرحب في خيبر)، وهذا تضليل للقراء، فبطولة علي لها عشرات

الأدلة، وعشرات الشواهد من المنصفين الذين شهدوا ببطولته، وكذلك مثلاً، حين يقول إن علياً بلا أثر قولي؛ لأن نهج البلاغة مكذوب! في حين أن آثار علي في عشرات الكتب الأدبية التي ألفت قبل نهج البلاغة.

٨- نتائج يناقض مروان فيها نفسه، ومن ذلك حين يقول أن نهج البلاغة مكذوب، ثم يستدل به على أن علياً سب الخلفاء الثلاثة، أو أنه لم يكن مهتماً بأمر الفتوحات!

٩- ازدواجية النتائج، وذلك بأن يناقض مروان نفسه، بالنظر إلى خارج الخطاب، مثل: إدانة علي في قتاله المتمردين الخارجين على الدولة! فهل مروان يفعل ذلك في خطابه السياسي؟، أم هي الازدواجية والهوى؟

١٠- نتائج يبينها على سوء التأويل، والقراءة المشوهة والمبتورة للوقائع، كدعواه فشل علي السياسي والعسكري في خلافته.

ما ذكرته هنا، مجرد خطوط عامة إجمالية، وسأتناول ذلك مفصلاً في المقالات القادمة.

ب/ جمع الروايات عند مروان:

والسؤال الثاني: هل قام مروان بجمع كل ما يتعلق بالشخصية التاريخية التي يدرسها؟

بمراجعة مقالات مروان، يتبين تدليسه على القراء، فهو يقدم خطابه على أنه استقصى الروايات وجمعها، كما يفعل العالم، ولكنه ينتقي الروايات انتقاءً، ثم يكمل بناء الصورة التي يريد، وما سأورده من الروايات التي تجاهلها مروان في

المقال الأخير، يبين حجم التزييف الم هول الذي يمارسه مروان باسم العلم، فمروان يفتح عينيه على الروايات التي يريد ها، ويضع كفيه على الروايات التي لا يريد ها، فهل هذا هو العلم؟ وهل يمارس العلماء هذه الأساليب الرخيصة في تتبع الحقائق؟ هو أسلوب رخيص؛ لأنه لا ينفق في سوق العلم، ولكنه ينفق في سوق فيسبوك، ينفق في سوق الهوى، ينفق في سوق الهمج الرعاع.

مروان يقول أن (الصحابة كانوا بشرا، كانوا مجتمعا بشريا)، وهذا كلام صحيح، وأنفق معه فيه، ولكن لماذا لا يعتقد د/ مروان أنهم مجتمع بشري؟! لماذا يريد منهم أن يكونوا ملائكة! لماذا يبحث عن سقطاتهم وفتلاتهم، وينفخ فيها؛ ليصورها على أنها حقيقة تاريخهم؟! لماذا ينظر إليهم على أنهم مسوخ أو شياطين، وليسوا بشرا؟! لماذا لا ترى عينه إلا الروايات التي تقول: فلان زنى وفلان سرق وفلان قتل، أما يدها فتغطي الروايات التي تبين إشراقهم؟! أهذه المنهجية العلمية؟! أهذا الصدق في إرسال الدعاوى؟!

كل مقالاته استصغار وانتقاص للصحابة، الذين يقول (أنهم مجتمع بشري)، وحين يريد ذكر فضيلة لأحد، فإنه يتأكد أن تكون هذه الفضيلة إنما هي نبز لصحابي آخر، فمروان لا يمنح الفضائل للصحابة مجانا، بل لا بد من مقابل، (وسندل على هذا في الموضوعات القادمة).

كان على مروان أن يقرأ خلافة علي على أنه مجتمع بشري، والحاكم فيها بشر، يصيب ويخطئ، والناس بشر يصيبون ويخطئون، ومن الطبيعي أن تتناقص الدولة على علي جراء تمرد معاوية رضي الله عنهم أجمعين، ألم تلتهم بعض الجماعات المتمردة الدولة حين تمردت عليها، وأخرجت الحاكم خارج أرضه!

ما الذي يعيب الحاكم إن فقد عوامل القوة، وهو يحاول الرجوع إليها؟! لماذا لا تقول للحكومة الشرعية: يكفيكم تغلبت عليكم الجماعة الخارجية، وعليكم التسليم لهم؟! لماذا الازدواجية يا رجل؟!

حين يقول مروان: (مضوا جميعا، سنة وشيعة، يخترعون القصص والأحاديث عن كرامات الرجل وعبقريته عائلته، ونادرا ما تجرأ باحث على المساس بتلك المرويات) [مقال: علي في المتاهة].

كنت أتوقع، والتوقع أمنية فحسب، أن يخرج مروان عن ذلك، ويتجرأ على المساس بتلك الروايات، ونقدها، وتمحيصها، لكن للأسف، فالذي حدث أن مروان استخدم تلك الروايات واعتبرها الروايات الحقيقية، وأعاد بها بناء شخصية علي، فخرج بتلك الصورة المشوهة، التي صادفت وعاء في خياله فكانت له طبعا، ولم يجزؤ على نقدها أو الاقتراب منها، وأما الروايات الصحيحة فقد تجاهلها مروان، وكأنها غير واردة.

وعلى سبيل المثال، اقرأ الروايات التي استلها من تاريخ الطبري لدعم نتائجه ومخيلاته، والروايات التي تركها، تلك في الطبري أيضا!

نقرأ الروايات التي استلها من البخاري أو مسلم، يجتزئها أو يسيء فهمها، حسنا وبقية الروايات التي في البخاري ألم ترها! [سأتناول أمثلة تفصيلية في مقال: مصادر مروان التاريخية، ومقال: روايات تجاهلها مروان].

أكتفي بمثال واحد هنا، عند حديث مروان عن مقتل عثمان، في مقاله (علي والأشتر):

١ - اتهم عليا "بالتحالف مع قطاع الطرق للإطاحة بنظام عثمان"، بل إنه كافأ محمدا لقتل عثمان؛ لأنه سرع انتقال السلطة إليه، [وفي مقاله "ربع قرن بلا معركة" اتهم عليا بقتل عثمان بصورة غير مباشرة]

٢ - اتهم محمد بن أبي بكر بالمشاركة في قتله، وقال مروان زورا: "ويكاد المؤرخون يجمعون على أن ربيب علي بن أبي طالب هو من طعن الخليفة في صدغه وأذنيه"

٣ - فند مروان دفاع أبناء علي عن الخليفة عثمان (تفنيده مجرد رأي بلا دليل).

بالمناسبة، مروان في مقاله علي والأشتر، أصدر الأحكام دون الرجوع لأي مصدر، ولنفتراض أنه رجع إلى مصدر، ونسي ذكره، وانتقى الروايات التي تدعم مقولته، فلو كلف نفسه قليلا من العناء العلمي، لرأى مصادر الروايات التي استشهدت بها، ولعلي أنصحك يا دكتور بقراءة كتاب محمد أمحزون (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين)، لترى كيف ينتقد العالم الروايات التاريخية، ويمحصها، وتكتشف أن ما قلته مجرد تفريغ نفسي وهراء، لا قيمة علمية له.

في هذه المسألة، لمن أراد الإنصاف، فليقرأ كتاب "فتنة مقتل عثمان" للدكتور/ محمد الصبحي، الصادر في مجلدين، جمع فيه مرويات الفتنة في مختلف المصادر الحديثة والتاريخية، ودرس أسانيدها، ونقدها نقدا علميا وفق منهج المحدثين، وما أقوله هنا باختصار:

١ - تجاهل مروان عشرات الروايات التي تثبت دفاع علي عن عثمان، وبراءته من دم عثمان (والروايات في كتب السنة والتاريخ والتراجم، ومنها: فضائل الصحابة لأحمد، ومصنف ابن أبي شيبة، والرياض النضرة، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، وتاريخ ابن عساكر، وتاريخ المدينة المنورة، وغيرها من الكتب).

٢ - تجاهل مروان الروايات التي تثبت دفاع أولاد علي عن عثمان، وهي في المصادر التاريخية ذاتها.

٣ - تجاهل مروان المصادر التاريخية التي تبرئ محمد بن أبي بكر من دم عثمان (كابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وقال: "وقد نفى جماعة من أهل العلم والخبر أنه شارك في دمه"^(١))، وكابن كثير في البداية والنهاية^(٢))، أو التي أوردت القصة بصيغة التضعيف، وتعدد الاحتمالات (كابن تيمية في منهاج السنة)^(٣).

٤ - ولو انساق مروان وراء هواه، ووراء روايات أبي مخنف، فكان عليه أيضا أن يقول إن طلحة والزبير وعمرو بن العاص، وقوما من المهاجرين اشتركوا في دم عثمان بطريقة غير مباشرة، بل إن الصحابة بمجملهم نقموا على عثمان [والروايات كلها في تاريخ الطبري، والواقدي].

٥ - ولو انسقنا وراء منطق مروان، فسنقول إن عائشة وطلحة والزبير، الذين

(١) ١٣٦٧ / ٣.

(٢) ٣٠٨ / ١٠.

(٣) ٣٧٥ / ٤.

أسهموا في قتل عثمان (كما عند الطبري)، ثم خرجوا في الجمل للمطالبة بدم عثمان، إنما هم متلونون سياسيا!

وكمثال آخر، تجاهل مروان نحو تسع روايات وردت في كيفية مقتل محمد بن أبي بكر الصديق^(١)؛ واختار رواية واحدة؛ حبيبة إلى النفس!، وكلها في المصادر التاريخية التي رجع إليها، بالرغم من أن كلها واهية بالنقد الحديثي.

ولو أردت تتبع ذلك في كل النتائج والأحكام التي أصدرها مروان، لاستغرق الأمر مني وقتا طويلا، ومجلدات عديدة، ولكن حسبي أن أدعو القراء إلى فعل ذلك بأنفسهم، خذوا أي حكم أو نتيجة لمروان في علي، ثم اذهبوا إلى كتب التاريخ، وانظروا ما يفعله مروان من تزوير باسم العلم.

لاحقا يؤكد مروان بنفسه هذه النتيجة، وهي أنه يتجاهل الروايات التي لا تتسق مع نتائجه، فيقول: (حين كتبنا ما كتبناه كنا، مثل الكثيرين، على اطلاع ودراية بتلك المعجزة الوهمية)، فإذاً هو يؤكد أنه لم يجهل، بل تجاهلها عن عمد وقصد، والباحث العلمي حين يتجاهل الأدلة فإن نتائجه تكون مزورة.

ج/ منهج مروان في نقد الروايات:

والسؤال الثالث: هل قام مروان بنقد المرويات والأخبار وتمحيصها وفق

المنهج التاريخي؟

حين يريد مروان الاستدلال على الصورة الظلامية التي صنعها لعلي،

(١) انظر الروايات مجموعة وموثقة في: محمد بن أبي بكر الصديق - حياته وأحواله زمن الفتنة، نضال عباس، ص ٦٧ - وما بعدها.

فالروايات التاريخية في متناول يده، لا يجد عناء في الاستشهاد بها، ليس من المهم أن تكون صحيحة، مجرد رواية يلتقطها، وحين لا يجدها يزيّف على الأئمة، كما زيف على ابن تيمية، (وسأبين تزييفاته في الموضوعات القادمة).

ثم ينظر في الروايات التي لا تدعم نتائجه، فيختار الروايات الضعيفة، ويستعرض عضلاته العلمية في نقدها، ويمدح علم الرجال، وعلماء الحديث، الذين نقدوا تلك الروايات، فكانوا مرجعية له، أما الروايات الصحيحة، فلا يراها، لعلها مكتوبة بلغة سنسكريتية، أو ربما منقوشة بحروف المسند، أو غير ذلك، هي روايات غير موجودة، لا، بل يزعم أنها خرافة، فقط الروايات السخيفة التي يستشهد بها هي الروايات الحقيقية، بل يرى الروايات الصحيحة التي يعتقد أنها تدعم نتائجه، فيذهب في تأويلها وإنطاقها ما لم تقل.

أهذا هو المنهج العلمي في نقد الروايات!

بل إن مروان حين يريد دعم نتائجه، يكتفي بإيراد الرواية، ودعمها بمن رواها من المؤرخين، كما في مقاله مثلاً (مناقشة على والأشتر)، فيقول مروان: (إذا لم تجدوا كتاب البخاري فابحثوا في الكتب التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد، تاريخ الطبري، البداية والنهاية لابن كثير، وغيرهم، على أن البخاري يفي بالغرض) وهو يتحدث عن كتاب التاريخ للبخاري، وليس صحيح البخاري، فهل مجرد ذكر هؤلاء للروايات صحيح لها! إذا كان كذلك، فلم يحاول انتقاد الروايات "الضعيفة" إذن؟، ولم يزعم أن كل الروايات عن علي خرافة، وهي مذكورة في عشرات الكتب، بدءاً من تاريخ الطبري!

حين يريد مروان دعم نتائجه، فمجرد أشعار ساذجة للحسين منقولة عنه تصبح حجة ودليلا داعما، ولا يحتاج الأمر نقد هذه الروايات، بل يكفي ورودها.

حين يريد مروان دعم نتائجه يكتفي بإيراد الرواية ثم يقول (انظر: الشعبي، والطبري)! (انظر الثعالبي)، (المجلسي، بحار الأنوار)، (الإمامة والسياسة)، (مسند الحارث)... إلخ، وهكذا سائر الروايات التي يحتج بها مروان ويبنى عليها نتائجه النفسية، هكذا هو المنهج العلمي إذن؟!

مروان يتبع منهجية نفسية، مبناها: (صَدَّقْ كل ما يقال ضد خصمك، ولو كان هراء، وكذِّبْ كل ما يقال في مصلحة خصمك، ولو كان قرآنا أو وحيا)، وهذه ليست مبالغة، فمروان يضرب عرض الحائط بالقرآن الكريم حين يتعلق الأمر بفضل الصحابة، ومنهم علي والحسن والحسين عليهم السلام، ويضرب عرض الحائط بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم المروية في البخاري ومسلم، حين يتعلق الأمر بمناقب هؤلاء، وبراءتهم مما نسب إليهم زورا، ثم يذهب إلى روايات أبي مخنف ليجعل منها الحجة والحقيقة.

والخلاصة أن منهج مروان في الاستشهاد بالروايات، يتمثل فيما يلي:

١- سرد المعلومات، المتضمنة أحكاما ونتائج، دون الإشارة إلى أي مصدر، (وكمثال على ذلك، أغلب سرديته في مقال: علي والأشتر: التعاقد مع الشيطان)، التي تكاد تخلو من المصادر التاريخية.

٢- الاستشهاد بالروايات التاريخية، دون نقدها، (مثلا، مقالات: علي والأشتر، علي وأوهامه، علي في المتاهة)، كلها لن تجد فيها نقدا واحدا لأي

رواية تاريخية يستشهد بها!، وتصفح بقية المقالات باحثا عن نقد مروان أي رواية تاريخية يوردها (انتقد روايتين فحسب، هما مبيت علي على فراش النبي، ومقتل عمرو بن عبد ود)، بلى انتقد أيضاً رواية، كما يقول بلا أسانيد، رواية أن أولاد علي شاركوا في الفتوحات، ولم يتذكر مروان أن يجتنب كل الروايات التي بلا أسانيد، مما حشا بها مقالاته!

٣- الاستشهاد بالروايات الحديثية الضعيفة، وإذا ضربت مثالا واحدا فقط، على رواية حديثية، لا رواية تاريخية، فالروايات التاريخية أوهى من أن ترفع، حين صور مروان الحسين، وهو يستصرخ بلا صدى، ويقول: "أنا ابن النبي، أنا ابن الوصي، أنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا" (الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٣)، أ، هـ، قال الذهبي عن الحديث: ليس بصحيح^(١)، وقال الألباني في سلسلة الصحيحة معقبا عليه: (وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: ليس بصحيح"، وأشار إلى أن آفته شيخ الحاكم الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، وقد اتهمه في "الميزان" بوضع حديث: "علي خير البشر"، وأنكر على الخطيب تساهله في قوله فيه: "هذا حديث منكر، ليس بثابت"! ووافقه الحافظ في "اللسان"، قلت: وعلي بن جعفر هذا، لم يوثقه أحد، بل أشار الترمذي إلى تضعيفه... إلخ)^(٢)، هذا مثال واحد فقط، ولو تتبعنا الروايات التي استشهد بها مروان لكانت خرقا واهية، ثم يبيني منها أحكامه.

مروان الذي تذكر ذات مرة، وهو يذكر حديث "أغلقوا كل أبواب المسجد

(١) انظر المستدرک للحاكم: (٤٨٠٢).

(٢) رقم (٢٤٩٦).

إلا باب علي"، تذكر أن يقول "ضعفه جمهور أهل الحديث"، لكنه لم يتذكر جمهور أهل الحديث وهو يثبت سب علي للخلفاء الراشدين!

٤ - تجاهل الروايات التي لا تدعم نتائجه، سواء صحيحة كانت أم غير صحيحة، وقد مثلت أنفاً على ذلك، (وسأخصص المقال الأخير لعرض بعض منها).

وإذا حذفنا مثل هذه الروايات من مقالات مروان، فلا تبقى إلا آراؤه الشخصية، فما الذي سترد عليه في مقالات مبنية من أولها إلى آخرها على مثل هذه الروايات؟!

وسأتحدث عن هذه القضية بالتفصيل، عند الحديث عن "مصادر مروان التاريخية".

د/ منهج مروان في الاقتباس:

وأما منهج مروان باقتباس كلام العلماء، فيتمثل فيما يلي [الشواهد مفصلة تأتي في الموضوعات القادمة]:

١ - الافتراء عليهم، بتقويلهم ما لم يقولوا، (مثال ذلك: افتراؤه على ابن تيمية، وعلى ابن حجر، وعلى البخاري).

٢ - تحريف أقوالهم، وتزويرها، واجتزاء السياقات.

٣ - التضليل والتدليس على القراء، أثناء اقتباسه من تلك المصادر؛ حتى يعتقد القراء أن ما يقوله مروان منسوب لذلك العالم.

٤ - استخدام سلطتهم العلمية؛ بإسقاط انفعالات مروان على ألسنتهم؛
ليظهر للقراء أنه ليس وحده من يقول ذلك، وهذا إضافة إلى التضليل.

٥ - تزوير آرائهم ومواقفهم، وذلك بإظهار أن العالم الفلاني هذا مذهبه،
وهو زور عليه.

كل هذه الأمثلة، وغيرها، سأوردها بالتفصيل في الموضوعات القادمة،
بإذن الله.

*** فهل مروان يجهل المنهج العلمي أم يتجاهله؟**

وعليه، فثمة افتراضان، الأول: أن مروان يعرف المنهج العلمي حين كتب
في التاريخ، ولكنه لم يتبع المنهجية العلمية، ولم يمارسها في كتابة التاريخ، وهي
المنهجية التي يحترمها في دراسته الطبية، وهذا انتهاك علمي لا يليق بكاتب هاو،
فضلا عن عالم محترم، فتجاوز المنهج العلمي يعني اتباع الهوى، ومن ثم فما كتبه
خطاب مليء بالمغالطات؛ بهدف حاجة في النفس تقدم، وتتوارى خلفها الحقيقة
العلمية.

والافتراض الثاني: أن مروان لا يعرف أبجديات المنهج العلمي، وعليه فهو
تخوض بدون علم، ولا يليق بشخصية مثل مروان الإقدام على ذلك.

** ** **

منهج علمي أم منهج حكواتي؟!

من نقاشنا السابق يتبين مدى المنجية العلمية للدكتور/ مروان، والسؤال الذي يضع نفسه: ما المنهج الذي يكتب به الدكتور/ مروان؟

يتسم المنهج المرواني بسمتين أساسيتين:

الأولى: (منهج اختزالي أحادي بسيط)، وقد بينته من قبل.

الثانية: (منهج حكائي)، وهو ما سأناقشه في هذا المدخل.

لننظر بعض النماذج لهذا المنهج الحكائي.

في مقاله "طريق الضجيج، عن رجل يسطو على فضائل رفاقه وأخبارهم" يقول مروان:

"ثمة ربية وغموض يحيطان بسيرته برغم كل الضجيج، الرجل الذي تزوج ابنة النبي يفقد زوجته الشابه [٢٩ عاما]، يدفنها في الظلام ومعه رجل أو رجلان، ويخفي ملامح قبرها، هكذا تختفي ابنة الرسول فجأة، ما من أثر، أو نص، عن مرض أو إصابة أدت إلى وفاتها في تلك السن المبكرة، ثمة روايات متناثرة في كتب السير عن هزال أدركها حزنا على أبيها، وعن ملائكة نعت لها نفسها وصورت عرشها فطلبت من علي مثله، سيقول علي إنها أوصت بأن تدفن بالليل كي لا يشهد جنازتها قوم تكرههم [الصدوق بن بابويه، الأُمالي]، أو أولئك الذين ظلموها وأخذوا حقها، كما سيروي الفتال النيسابوري في روضة الواعظين (ص، ١٥١)، شيئا واحدا لا يعرفه كتاب السير: أين دفنت فاطمة، ولماذا سراً وفي ظلام الليل؟" اهـ.

أهذا هو المنهج العلمي! أفي هذا السرد إبهار للقراء! أو رغبة في إضحاكهم! أو رغبة في بناء مشهد من مشاهد من الرعب! يجعلهم يتوجسون خيفة من هذا الغول، كأنهم يشاهدون مشهداً مخيفاً من فلم رعب، عن رجل يأكل زوجته ويلتهمها، تلك الضحية المسكينة بنت النبي، التي علم مروان أنها كانت ترى زوجها فاقد الرجولة، تلك الضحية، هكذا تنتهي حياتها.

دعونا ننظر فيما ذكرته كتب التراث بشأن وفاة فاطمة ودفنها:

ذكر ابن حجر في فتح الباري^(١): "روى ابن سعد من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن العباس صلى عليها، ومن عدة طرق أنها دفنت ليلاً، وكان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة في التستر، ولعله لم يعلم أبا بكر بموتها؛ لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه، وليس في الخبر ما يدل على أن أبا بكر لم يعلم بموتها، ولا صلى عليها".

وأما أن أبا بكر لم يعلم بموت عائشة، فقد نقض هذه المقولة مروان نفسه، حين أخبرنا أن أسماء بنت عميس، زوج أبي بكر، غسلت جسد فاطمة، (وانظر الآثار في الاستيعاب، وفي سير أعلام النبلاء)^(٢)، فهل لم تكن أسماء تعلم بالدفن؟، وزوجها ألم يعلم بالدفن؟ بل إنها هي التي مرضتها، وزوجها يعلم حالتها منها.

ثم، هل نعلم عن كل صحابي وزوجه أين دفنوا؟ وهل أتتنا كل التفاصيل؟ وهل كانوا يعلنون ذلك؟ وكأن لديهم جوالاً توثق بالصور كل لحظة في حياتهم!

(١) ٤٩٤/٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٢٩/٢.

وفي الروايات - لمن قرأ - علم، ففي الرياض النضرة^(١): "ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف"، وفي الرواية أن أبا بكر هو الذي صلى عليها.

وفي الطبقات^(٢) أن العباس صلى على فاطمة، وروى أن أبا بكر صلى عليها، وروى عن عائشة أن العباس نزل في حفرتها مع علي والفضل بن العباس، وذكر أنها دفنت بالبقيع.

وروى في الطبقات^(٣) عن عبد الرحمن بن أبي الموالي تحديد قبر فاطمة في البقيع.

وفي الطبقات أيضا رواية مرض فاطمة، رضي الله عنها.

وأما الدفن ليلا، فقد دفن النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ليلا، ودفن رسول الله ليلا، ودفن أبو بكر ليلا، وكذلك عثمان، وعائشة، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

فحين يقول مروان إذن: "شيئا واحدا لا يعرفه كتاب السير: أين دفنت فاطمة، ولماذا سرًا وفي ظلام الليل؟"، هل في قوله ما يدل على أنه قرأ ما عرفه كتاب السير، وما كتبوه؟ أو أنه يحكي فحسب، دون أن يقرأ ما قاله كتاب السير!

اقرأ هذا المنهج الحكائي، يقول مروان عن علي رضي الله عنه: "حتى إنه تزوج أسماء بنت عميس، المرأة الوحيدة التي اشتركت معه في غسل جسد زوجته

(١) ١٧٦/١.

(٢) ٢٣/٨ - وما بعدها.

(٣) ٢٥/٨.

فاطمة بعد وفاتها، ولا ندري ما الذي كانت ستقوله فاطمة لو أنها سمعت في حياتها قصة كتلك".

مروان يرمي الكلمات الطاعنة، ذات التعريض الآثم، ثم يمضي، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتكلم على لسان الموتى لو كانوا أحياء ماذا كانوا سيفعلون، أهذا المنهج العلمي الذي يعلمه مروان للقراء؟!

مروان يتحدث عن أحداث منذ أربعة عشر قرناً، وينتظر الوصول إلى كل تفاصيلها، كما لو كانت أحداثاً تحدث في حارته التي يسكنها، أو كما لو أن هناك تصويراً لكل فعل.

يقول مروان: "وما الحادثة التي يرويها مسلم في صحيحه سوى لحظة واحدة داخل حياة من عشرات السنين، نادراً ما ألقى عليها الضوء"، وهو يقصد حادثة احتكام علي وعباس إلى عمر رضي الله عنه، فهي لحظة واحدة تمنح مروان رؤية حياة أبي الحسن كلها، رؤية تفاصيل يومياته كلها، فمروان تكفيه حادثة واحدة في حياة الرجل، يشوه تفسيرها، لينسج منها بقية الحوادث، ويصل إلى النتائج والأحكام العامة، أهذا هو المنهج العلمي؟!

ينتقل بحسب قوله من ضفة السنة إلى ضفة الشيعة؛ ليجد عندهم حكايا جنسية، يكمل بها اليوميات، فهل يرى أن اليوميات ليست جديرة بالنشر ما لم تكن فيها إثارات جنسية؟! وإلا فكيف تعبر تلك اليوميات إلى القراء؟!

أخجل فعلاً، حين أنقل ما كتبه مروان في هذا السياق، يقول مروان: "النشاط الجنسي لعلي بحاجة إلى بحث موسّع، ولا يمكن التسليم بما تذكره كتب شيعته".

مروان، إذن، يقدم نفسه على أنه "باحث متخصص في النشاط الجنسي" للشخصيات التاريخية التي أغفلت الكتب البحث في هذا الجانب منها، وربما كثير من الأمم ربما بحاجة إلى باحث متخصص في النشاط الجنسي؛ للاستمتاع بقراءة هذا الجانب في عظمائهم.

مقال "يوميات أبي الحسن"، حكاية يوميات يكتبها قلم وضيع يكتب عن رجل رفيع، باحثاً عن الإثارة في القرن العشرين، لا يهتم كيف يصل إلى تلك الإثارة، وهو ليس كـ"ابن كثير الذي يخشى الانزلاق في الإثم"، بحد تعبير مروان، فهو لا يخشى ذلك، بل يغطس مع الشيعة في تفاصيل العلاقات الجنسية، ولا يقف مع السنة عند الشواطئ، على حد تعبيره! ويكرم قراءه بروايات تجعلهم ينظرون إلى الحياة الجنسية إلى أبي الحسن، هي متعة وإثارة، وذلك كل ما في الأمر!

ولذلك تجد مروان بعد أن ينقل مجموعة من الحكايا الجنسية من كتاب نهاية المرام لمحمد العاملي، بلغ الانبساط بالدكتور مروان تجاه العاملي الذي وفر له تلك الروايات، أن أثنى عليه، فقال: (محمد العاملي عالم شيعي مبجل، هو صاحب المدارك، ويعرف معنى ما يكتبه، خصوصاً وهو يكتب نهاية المرام في القرن العاشر الميلادي)، وهكذا إذن يصبح توثيق الروايات، فكون العاملي روى الروايات التي يهواها مروان، فهو إذن عالم مبجل، وهو يعرف معنى ما يكتبه.

"قَبِيلٌ" بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكتْ سُبُلَ المكارم ضلَّتْ

[وأعذر للشاعر في كتابة كلمة "قبيل"؛ حتى لا ندخل في ذم القبائل].

الناس يطلقون على من يقدم لهم حكايا لقب: الحكواتي، وما نقرأه للدكتور مروان حكايا لا أكثر.

يقول مروان الحكواتي: "بعد فشله العسكري راح علي يستخدم المؤلفين والمزورين والإعلاميين من ذوي الصوت العالي، ويرسلهم إلى الإمصار [هكذا] مبشرين به، وهكذا صار سيفه "ذو الفقار" السيف الذي نزل به جبريل من السماء، سيسمح علي بالمزايدة أكثر، وسيقال: هو السيف الذي جاء بهم آدم وكان مصنوعاً من ورق الشجر، وسيقول الكوفيون أكثر من ذلك: السيف الذي حمله نوح على سفينته"، "وسمح للدجالين بأن يصرخوا في الناس، في معيته "صاح جبريل في السماء لا فتى إلا علي"، اهـ.

أقوال مرسله بدون مصدر، بدون برهان، كأنما يحكي مروان عن أحد المسؤولين المتسلقين، الذي يوظف جيشاً من الإعلاميين والصحفيين [ذوي الصوت العالي]، أو بعبارة معاصرة: [إعلاميون مرتزقة، أو مشاهير التواصل]، يرى مروان أن علياً منشغل بتشكيل جيش إلكتروني لتوظيفه لمصلحته، هل بعد هذا الهراء من هراء!

ويذهب مروان إلى الاستنجاد بالأحاديث، ليس الضعيفة فحسب، بل الموضوعية، التي وجدها مروان في كتب الموضوعات، ليزعم أن علياً لقنها "جيشه الإلكتروني"، ناسياً حديثه المنمق والخادع عن علم الرجال، ومناهج المحدثين، والجرح والتعديل، فمروان لا يستدعي ذلك إلا عند الحاجة، "علم تحت الطلب"!

أعتذر، بحق، للقراء في اضطراري لنقل هذا الهراء.

وسأناقش هذه الدعاوى في موضوعات قادمة، أما هنا فالهدف عرض المنهج الحكائي في كتابة د/ مروان.

مروان يفجأنا في كل مقال بمجموعة من الحكايا الفقيرة من العلم، بل ومن الإبداع!

يقول مروان الحكواتي مثلاً:

- "علي مؤسس جيش الخوارج".
- "سمح للمرتزقة بأن يقتلوا الخليفة ويعتدوا على زوجات النبي".
- "عاين أهله ومعاونوه أن السلطان القليل عجز عن بناء نظام أخلاقي وقيمي".
- "امبراطور الكوفة".
- "إن بنيانه الجسماني، وهو في شبابه، لا يعكس أي صورة عن محارب متمرس، وسيصبح مع تقدم السن أثقل، وسيوصف بأن له منكين كمنكبي البعير، صورة تتواءم كلياً مع ما نعرفه من تاريخه".
- "يقود خالد زهاء مائة معركة، ويصنع علي لنفسه مجداً من صراعه مع بطل وهمي في ظلام ليلة الخندق!".
- "كان يتعالى على عمل اليد، ولم تكن له من حرفة".
- "أين علي؟ كان في المدينة لا يفعل شيئاً، ولا يتقن حرفة، ولا يساعد زوجته وهي تشتكي له".
- "سيرة علي من النوع الخاص: جدار ناري، قلعة حصينة، ليست حكاية عن رجل ذهب، بل حراسة صلبة ومدرعة لرجل سيأتي" ... إلخ.

مروان أيضا مغرم بالبحث عن "رجل واحد لم يفعل".

يقول مروان:

- "رجل واحد غاب عن كل تلك المعارك والأحداث واختبأ في بيته في المدينة المنورة، ولم نجد له أثرا، اسمه، بلا غرابة، علي بن أبي طالب".

- ويقول مروان أيضا: "رجل واحد لم يجد ما ينفقه من أجل الجيش، ولا حتى نصف صاع من التمر".

مروان بارع في الحكاية، أقترح أن يجعل عنوان كتابه: "رجل واحد فقط لم!".

عشرات الأمثلة في مقالات الدكتور الحكواتي، لا توصف إلا أنها مجرد حكي، لا دليل عليها، يسوقها مروان بحثا عن إثارة آذان القراء وقلوبهم! ولن أثقل كاهل الكتاب بنقلها.

يقول مروان: "كل ما أحاط بسيرة علي مريب حقًا، وبرغم كل الإشراق الذي يُصب على سيرته إلا أنها، إذا ما أخضعناها للدرس العلمي، تبدو ظلامًا دامسًا".

أهذا إذن هو الدرس العلمي الذي أخضعت له سيرة علي! لقد كشفت عن قدرات متواضعة جدا في الدرس العلمي، لم نكن نتوقعها منك، وبدلا من الدرس العلمي قدمت لنا درسا حكايا هزليا، مجرد كاتب قصة يبحث عن الإثارة، يتفنن في السخرية، يبالغ في إسقاطاته النفسية، أهذا الدرس الحكائي هو أدواتك في تحويل سيرة علي المشرقة إلى ظلام دامس!

نم يا أبا تراب!، فهذه غاية أقلام منتقديك، أقلام تجهل أبجديات منهج العلم، أما أخلاق العلم فلا تدري عنها شيئاً، حين أقرأ غاية ما بلغه هؤلاء أتذكر قول جرير:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع!

ظننت أن علي بن أبي طالب عليه السلام طعاما سائغا تتسلى بأكله، لكنك لم تكن تدرك أنه الطعام الذي تغص به وتشرق، ظننت أنه ماء فراتا، ولم تدرك أنه البحر الذي فيه ترسب وتغرق، ظننت أنه عود كهريت تشعل به سيجارة أحقادك، ولم تدرك أنه النار التي بها تكتوي وتحرق.

*** *** ***

البخاري ومسلم في روايات مروان

١ - افتراء مروان ودعواه أن علياً عليه السلام دعا إلى تأليهه، متجاهلاً صحيح البخاري.

٢ - افتراء مروان أن علياً كذب على رسول الله ﷺ، والحديث في مسلم، مرفوعاً للنبي!

٣ - تزوير مروان على البخاري بنسبة أكثر من حديث ليس فيه إليه، مع جهل بمنهج المحدثين.

٤ - افتراء مروان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم، وتقويل عمر ما لم يقله.

٥ - افتراء مروان على ابن حجر، إضافة إلى زعمه أنه من شراح مسلم!

٦ - استخدام مروان للبخاري ومسلم لمجرد الإثارة!

٧ - تجاهل مروان للروايات التي في الصحيحين، التي لا تدعم نتائجه.

نتحدث عن الروايات التاريخية التي اعتمد فيها مروان صحيح البخاري ومسلم، ومنهجيته في استخدامهما.

* الافتراء على علي، وتجاهل البخاري:

يقول مروان [في مقال: طريق الضجيج]: "أمام هذه الظروف القاسية لجأ علي لآخر حيله، رفع نفسه إلى الأعلى، لعله يحقق انتصاراً أخلاقياً (لنقل سماويًا)

على خصومه، الموجة الأولى من تأليه الرجل حدثت في حياته من قبل شيعته" اهـ.

إذن، مروان يزعم أن عليا هو الذي لجأ إلى دفع القوم لتأليهه! بغض النظر عن تفاهة المقولة، التي تندرج ضمن ما سميته (مجرد حكي)، فالقصة المعروفة أن ثمة من أله عليا، فماذا فعل بهم علي؟ اقرأ في صحيح البخاري (٣٠١٧): عن عكرمة، أن عليا عليه السلام، حرق قوما، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه»^(١)، فعلي حرقهم، وخالفه ابن عباس في الطريقة، ولكنه حرق من ألهه، والرواية في صحيح البخاري، فلم لم تكن أمينا؟

واقرأوا ما ذكره ابن حجر في فتح الباري^(٢)، فقد أورد قصة طويلة ذكر أنه رواها الطبراني في الأوسط، وحسن ابن حجر إسنادها، تبين استنكار علي، ونصحه أولا لهؤلاء (ومما قاله لهم: "ويلكم، إنما أنا عبد مثلكم، أكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا")، ثم تحذيرهم، فلما لم ينتهوا أحرقهم.

مروان هنا لم يتجاهل المروية الصحيحة، بل أوغل في افتراءاته إلى حيث لم يصل أحد من قبل، فيما أعلم، مروان حريص على أن ينافس الإمامية في نسبة

(١) علي اجتهد في إيقاع هذه العقوبة بهؤلاء القوم؛ لشناعة ما أقدموا عليه، وليكون رادعا لغيرهم من فعل مثل فعلهم. ولم يكن علي بدعا من الخلفاء من قبله، فقد حرق أبو بكر اللوطي، وحرق عمر حانوت الخمار بما فيه، وحرق قرية يباع فيها الخمر. (انظر الطرق الحكيمة لابن القيم، ص ١٦ - وما بعدها). وابن عباس خطأ عليا في فعله.

(٢) ٢٧٠/١٢.

الأساطير والخرافات إلى علي، حريص أيضا أن يكون له حق السبق في مقولة أن عليا دعاهم إلى تأليه نفسه! حريص على أن يحظى بأخبار، تنقل عنه، حتى لو فصلت بينه وبين علي ١٤ قرنا، فلا بأس، فهو قد أوتي من الملكات ما يستطيع به أن يعرف ما لم يذكره أحد من قبله من أخبار علي!

والعجيب أن ثمة من يصدق مروان في دعواه أن عليا دعا الناس إلى تأليهه، ولا أقول إلا: مريد يتبعه مُريد.

متى ننسب قولاً أو فعلاً لرجل؟! في حالتين، الأولى: إذا ثبت أنه فعل ذلك، والحالة الثانية إذا ثبت أن ذلك فعل أو قيل عنده وأقره، أما إذا ثبت لدينا أنه أنكره، بل وعاقب بأشد العقوبة من فعل ذلك، فهل يصح عقلا نسبة ذلك إليه؟!

وهناك نص مطول مفيد لابن تيمية في الفتاوى^(١)، لا أريد الإطالة بنقله، يتحدث فيه عن موقف علي عليه السلام من البدع في خلافته، فقد نشأت ثلاث طوائف: غالية وسبابة ومفضلة، فأما الغالية فأحرقهم بالنار، وأما السبابة (من كان يسب أبا بكر وعمر) فطلب ابن سبأ فهرب، وأما المفضلة، فقال: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى.

وهو نص فيه كثير من رد مفتريات مروان على علي بن أبي طالب، ومفترياته على ابن تيمية أيضا (وسأتناولها لاحقا).

ومواقف علي عليه السلام في محاربة الشرك والوثنية كثيرة^(٢)، وأكتفي بذكر هذا

(١) ١٨٤-١٨٦.

(٢) من أراد الاطلاع على بعض منها، ينظر كتاب: منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص ١٤٠ - وما بعدها.

الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، مبينا أن عليا كان يفعل في محاربة الشرك والوثنية ما فعله الرسول من قبل^(١): (عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»).

* مروان يكذب علياً، ويفتري على صحيح مسلم!

يقول مروان [مقال: طريق الضجيج]: "حتى حديث النبي عن "الأنصار" وقوله "لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق"، كما في صحيح الإمام مسلم، سيصبح حديثاً عن علي"، ويقول مروان أيضاً [مقال: على طريقة أبي جعفر المنصور]: "لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق"، قال علي عن نفسه، وهو تحوير مذهل لوصف قاله النبي في الأنصار، كما في صحيح مسلم "اهـ. إذن، علي يكذب، بحسب مروان، ويقول على الرسول ما لم يقل.

لنعود إلى الإمام مسلم، فقد روى حديث الأنصار "لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق"، وروى حديث علي في الباب نفسه، والحديث في مسلم: "قال علي: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»^(٢).

كان من الأمانة العلمية أن يقول الدكتور مروان للقراء أن حديث علي في صحيح مسلم أيضاً، وهو مجاور لحديث الأنصار.

(١) (٩٦٩).

(٢) انظر باب (٣٣)، الحديثان: ١٢٨، ١٢٩.

ثم، بأي معيار نصدق مسلماً ونكذبه في الباب نفسه؟ بأي منطق نقول للإمام مسلم: أنت معتمد إلا أنك مزور؟! أهذا هو مسلم الذي تشني عليه وتقول إنه مع البخاري في أعلى درجات علم الحديث [مقال: طريق الضجيج]؟! كيف يكون كذلك وهو يروي الموضوعات، بحد زعمك؟!

ثم لماذا افتراض إما كذا وإما كذا؟ الفضل إما لعلي وإما للأنصار؟ ما الذي يمنع الفضل لهم جميعاً؟ وهي منقبة لم يتقاتلوا عليها، بل هي منقبة نبوية لهم جميعاً؟! هل تريد أن تكذب مسلماً، وأنت تشني عليه؛ وتقول أنه من كبار المحققين في علم الرجال؟

إن من يبغض ليس بحاجة إلى تبرير بغضه علي، ليس بحاجة إلى مسلم أو إلى البخاري، فسوف يركب ظهر الشيطان للوصول إلى مبتغاه.

هل تريد أن تعتد بمرويات البخاري ومسلم؟ حتى تظهر أنك الورع التقى الذي يريد أن ينفي عن نفسه شبهة النفاق "ولا يبغضني إلا منافق"؟!

افتح صحيح مسلم مرة أخرى، واقرأ أول حديث فيه^(١)، وهو يروي عن علي رضي الله عنه نفسه: "حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر، عن شعبة، ح وحدثنا محمد بن المثنى، وابن بشار، قالوا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن ربعي بن حراش، أنه سمع علياً رضي الله عنه يخطب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا علي، فإنه من يكذب علي يلج النار».

وفي صحيح البخاري^(٢)، قال علي رضي الله عنه: (إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ،

(١) الحديث رقم (١).

(٢) (٣٦١١).

فلأن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه).

علي بن ابي طالب، أحد من نقل القرآن الكريم إلينا، فأليس الطعن في صدق من نقلوا القرآن الكريم إلينا هو طعن في القرآن نفسه؟ فالشخص الذي يكذب ولو مرة واحدة، يظل مشكوكاً فيه، فإذا اتهمنا علياً فإما أن نعترف بأن القرآن محرف وهذا يخالف الآية، وإما أن القرآن محفوظ، وهذا ينفي كلام مروان عن علي؛ لأن حفظ القرآن أيضاً من الضياع يكون بتسخير الرجال الثقات.

فأذل الله كل مفتر كذاب يتهم الصحابة بالكذب على النبي ﷺ!

ومروان لا يقف عند هذا الحد، بل يذهب ليجعل من نفسه رجل الجرح والتعديل الذي يبلغ في جرحه ما لم يبلغه العلماء كلهم قبله، فيجرح علياً نفسه، ويزعم أنه وضاع للأحاديث، يجرح رجلاً وثقه الله، ووثقه رسول الله ﷺ، واحترم علماء الجرح والتعديل هذا التوثيق؛ فلم يذكروا الصحابة في مؤلفاتهم، حتى جاء مروان مستدركا عليهم!

الدكتور مروان لم يأت بجديد، بل اقتفى آثار المستشرقين، الذين اتهموا الصحابة بوضع الأحاديث والكذب على النبي ﷺ، فهذا جولد تسيهر بعد مناقشة طويلة هدف فيها إلى تكذيب الأحاديث، والافتراء على الصحابة بالوضع، يقول بعد ذلك^(١): (وهكذا لعب وُضاع الحديث دورهم أمام الناس، وقد اعترف أنس

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام، جولد تسيهر، ص ٥٢، وكرر هذه الفكرة في مواضع مختلفة من كتابه، وبنى عليها مختلف الفصول. والاثر الذي أورده عن أنس أثر صحيح ولكنه قفز منه إلى نتيجة خاطئة، كما يفعل الدكتور مروان. فأنس يقول: (ما كل ما نحدثكموه سمعناه من رسول الله ﷺ، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً) [السنة لابن أبي عاصم، ٢/ ٣٨٧]. =

بن مالك، الذي صاحب الرسول عن قرب عشر سنوات، عندما سئل عما يحدث عن النبي هل حدث به فعلا، فقال: "ليس كل ما حدثنا به سمعناه من النبي، ولكننا لا نكذب بعضنا".

إذن فالصحابة تواطؤوا على الكذب على رسول الله، بحسب جولد تسيهر، والصحابة أيضا تواطؤوا على السكوت عن علي الذي يكذب على النبي، بحسب الدكتور / "مروان"!

ومثله فلهوزن، الذي يتحدث عن الأحاديث التي رواها الصحابة في الخوارج أنها قصة أسطورية^(١).

* التدليس على القراء، والتزوير في النقل عن البخاري:

يقول مروان [مقال: علي والأشتر، مناقشة]: "ولنقرأ هذه الحادثة الشهيرة التي رواها عشرات المؤرخين والمحدثين بمن فيهم البخاري في صحيحه: دخل أربعة من الشهود على عمر وشهدوا على المغيرة بن شعبة، قالوا: "رأينا نفساً تعلق، أو إستأ تنبو، ورأينا رجليها على عنقه كأنهما أذنا حمار، ولا ندري يا أمير المؤمنين ما وراء ذلك"، ويحدث أن يتلعثم الراوي الرابع، أمام توصل الخليفة له في أن لا يفضح رجلا من أصحاب محمد، وتجمد القضية ويجلد الشهود"، اهـ.

= والمراد أنه ليس كل صحابي سمع كل الأحاديث من النبي، فثمة أحاديث سمعها جمع منهم، وأحاديث سمعها آحاد منهم. وبعضهم يخبر بعضا بما سمعوه من النبي، فيصدقون بعضهم بعضا. ويوضح هذا المعنى البراء، يقول: (ليس كلنا كان يسمع الحديث من النبي ﷺ كانت لنا صنعة وأشغال ولكن كان الناس لا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب)، نقله ابن حجر في الفتح، ٣٢١/١٣.

(١) الخوارج والشيعة، ص ٣٦.

هنا مجموعة من التزويرات، منها:

الأول: دعوى أن الحادثة رواها البخاري في صحيحه، هذه دعوى مفتراة على البخاري، فالبخاري لم يرو الحادثة في الصحيح، بل أشار إليها مقطوعة لا موصولة، وثمة فرق بينهما، ولا ينسب إلى البخاري في الصحيح على إطلاقه إلا الروايات الموصولة، وهذا يدل على جهل مروان بمنهج المحدثين.

الثاني: أن ما ذكره البخاري مقطوعا، هو قوله: (وجلد عمر أبا بكرة، وشبل بن معبد، ونافعا بقذف المغيرة، ثم استتابهم، وقال: «من تاب قبلت شهادته»)^(١)، لم يذكر ذلك النص الذي يتعمد مروان إيهام القارئ أنه في صحيح البخاري، فمروان إذن افترى على البخاري، ثم دلس عليه.

الثالث: يدلس مروان بقوله رواها عشرات المحدثين، في حين لم يرو المحدثون هذه الرواية، بل رواها بعض الفقهاء (كالنوي في المجموع)، وبعض المؤرخين (كابن عبد البر في أسد الغابة)^(٢)، فلماذا تعمد مروان اختيار هذا الرواية المكشوفة! هل الهدف الإساءة إلى الصحابة وتشويه صورتهم؟، لماذا يحب مروان البحث عن مثل هذه الإثارات؟!

الرابع: (تلعثم الراوي وتوسل الخليفة!) ما مصدرك في هذه الدعوى! وإن كنت أخذتها من مصادر الشيعة فلم توهم القراء باسم البخاري! أتجمع بين تزوير وتضليل! وإن لم يكن لك مصدر فهي إذن "مجرد حكي".

(١) انظر باب شهادة القاذف والسارق والزاني، ٣/ ١٧١.

(٢) المجموع، ٢٠/ ٢٥٢. وأسد الغابة، ٦/ ٣٥.

الخامس: ولا أريد الحديث عن براءة المغيرة بن شعبه رضي الله عنه من هذه التهمة، فقد برأه قضاء عمر منها، واليوم يأتي من يتهم عمر، ويتهم المغيرة، وينصب نفسه قاضيا!

وبهذا، فلا ندري عن "البخاري" الذي يستدل به مروان، أي بخاري هو؟! هل لدى مروان نسخة أخرى من البخاري كتبت خِصِّصَ لهُ، فهو يعلم منه ما لا نعلم؟ أم يخدع القراء بتزويره على البخاري؟!

ويقول مروان [مقال: الظل والظلام]: "تقدم عثمان بن عفان بثلاثمائة بعير وآلاف الدينارات [صحيح البخاري]".

وهذا تزوير آخر من مروان على صحيح البخاري، فالبخاري عند مروان ليس مجرد كتاب للتزوير، بل ينسب إليه الأحاديث التي يشتهي!

أولاً: هذا الحديث ليس في البخاري، وثانياً الحديث في أحمد والترمذي والحاكم أن عثمان جاء بألف دينار، وحسنه الألباني^(١)، وحديث آخر في الترمذي فيه ٣٠٠ بعير، ضعفه الألباني^(٢)، وقال الحافظ ابن حجر^(٣): "وفي حديث حذيفة عند ابن عدي "فجاء عثمان بعشرة آلاف دينار"، وسنده واه، ولعلها كانت "ب عشرة آلاف درهم" فتوافق رواية ألف دينار".

* الافتراء على عمر بن الخطاب، وعلى مسلم:

أورد مسلم قصة احتكام علي وعمه العباس إلى عمر بن الخطاب، بشأن

(١) انظر مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني (٦٠٧٣). وانظر مسند أحمد (٢٠٦٣٠)، والترمذي (٣٧٠١)، والمستدرک (٤٥٥٣)، وصححه الذهبي.

(٢) الترمذي (٣٧٠٠).

(٣) فتح الباري، ٥٤/٧.

إدارة الميراث، وهذه القصة سنتحدث عنها لاحقاً بالتفصيل، والقصة تعامل معها عمر وفصل فيها، والخلاف بين علي وعمه أمر طبيعي، ولم يخرج عن حدود الأدب، لكن لننظر ما الذي وجده مروان في القصة؟

مروان يبحث في صحيح مسلم عن ما يعتقد أنه يدعمه في شيطنته لعلي، ويورد قصة اختلاف علي والعباس عند عمر، وينسئ حديثه المنمق عن بشرية المجتمع الصحابي! يفترض أن الصحابة ملائكة أو شياطين! وكأن خلاف الصحابة يخرجهم من ملائكتهم التي يبنى مروان عليها نقده!

وفي هذا السياق لا يخلج مروان من تطويع مسلم، بل وعمر، لينبي تصويراته النفسية، ويزعم أن عمر يتهم علياً بأنه يسب أبا بكر وعمر ويصفهما بالكذابين الغدارين الخائنين، يقول مروان [مقال: الظل والظلام]: "أبعد من ذلك، يشير عُمرُ هنا إلى ما قاله عليُّ بحقه وحق سلفه حين وصفهما بالكذابين والغدارين والخونة، كان واضحاً أن عليّاً، في سبيل نيل ما يعتقد أنه حقه، ذهب يسبّ كهلاً في الثمانين من عمره [أبا بكر]، يكبره بخمسين عاماً [الحديث في صحيح مسلم]".

لنرجع إلى النص في صحيح مسلم^(١): يقول عمر مخاطباً علياً والعباس "فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: «ما نورث ما تركناه صدقة»، فرأيتماه كاذبا آثما غادرا خائناً، والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق".

لم يقل عمر أن علياً والعباس قالوا ذلك عن أبي بكر، بل قال: "فرأيتماه"،

(١) (١٧٥٧).

وشتان بين اللفظين، حين تعتقد أن لك حقاً، فتذهب إلى القاضي فلا يحكم به، فأنت تعتقد أن القاضي ظلمك، وتنظر إليه كذلك، ولذلك إذا ذهبت إلى قاض آخر فيرى القاضي الآخر أنك لم ترض بحكم الأول، وهذه نفس بشرية، وليست ملائكية، يعترها هذا، ولكن الإشكالية أن تقول أو تكتب: القاضي خائن غادر كاذب... إلخ.

فعمر لم يقل إنهما قالوا، ومسلم لم يرو ذلك عن عمر، ولو قال ذلك لما تركهما عمر خليفة المسلمين، وهو الرجل الشجاع، وعلي - كما تراه أنت - رجل ضعيف، فلم يتهاون عمر في هذه القضية! لماذا لم تنقل النص كما ورد عن عمر في صحيح مسلم؟ وليس كما تريد وتهوى!

إذن، مروان في هذا النص يفترى على الإمام مسلم، حين يقول إنه نقل عن عمر أنه "قال" بحقه وحق أبي بكر... إلخ، ومسلم لم يقل ذلك، فهل الافتراء من أخلاق العلم؟

إذا كان علي رضي الله عنه يقول^(١): "لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفترى"، مجرد تفضيل وليس سباً، أفتعامل عمر بأقل من ذلك؟ من يقول هذا يسيء إلى عمر رضي الله عنهم أجمعين!

ونقل ابن تيمية في الفتاوى^(٢): (وروي عنه [أي علي] أنه طلب عبد الله بن سبأ لما بلغه أنه سب أبا بكر وعمر ليقطله فهرب منه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر برجل فضله على أبي بكر أن يجلد لذلك)، عمر يجلد رجلاً فضله على أبي بكر،

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ١/ ٨٣.

(٢) ٤٧٤/ ٢٨.

ويترك رجلاً يسب أباً بكر!

وثمة خطأ تاريخي، هو ليس بالأمر المهم، لكن للتنبيه، حين يقول إن أبا بكر يكبر علياً بخمسين عاماً، قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي بكر الصديق^(١): "ولد بعد الفيل بستين وستة أشهر"، وقال في ترجمة علي^(٢): "ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح"، وبعثة الرسول بعد ٤٠ سنة من عام الفيل، فأبو بكر، إذن، يكبر علياً بنحو ٢٧ سنة وستة أشهر.

* الافتراء على ابن حجر:

وحين يقول مروان معقبا على حديث احتكام علي والعباس إلى عمر: "سنأتي على موقف شراح صحيح مسلم، ومحاولتهم تفريغ لغة العباس من معانيها كي لا يقعوا في المحذور، فابن حجر سيختار كلماته بعناية قائلًا إن العباس ربما كان "يدلل" عليًا ولا يتهمة، الحقيقة أن تعليق عمر حول الحادثة لا يترك لكلمات ابن حجر من معنى".

ما الذي في هذا النص من تزويرات مروان وجهله؟

أولاً، "ابن حجر" ليس من شراح صحيح مسلم، بل من شراح صحيح البخاري.

ثانياً، ابن حجر في شرحه لهذا الحديث (٣٠٩٤)، الذي أخرجه البخاري في صحيحه، شرحه في نحو ١٠ صفحات، وفيه ناقش الروايات والأسانيد

(١) ١٤٥/٤.

(٢) ٤٦٤/٤.

والدلالات مناقشة العالم المحدث، وننظر إلى نقاش ابن حجر لقضية سب العباس لعلي:

يقول ابن حجر^(١): "قوله (فقال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا) زاد شعيب ويونس (فاستب علي وعباس)، وفي رواية عقيل عن ابن شهاب في الفرائض: (اقض بيني وبين هذا الظالم؛ استبا)، وفي رواية جويرية: (وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن)، ولم أر في شيء من الطرق أنه صدر من علي في حق العباس شيء، بخلاف ما يفهم قوله في رواية عقيل: (استبا)، واستصوب المازري صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث، وقال: لعل بعض الرواة وهم فيها، وإن كانت محفوظة، فأجود ما تحمل عليه أن العباس قالها دلالة على علي لأنه كان عنده بمنزلة الولد؛ فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه، وأن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد، قال: ولا بد من هذا التأويل لوقوع ذلك بمحضر الخليفة ومن ذكر معه، ولم يصدر منهم إنكار لذلك، مع ما علم من تشدهم في إنكار المنكر"، اهـ.

فابن حجر إذن، ليس هو الذي اختار ألفاظه بعناية ليقول كما يزعم مروان: (إن العباس ربما كان "يدلل" عليًا)، بل الحافظ المازري القائل، وابن حجر ينقل عنه، فحين تقول إن ابن حجر قال ذلك، فأنت تفترى على ابن حجر، فما ينقله الباحث وينسبه إلى مصدره، ينسب إلى المصدر، لا إلى الناقل.

وإذا كنت تلقي بالا لتعليق عمر، فلم لم تلق له بالا في قضائه في حادثة

(١) فتح الباري، ٦/٢٠٥.

قذف المغيرة بن شعبة؟! ولا أدري ما تعليق عمر حول الحادثة الذي قلت إنه: "لم يترك لكلمات ابن حجر من معنى"؟

ثم إذا كان العباس يسب عليا، فما ذنب علي؟ ليس في البخاري ولا مسلم أن عليا رد السب على عمه العباس [بل كما يقول ابن حجر: ولم أر في شيء من الطرق أنه صدر من علي في حق العباس شيء، سوى عقيل]، فضلا عن أن يسب أبا بكر أو عمر).

ثم إن المال كان بيد علي منذ عهد النبي^(١)، فهو لم ينشئ النزاع، بل الذي أنشأ النزاع عمه العباس، وهذا لا يتتقص من شأن عمه، ولكن من المهم بيان كيف نشأ النزاع.

ثم، إن رد المازري، في كتاب (المعلم بفوائد مسلم) لا يدور حول نقطة "الدلال" فقط، وهي التي تستهوي مروان، بل رده اشتمل على مجموعة أمور، خلاصتها^(٢):

- أولاً: تنزيه العباس من هذا اللفظ، وتنزيه علي من الاتصاف بذلك، وينطلق من قاعدة دينية نقية، لا يعرفها مرضى القلوب، فيقول: "لكننا مأمورون بتحسين الظن بالصحابة، رضي الله عن جميعهم، ونفي كل رذيلة عنهم، وإضافة الكذب لرواتها عنهم إذا انسدت طرق التأويل"، فكيف لو علم المازري أن ثمة من يجتهد في نسبة كل رذيلة إليهم، وينفي كل فضيلة عنهم!

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ٥٥٩/٦، ووثق البيهقي رجاله.

(٢) ١٦/٣ - وما بعدها.

- انطلق المازري من تأويل اللفظ، طالما أنه ثبت في الصحيح، فيقول: "وإن كان هذا اللفظ لا بد من إثباته، ولا يضاف الوهم إلى رواته، فأمثل ما حمل عليه أنه صدر من العباس على جهة الإدلال على ابن أخيه؛ لأنه في الشرع أنزل منزلة أبيه، وقال في ذلك: ما لا يعتقد وما يعلم براءة ابن أخيه منه... إلخ".

- أولها المازري أيضا، أن العباس فعل ذلك ردعا وزجرا لعلّي، وهو عمه بمنزلة أبيه.

- ذكر المازري أن التأويل واجب؛ كون الحادثة جرت في مجلس عمر الخليفة، المعروف بـ "تشده في الحدود والأعراض، وبعده عن المداينة"، وغير عمر هناك: عثمان والزبير وابن عوف وسعد.

* استخدامات مروانية أخرى للصحيحين!

إضافة إلى التزوير، فإن مروان يستخدم البخاري، كعادته، في ذكر تفضيل صحابي، ولكن لا يكون ذلك مجانا، بل بمقابل، والمقابل هو الانتقاص من صحابي آخر، فحين يستشهد بفضل أبي بكر "سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر" يفعل ذلك، لنفي الأمر عن علي، وحين يستشهد بنفقة عثمان في جيش العسرة، يفعل ذلك ليقول إن عليا لم ينفق شيئا، هذا غاية استخدام البخاري لدى مروان، فقط يبحث فيه عن الإثارة.

* تجاهل روايات الصحيحين:

مروان يتجاهل البخاري ومسلم كلية في الحديث عن علي، وسأورد أمثلة مفصلة لذلك لاحقا، ولكن أشير هنا إلى بعض ذلك (من روايات لم يتجاهلها مروان فحسب، بل ذكر أحكاما ونتائج مخالفة لها):

- مبارزة علي لصناديد قریش فی بدر (البخاری: ۳۹۶۹، ومسلم: ۳۰۳۳).

- حدیث رسول الله ﷺ (البخاری: ۲۹۴۲، ومسلم: ۲۴۰۵): (لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)، ويقول عمر رضي الله عنه، في مسلم أيضا ۲۴۰۵: (ما أحببت الإمارة إلا يومئذ)، فسماها إمارة، وكان فتح خيبر على يديه بنص الحديث.

- قول عمر بن الخطاب: أقضانا علي (البخاري: ۴۴۸۱).

- علي كاتب الرسول ﷺ، كاتب اتفاقية الحديبية (البخاري ۳۱۸۴).

- ترشيح عمر لعلي مع أهل الشورى الستة للخلافة، وقول عمر: "ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن"، (البخاري: ۳۷۰۰).

- تنازل الزبير لعلي بالخلافة، (البخاري: ۳۷۰۰).

- قول علي، حين سئل: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر»، (البخاري: ۳۶۷۱).

*** **

تزويره لابن تيمية والذهبي وابن كثير

١- تزوير مروان على ابن تيمية ودعوى أنه ضعف حديث "سيدنا شباب أهل الجنة".

٢- تزويره على ابن تيمية، وتقويله أنه وصف بطولات علي بالأكاذيب.

٣- تدليس مروان على ابن تيمية في خلط كلامه بكلامه.

٤- تزويره على الذهبي في حديثه عن المغيرة بن شعبة.

٥- تزويره على ابن كثير.

٦- إشارات إلى ١٤ تزويراً في مقالات مروان.

أكتفي بهذا الموضوع مع السابق لبيان مدى الأمانة العلمية في نقل مروان واقتباسه واستشهاده بالمصادر والمراجع؛ ومن خلال ذلك ندرك مدى هشاشة الأحكام والنتائج، فهي مجرد افتراءات، وليست من العلم في شيء، بالرغم من وجود تزويرات كثيرة أخرى، سأشير لبعضها في الموضوعات القادمة.

الموضوعات القادمة سأخصصها للرد على دعاواه الآثمة والمفتراة بحق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

*** افتراءات وتزويرات على ابن تيمية المفترى عليه:**

كنت أقول: مسكين ابن تيمية؛ حين يزج به مروان وسط هذه الكومة من الافتراءات، ولكن عدت فقلت: بل المسكين مروان، حين لم يجد غير ابن تيمية، ليفعل معه ذلك، ومواقفه وأقواله وشهاداته في علي وفضائله وإنصافه تملأ كتبه.

يقول ابن تيمية عن علي بن أبي طالب في كتابه (منهاج السنة)^(١): "لا ريب أن علياً عليه السلام كان من شجعان الصحابة، وممن نصر الله الإسلام بجهاده، ومن كبار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، وممن قتل بسيفه عدداً من الكفار"، ويقول أيضاً في الكتاب نفسه^(٢): "فضل علي وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم، والله الحمد، من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني، لا يحتاج معها إلى كذب ولا إلى ما لا يعلم صدقه"، والنصوص عنه في مدحه تتجاوز مئات الصفحات.

* المثال الأول:

نظر إلى ما يفعله مروان، يقول مروان: "ثمة شظايا بسيطة للرفض والاحتجاج نجدها عند ابن تيمية وهو يرفض حديث "سيدا شباب أهل الجنة"، رغم صحة أسانيده، منطلقاً من فهمه للعدل والمساواة (ابن تيمية، منهاج السنة) اهـ.

نعود إلى ابن تيمية الذي يفترى عليه مروان، فقد نص على صحة حديث (سيدا شباب أهل الجنة)، مستدلاً به في مختلف كتبه: جامع المسائل، والمسائل والأجوبة، ومجموع الفتاوى، وحقوق آل البيت، واقتضاء الصراط المستقيم.

بل إنه في منهاج السنة^(٣) يقول: (وهما عليهما السلام وإن كانا سيدي شباب أهل الجنة، فأبو بكر وعمر سيذا كهول أهل الجنة)، وهذا نص صريح على تصحيح ابن تيمية للحديث.

(١) ٧٦/٨.

(٢) ١٦٥/٨.

(٣) ١٦٩/٤.

وأما مفهوم الحديث، فكما نقل المباركفوري في تحفة الأحوذى عن الطيبي قوله^(١): ويمكن أن يراد هما الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان.

أي أنهما في وقت الحديث هما سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان.

والسيد في اللغة قديما لا يقابله العبد، فهذه مصطلحات متأخرة، السيد من السؤدد والفضل والمكانة، ارجع للمعاجم.

ثم إن الرسول ﷺ، قال أيضا إن أبا بكر وعمر سيدا كهول الجنة، فهل في الجنة كهول؟، وتفسيره واضح، كما فسر الطيبي حديث الحسن والحسين.

فالحديث لا يرسخ الطبقة في الدنيا، فضلا عن الزعم أنه يرسخ الطبقة في الجنة.

وأما الموضع الذي وهم د/ مروان أن ابن تيمية ضعف فيه الحديث في منهاج السنة النبوية [٤ / ٣٩ - وما بعدها]، فسأنتقله بطوله؛ لأبين كيف وهم مروان.

يقول ابن تيمية وهو يرد على الرافضي: (وأما قوله [أي قول الرافضي]: "وكان ولداه سبطا رسول الله ﷺ سيدا شباب أهل الجنة إمامين بنص النبي ﷺ"، فيقال [هنا بدأ رد ابن تيمية]: الذي ثبت بلا شك عن النبي ﷺ في الصحيح «أنه قال عن الحسن: إن ابني هذا سيد، وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من

(١) ١٧٨/١٠.

المسلمين»، وثبت عنه في الصحيح «أنه كان يقعده وأسامة بن زيد على فخذه ويقول: "اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما"، [ثم يبين أن ما فعله الحسن من ترك القتال هو الأفضل، ثم يقول:] والنبي ﷺ جعل الحسن في الصلح سيدا محمودا، ولم يجعله عاجزا معذورا، [ثم يرد على الرافضي في قوله أنهما إمامان بنص النبي، فيقول:] ثم إن كان النبي ﷺ جعلهما إمامين لم يكونا قد استفادا الإمامة بنص علي، ولا استفادها الحسين بنص الحسن عليه، ولا ريب أن الحسن والحسين ريحانتا النبي ﷺ في الدنيا، وقد ثبت «أنه ﷺ أدخلهما مع أبويهما تحت الكساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» وأنه دعاهما في المباهلة، وفضائلهما كثيرة، وهما من أجلاء سادات المؤمنين وأما كونهما أزهد الناس وأعلمهم في زمانهم فهذا قول بلا دليل).

هذا ما يقوله ابن تيمية، لم يقل ما تتقول عليه، فمن أي مرجع تستقي وتفترى على ابن تيمية؟ إذا كانت لديك مشكلة في فهم النص فهذا الأمر أهون، من مشكلة تقويل النص ما لم يقل!

* المثال الثاني:

يقول مروان [مقال ربع قرن بلا معركة]: (دفع ابن تيمية ثمن تلك الإشارة، وإشارات أخرى إلى بطولات علي المزيفة "وصفها ابن تيمية في مجموع الفتاوى بالأكاذيب التي تشبه قصص عنتره والأبطال")، ووضع في منزلة الرجل الذي ينال من مقام أحد المبشرين بالجنة) اهـ.

حسنا، نعود إلى مجموع الفتاوى (٤/٤١٣)، وهو أول النص: "مسألة: هل يصح عند أهل العلم أن عليا رضي الله عنه قاتل الجن في البئر، ومد يده يوم خيبر فعبّر

العسكر عليها، وأنه حمل في الأحزاب فافترت قدماه سبع عشرة فرقة، [إلى آخر المسألة، التي تصور خرافات عن بطولة علي، لا داعي لإيرادها، ثم يقول:]
الجواب: الحمد لله، هذه الأمور المذكورة كذب مختلق باتفاق أهل العلم والإيمان، لم يقاتل علي ولا غيره من الصحابة الجن، ولا قاتل الجن أحد من الإنس، لا في بثر ذات العلم ولا غيرها، [ثم بين وضع هذه الأحاديث]، وفيها [أي في الخندق] قتل علي عمرو بن عبد ود العامري، ولم يبارز علي وحده قط إلا واحدا، ولم يبارز اثنين، وأما مرحب يوم خيبر، فقد ثبت في الصحيح: «أن النبي ﷺ قال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فأعطاهما لعلي، وكانت أيام خيبر أياما متعددة وحصونها فتح على يد علي رضي الله عنه بعضها، وقد روي أثر أنه قتل مرحبا، وروي أنه قتله محمد بن مسلمة ولعلمهما مرحبان، وقتله القتل المعتاد، وعامة هذه المغازي التي تروى عن علي وغيره قد زادوا فيها أكاذيب كثيرة مثل: ما يكذبون في سيرة عنترة والأبطال" اهـ.

إن قليلا من الأمانة العلمية في النقل والاقتباس تغنيك وتكفيك، وتكفينا أيضا، أفما تقوم به ينتمي إلى الأخلاق العلمية؟! حين يأخذ مروان كلام ابن تيمية وهو يرد على خرافات منسوبة لعلي، فابن تيمية ينفي تلك الخرافات، لكن مروان يأخذ كلام ابن تيمية ويضلل القراء في أن ابن تيمية ينفي بطولات علي! وهو الذي يقول عنه في منهاج السنة: (كان من شجعان الصحابة)، فهذا ليس تزويرا في النقل، بل هو افتراء على ابن تيمية.

وابن تيمية في هذا النص يرد على الخرافات المنسوبة لعلي أنه قاتل الجن في البثر، وأنه مد يده يوم خيبر فعبر العسكر عليها... إلخ، فيقول عنها: هذه من أكاذيب الرواة، كأكاذيب عنترة.

* المثال الثالث:

وفي [مقال الإمام الفاضل عن الحاجة] يدلّس مروان، وهو يماهي كلامه بكلام ابن تيمية، فيقول: "كان علي، الجائع إلى السلطة، يدرك ورطته المتعاطمة، لقد تفرق عنه الناس (ابن تيمية، منهاج السنة، ج، ٤)".

لماذا لم تضع علامة اقتباس حتى تميز الكلام المبتذل عن الكلام العلمي؟! فأول الفقرة التي تصف علياً أنه "جائع إلى السلطة" كلام مبتذل، وآخرها "لقد تفرق عنه الناس" كلام علمي، وأنت تنسبه إلى ابن تيمية، وتماهيه مع كلامك؛ لتدلّس على القراء، والتدلّيس تضليل وخداع، أهذه هي الأمانة العلمية؟!

الذي يفعله د/ مروان، حين يخلط كلامه بكلام ابن تيمية؛ ليمرر كلامه بسلطة ابن تيمية، لا يقبله على نفسه، لا يقبل أن يقول أحد عليه بهذه الطريقة، فلماذا يمارسه مع غيره؟!

لو أنك قلت عن صديقك أحمد: "يعاني من مشاكل أسرية"، ثم جاء شخص آخر فقال أنك تقول: (أحمد، الفاشل في التعامل مع أسرته؛ إنه يعاني من مشاكل أسرية)، فهل هذا مقبول؟

إن مروان حين يتلزز (أي يحاول الالتصاق) بابن تيمية، ليظهر أنه يسير على خطاه في تناول علي، هو انكشاف للسوأة النفسية، وانفضاح للمنهج العلمي الذي لم يتبعه مروان في كتابته، ولكن طالما أنك تلززت بابن تيمية، فهل كنت تدرك أن ابن تيمية انتقد الصورة الزائفة لعلي، في حين أنك أتيت لبناء صورة زائفة عن علي! لم تفعل أكثر مما فعله الروافض، كلاكما بنى صورة زائفة وهمية لعلي، وابن

تيمية منك بريء، فقد تبرأ من النواصب، كما تبرأ من الروافض، كلاكما تمتلكان العقلية نفسها، المنهج نفسه، الأدوات نفسها! وتختلفان في تطبيقها فحسب، فهو اختلاف في الدرجة لا في النوع.

إن موقف ابن تيمية من علي كموقفه من عامة الصحابة، موقف الاحترام والإجلال، وكتابه "منهاج السنة النبوية" لم يؤلفه لهدم شخصية علي، بل لهدم معتقدات الروافض في علي عليه السلام، وشتان بين الأمرين، وبذلك أنكر وانتقد الروايات الشيعية، أو حتى الروايات السنية الزائفة أو التي - كما يقول مروان - تفضل عليا بانتقاص غيره، وفي المقابل وقف عند الروايات الصحيحة، فاحترمها، شأن العلماء الذين يحترمون الرواية الصحيحة، فالزعم أن ابن تيمية نال من علي هو دعوى كاذبة، وافتراء على ابن تيمية، لا يليق بصاحب علم أن يقترفها، وقد سبق الحديث عن ذلك.

* تزوير على الذهبي:

الدكتور مروان الذي اعتقدناه ناقدًا للتراث، ظهر أنه غير ناقد، بل ناقل، فهل سيكون ناقلًا أمينًا؟ لتأكد من ذلك للمرة الرابعة!

* المثال الرابع:

يقول مروان [مقال: علي والأشتر، مناقشة]: "لنختر صحابيا واحدا، من أشهر أصحاب النبي وممن شهدوا بيعة الرضوان: المغيرة بن شعبه، يقول عنه الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء"، الجزء الثالث: كان ينكح أربعاً جميعاً، ويطلقهن جميعاً، وكان يصاحب المرأتين بين نارين تشعلان"، اهـ.

فمفهوم كلام مروان أن الذهبي يقول: المغيرة كان يصاحب المرأتين بين نارين تشعلان.

حسنًا، نعود إلى سير أعلام النبلاء^(١): "حدثنا مالك، قال: كان المغيرة نكاحًا للنساء، ويقول: (صاحبُ الواحدة إن مرَّضتُ مريض، وإن حاضتُ حاض، وصاحبُ المرأتين بين نارين تُشعلان)، وكان ينكح أربعًا جميعًا، ويطلقهن جميعًا".

حتى النقل لم تكن أمينًا فيه! كل هذا التزوير؛ لتصل إلى عرض صورة مشوهة للصحابة! مروان ينقل عن الذهبي أنه قال: كان المغيرة يصاحب المرأتين بين نارين تشعلان! بالرغم من سماجة المعنى، فإنه جمع إلى ذلك سوء الاستدلال، وتزوير الاقتباس، وتشويه الصورة، في حين أن الذهبي ينقل عن المغيرة قوله مفضلًا الزواج بالثنتين على الواحدة.

مروان يقول إن "الصحابة مجتمع بشري"، وهذه كلمة حق يراد بها باطل، كلمة حق؛ لأنهم مجتمع يشري فعلا، وأريد بها باطل؛ لأن مروان يقصد ببشرية المجتمع أنه مجتمع منحط، ففيهم من يزني ويسرق يقذف.

لا أدري، هل الدكتور مروان يريد هدم صنمية علي، أم يريد هدم احترام الصحابة في النفوس والأذهان؟! هل تريد أن تخبر القراء أن الصحابة، ذلك المجتمع الذي ربه الرسول ﷺ، وحمل القرآن الكريم، وبلغ رسالة الله، أن ذلك المجتمع مجتمع لا أخلاقي، منحط؟! وهل تريد أن تصل من ذلك إلى تبرير اللاأخلاقيات في مجتمعنا أيضًا؟!

(١) ٣١/٣.

* السلطة العلمية، المنهكة بالتزوير:

حشر الأعلام وأسماء المرجعيات العلمية في المقال، لسبب أو لغير سبب، بحق أو بباطل، يهدف إلى ممارسة سلطة الخطاب على القراء، والقول: لست وحدي، فهؤلاء معي!

ثمة مقولة قالها على بن أبي طالب الشخصية العظيمة، يقول: "إن الحق لا يعرف بالرجال؛ فاعرف الحق تعرف أهله" [والأثر في البيان والتبيين^(١)]، وليس في نهج البلاغة، لا تبحث عن الرجال، بل ابحث عن الحق، وعندها ستجد الرجال؛ فالحق لا ينبني على سلطة المرجعيات، ولكن يستمد سلطته من ذاته، ولولا ذلك لما سقطت نظرية علمية أمام نظرية أخرى، عملاق بمقولة علمية عظيمة يؤسس لمنهج عظيم منذ ١٤ قرناً من الزمن.

إن الهدف من استمداد سلطة تلك المرجعيات، يتمثل في إبهام العوام، وخداع المتابعين، والاستعاضة بسلطة القائل عن حقيقة القول، ولتذهب الحقيقة والقيمة تحت نعال الشهرة والإثارة!

دعونا نقرأ ما كتبه مروان في موطن آخر عن ابن كثير، يقول [مقال: الظل والظلام]: "لنتوغل أكثر في يوميات علي، ولنأخذ مؤرخ يوميات: ابن كثير، البداية والنهاية/ ج ٧، تزوج علي ابنة امرئ القيس بن عدي، من بني كلب، أنجبت له طفلة، وكان يأخذها إلى المسجد ويقدمها إلى المصلين ليضحكوا معاً على هذا الأمر: يسألونها من أحوالك فتقول وه وه وه [أي هو هو هو، صوت النباح]،

(١) البيان والتبيين، ٣/ ١٤٤.

تشير إلى أحوالها من بني كلب، كان عليّ يعلم ابنته أن تتحدث عن أحوالها بتلك الطريقة أمام الناس، وتضحكهم، "اهـ.

كلما توغل مروان أكثر كلما ضحل أكثر، هذه المعادلة التي أظهرتها لنا مقالاته، هنا يتوغل مع ابن كثير فلا يتركه إلا بعد أن يُدميه بالتزوير، كعاداته، يجني مروان على من يقتبس منهم، يغرز أنيابه في كلماتهم، يتركها جريحة، يطمئن أنهم أيضا صاروا صرعى لتزويراته وتدليساته! ينزع عنهم لباسهم الأنيق؛ ليضع عليهم لباسه الملطخ بالصور الاحتقارية والاستعلائية! لا يريد أن يتهمه الناس أنه هو من يفعل ذلك، ثم يمضي، وكأنه لم يفعل شيئا، هو مجرد كاتب كتب فقط ومضى، لينشغل بأمور أكثر أهمية!.

دعونا نقرأ ما قال ابن كثير في البداية والنهاية، وهو يتحدث عن زوجات علي^(١): "ومنهن ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية، فولدت له جارية، فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة، فيقال لها: من أحوالك؟ فتقول: وه وه تعني بني كلب".

مروان أولا يحترف التدليس، حين يدخل في كلام ابن كثير ما ليس منه، موهما القراء أنه من كلامه، فابن كثير لم يقل: "وكان يأخذها إلى المسجد ويقدمها إلى المصلين ليضحكوا معاً على هذا الأمر"، وإيرادك لهذه الجملة وسط كلام ابن كثير ليس من الأمانة العلمية في شيء.

ابن كثير يورد القصة بتجرد، قصة طفلة، وكلنا لدينا أطفال، ونعرف تصرفات أطفالنا، وهو تصرف عادي جدا من طفلة، لكن قلم مروان يجعل من هذا

التصرف الذي يحمل براءة الطفولة موقفا يدين به علي ابن أبي طالب، في سلوك يتتهك براءة الطفولة.

لا يكتفي مروان بانتهاك براءة الطفولة، بل يتأكد من أنه توغل أكثر في ألفاظه وتعبيراته، يتأكد أنه نقل إلى القارئ ما داخله من أحقاد، يتأكد أن القارئ بلغ حد التشبع، !

يقول مروان: "كان عليّ يعلم ابنته أن تتحدث عن أخوالها بتلك الطريقة أمام الناس، وتضحكهم"، هكذا يسوقها مجردة؛ فهو لم يعد بحاجة إلى كسوتها! فمروان قد أبلغنا سابقا أن عليا يأخذها للمسجد حتى تضحك المصلين، لا لم يقل مروان: "حتى تضحك المصلين"، بل قال مروان: "ليضحكوا معاً على هذا الأمر"، وكأنه يتحدث عن أفلام أمريكية ساخرة، يبحثون فيها عن الإشارة والضحك معاً! لا يحتاجون للبحث، فلدى علي، بحسب مروان، المادة الجاهزة، وهو يعلمها في البيت، حتى تقدم لأصحابه مادة هزلية!

هذا مثال، على ما أسميه "مجرد حكي"، فمروان يعطينا معلومة خبرية (تعليم علي لابنته)، ولم ينقل لنا المصدر الذي ذكر هذا، هات أي مصدر، (صمّت).

إن شخصية مرموقة مثل الدكتور/ مروان، كاتب، وحامل شهادة دكتوراه في الطب، وعمره تجاوز الأربعين، يؤسس نفسه ليكون بمثابة إبراهيم لينكولن أو نيلسون مانديلا، إذا كلف نفسه ورد على أحد معجبيه في تعليق يشعره بعظمة نفسه، شخصية وصلت لهذا المقام أو تحاول أن تصل، أليس من المخجل أن

يجعل بين كلامه قصة كهذه؟ ما الذي ستقدمه هذه الصورة لك لتصبح قائدا عظيما؟ هذا السخف ما تخبرنا به أنت عن نفسك لا عن علي.

مروان تناول هذه القصة بالتشنيع والتنقيص، وكان يستطيع أن يتناولها من باب الطرافة، كما يقدم لنا بناته في فيديوهات على صفحته، ماذا يفعل مروان لو أن أحدا استخدم أسلوبه هذا وراح يتلاعب في مدلول الفيديو الذي عرضه مروان عن براءة بناته.

كان أحد الرؤساء بعد كل جمعة يتأزم من تزايد عدد الثوار، فيظهر على شاشة التلفاز ويهيج الرأي العام بأمور تثير عواطفهم: كالاختلاط، كان هذا يقلل من قدره ومكانته العالية، تلك الشخصية التي كانت على وشك أن يقام لها مجسمات ذهبية في كل المدن، كان المثقفون يتناولون خطابه بالسخرية، أليس هذا ما تفعله أنت؟

*** تزويرات أخرى، أشير إليها فحسب:**

١- في الموضوع السابق "التزوير على البخاري ومسلم" تناولت ٥ أمثلة من التزويرات.

٢- هناك تزويران آخران بحق الذهبي، [سأتناولها لاحقا]

٣- هناك تزوير آخر بحق ابن تيمية، في حكمه على نهج البلاغة، [سأتناوله لاحقا].

٤- هناك تزوير على ابن حبان في نقد أبي بلج، [سأتناوله لاحقا].

إضافة إلى ٥ تزويرات تناولتها في هذا الموضوع، فهذه ١٤ تزويرا، من النماذج التي درستها فقط، بخلاف ما لم أُنطرق إليه، [وغير التزويرات الأخرى في دعاواه عن علي بدون مصدر].

الكفاءة العلمية على المحك!

١ - وقفات نقدية مع مناقشة الدكتور مروان لمروية حديثية (نوم علي علي فراش النبي).

٢ - بين تضعيف التصحيح وتصحيح الضعيف

حين يكتب كاتب في التاريخ، لا بد أن يتسم بثلاث سمات: المنهجية العلمية، والأمانة العلمية، والكفاءة العلمية، وقد أثبتنا سابقاً أن مقالات مروان تفتقر إلى المنهجية العلمية والأمانة العلمية، ويبقى السؤال عن "كفاءة مروان العلمية" في عرض التاريخ، فلا بد من وضعها على المحك، فننظر إلى ما ناقشه مروان من روايات، فكل ما ناقشه مروية نوم علي علي فراش النبي، ومروية مقتل عمرو بن عبد ود، ومروية مشاركة الحسن والحسين في الفتوحات، مناقشته للمروية الأولى تبدو أنها ذات سَمَن، أما الأخيرتان فهو نقاش يعاني من الهزال المعرفي.

* مروان يناقش مروية نوم علي علي الفراش:

يقول مروان [مقال: طريق الضجيج]: "لنذهب إلى البخاري، أشد المحدثين فحصاً للأخبار، في كتاب الهجرة للبخاري نجد الرجل قد أحاط بأخبارها وتبعها في ٢٤ حديثاً، وما من إشارة واحدة إلى نوم علي في فراش النبي، يحذو الإمام مسلم حذو البخاري ويهملان تلك القصة كلياً، وإذا هبطنا في علم الحديث درجة، من الشيخين إلى أصحاب السنن (الأربعة: ابن ماجه، الترمذي، النسائي، أبو داود) لا نجد للقصة أثراً سوى رواية باهتة عند النسائي

تتناقض كلياً، في كل تفاصيلها، مع ما ذكره الشيخان، ولنهبط الآن درجة، وفقاً لجودة المعايير العلمية المتبعة آنذاك، ولنبحث عنها في كتب السير والمغازي، ومحدثي الدرجة الثالثة كابن حنبل والبيهقي والحاكم، هناك نجد القصة، قصة نوم علي في فراش النبي، وسيوردها أحمد في مسنده كما قلنا سابقاً... إلخ"، اهـ.

مروان يمارس سلطة الإبهار على القراء، بهذه الطريقة المفذلة في تفنيد قصة النوم، وأكتفي ببيان ضعف منهجيته وكفاءته العلمية - من خلال كلامه السابق - في ست نقاط:

الأولى: المحدثون لا يعتدون في معايير تصحيح الحديث أو تضعيفه بكونه غير مذكور عند البخاري أو مسلم أو الكتب الستة، فكثير من الأحاديث الصحيحة ليست عند الشيخين، وكثير مما صححه المحدثون ليس في الأمهات الست، ووجود الحديث في البخاري أو مسلم لا يحتاج إلى تصحيح أحد المحدثين، وهذا لا يعني أنني أقول إن القصة صحيحة أو غير صحيحة، بل أقول إن المعيار الذي اتخذه مروان زائف، لا يمت بصلة لعلم الحديث، فمروان بهذه الطريقة يزيّف المنهج العلمي في نقاش المرويات، ويضلّل القراء؛ لا سيما أن له أتباعاً يتلقون عنه المناهج العلمية كلها!

الثانية: وحين يقول مروان في نقد القصة أيضاً: "صار بطلاً رغباً عن سورة التوبة"، فمتى كانت الأحاديث والقصص النبوية التي لم تذكر في القرآن الكريم باطلة؛ لمجرد أنها لم تذكر في القرآن الكريم؟ وبمناسبة "رغباً عن سورة التوبة"، ألم تذكر سورة التوبة حين كنت تلمز علياً أنه لم ينفق في غزوة العسرة؟!، ألم تقرأ في سورة التوبة: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴿٧٩﴾ [التوبة: ٧٩]!
[بالرغم من كون دعواك بلا أساس، وسأناقش ذلك في موضوع قادم].

الثالثة: أطالب مروان باحترام هذا المعيار الذي وضعه، واتباعه، ولیمتلك الجرأة، ويخبر القراء بالروايات التي في مقالاته، مما ليست في الصحيحين، أو في بقية الكتب الستة، أو حتى "في كتب الدرجة الثالثة، على حد تعبيره"، بل ليخبرهم بالروايات التي ليست في أي من كتب الحديث، وبمعياره هذا فإن رواياته باطلة وزائفة ومردودة دون الحاجة إلى مناقشتها، وإلا فهو يناقض نفسه!

الرابعة: تتبع مروان أقوال المحدثين في نقد أبي بلج الكوفي، وحسنا فعل مروان، وحتى يكون أمينا فيلزمه أن يتتبع أبا بلج ومن هو أضعف من أبي بلج، بل ويتتبع الكذابين، في الروايات التي حشا بها مقالاته، ويخبر القراء بهذه الروايات.

فالمحدثون يعتدون بالرواية حين يكون الراوي موثوقا؛ فالرواة هم معيار صحة الرواية، ثم بعد ذلك يحققون في متن الرواية، فلا يصح أن تصبح الرواية التي تهواها النفس أو ترفضها هي معيار تقييم الرواة.

بعبارة أخرى: لماذا يأتي مروان إلى هذه الرواية التي يريد رفضها ويقيم أبا بلج؟! ولماذا لا يفعل هذا التقييم في الروايات التي يستدل بها وفيها من هو أضعف من أبي بلج؟!

الخامسة: استنفر مروان، وهو ينقد الرواية، المحدثين المتقدمين والمتأخرين، استنفرهم بطريقة بالغة السماجة، وكأنهم كلهم لا هم لهم إلا تفنيد هذه الرواية، وغاية ما في الأمر قصة مبيت على الفراش، ثبوتها ليس شيئا محوريا

في تاريخ المسلمين، أو تاريخ علي، حسناً، لم لا يستنفرهم، أو يتبع ما شنعوه من روايات شديدة الكذب، عميقة الأثر في هدم الإسلام وتاريخ الإسلام، مما امتلأت بها مقالاته،؟!

السادسة: لماذا تذهب إلى كتب الحديث حين تريد انتقاد رواية ما؟ وتحتج بها، ثم تنسى تلك الكتب، وتذهب إلى "الإمامة والسياسة"، أو "المسعودي"، أو تاريخ الطبري، أو الكامل، أو "بحار الأنوار"، أو "نهج البلاغة"... إلخ، لتختار منها الروايات التي تريد؟! أين الأمانة العلمية؟! أين الكفاءة العلمية؟!

إن كتب التاريخ التي تنقل عنها (وتحرفها)، ولا تنقد مروياتها، هي نفسها التي ذكرت مبيت علي على فراش النبي، وأدواره المختلفة في الهجرة، فإذا كنت تنقل عن كتب التاريخ فلا تنتقد على منهج المحدثين، وإذا كنت تريد النقد على منهج المحدثين فانتقد كل المرويات، ولا تنقل فحسب. وقد أشرت لهذه المسألة في المقدمات المنهجية.

*** ولكن ماذا يقول مروان عن أبي بلج؟**

دعونا نقف وقفة سريعة مع كفاءة مروان العلمية، وأمانته أيضاً، في نقده لأبي بلج الكوفي، ونقله عن علماء الحديث، دون أن يعني ذلك أنني أصحح الحديث أو أضعفه، أنا أتحقق فقط مما يقوله مروان.

يقول مروان: (يقول عنه ابن حبان في "كتاب المجروحين من المحدثين": في متن حديثه ألفاظ منكورة، بل باطلة لمنافرتها ما في الصحيح، ثم يقول: لا يُحتج فيما انفرد به)، اهـ.

حسننا لنعود إلى ابن حبان في كتاب المجروحين؛ لنرى مدى أمانة النقل عند مروان، يقول ابن حبان، وهذا نصه كاملاً^(١): "كان ممن يخطئ، لم يفحش خطؤه حتى استحق الترك، ولا أتى منه ما لا ينفك البشر عنه فيسلك به مسلك العدول، فأرى أن لا يحتج بما انفرد من الرواية، وهو ممن أستخير الله فيه".

أين الأمانة فيما تنقل؟ أين الذي ادعيته على ابن حبان أنه قال عن أبي بلج: ألفاظ منكورة بل باطلة لمنافرتها ما في الصحيح؟! بل إن ابن حبان يتوسط القول فيه، ويقول "لم يفحش خطؤه حتى استحق الترك".

ومن أين نقل مروان هذا؟ نقله من تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وفريقه لمسند أحمد بن حنبل، حيث يقول المحقق معقبا على حديث في سنده أبو بلج (رقم: ٣٠٦١): "قد قال فيه البخاري: فيه نظر، وأعدل الأقوال فيه أنه يقبل حديثه فيما لا ينفرد به كما قال ابن حبان في "المجروحين"، وفي متن حديثه هذا ألفاظ منكورة، بل باطلة لمنافرتها ما في الصحيح، ولبعضه الآخر شواهد".

قرأ مروان هذا النص، وقرأ ما قاله ابن حبان من هنا، وليس من كتابه! ثم غفل عن أن باقي نص الفقرة هو من كلام المحقق معلقا على الحديث، ولم يقل المحقق أنه ينقله عن ابن حبان، عارض سليل، وحاطب ليل!

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورديا سعد الإبل!

إذن في النص السابق، أولاً: لم يكن مروان أميناً في إظهار موقف ابن حبان من أبي بلج، بل ضلل، وثانياً: زور على ابن حبان حين نسب إليه ما لم يقله،

وثالثاً: أساء إلى المنهج العلمي حين استخدم مرجعاً وسيطاً، وقد كلفه ذلك خطأ علمياً فادحاً.

ثمة خطأ لدى بعضهم أن الدراسات الإنسانية، ومنها التاريخ، تعتمد على الحفظ دون فهم، في حين أن العلوم الهندسية والطبية هي التي تعتمد على الفهم. وهذا من الخطأ البين؛ فالدراسات التاريخية، وغيرها تحتاج إلى فهم عميق، واستنباط دقيق، وتحقيق كبير؛ حتى يفهم الباحث الروايات التي يدرسها، ويحققها، ويتأكد في الاقتباسات التي ينقلها، ويميز بين رأي المؤلف وما يستشهد به.

القارئ قد يدخل في التباك وخلط، ولا يستطيع أن يميز بين رأي الكاتب ومن نقل عنه، وهذا للأسف ما وقع فيه د/ مروان، حين كان يعود لكتب التاريخ والحديث، فأشكل عليه الأمر بين ما يكتبه الكاتب عمن نقل عنه وبين رأيه، ربما لم يعتمد مروان أن يقع في هذا الخطأ، وسيعذر؛ لأنه معتاد على قراءة الروايات المبنية على خيال الراو، لا الروايات التاريخية، فلا الخيال الخصب هنا ينفع، ولا الحفظ، بل لابد من تشغيل التفكير.

لكنني أستغرب، أن مثل هذه الرواية ليست بذلك التداخل الذي يحتاج إلى تفكير عميق حتى يفصل القارئ بين رأي الكاتب ومن نقل عنه، فحين لا يعطي الباحث أهمية ووقتا لما يبحث عنه، ستحدث الكثير من الملاحظات في بحثه والخلط، فلا ينفعه خياله ولا حفظه.

والخلط يعد من العيوب العلمية، وقديماً كان علماء الحديث يضعفون أحاديث رجال ثقات؛ لكونهم كانوا يخلطون في رواياتهم.

يقول مروان أيضا ("أبو بلج الكوفي" فيه نظر، بحسب كلمات البخاري [الكامل في ضعفاء الرجال])، ومروان هنا نقل بأمانة ما ذكره ابن عدي في كتابه "الكامل في ضعفاء الرجال"، عن ابن حماد، عن البخاري.

إلا أن المحدث المحقق "أحمد شاكر" تعقب ابن عدي نفسه، فقال: "أبو بلج، وهو ثقة، وثقه ابن معين وابن سعد والنسائي والدارقطني وغيرهم، وفي التهذيب أن البخاري قال: "فيه نظر"! وما أدري أين قال هذا؟، فإنه ترجمه في الكبير ٢٧٩ / ٢ - ٢٨٠ ولم يذكر فيه جرحاً، ولم يترجمه في الصغير، ولا ذكره هو والنسائي في الضعفاء، وقد روى عنه شعبة، وهو لا يروي إلا عن ثقة"^(١).

وفي هذا النص توضيح لما يمارسه مروان في البحث عن الشواهد التي تدعم أحكامه ونتائجه، والتغاضي عما عداها، فأبو بلج، فيه كلام كثير، بعضهم ضعفه، وبعضهم وثقه، وابن حبان لم يقل كما يريد مروان.

هل وقفت أخطاء مروان عند هذا الحد، في نقده لرواية مبيت علي على فراش النبي ﷺ؟ وهي الرواية اليتيمة مع رواية عمرو بن عبد ود، اللتان تفرغ لتحقيقهما.

يقول مروان: "ولكن من هو أبو بلج الكوفي هذا الذي احتكر قصة أخطر ليلة في تاريخ العرب دوناً عن كل البشر؟" ويقول: "لماذا تجاهل البخاري خبر منام علي في فراش النبي؟ ذلك أن "أبو بلج الكوفي" فيه نظر، بحسب كلمات البخاري"، ويقول: مروان: "[وهذا الحديث مما انفرد به]"، اهـ.

(١) مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر، ٣/ ٣٣١.

فهل الأمر كذلك؟

أول من أخرج الحديث هو عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، وهذا سنده^(١):
"قال معمر: وأخبرني عثمان الجَزَرِيُّ أن مِقْسَمًا مولى ابن عباس أخبره في قوله:
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾، قال: تشاورت قريش بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: أن أخرجه، فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي على فراش النبي ﷺ تلك الليلة،"، وقال محقق الكتاب: "أخرجه أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن"، أين أبو بلج في الحديث؟!

نأتي إلى مسند أحمد، أخرج قصة المبيت من طريقين، الأول (رقم ٣٢٥١):
"حدثنا عبد الرزاق حدثنا مَعْمَرُ قال: وأخبرني عثمان الجَزَرِيُّ أن مِقْسَمًا مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس... إلخ".

والثاني من طريق أبي بلج (رقم ٣٠٦٢): "حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بلج، حدثنا عمرو بن ميمون، قال: إني لجالس إلى ابن عباس"، وفيه: "وشرى علي نفسه، لبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام مكانه"، والحديث طويل جدا، وفيه قصص كثيرة، قال أحمد شاكر في تحقيقه: "إسناده صحيح"، وقد نقلت توثيقه لأبي بلج آنفاً، في حين ضعفه شعيب الأرناؤوط وفريقه.

وابن حجر حسن إسناده، في فتح الباري، يقول^(٢): "وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن".

(١) ٣٨٩/٥.

(٢) ٢٣٦/٧.

وعامة من ضعف حديث مبيت علي، إنما ضعفه بسبب عثمان الجزري^(١)، ولكن الطحاوي يقول في مشكل الآثار، في هذا الحديث، وهو يتحدث عن عثمان الجزري^(٢): "هذا كان يُعرَف بالمشاهد، قد ذكره أحمد ويحيى، وذكر أنه لم يُحدِّث عنه إلا مَعمر، وذكره البخاري أيضا في كتابه، فلم يذكر فيه إلا خيرا".

فالحديث إذن لم ينفرد به أبو بلج، هذا أمر، والأمر الثاني لم يتفق العلماء على تضعيفه، كما رأيتم، بل صححه الذهبي وأحمد شاكر، وحسنه ابن حجر، فهل هذا من النقد العلمي: أن تظهر الصورة التي تريد؟! وتتجاهل ما لا تريد؟!

وحين يقول مروان أيضا: "وسيائي الذهبي لينكر الخبر"، حسنا، افتح المستدرك للحاكم، الحديث (٤٢٦٣)، خلاصة حكم الذهبي فيه: "صحيح"، وهكذا لا تتوقف الافتراءات عند حد، وفي كل افتراء يظهر ضعف الكفاءة العلمية لدى مروان في نقده للمروية اليتيمة في مقالاته.

وأنا لست أتناول الحديث من باب أنني أصححه أو أضعفه، ولكنني أتناول المسألة من باب النظر في كيفية تعامل مروان مع هذه المروية، وكيف يتجرأ في إصدار الأحكام، وإيهام القراء، كعادته، أن ما يقوله هو القول الفصل، وهذا عدا عن التزويرات في القول، والضعف العلمي في نقد المروية الحديثية.

وقول د/ مروان في عبارته (أخطر ليلة في تاريخ العرب)، يقول (تاريخ العرب)، وليس (تاريخ المسلمين)، وقد أشرت في المقدمات المنهجية إلى خطورة تمرير مثل هذه العبارات التي تهدف إلى تحويل الدين للنقد الثقافي.

(١) راجع السلسلة الضعيفة للألباني، (١١٢٩).

(٢) ٥/١٥.

هذه الكتابة لا قيمة لها في التاريخ، إنما مكان هذه الكتابات ضمن "قصص ألف ليلة وليلة".

* تضعيف الصحيح وتصحيح الضعيف:

حين يجد مروان رواية توافق هواه، وقد صححها أو ضعفها المحدثون أو بعضهم، يحفل بذلك، ويجد المحدثون حيزا حسنا في قلم مروان، مثلا، يقول مروان [مقال: الظل والظلام]: حديث البيهقي أن رجلا "تبرع بعرضه، أي بغفرانه لكل من سبه وشتمه" [صححه الألباني]، ويقول مروان: حديث "اغلقوا كل أبواب المسجد إلا باب علي" سيلاحظ الباحث أن هذا النص [ضعفه جمهور أهل الحديث]، اهـ.

فهل التزم مروان باحترام منهج المحدثين، الذين يتشدد بأقوالهم؟

أوردت من قبل مثالا على استشهاد مروان برواية ضعيفة، ضعفها الألباني في الحاكم (راجع المنهج العلمي عند مروان)، وأوردت من قبل تكذيبه لما في صحيح مسلم، واتهامه عليا بالكذب على رسول الله ﷺ.

يقول مروان لامزا غامزا [مقال: طريق الضجيج]: "وستكون بطولاته على الشاكلة نفسها: فتح حصن خيبر بعد أن عجز عنه عمر، تزوج فاطمة بعد أن رفض الرسول خطبة عمر لها، قتل بن عبد ود بعد أن خافه عمر الذي راح يطالب بسرقة درعه"، اهـ.

أما حصن خيبر، فالمحفوظ أن عمر تمنى الإمارة عندما سمع قول الرسول ﷺ: (لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله

ورسوله)، والحديث في صحيح مسلم، لو كان مروان يحترم مناهج المحدثين؟!
وأما أن عليا تزوج بفاطمة بعد رفض عمر، فالحديث رواه أحمد في فضائل
الصحابه، والنسائي وابن حبان والحاكم، وصححه الذهبي، والألباني في سلسلة
الصحيحة^(١)، ولفظ الحاكم: "خطب أبو بكر، وعمر فاطمة، فقال رسول الله ﷺ:
«إنها صغيرة» فخطبها علي فزوجها".

فهل سلوك مروان سلوك من يحترم المحدثين ومناهجهم؟! ولماذا يخضع
تأويل الأحاديث لهواه، ويجعل هواه وسوء تأويلاته معيارا للتصحيح والتضعيف؟
ثم إن جمعه الروايتين السابقتين مع حكاية عمرو بن عبد ود، جهل منه بجمع
الضعيف مع الصحيح؛ ليصل إلى ما يريد قوله: علي مقابل عمر!

يقول مروان [مقال: الظل والظلام]: "ذلك أمر محير إذا ما استمعنا إليه
شخصيا، كما في مسند الإمام أحمد، وهو يقول: كنت رجلاً أحب الحرب،
ويروي كيف أنه أعطى أولاده الثلاثة "الحسن، الحسين، محسن" اسم [حرب]،
وكان النبي يأتي ويغير أسماءهم"، اهـ.

مروان هنا لا يكتفي بالاستشهاد برواية ضعيفة، وترك رواية القصة
الصحيحة، بل يزور، أو إن أحسنا الظن، يجهل، فلم يرد في مسند أحمد أنه قال:
"كنت رجلاً أحب الحرب"، وهذه الرواية في معجم الطبراني^(٢)، فأخذ مروان

(١) انظر السلسلة الصحيحة، ضمن الحديث: (٢٩١٤). والحديث في فضائل الصحابة لأحمد
(١٠٥١)، وسنن النسائي (٣٢٢١)، وابن حبان (٦٩٤٨)، والمستدرک (٢٧٠٥)، وقال الذهبي:

على شرط البخاري ومسلم.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٧٧٧).

شيئا من هنا وشيئا من هناك، والألباني قال عن رواية الطبراني، في سلسلة الضعيفة^(١): "وهذا إسناد ضعيف منقطع"، مروان لا يهتم بصحة الرواية أو ضعفها، بل يهتم بما تهواه نفسه من الروايات.

يقول مروان، في مقال "الظل والظلام": "اختفى علي في المدينة لربع قرن، بين موت النبي ومعركة الجمل، إذا حملنا كاميرا وتقصينا أثره فلن نجد شيئاً مما يمنح الرجل منزلة "باب مدينة العلم".

يذهب مروان إلى الروايات الضعيفة والمنكرة، ليركب ظهرها في تفريغ أحقادها، واستمراء سخريته على علي، ويبحث عنها بكاميراته، أو لقطاته الجوية، يجد فيها راحة عجيبة، يشعر أنها تشفي غليله، وتروي عطشه، وتُشبع جوعه! ولو أنه احترم "جمهور المحدثين"، الذين ضعفوا حديث: "أنا مدينة العلم وعلي بابها"، بل قال بعضهم بوضعه، لو احترمهم لما استخدمه نابزاً غامزاً لامراً!

إذن، كفاءتك العلمية تنافس أمانتك العلمية في الضعف!

(١) (٣٧٠٦).

مع نهج البلاغة ومع الشعراء

* مروان يثبت أن نهج البلاغة مكذوب:

كتاب نهج البلاغة، ماذا يقول عنه مروان؟

يقول مروان [مقال: على طريقة أبي جعفر المنصور]: "بل ٢٤١ خطبة لعلي، ومواعظ ورسائل عديدة، كل ذلك الحشد من النصوص يتخلق فجأة من العدم دفعة واحدة مطلع القرن الخامس، لنستمع إلى الذهبي ليخبرنا عن نهج البلاغة، كتاب علي وحكمته وفلسفته: كتاب مكذوب"، ويقول [مقال: الظل والظلام]: "أثبتنا سابقاً أن كتابه وسفره الوحيد "نهج البلاغة" عمل مكذوب، ألفه الشريف الرضي وأخوه مطلع القرن الخامس الهجري، وإن نسبته إلى علي تستحيل علمياً وعملياً، علي، إذن، بلا أثر قولِي "اهـ".

حسناً، إذن هو كتاب مزور على علي عليه السلام، ويستحيل نسبته إلى علي، وكل الآثار التي فيه مكذوبة، حسناً، إذن لنمزق كتاب نهج البلاغة، ونرميه في البحر، فنحن مطمئنون أن مروان لا ينقل عنه.

لنمض نقرأ مع مروان، وهو يقول [مقاله: ربع قرن بلا معركة]: "في نهج البلاغة، خطب علي والخطب المنسوبة إليه، هجوم قاسي ضد الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه، ما يرفع أعداءه في قائمة العشرة المبشرين بالجنة إلى خمسة، أي ٥٠٪".

هل تلعب يا مروان؟ ألم نخبرنا أن نهج البلاغة مكذوب على علي، والآن

يصبح مصدرا موثوقا، تتوصل من خلاله إلى أن عليا يهاجم الخلفاء؟!، أم أن نهج البلاغة كذب وتزوير حين لا يخدم نتائجك، ولكنه صادق حين يساعدك على رفع نتائجك إلى ٥٠٪!

بهذه السرعة تناقض نفسك حين وجدت "نهج البلاغة" يرفع نتيجتك إلى ٥٠٪، فكيف لو كان سيرفعها إلى ١٠٠٪، ماذا ستفعل إذن؟!!

ربما حدث ذلك مرة، فحسب، لا، ها هو مرة أخرى، يقول مروان في المقال نفسه: "في نهج البلاغة، وهو كتاب ألفه (أو جمعه) الشريف الرضي مطلع القرن الخامس الهجري، نجد زهاء ٢٤١ خطبة لعللي، أشهرها الشقشقة، وفيها يحتج على أولئك الذين "أخروه عن مقامه"، لقد حدثت تلك الفتوحات، إذن، خارج مقامه، ما جعله غير معني بها!".

ما هذا يا مروان! ظننا أنك مزقت كتاب نهج البلاغة، فلماذا تعود إليه، أم أن شعارك: "قليل من نهج البلاغة لا بأس به"!

أيضا، قبل قليل أخبرتنا أن الكتاب مكذوب ويستحيل علميا وعمليا نسبته إلى علي، وهو من تأليف الشريف الرضي، والآن تضع بين قوسين (أو جمعه)، لتبرر لنفسك النقل عنه،! فهذا تناقض آخر منك، فهل كتاب نهج البلاغة موضوع أم مجموع؟!!

ها هو مرة أخرى، يقول مروان [مقال: الإمام الفاضل عن الحاجة]: "في نهج البلاغة ستختلق قصة عن عدالة الرجل: أحمى حديدة وأوجع بها شقيقه "عقيل" حين طلب منه نفوذا وسلطانا، معلما إياه درسا حول نزاهة الحاكم! ولا

ندري لماذا تلقى عقيل لوحده الدرس بينما ذهب باقي أسرته ليحكموا البلاد من اليمن إلى العراق، باعتراف نهج البلاغة نفسه".

دعك من كل هذا الكلام، واقرأ فقط آخر جملتين "ذهب باقي أسرته ليحكموا البلاد من اليمن إلى العراق، باعتراف نهج البلاغة نفسه"، فنهج البلاغة إذن مصدر معتمد للحكم على علي، وأنه ولي أسرته ليحكموا البلاد، فهذا اعتراف مقبول من نهج البلاغة وصادق، ولكن اعترافه بشأن عقيل غير مقبول، بل مكذوب، [ملحوظة: أنا لا أدافع هنا عن نهج البلاغة، ولا عن هذه الرواية، بل أتحدث عن منهجية مروان تجاه نهج البلاغة].

الدكتور/ مروان، يعرفه قراؤه، هو عظيم البلاغة، واسع الخيال، يتهم من يعارضه بمحدودية الخيال، يحفظون ولا يفهمون، فكيف يقع في خطأ يجعل المعجبون بما يكتب في شك مما يكتب، وربما سأل بعضهم نفسه: هل مروان هو من كتب؟ وهل قرأ المکتوب قبل النشر؟ أم أن مروان يستغفلنا؟ مثل مروان فلا أعتقد أنه يقع في مثل هذه التناقضات!

لو أن طالباً في المرحلة الإعدادية وقع في مثل هذه التناقضات، لظن معلمه أن لديه مشكلة في الذاكرة، أو مشكلة في الفهم، فما بالنا بالدكتور/ مروان الجهبذ؟

تجد الأم تعلم ابنها قبل دخوله المدرسة، وتحذره من الوقوع في مثل هذه التناقضات، فهذا دليل الكذب، هذا على مستوى الحياة الشخصية، فما بالك بالتوجه العلمي؟

وحين تحدث مروان عن نهج البلاغة، لم تطب نفسه أن يمضي دون أن يزور كلام ابن تيمية، كعادته، يقول مروان: "النستمع إلى الذهبي ليخبرنا عن نهج البلاغة، كتاب علي وحكمته وفلسفته: كتاب مكذوب، أما ابن تيمية فيتحدى أن يأتيه أحد بمصدر واحد لتلك النصوص في كل مؤلفات المؤرخين والمحدثين (عدا السرقات المباشرة - وفقا لابن تيمية - من البيان والتبيين للجاحظ)".

لنقرأ ما يقول ابن تيمية في منهاج السنة النبوية^(١): "وأیضا فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب "نهج البلاغة" كذب على علي، وعلي عليه السلام أجل وأعلى قدرا من أن يتكلم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق ولا هي مدح، [إلى أن يقول:] وهذه الخطب المنقولة في كتاب "نهج البلاغة" لو كانت كلها عن علي من كلامه؛ لكانت موجودة قبل هذا المصنف، منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرا منها - بل أكثرها - لا يعرف قبل هذا، علم أن هذا كذب، وإلا فليبين الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك؟".

ابن تيمية كلامه كلام العالم المحقق، الذي يحترم العلم والمنهج العلمي، لم ينف كل ما في نهج البلاغة، بل نفى كثيرا منها أو أكثرها، وشتان بين الأمرين، لم يتحدث ابن تيمية - كما نقل مروان - من يأتيه بمصدر واحد لتلك النصوص، بل قال: "لو كانت كلها من كلام علي فإنها موجودة من قبل، ثم يقول: "أكثرها لا يعرف"، فمقتضى كلامه إذن أن هناك ما يُعرف، فهل هذه الأمانة العلمية في النقل والاقتباس وعرض آراء الرجال؟ حين تزعم ذلك فأنت تزور على ابن تيمية، الذي لم ينف كل تلك النصوص، ولم ينف وجود آثار لعلي خارج نهج البلاغة.

فمعيار التحقيق عند مروان معيار نفسي، حين يجد رواية فيها ما يتمناه من
سخرية أو احتقار أو كذب أو تزوير عن علي، فهي رواية صادقة، ترفع نسبة نتائجه.
[ملحوظة: مسألة مناقشة آثار علي الأدبية، ستكون في موضوع قادم، بإذن
الله].

* مع الشعراء أيضا:

يرجع مروان باحثا في الشعر الذي يدعم وجهة نظره، ولا يكتفي، كعادته
بالافتراء على العلماء، بل كان للشعراء نصيب، حين يقول [مقال: الإمام الفاضل
عن الحاجة]: "واجه الشعراء، وهم القوة الضاربة آنذاك، عليا بقصائدهم التي
تكيل المديح للخليفة الراحل وتشير ضمنا أو علانية إلى القاتل"، ثم ذكر مجموعة
أسماء: "كعب بن مالك، زينب بنت العوام، أيمن بن خزيمة، الوليد بن عقبة، أيمن
بن فاتك الأسدي، وآخرون"، هؤلاء إذن، بحسب مروان، هاجموا عليا بوصفه
"القاتل"، ويقول عن تلك القصائد والأرجوزات: "لم تجد من يردّها نثرا ولا
قافية، لا من الطالبين ولا سواهم، وبقيت شهادة حية لها الكلمة العليا حول ما
جرى، كما لو أنها قد وافقت انطبعا عاما عن دور (مفترض أو حقيقي) لعلي في
الإطاحة بالنظام وقتل رأسه"، اهـ.

كلام "مجرد حكي" أيضا، يسيء مروان إلى الشعراء بتبنيهم أوصافه لعلي
"القاتل"، على حد وصفه، فليس مروان من يتهم عليا أنه قاتل، بل الشعراء أيضا،
ويذكر منهم اسم الصحابي: كعب بن مالك، يلزمه الدليل؛ لتناقش، ولست معنيا
بتفنيد دعوى بلا دليل.

ثم بعد ذلك يأتي ببضعة شواهد، ليصل إلى النتيجة العامة، كعادته، وهكذا يفعل من لا يمتلك أدوات المنطق والعلم، حين يقفز من حادثة إلى حكم عام، وقد ناقشت ذلك أكثر من مرة.

وبالرغم من ذلك عدت إلى تاريخ الطبري، لقراءة مراثي الشعراء في عثمان بن عفان رضي الله عنه، ظلت أبحث عن إشارة منهم إلى "علي القاتل"، فلم أجد، رثوا عثمان وأدانوا قاتليه، فكل الناس يعلم أنه قُتل، وأن جريمة ارتكبت بحقه، لكن مروان لديه الحكم جاهزاً، فطالما أن الشعراء ذموا القتل، وهو يعتقد أن القاتل علي، فإذاً النتيجة التي يقفز إليها مروان: الشعراء أشاروا إلى علي القاتل، ضمناً أو علانية! كل ما في الأمر بيت لحسان يحتمل عدداً من التأويلات، لكنها تغلق عند مروان، هو يفتح التأويلات في القرآن الكريم وفي السنة، كما يريد، ويغلقها عند علي حين يريد!

ولا يكتفي مروان بهذا الخطأ، بل يقول أنه "لم يردها شاعر من الطالبين أو سواهم"، ولا أدري ما الذي يرده الشعراء؟ هل يردون على مروان الذي زعم أن علياً قاتل؟ واستنطق بذلك من استطاع، أو ماذا يردون؟

في حين أن تاريخ الطبري يورد شعراً للفضل بن العباس وهو يرد على الوليد بن عقبة، ولكن مروان قد وضع يديه عليه فغطاه.

وإن كان مروان يريد الإيحاء للقراء أنه لم يكن من بين الشعراء السياسيين من تبني مواقف علي والحسن والحسين، بغض النظر: حقا كانت أم باطلا، فهذا افتراء آخر؛ فلو قرأ مروان تاريخ الأدب في العصر الإسلامي لشوقي ضيف^(١)،

(١) ص ٣١٥ وما بعدها.

لرآه يذكر مجموعة من "شعراء الشيعة"، الذين وقفوا شعرهم في التشيع، وكلامي هذا لا يقتضي رضا بما فعلوا، بل يبين التضليل الذي يمارسه مروان على قرائه، ومن الشعراء الذين ذكرهم [وأورد لهم شواهد]، سواء ممن تحدثوا عن مقتل عثمان أو غيره من الأحداث والفتن، كمقتل الحسين: سليمان بن قتّة، وعوف بن عبد الله الأزدي، وعبيد الله بن الحر، وأبو الأسود الدؤلي، وعبد الله بن كثير السهمي، وحرب بن المنذر بن الجارود، ثم أفرد ترجمة لشاعرين شهيرين، هما: كثير عزة، والكميت بن زيد الأسدي.

ومروان بعد ذلك يظهر للقراء أنه لا يقف وحده، بل المجتمع لديه انطباع عام عن دور علي في قتل عثمان! هكذا نقرأ لمروان حين ينزع لباس العلم، لا يهم، إن كان ما يقوله له دليل أو لا، فالمجتمع العربي آنذاك الذي لم تجر فيه الدراسات المسحية، سيأتي مروان ليخبرنا عن انطباعاته العامة، دون الحاجة إلى شيء من ذلك، أنت في مركز مروان لاستطلاعات رأي الموتى!

مروان، لديه قدرة عالية على اختلاق الأخبار، لا يهمه كيف، إن لم يجد في البر، اتجه إلى البحر، فإن لم يجد فيه، فإنه سيطير إلى الجو، يقول [مقال: الإمام الفاضل عن الحاجة]: "لنعد إلى لحظتين في مدينة النبي، ولنأخذ صورتين جويتين لها"، هو مستعد أن يأتي بالأخبار برا أو بحرا أو جوا، ويقارن بين استقبال المدينة لوفاة خالد، ولمقتل علي، مرة أخرى، مروان لا يستطيع العيش دون مقارنات، هذه بضاعته، ولا ندري ما مصدر مروان حين يقول: "الصورة الثانية: مقتل علي، تتلقى المدينة النبأ بتوجس، لا نساء في الشوارع، لا نواح، ولا إحساس بالفقد"، كما قلت لكم، فهذا "مجرد حكي"، والعجيب أن مروان

يتمادى في استخدام تلك الصور التفضيلية، والطلعات الجوية، فحين يموت الحسن يقول مروان: "سيحدث شيء رهيب بعد زهاء عشرة أعوام، وستخرج المدينة على بكرة أبيها في جنازة الحسن بن علي"، يا للدهشة! كيف تسلل هذا الثناء من مروان؟ لا عجيب؛ فمقابل ذلك: الطعن في علي، الذي لم يأبه أحد لموته!

على أي حال، سنتظر الصور الجوية التي يلتقطها مروان لتلقي المدينة نبأ وفاة بقية الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

تناقضات منفلة

- ١ - خداع المنهج عند مروان، يحتج بأحاديث الآحاد هنا، ويرفضها هناك!
 - ٢ - خداع المنهج: يحتج بعلم الرجال، ثم يرميه وراء ظهره!
 - ٣ - يزعم أن عليا خرافة، ثم يكتب أدق التفاصيل عن ما يسميه "سيرته الحقيقية"!
 - ٤ - ازدواجية مروان: ينتقد ما يسميه "فضائل علي مرتبطة بغمط غيره"، ثم هو يشحن مقالاته بالمقارنات التفضيلية! [أمثلة على ذلك].
 - ٥ - بمنطقه يحتقر رسول الله ﷺ.
- سيكون هذا موضوعي الأخير في بيان القدرات العلمية المتواضعة التي يمتلكها مروان، والتي نفخها، واعتقد أن بإمكانه إعادة كتابة التاريخ بها.
- وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى، وَالطَّعْنَ فِي الْهَيْجَاءِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِي الْمِيدَانِ
- ذلك أنه كان من المهم الحديث أولاً عن المنهج العلمي عند مروان، مشتملاً على أمانته وكفاءته العلمية في القراءة التاريخية.
- * خداع المنهج.**

الرواية التاريخية الحديثية لا قيمة لها في كتابات مروان عادة، وحين يتحدث بإعجاب عن علم الرجال، يلزمه هذا الاطراد، والتعامل مع الروايات بالمنهج نفسه، ولكن الضرب بعرض الحائط بالبخاري ومسلم وبقية كتب السنة،

ثم حين يريد التناول على أحد الصحابة يستدعي علم الرجال، ويا ليتة وظف قواعد علم الرجال في نقد الروايات، يصف الله تعالى هذه النفسية الازدواجية بقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٨-٤٩].

أتضع عينيك على ما يعجبك، وتضع كفيك على ما لا يعجبك!
ثم أليست الروايات التي استشهدت بها أخبار آحاد؟! وعليه يلزمك أحد أمرين:

الأول: أن تقر بأن الروايات الآحاد حجة، وأن السنة النبوية حجة، ولا يجوز ردها بحجة أنها روايات آحاد، وأن تصارح قراءك بهذا الأمر، ومن ثم تلتزم بما في الروايات الآحاد، وفق مناهج الجرح والتعديل، إذا ثبتت صحة الرواية فهي ملزمة لك.

الثاني: أن تقول: لا حجة في الروايات الآحاد، ولا حجة في السنة النبوية، التي هي معظمها روايات وأخبار آحاد، وعندئذ فيما أن تطبق هذا على الروايات التي استشهدت بها للطعن في علي، وتصارح القراء أنها روايات آحاد، احتججت بها، بغض النظر عن صحتها أو ضعفها.

وإما تعترف بأنك تتناقض مع منهجك، تحتج بالأخبار الآحاد حين تريد، وترفضها حين تريد!

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَىٰ لَهَا وَإِذَا يُحَاسُّ الْحَيْسُ يُدْعَىٰ جُنْدَبُ

ثم إنك حين تشني على علم الرجال، وتحدث عن إسهامهم العظيم في الجرح والتعديل، وهذا حديث حسن منك.

فلماذا إذن تتجاوز هذا العلم، وتمضي في واديك، بعد أن رميته للسباع!
يكفي أن أشير إلى احتقارك لهذا العلم في معظم الروايات الضعيفة التي
استشهدت بها في مقالاتك، [راجع الموضوعات السابقة]
وماذا تقول في تجريحك للصحابة الذين احترم علماء الجرح والتعديل
توثيق الله لهم، واحترموا توثيق رسول الله لهم؟!

* علي خرافة!

حين يقول مروان [مقال: طريق الضجيج]: "كل خبر عن علي هو خبر عن
خرافة، ملأ الرجل حياتنا ضجيجا، ولكن سيرته الحقيقية فارغة".
ثلاث جمل فقط يهدم آخرها أولها، إذا كان كل خبر عنه خرافة، فمن أين
لمروان الوصول لسيرته الحقيقية؟ هل يتنزل عليه الوحي فيخبره عن الرجل بما
ليس في أخبار الخرافة؟ أم يتخيل شخصيته كما يريد ثم يجعل خيالاته حقيقة،
والأخبار خرافة؟

إذا لم يكن هذا هو التناقض فما التناقض إذن؟

إذا كانت أخباره كلها خرافة، فكيف كتبت مقالاتك المطولة عنه وحشوتها
بأخبار الخرافة؟ أم أن عينك مباركة، فما تقرأه عنه من أخبار تتحول من خرافة إلى
حقيقة، وتبقى بقية أخباره التي لم تحظ ببركة قراءتك خرافية!

مروان الذي تمكن من الحصول على "يوميات أبي الحسن"، وأدق تفاصيل
جسمه، وكيف يمشي وكيف يتوقف، من أين حصل على كل هذه الأخبار وهي
خرافة!

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِّي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفُّوا

الخطاب المتسق الصادق مع نفسه لا يتناقض، فحين يقول إن كل الأخبار خرافة عليه أن يتركها كلها، فبذلك يكون صادقا مع نفسه، ولكن حين تكون الأخبار التي لا تعجبه خرافة، والتي تعجبه سيرة حقيقية فنحن أمام "مروان الذي يمنح بركاته على أخبار التاريخ، دون الحاجة لعلم الرجال، أو نقد الروايات".

يقول مروان [مقال: الإمام الفاضل عن الحاجة]: "لنتحدث عن قصة زائفة في التاريخ العربي اسمها: علي كرم الله وجهه، ولأنها كذلك فقد استدعى الأمر إسنادها بكل ذلك التناج الضخم من الحكايا التي تفتقر إلى أبسط مفاهيم الرواية والدراية، أي لما هو علم في مقاييس ذلك الزمن"، اهـ.

إذن فمروان يقول أن كل التناج الضخم من الروايات (التي يسميها حكايا) زائف، يفتقر إلى مقومات الرواية والدراية، يفتقر إلى العلمية، فلماذا إذن تقيم أحكامك ونتائجك "الحقيقية، كما تصفها" في علي بن أبي طالب على هذه الحكايا الزائفة؟! كيف تقام نتائج حقيقية على حكايا زائفة؟!

وننتقل إلى سؤال آخر: إذا كانت الحكايا عن شخصية زائفة، فلماذا تحيي تلك الشخصية، وتجعلها شخصية حقيقية، ولكنك تشوهها وتمسخها، فكون الشخصية زائفة يعني أنها مجرد أسطورة، كأساطير اليونان، يمكننا أن نتقد الأسطورة نفسها، وتظل شخصياتها زائفة، كأسطورة علاء الدين والمصباح السحري، إذا أردنا نقد الأسطورة فلن نُخرج علاء الدين إلى الواقع؛ لأنه شخصية زائفة، ولا يستقيم القول: إن علاء الدين شخصية زائفة، والقول إنه شخصية حقيقية عبقرية، هل عرفت تناقضك الذي صنعت به يديك؟!، من ينتقد شخصية زائفة كمن

يقاتل جنيا متخيلا! هل يذكركم هذا بشيء؟ نعم بأساطير الذين قالوا إن عليا كان يقاتل الجن... إلخ، كمثل مروان حين يقول إنه يحطم صنمية شخصية زائفة!

ولعلك تدرك الفرق بين تحطيم "صنمية الشخصية" وتحطيم "الشخصية نفسها"، فمثلا، ابن تيمية حاول تحطيم صنمية شخصية علي، الصنمية الراضية، ولكنه احترم شخصية علي، وبرأه مما نسب إليه ظلما وزورا، أو برأه مما قالوا فيه غلوا، وبرأ الصحابة من افتراءات الروافض، الذين أرادوا بناء شخصية علي على أنقاض الصحابة، كما تفعل أنت؛ حين تهدم عليا "الحقيقي، وليس الصنم"، وتحاول الثناء على الصحابة على أنقاض علي، إذن أنت والروافض تقدحان من الكأس نفسه.

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

الله سبحانه وتعالى في كتابه، حطم "صنمية المسيح"، تلك الصنمية التي جعلت النصارى يزعمون أنه ابن الله! حطم الله تلك الصنمية، ولكنه أنصف عبده المسيح، وبرأه مما قالوه ظلما وزورا.

*** ازدواجية الأسلوب:**

مثال آخر على تناقض مروان، وازدواجيته، حين يقول إن ثمة تفضيلا لعلي مقابل غمط لغيره، (مقاله: طريق الضجيج: عن رجل يسطو على فضائل رفاقه)، يقول مروان: "إن فضائل علي لا تستقيم بذاتها ما لم تطرح أرضاً رفاقه وتجردهم من فروسياتهم وفضائلهم وشرفهم".

ثم هو في مقالاته يثني على بعض الصحابة، لا لكونهم صحابة، بل لكونه

يعتقد أن الثناء عليهم فيه غمط لعلّي، أو بمنطق مروان: (الثناء على أولئك الصحابة لا يستقيم ما لم يطرح عليا أرضاً!).

كثناؤه على خالد، يقول مروان: (يقود خالد زهاء مائة معركة، ويصنع علي لنفسه مجدا من صراعه مع بطل وهمي في ظلام ليلة الخندق!).

خالد بن الوليد يستحق كل ثناء ومكرمة، ونثني عليه لأنه أهل للثناء، وليس لأن الثناء عليه يقتضي التنقيص من علي، أفرايتم كيف يتحقق الإسقاط؟!

ولأن عقدة الخواجة مهيمنة، فحتى عندما أثنى على خالد قرنه بجنكيز خان، فلم تطب نفسه أن يترك قائدا عربيا ينفرد بفضل ما، دون أن يزاحمه بقائد أجنبي.

وبمناسبة ذكر خالد بن الوليد، القائد العظيم، هل تعلم أن عمر بن الخطاب عزله؟ فهل عزله عمر اتباعا للهوى، كما يصور ذلك المرضى والحاقدون، ويؤلفون القصص الخيالية النفسية، كما يفعل مروان، وهو يصور العداوة بين علي وخالد في صورة درامية! ليس علي الذي عزل خالد، بل عمر رضي الله عنهم أجمعين، ماذا سيقول المنصفون؟ يقولون إن عمر هو الخليفة، وللحاكم الحق في التصرف السياسي واستخدام صلاحياته ومسؤوليات بما يراه مناسبا للحفاظ على الدولة.

وبمناسبة ذكر خالد رضي الله عنه، هل قرأت الحديث الذي أخرجه الترمذي^(١)، وفيه أن النبي بعث جيشين، وأمر على أحدهما علي بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: "إذا كان القتال فعلي"، قال الحافظ المباركفوري في تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي^(٢): "(إذا كان القتال فعلي) أي فالأمير علي".

(١) الحديث رقم (١٧٩٩)، وفي تصحيحه خلاف، وقد حسنه الأرنؤوط.

(٢) ١٥٨/١٠.

وكذلك يمدح مروان بني أمية وقادتهم للانتقاص والسخرية من علي بن أبي طالب ورجال دولته، انظر إلى اللغة العلمية الرصينة! يقول مروان [مقال: علي والأشتر]: (وبينما كانوا - أي الأمويون - يدرسون تجربة الإمبراطورية الرومانية على مستوى البنية البيروقراطية للدولة، ويبتكرون أول قوة بحرية عربية في التاريخ، كان علي غارقاً في دورات من الهجاء مع امرأة من قريش اسمها عائشة، وكانت تغلبه عشر مرات، ويغلبها مرة، كرم الله وجهه)، اهـ.

يثني علي بن أمية؛ لا لكونهم عرباً أو مسلمين، بل لكونه يعتقد أن ثناءه عليهم انتقاص لعلي، ولا يعيبهم - عند مروان - في هذه الحالة كونهم أنشأوا دولة وراثية، يخلف الابن أباه، وهو ما انتقده علي حين ادعى أنه أسس الدولة الهاشمية!، والطريقة الساخرة عن علي لا يتورع مروان أن يبحث لها عن دليل، فإن لم يجده انتزعه من رجيعة!، ونسي مروان أن يقول لنا من ذكر من المؤرخين غرق علي في دورات الهجاء!

بُخْلٌ وَجَهْلٌ! وَحَسْبُ الْمَرْءِ وَاحِدَةً مِنْ تَيْنٍ حَتَّى يُعْفَى خَلْفَهُ الْأَثَرُ

فهذا المثال يظهر تناقض مروان، في كونه يستخدم الأسلوب الذي يعيبه على غيره، وأيضاً فالمثال مجرد حكي؛ حين يتهم علياً بتهمة دون مصدر.

كل ما يتصل بعلي لا بد أن يخضعه مروان لهذه المقارنة، أولاده مقارنة بأولاد الصحابة، المدينة التي سكن فيها هاشمية، مقارنة ببقية المدن، قادة معاوية رجال أشاوس، مقارنة بقيادة علي، فقهه، رواياته، إنفاقه، أدبه وآثاره، كلها يخضعها مروان لمقارنات تفضيلية، مع صحابة آخرين.

أو حتى من غير الصحابة، كعبد الله بن طاهر الذي كان، بحسب ما يقول مروان "رجلا حكيما ومثقفا سياسيا" وكتب العهد السياسي الذي هو - يضيف مروان: - "من أفضل ما كتبه العرب في مسائل الإدارة والدولة"، أما علي فيقول مروان ساخرا ومستهزئا من أتباعه الذين وصفوه أنه "السياسي الأكثر حكمة في التاريخ"، وعهده السياسي، بحسب مروان "ليس للنص أي إسناد، منقطع كلياً عن تاريخه".

وأيضا يمدح مروان الخارجين والمتمردين عليه، الذين أهمهم أمر الدولة في حين أن عليا لا يهتم بشيء من ذلك.

وما تكلّمت إلا قُلت منكرة! كأن فكّيك للأعراض مقراض
مهما نطقْتَ، فنبَلْ منك مُرسلةٌ وفُوكَ قَوْسُك، والأعراض أغراض
ويطول الأمر في تتبع هذا الأسلوب النفسي الذي يراه مروان في غيره، ويمارسه بنفسه، بل يكاد يطغى على مقالاته.

* القلم المُلجَم، حين يبرر لابن ملجم:

في مقاله (علي في المتاهة) يمنح مروان لابن ملجم المبررات في قتله علي، واستحقاق علي لذلك، وبطولة ابن ملجم بفعله ذاك، مروان يستدعي أحداث التاريخ، ويحكم بقتل علي؛ لأنه "مجرد شيطان، فاشل سياسيا"، ما الفرق بين مروان وبين الجماعات الإرهابية؟ كلهم يبرر القتل، وقتل من؟ قتل الحاكم أيضا، بغض النظر عن كون الحاكم!

يقول مروان [مقال: علي في المتاهة]: "وعندما رأى [أي ابن ملجم] ما آلت إليه حروب علي من فوضى وتفكك، وتيقن أن الرجل قد تاهت به المراكب

وتلقفته العصابات قرر قتله، ونجح فيما عزم عليه، ذلك أن الكوفة كانت قد حولته إلى قاتل".

فابن ملجم [وهو الفقيه اليميني، بوصف مروان] إذن لم يفعل سوى أن أقام حد القتل على علي، نسيت أن أسالك: هل أنت مؤمن بالحدود في الشريعة الإسلامية؟ وهل تقر بها؟ [وهذا ليس إقامة لحد شرعي، بل هو قتل جنائي، وعدوان على نفس محرمة].

حين يمدح مروان ابن ملجم على قتله للخليفة، إنما يقر العنف ويدعو إليه؟ إن التطرف الفكري يجعل المرء يزداد تطرفاً سلوكياً.

بهذا المنطق، مروان يدعم الإرهاب، ويبرره، فأبي "فقيه" لا يعجبه حاكمه، يذهب لقتله، وإذا نجح، سيأتي شخص مثل مروان يثني على نجاحه!

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "أشقى الناس عاقر الناقة، والذي يضربك يا علي"، والحديث في فضائل الصحابة بإسناد صححه علماء الحديث وفق قواعد علم الرجال^(١)، ثم يأتي من يثني على ابن ملجم ويمدحه، فيتفق مع الخوارج ويتسق!

ثم لماذا يتباكى د/ مروان على مقتل عثمان، وهو جريمة شنيعة، ويذهب لإظهار الشماتة في مقتل علي؟! أي ازدواجية نفسية تلتمسها وراء هذا الفعل والسلوك؟! والسلوك؟!!

(١) فضائل الصحابة، ٥٦٦/٢. وانظر تحقيقاً موسعاً للحديث في السلسلة الصحيحة للألباني (١٠٨٨).

ثم متى كان ابن ملجم فقيها؟! هل يمكنك أن تدلنا على أي استشهادات
أوردتها كتب الفقه لابن ملجم؟!

هذا الرجل الذي لم يعرف له ذكر إلا بمقتل علي عليه السلام، فأين هذا الفقه، هل
عندكم من كتب فتخرجوها لنا؟!

والخوارج اتسموا بالجهل وتكفير الصحابة والتشدد في الدين واستحلال
دم المخالف، هل هذا الفقه الذي يشني عليه مروان، إذن هذه هدية للجماعات
الخارجية أنهم على فقه عظيم، بشهادة الشيخ مروان الغفوري.

ويحك، ألم تصف الخوارج أنهم مرتزقة؟! يقول مروان: "كان عليّ هو
المؤسس العملي لجيش الخوارج، دربهم على القتال، وضرب بهم يمنا ويسرة،
ونعتهم بأفضل النعوت، وانتمى إليهم، وعندما صارت مملكته أصغر من تقسمهم
على فريقين، بني هاشم والمرزقة، تخلوا عنه" اهـ.

إلا أن ابن ملجم "المرتزق" يصبح فقيها حين يقتل عليا؟! أتقف على
الأرجوحة وأنت تكتب؟ لم لا تثبت قليلا، بدلا من هذا الاهتزاز!

ثم على أي أساس استند مروان في تبريره لابن ملجم؟ الكتب التي ينقل
عنها هي التي تقول أيضا أن ابن ملجم قدم اغتيال علي مهرا لامرأة خارجية، ويورد
الطبري^(١) - والذهبي في سير أعلام النبلاء^(٢)، وهما المرجعان اللذان يعود إليهما
مروان، - شعر ابن أبي مياس الخارجي، يمدح ابن ملجم:

(١) ١٤٤/٥.

(٢) سير الخلفاء الراشدين، ص ٢٨٥.

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهرَ أغلى من علي، وإن غلا ولا قتلَ إلا دون قتل ابن ملجم

وأنا لا أقول أن هذا سبب إقدامه على قتله، ولكن ما الذي يجعل عين مروان
المباركة ترى تلك الروايات ولا ترى هذه، وهي روايات متجاورات في صفحات
الكتاب الذي يأخذ عنه!

حين يقول مروان: "دخل عبدالرحمن بن ملجم مصر ضمن جيش عمرو بن
العاص، وعاش فيها فقيها ومعلما (الذهبي، سير أعلام النبلاء)".

نعود إلى سير أعلام النبلاء الذي يقول عن ابن ملجم^(١):

"عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل علي عليه السلام - خارجي مفتر، ذكره ابن
يونس في "تاريخ مصر" فقال: شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممن
قرأ القرآن، والفقه، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العباد، وقيل: إن عمر
كتب إلى عمرو بن العاص: أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم
الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره، وكانت إلى جانب دار عبد الرحمن بن
عديس البلوي، يعني أحد من أعان على قتل عثمان، ثم كان ابن ملجم من شيعة علي
بالكوفة سار إليه إلى الكوفة، وشهد معه صفين، قلت: ثم أدركه الكتاب، وفعل ما
فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمة، وكذلك تعظمه النصيرية، قال الفقيه أبو
محمد بن حزم: يقولون: إن ابن ملجم أفضل أهل الأرض، خلص روح اللاهوت
من ظلمة الجسد وكدره، فاعجبوا يا مسلمون لهذا الجنون".

(١) سير الخلفاء الراشدين، ص ٢٨٧ - وما بعدها.

ثم يقول الذهبي: "وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل".

لماذا هذا التضليل على الذهبي؟ لماذا تمارس الخداع والتدليس على القراء في إظهار الذهبي وكأنه يمدح ابن ملجم بأنه معلم وفقه! في حين أن الذهبي يذمه من أول نقل حتى آخره، وحين ذكر الرواية عن تعليمه الفقه أوردتها بصيغة "قيل" الدالة على تضعيفه لها، ولكنه مؤرخ ينقل، وكان ينبغي عليك الالتزام بالأمانة في النقل، وعدم التدليس على الذهبي، ولكننا نقول مع الذهبي: "فاعجبوا يا مسلمون لهذا الجنون".

*** إلزام برسول الله!**

حين يتحدث مروان عن محمد بن أبي بكر الصديق يقول: (ويا للعجب ويا للمربي! أن يتربى شاب في منزل علي ابن أبي طالب وعندما يبلغ الـ ٢٥ عاما نكتشف أنه رجل بلا فضيلة!)، [مقال: علي والأشتر، مناقشة].

وبالمنطق نفسه، يلزم مروان أن يقول: (يا للعجب ويا للمربي! أن يتربى علي بن أبي طالب في بيت رسول الله ﷺ من قبل بعثته حتى مماته، ثم نتفاجأ أنه رجل بلا فضيلة، مجرد مسخ شيطاني في صورة بشر، رجل شهواني خائن... إلخ!)، بمقولتك هذه إذن أنت تحققر تربية المربي رسول الله ﷺ وتطعن فيها، أليس كذلك!

[وستحدث عن افتراءات مروان على محمد بن أبي بكر الصديق، في موضوع قادم].

* تناقضات أخرى:

أمثلة التناقض في كتابات مروان أكثر من أن أتفرغ لإحصائها، وهذا دليل بين على خلو الخطاب المرواني من أدنى مقومات الاتساق، وتفسير عدم الاتساق يعود إلى كذب صاحب الخطاب، ونسيانه كذبه، واتباعه الهوى، ومن ناحية ثانية ينبئ عن الضعف العلمي والمنهجي، بل الضعف الخطابي، فالخطاب ليس أسلوباً منمقاً، بل هو مضمون متسق، ومنطق مترابط.

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ إذا كان صادقاً

وأكتفي بالإشارة إلى تناقضات أخرى، منها:

- مهاجمة علي (عليه السلام) لأنه قاتل الخارجين على الدولة، ثم تجد مروان يهاجم في خطابه من يصفهم بالخارجين على الدولة!

- تناقضه حين يدين علياً، الذي نال الخلافة بطريقة شرعية سلمية، في مقابل مدح من تمرد عليه، فهل مروان في خطابه السياسي يدعم الانقلابات؟

- تناقضه في استشهاده بالروايات الضعيفة، بل والمنقطعة، والروايات التي لا أساس لها، في حين ينتقد مرويتين يرى أنهما ضد نتائج.

- تكذيبه لنهج البلاغة، ثم استشهاده به على أن علياً كان يسب الخلفاء!

- تكذيبه لنهج البلاغة، ثم استشهاده به على أن علياً لم يكن معنياً بالفتوحات!

- ثناؤه على الإمام مسلم، ثم طعنه بأنه يروي أحاديث موضوعة!

مصادر التاريخ، خطوات علمية أم سطوات ليلية

تناولت مصادر مروان من منظور تحليل الخطاب، وليس من منظور قيمة تلك المصادر، وما الذي رجع إليه وما الذي أغفله، ولم أهتم بدراسة أسانيد الروايات، كما يفعل المحدثون، فالذي يعنيني هنا، هو: مدى اتساق مروان في خطابه، أو مدى تناقضه، في طريقة تعامله مع المصادر.

* إحصاءات المصادر في مقالات مروان:

المقالات التسعة، استشهد فيها بمصادر تاريخية نحو ٩٦ مرة، هذا شيء عظيم، وهذا ما نتوقعه حين يكتب مروان في قضية شديدة الحساسية، كهذه القضية، سيعود إلى المصادر التاريخية، وينقد الروايات التي يدعم بها نتائجه، ولكن يا للأسف! ف(٢٠) مرة مجهولة المصادر، ما يعادل ٢١٪ (يقول مثلاً: تخبرنا كتب التاريخ، تقول مصادر عديدة، ذكره لفيف هائل من المؤرخين، يقدره المؤرخون، طرحت علينا كتب المدرسة، وستحيل بعض المرويات، قيل... إلخ).

و(٦٢) مرة يأتي بالمصدر فحسب، مجرد إيراد للمصدر، وهذا كل ما في الأمر، وهذا ما يعادل نسبة ٦٥٪، كان المتقدمون كالطبري يوردون ما هب ودب، ولكنهم يذكرون الأسانيد، دون أن يصدرُوا أحكامهم، وبذكرهم الأسانيد ألقوا التبعة على من يروي عنهم في فحص الأسانيد، أما مروان، فلا يفعل ذلك، بل يورد المصادر وحسب، ويبنى عليها النتائج والأحكام، ويرسم الصور، ويقدم نفسه أنه حامل أنوار الحقيقة، فعلى سبيل المثال، يورد الروايات ويقول: (كما يروي الطبري، انظر: الشعبي والطبري، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، بحار الأنوار للمجلسي... إلخ).

تبقى ١٤ موطناً، بنسبة ١٥٪، هذه فقط إما أنه أتى بروايات من البخاري ومسلم، وإما ناقش الروايات التي يوردها، ونقدها، أو انتقد المصادر، وبالأخص فإن ذلك في مقالين من تسعة مقالات، والروايات التي انتقدها: قصة النوم على فراش النبي، وقصة مقتل عمرو بن عبد ود، وتكذيب نهج البلاغة كمصدر.

كل الروايات التي يوردها عن علي، اكتفى مروان بنقلها من مصادرها التاريخية، دون أي نقد لأسانيدها، دون النظر في صحتها أو ضعفها، دون النظر في اتساقها أو تناقضها، روايات هائلة حشاً بها مقالاته التسعة، نبحت عن أي نقد لها، وللأسف لا نجد نقداً، بل نقلاً، بعبارة أخرى: لم يكن مروان سوى ناقل، لا ناقد، ويا ليت أن الأمر يقف عند حد النقل، بل إنه يصدر الأحكام، ويتفنن في استخراج الألفاظ البذيئة، ومحاولة رسم صورة كاريكاتورية ساخرة لعلي بن أبي طالب.

مجرد نقولات تحول من خلالها أعراض الصحابة إلى مائدة دسمة تدعو إليها القراء! مجرد نقولات تستعرض فيها عضلات لسانك، وقلمك، وتفترى وتتقول وتمارس التضليل والخداع والتدليس والتزوير من خلال تلك النقولات! مجرد نقولات ينظر إليك المريدون إليك كما لو أنك استخرجت الحقيقة من البحار، التي قد تجد فيها ما لا تجد في الأنهار! من يستخف بالآخر!

هل هذا كل ما في الأمر؟ لا، بإحصاء الفقرات التي تحمل روايات وأخباراً، دون الإشارة إلى أي مصدر معلوم أو مجهول، بل مجرد إيراد للرواية أو الخبر، سواء بالنص أو بالمعنى، بلغت (٣٥) فقرة في المقالات التسعة، وإذا أضفنا إليها نحو ٢٠ موطناً بمصدر مجهول، فتقريباً تصل عدد الفقرات المجهولة نحو ٥٥ فقرة، من عدد الفقرات في المقالات التسعة، وعددها نحو (١٥٠ فقرة)، ومن ثم

تكون نسبة الفقرات خالية المصدر، أو مجهولة المصدر نحو (٣٧٪)، ما يزيد على الثلث، فإذا أضيفت إلى ذلك نسبة الفقرات التي لا تحتوي على روايات، بل تحتوي على آراء مروان، وشطحاته الخيالية، ولقطاته الجوية، وتصويراته المنفلتة من قيود الأخلاق، ونفترض في كل مقال فقرتين فحسب، وبهذا تصل نسبة ما لا يستحق الرد التاريخي نحو ٥٠٪ من المقالات.

إذن، ما الذي نقول: مروان الناقل؟ أم حتى النقل يتوارى، ونقف أمام مروان الإخباري!

ومروان فيما يكتبه من "معلومات" عن علي يلزمه ذكر المصدر، أما حين يكتب دون مصدر، فهو واقع في واحدة من سواتين:

الأولى: إما أن مروان يكتب هذه المعلومات، ويسرقها من مصادر كتبها، ولكنه لا يحيل إليهم، فهذه سرقة علمية.

والثانية: أو أن مروان، يؤلف هذه المعلومات من رأسه، وبينها بآلات خياله، فهذا اختلاق وافتراء.

وماذا بعد ذلك؟ يجد مروان بغيته أيضا في القصص التي لا مصدر لها، فمثلا، في مقاله "ربع قرن بلا معركة"، يقول: "تخرج قصة أخرى عن البطل المهيب، تذهب القصة إلى القول"، ثم يتناول تلك القصة - التي خرجت - بالنقد والتمحيص! يقول: "لم ترد قصة عمرو بن عبد ود سوى لدى هوامش المؤرخين"، ويستفيض في بيان تفاهة القصة وتناقضها، ومقتضى ذلك إذن التوصل إلى نتيجة أن القصة مختلقة، حسنا يقول أيضا أنه لا وجود لسجل محارب، وصفاته تجعله "أبعد من الفارس"، وهو "رجل بلا تاريخ عسكري"، ألا

يتناقض مع عنوان مقاله حين يقول "ربع قرن بلا معركة"، ربع قرن تبدأ من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، إذن فعلي يمتلك تاريخا عسكريا قبل تلك الفترة، فكيف تنفي ذلك في المقال، وثبته في العنوان!

ثم أهذه ممارسة عالم؟! أن تبني نتيجة كلية على نفي حادثة واحدة؟ تنفي حادثة مقتل عمرو بن عبد ود، لتتوصل إلى نتيجة أن عليا بلا بطولة، هل هذا هو المنهج العلمي؟! كون الحادثة أكذوبة لا يقتضي ألბتة الوصول إلى نتيجة عامة، تفيد أن عليا ليس فارسا؛ ف"نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم".

أنت هنا تمارس التضليل، ولكنه ليس تضليلا في النقل، بل تضليلا في الحكم والاستنتاج، حيث تضلل على القراء، وتوهمهم أنك تريد إثبات أن عليا ليس بفارس ولا بطل، ثم تأتي بحادثة تنفيها، وفجأة تتخلق النتيجة! وفجأة يصفق الأتباع! وفجأة يعلنون: الله أكبر، لقد انخدعنا بهذا الزور مئات السنين!

مروان لا يهمنه حين يحدد نتائجه سلفا من أين يأتي بالشواهد والأدلة، ينظر في كتب السنة، إن وجد فيها ونعمت، ما لم يذهب إلى كتب الشيعة، ففي البحر ما ليس في النهر على حد تعبيره، فإن لم يجد فمروان في البر أو في البحر، فهو يخرجها من واديه، أو يطير إلى السماء لالتقاطات جوية، أو يستلها من كتب المستشرقين، فمروان ليس بحاجة إلى مصادر لرواياته؛ هو ماكينة للأخبار، يستطيع أن يأتي بالأخبار، حتى وإن سكت المؤرخون عنها.

تخيل، ما يقوله مروان [مقال: علي وأوامه]: (سمح [أي علي] للمرتزقة بأن يقتلوا الخليفة ويعتدوا على زوجات النبي، وسمح للدجالين بأن يصرخوا في الناس، في معيته "صاح جبريل في السماء لا فتى إلا علي"، وبلغوا حد تأليه الرجل في حياته).

كل هذه الروايات الخطيرة يوردها د/ مروان بقلم بارد، دون حتى إيراد مصدر لها.

ولا أدري علام أرد؟! حين نرد على مؤرخ، نناقش مروياته ومصادرها، ولكن حين يبرز الروايات دون مصادر، فما الذي نناقشه، نحن لا نضيع أوقاتنا في مناقشة الترهات، أو مناقشة الدعاوى بغير بينة أو برهان، لا تخبرني أن ثمة مصدرًا لم تذكره، هات المصدر الذي يذكر أن عليا سمح بقتل عثمان، وسمح بالاعتداء على زوجات النبي، وسمح للدجالين أن يؤلهوه، وبذلك سأعرض كلية عن مناقشات نحو ثلث الروايات والأخبار التي يوردها مروان دون مصدر، ولو كان مجهولا، هو يتبع خياله فيصنع الأخبار، وخياله يتبع قلبه وهواه!

ولذلك، مثل هذه الفقرة لا أعتبرها تزويرا، فأنا أصف رواية ما بالتزوير حين تورّد مصدرا، ثم أجد أنك زورت، ولا أقول إن هذه افتراء منك، فالافتراء وصف لا يصح إطلاقه إلا حين تقول مثلا، قال البخاري، وهو لم يقل، هذا افتراء، أما حين تقول: "إن عليا فعل وفعل" دون إيراد مصدر، فهذا نسميه "مجرد حكي"، ومقالات تطفح بهذا "مجرد الحكي"، ولن أناقش شيئا منه، سوى بعض الإشارات العابرة.

روايات مروان لا ترقى لأن نصل من خلالها إلى نتائج وأحكام في حياتنا اليومية الاعتيادية، فضلا عن ركوبها للوصول إلى نتائج وأحكام كبرى وخطيرة، تمس تاريخنا الأول، تمس وجودنا بل وديننا، فتاريخ الصحابة، ولا سيما الخلفاء الراشدين، هو جزء من الدين، ولو لم يكن كذلك لما صار كل هذا الجدل بشأنه عبر التاريخ، ليس مادة للسخرية والهول والضحك.

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار!

وحين أقول إنه جزء من الدين؛ لأن الصحابة هم المصدر الأول والوثيق لنقل الدين، فإذا سقطت عدالتهم فقد سقط ما نقوله إلينا.

يقول مروان، معنونا لمقاله: "على طريقة أبي جعفر المنصور مع أبي مسلم الخرساني: من المحتمل أن عليا قد اغتال الأشر"، حُكْمٌ عظيم تبنيه، ثم تقول: "من المحتمل"؟!، حسنا ليكن ذلك احتمالا، يقول مروان في موطن آخر: "لقد عمل على تصفية نظام سلفه قبل أن تجف دماؤه، وكما سيفعل مع كل قتلاه (سنأتي على اغتيال الأشر فيما بعد) فإن عليا سيبكي عثمان وسيبشر قاتليه بالنار".

تحول الاحتمال إلى جزم وحقيقة، فعلي إذن يقتل ويغتال ثم يبكي علي قتلاه، هكذا إذن يتعامل مروان بعث مع القضايا التاريخية، وهكذا يشتري التناقض، إذا كان ذلك سيرفع النتائج إلى ٥٠٪ على الأقل، ولكنه هنا رفع نتيجة الاحتمال (من ٥٠٪) إلى الجزم والقطع (١٠٠٪)، دون الحاجة إلى مصدر.

* الروايات المنسوبة المصدر:

حسنا إذن، ذكرنا أن ٥٠٪ من مضمون المقالات ليس فيه مجال للنقاش والرد التاريخي؛ فهو مجرد أخبار بلا مصدر أو مجهولة المصدر أو آراء وتخربات، فلننظر في الـ ٥٠٪ المتبقية من الروايات التي عند مروان، ما الذي نجد فيها؟

الروايات المنسوبة المصدر، وبينت أنها بلغت نحو ٦٥٪ من إجمالي ما ذكر أن له مصدرا، معلوما أو مجهولا، لا مناقشة من مروان لأسانيدها، ولا يبين لم

اختارها على ما سواها، هل هذه صحيحة وتلك باطلة؟ أم هذه حقيقة وتلك خرافة؟ أم هو الهوى، الذي يجعله يختار ما شاء من روايات الطبري ويترك ما شاء؟!

المصادر المنسوبة التي رجع إليها، عامتها مصادر تاريخية، كالطبري والواقدي وابن الأثير واليعقوبي، ومنها مصادر شيعية، كبهار الأنوار للمجلسي، والكافي للكليني، ونهج البلاغة، ومن المصادر: الكتاب المنسوب إلى ابن قتيبة "الإمامة والسياسة"، ومنها كتب التراجم، كالطبقات الكبرى، وسير أعلام النبلاء، وكتب الحديث منها: المستدرک للحاكم، ومسند الحارث، ومسند أحمد، [لم أذكر البخاري ومسلم، باعتبارهما من المصادر المحققة]، وأخيرا بعض المراجع المتأخرة، كابن تيمية.

لمروان الرجوع إلى ما شاء من مصادر، ولكن إذا انتقى واختار وأصدر الأحكام وفقا لاختياراته، فعليه أن يبين لماذا؟ لكنه لم يبين شيئا، كل ما في الأمر أنها تخدم نتائجه.

هنا يأتي دور المؤرخين في نقد هذه الروايات، وبيان زيفها أو صحتها!، ويكفي أن أحيل القارئ إلى كتابين فعلا ذلك: (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، لمحمد أمحزون)، والكتاب الآخر: (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة - دراسة نقدية، ليحيى بن إبراهيم اليحيى)، وقد بين اليحيى أن لأبي مخنف في الطبري ١٢٦ رواية تتعلق بخلافة علي عليه السلام فقط، بخلاف بقية الروايات، التي بلغت في الطبري (٥٨٥) رواية، شملت الفترة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى نهاية العصر الأموي،

وللأسف، كما يقول اليحيى، أن "المؤرخين اعتمدوا على روايات الأخباريين - على ما فيها من الغرائب - مع وجود بديل من الروايات الصحيحة في كتب الحديث"^(١).

وأبو مخنف أجمع النقاد على تركه وضعفه^(٢)، قال عنه أبو حاتم في الجرح والتعديل "متروك الحديث"، وقال ابن معين في تاريخه "ليس بشيء"، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: "إخباري تالف لا يوثق به"... إلخ، ويقول اليحيى في كتابه: (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة - دراسة نقدية) بعد دراسة تلك الروايات: (جميع أسانيد أبي مخنف ضعيفة، ولا تقتصر علتها على كونه ضعيفا، إذ لا يخلو سند منها من إرسال، أو انقطاع، أو عضل، أو تدليس، أو ضعف في الرواة ممن فوقه)^(٣).

ولم يعتمد على روايات أبي مخنف سوى الشيعة، بلى، ثمة آخر اعتمد عليها، واشترك مع الشيعة في المنطلق، خمنوا من يكون!

على سبيل المثال، مشاركة محمد بن أبي بكر في دم عثمان، يعرضها مروان كمسلمة تاريخية، في حين أن رواياتها متعارضة، والروايات التي تبرؤه أقوى من الروايات التي تتهمه، وقد ذكرت في موضوع سابق مقولة ابن كثير في تبرئته، وإخفاء مروان لتلك المقولة.

أيضا أن محمدا أُدْخِلَ في جوف حمار وأحرق، رواية تستهوي مروان بلا

(١) ص ٤٨٨.

(٢) راجع هذه النقولات موثقة في كتاب مرويات أبي مخنف، اليحيى، ص ٤٣.

(٣) ص ٤٨٨.

شك؛ للعنف الذي يحمله داخله، وبالرجوع إلى الروايات تجد التعارض في طريقة مقتله، (راجع بعضها في مرويات أبي مخنف لليحيى)^(١)، وهناك نحو تسع روايات متضاربة في مقتله، سواء في الطريقة أو القاتل.

يقول اليحيى^(٢): جميع روايات صفين عند الطبري، التي تلقاها عنه المؤرخون والكتاب المعاصرون، كلها عن طريق أبي مخنف، سوى سبع روايات جاءت من طرق أخرى، وهي بمجموعها لا تعادل رواية مطولة من روايات أبي مخنف.

يقول اليحيى أيضا^(٣): قضية التحكيم بين علي ومعاوية بعد جمع طرقها ودراسة أسانيدها ومتونها ثبت بطلانها من وجوه كثيرة... إلخ.

وأنصح الذين قرأوا لمروان أن يقرأوا كتابي اليحيى وأمحزون؛ لينظروا تحقيق الروايات ومناقشتها، وليس مجرد نقل ما تهواه النفوس.

ويقول محمد أمحزون في كتاب "تحقيق مواقف الصحابة"^(٤): "الإمام الطبري اعتمد على أربعة مصادر رئيسية أثناء كتابته عن الفتنة، هي كتب أو مرويات: سيف بن عمر التميمي، ومحمد بن عمر الواقدي، وعمر بن شبة النميري، وأبو مخنف لوط بن يحيى، فأخبار الفتنة في عهد عثمان اعتمد فيها على مرويات سيف وكملها بروايات الواقدي، وأحداث الجمل اعتمد فيها على

(١) ص ٢٢٤ - وما بعدها.

(٢) ص ٤٨٨.

(٣) ص ٤٨٩.

(٤) ص ١٧٢ - وما بعدها.

روايات عمر بن شبة وأكملها بروايات سيف، وموقعة صفين وما وراءها اعتمد فيها على أبي مخنف.

أما سيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ)، فقال عنه أبو حاتم: "متروك يشبه حديثه حديث الواقدي"، وقال ابن معين "ضعيف"، وقال عنه ابن حبان في "المتروكون": "يروي الموضوعات عن الأثبات"... إلخ، وهناك آخرون دافعوا عنه كابن حجر، فقال: "ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ"، وغاية ما يدل عليه أنه مرجع تاريخي، لكن مروياته ضعيفة، ولذلك حين يتعلق الأمر بالفتن، فلا يمكن الاعتماد على مثل هذا المصدر.

وأما الواقدي (٢٠٧ هـ)، فقال فيه أحمد بن حنبل: "كذاب"، وقال ابن معين "لا يكتب حديثه"، وقال البخاري وأبو حاتم والنسائي: "متروك"، وقال ابن عدي: "أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه"... إلخ.

أما عمر بن شبة، فقد وثقه العلماء، إلا أن مروياته ورجاله ليست بدرجة واحدة في الثقة، فمنها المقبول ومنها المردود.

وأخيرا أبو مخنف لوط بن يحيى، الذي سبق حديثنا عنه.

*** مصادر مروان القديمة والحديثة:**

أ/ رسالة العثمانية للجاحظ

يعتقد بعضهم أن مروان هو الذي بقر بطون الكتب، وكشف عن "حقيقة" علي بن أبي طالب "التي يدعي أنها مظلمة"، مروان لم يأت بجديد، بل ردد أفكارا بالية لها أكثر من ١٢٠٠ عام، أكل الدهر عليها وشرب، ومن أراد أن يعرف هذه

الحقيقة، فليقرأ "الرسالة العثمانية" للجاحظ^(١).

وها أنا أورد بعضاً من تلكم الأفكار في "الرسالة العثمانية"، من الأفكار التي ترددت عند مروان، بل ألفاظ وعبارات يستلها منها:

- التقليل من إسلام علي مقارنة بإسلام أبي بكر (ص ٢٥)،
- كان علي يعيش في فراغ وادع البال، غير طالب ولا مطلوب (ص ٣٠)،
- لم يكن لعلي مال ينفقه، وكان يُعال ولا يعول، وكان كثير النساء مشغولا بهن، وزهده بالضرورة لفقره، (ص ٩٨)
- لم نسمع لعلي مواقف بطولة وفروسية في الدفاع عن النبي في مكة، بل مواقفه قد تدل على جبنه، (ص ٣٨)
- التهوين من نوم علي على فراش النبي، والتهوين من قتل مرحب وعمر بن عبد ود، بل لم نسمع لعمر وبن عبد ود ذكراً، في حين أن قتلى الصحابة الآخرين أعظم شأنًا وخطراً (ص ٣٣، ٥٨، ٥٩)
- علي هو ورجل من عرض المسلمين سواء (ص ٨٧) [بعبارة مروان: هامشي]

- التقليل من فقه علي وتجربته، ليس لعلي فضل يذكر، علي لا يذكر بين علماء الصحابة: لا في حفظة القرآن، ولا التفسير، ولا الفقه، ولا الحديث، ولا الفرائض، ولا التأويل، (ص ٩٠، ٩٢، ٩٣، ١٢١).

(١) منشورة ضمن الرسائل السياسية للجاحظ، ص ١٢٧-٣٢٨. وطبعت في رسالة مستقلة بتحقيق عبد السلام هارون.

- علي لم يكن له شأن في التدبير والسياسة، ولم يكن ذا دهاء وحيلة،
(ص ٩٤-٩٥)

- لا علم له بالحروب، وليس من أهل الفتوح، (ص ٤٥، ٩٤، ٩٦)

- وخلافته مطعون فيها، ولم يحظ بإجماع الناس، وقد خالفه غيره وخرجوا
عليه، ولم تظهر الفتن إلا في عهده، ولم تغلق الفتوح إلا في زمانه، وأهليته
للولاية مطعون فيها (ص ١٧٣ - وما بعدها)

- أصحابه اختلفوا عليه، وتفرقوا عنه، وضعف أمره، وانتقضت عليه
أقطاره، وخصمه انتزعها منه، ثم انتزعها من ولده بالبش وبالحيلة، (ص ١٩٥)

- الزبير كان يزدي عليا، ويفتخر عليه (ص ٢٢٤)

- الطعن فيه بالنظر إلى خصومه، منهم الزبير وطلحة، والنعمان بن بشير،
ومسلمة بن مخلد، ومعاوية بن حديج، (ص ١٧٤ -)

- الخوارج إنما خرجوا من جيشه وأتباعه، وتعظيم الخوارج بالإشارة إلى
نسكهم وجدهم؛ مما جعلهم يخلعون إمامته (ص ١٧٤).

- لم يشهد الجمل من الصحابة سوى أربعة (ص ١٧٦).

لكأن مروان نسخها وأعاد صياغتها، ومن يقرأها يجد التشابه الكبير مع
افكار الدكتور مروان، وقد ردنا على هذه الهراءات من قبل، وبعضها نرد عليه في
الموضوعات القادمة.

وبالمناسبة، لمن لم يفهم الجاحظ، فقد ألف "رسالة العثمانية"، وألف:

"الرد على العثمانية"، وقد ذكرها ابن النديم في الفهرست^(١)، وهذا التناقض أشار إليه أحد معاصري الجاحظ، وهو ابن قتيبة، فقال في كتابه "تأويل مختلف الحديث"^(٢): "ويبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء ونقيضه، وتجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة، ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة، ومرة يفضل عليا عليه السلام، ومرة يؤخره".

بل إن الجاحظ يؤكد في كتابه الحيوان^(٣)، أنه ينقل في رسائله عن كل شيعة حججها، دون أن يلزمه ذلك، فيقول: "وعبّني بحكاية قول العثمانيّة والضّراريّة، وأنت تسمعي أقول في أوّل كتابي: وقالت العثمانية والضّراريّة، كما سمعني أقول: قالت الرافضة والزيدية، فحكمت عليّ بالنصب لحكايتي قول العثمانية، فهلّا حكمت عليّ بالتشيع لحكايتي قول الرافضة!"، ولذلك ألف: العثمانية، والرد على العثمانية، وإمامة معاوية، وتصويب علي في تحكيم الحكمين، وفضل هاشم على عبد شمس... إلخ، وقرأ ما كتبه عن علي في رسالته: "الأوطان والبلدان".

ب/ حجج النواصب في منهج السنة

وهذه الأفكار "العثمانية" وأكثر منها مذكورة أيضا في منهج السنة لابن تيمية، ينقلها ابن تيمية^(٤) باعتبار أنها من "حجج النواصب" التي يواجه بها "حجج الروافض"، ومن تلك الأفكار التي ينقلها الدكتور مروان، ويعيد صياغتها وسردها:

(١) ٥٨٥/٥.

(٢) ص ١١١.

(٣) ١٣/١.

(٤) انظر الملحق رقم ٢: المنهج الحجاجي لابن تيمية في منهج السنة.

- كان علي ظالما طالبا للدنيا، وإنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف، وقتل على ذلك ألوفا من المسلمين حتى عجز عن انفراده بالأمر، وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه (٥٩ / ٢).

- كان علي ظالما طالبا للمال والرياسة، قاتل على الولاية حتى قتل المسلمين بعضهم بعضا، ولم يقاتل كافرا، ولم يحصل للمسلمين في مدة ولايته إلا شر وفتنة في دينهم ودنياهم (٦٠ / ٢).

- ما يمكننا أن نباع إلا من يعدل علينا ويمنعنا ممن يظلمنا ويأخذ حقنا ممن ظلمنا، فإذا لم يفعل هذا كان عاجزا أو ظالما وليس علينا أن نباع عاجزا أو ظالما (٦١ / ٢).

- علي بدأهم [أي أهل الشام] بالقتال، وصال عليهم، وسفك دماء الأمة بغير فائدة لهم لا في دينهم ولا في دنياهم، وكان السيف في خلافته مسلولا على أهل الملة، مكفوفا عن الكفار (٣٨٩ / ٤).

- كان علي يحسد ابن عمه (رسول الله ﷺ)، وأنه كان يريد فساد دينه فلم يتمكن من ذلك في حياته وحياة الخلفاء الثلاثة ؛ حتى سعى في قتل الخليفة الثالث وأوقد الفتنة حتى تمكن من قتل أصحاب محمد وأمته بغضا له وعداوة، وأنه كان مباطنا للمنافقين الذين ادعوا فيه الإلهية والنبوة، وكان يظهر خلاف ما يبطن ؛ لأن دينه التقية، فلما أحرقهم بالنار أظهر إنكار ذلك، وإلا فكان في الباطن معهم، ولهذا كانت الباطنية من أتباعه وعندهم سره، وهم ينقلون عنه الباطن الذين يتحلونه (٦٣ / ٢).

- علي قد استحل دماء المسلمين: وقتلهم بغير أمر الله ورسوله على رياسته، فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو في الأرض والفساد، وهذا حال فرعون، (٤/ ٤٩٩).

- بأي وجه يلقي رسول الله ﷺ من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بها بغيرها، وسقطت من هودجها، وأعداؤها حولها يطوفون بها كالمسيبة التي أحاط بها من يقصد سبائها؟ ومعلوم أن هذا في مظنة الإهانة لأهل الرجل وهتكها وسبائها وتسليط الأجانب على قهرها وإذلالها وسببها وامتهانها - أعظم من إخراجها [من منزلها] بمنزلة الملكة العظيمة المبجلة التي لا يأتي إليها أحد إلا بإذنها، ولا يهتك أحد سترها، ولا ينظر في خدرها (٤/ ٣٥٤).

ج/ أفكار المستشرقين:

إن تصوير الصحابة أنهم طلاب سلطة، فرية قديمة متجددة، ليست من بنات أفكار مروان، بل من أفكار المستشرقين، ومن تبعهم من كتبة ونسبة، يرددون ما يقوله المستشرقون كاللبغاوات، ثم يزعمون أنهم المجددون، المتنورون المنورون، الذين أتوا لتحطيم الأصنام، وتوعية العوام، وإنارة العقول!

ولولا ضيق المقام لنقلت كثيرا من النصوص، وكيفيك الرجوع إلى كتاب (موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم)، للدكتور سعد الماجد، لترى حجم التريد لترهات المستشرقين على ألسنة المستغربين!

على سبيل المثال:

- فلهوزن يتهم عليا بقتل عثمان، بل ويتهم كبار الصحابة بأن لهم دورا في

اندلاع الثورة ضد عثمان، وأن أهل المدينة تخلوا عن دورهم في حماية الخليفة^(١).

- كلود كاهن، يتهم عليا بالتحالف مع قتلة عثمان، كما يتهم صحابة آخرين، كعائشة وعمر بن العاص، وأن تحالفهم أدى إلى مقتل عثمان^(٢)، ود/ مروان جعل هذه التهمة عنوانا لمقاله (علي والأشتر، التحالف مع الشيطان)، واستبعد من سوى علي، وقصرها على علي.

- فلهوزن يرى أن عليا لم يحظ بتأييد قوي من الناس، لا سيما أهل المدينة، ولذلك خرج عليه الزبير وطلحة خروج المنافسين، واتهماه بقتل عثمان، وأنه استفاد من مقتل عثمان^(٣)، وهذا الكلام رده د مروان، الذي اتهم عليا أنه المستفيد من مقتل عثمان، وأنه كان منتظرا لذلك، وأن مقتل عثمان سرع بوصوله إلى السلطة... إلخ.

- فلهوزن يقول أن "المصريين كانوا يعملون من أجل علي، لا من أجل غيره، وكانت كلمتهم هي الفاصلة في البيعة"^(٤)، وهذا الكلام هو الذي رده د/ مروان، ولكن أحل أهل الكوفة محل أهل مصر؛ حتى تذهب مصر العريقة لمعاوية، ومن ثم يتفنن في السخرية من الكوفة ومن أهل الكوفة.

- ومثل هذا الرأي قال به كلود كاهن، أن مبايعة علي فرضها الحزب الغالب

(١) تاريخ الدولة العربية، ٤٨.

(٢) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ٣٢.

(٣) تاريخ الدولة العربية، ٥١.

(٤) تاريخ الدولة العربية، ٥١.

وقتئذ (ويقصد قتلة عثمان)، وأنه كافاً من أسهموا في اغتيال عثمان، فبدا وكأنه شريكهم، ولأن علياً فرضه حزب واحد، فقد تسبب في الفتنة؛ حيث رفضته العرب، وناوأه كبار الصحابة، وواجه العرب بذلك الحزب^(١)، وهذه الفكرة ذاتها التي يزعمها مروان أن تنصيب علي إنما جاء بسيوف قتلة عثمان، الذين أصبحوا القوة الضاربة في الجيش، وحملوا علياً على قتال من لم يبايعه.

- ويصور فلهوزن^(٢) الخلاف بين علي والزبير وعائشة على أنه خلاف سلطة ومنافسة وأحقاد قديمة، ويطعن فيهم بذلك، والدكتور مروان استفرد بعلي فحسب، الذي جعله ساعياً للسلطة، باحثاً عنها، ولو على جماجم أصحابه، وفضائلهم، أما الآخرون - بحسب مروان - فهم رجال دولة، يسعون من أجل بناء الدولة، وإصلاح الفساد الذي عمله علي! وهكذا تجد د/ مروان يجمع كل سؤات أهل الأرض، ليلصقها بعلي وحده، حتى يحظى وحده بقاموس البذاءة المرواني.

- فلهوزن يقول أنه بانتهاء الخلافة من المدينة، فقد تم القضاء على قداسة الخلافة، وذهب مجدها، ولم تعد سوى دار للتراث، ثم بعد ذلك مدينة للهو^(٣)، وازن هذا مع ما كتبه مروان عن انتهاك علي لقداسة المدينة حين نقل العاصمة إلى الكوفة، مغامراً بالذهاب لتلك المدينة التي بلا تاريخ.

- فلهوزن^(٤): في مقابل معاوية الذي كان يطيعه جنده، فإن علياً كانت

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ٣٣.

(٢) تاريخ الدولة العربية، ٥٢-وما بعدها.

(٣) تاريخ الدولة العربية، ٥٣.

(٤) تاريخ الدولة العربية، ٥٧.

الثورة هي مصدر خلافته، وأهل العراق هم الذين رفعوه إلى منصبه، ولم يكونوا أهل طاعة ونظام، فلما قتل علي، رأى الحسن أنه أضعف مما يقتضيه الموقف، لذلك استسلم، وباع حقه في الخلافة لمعاوية.

- أما دوزي فيصور عليا على أنه انتظر الخلافة بفارغ الصبر، وما أن وليها حتى انقض ينتقم من أمراء عثمان! وأصبح أتباع علي "يسحقون أشراف القبائل"^(١)، ويرى دوزي أيضا أن عليا "استلم مقاليد السلطة من الأنصار"، وتتردد هذه الأفكار عند د/ مروان، ولكن بدلا من الأنصار أصبحوا قطاع الطرق هم الذين سلموا السلطة لعلي، الذي كافأهم على تسريع انتقال السلطة إليه، وبدأ بالانقضاء على أمراء عثمان، وأيضا يبحث د/ مروان عن قصة تساعد على إثبات أن عليا كان يستهين بالعرب، وبأشراف العرب، فيجد ضالته في قصة "الهو هو هو"، التي زورها على ابن كثير، وقد تحدثنا عنها، فالقصة عند مروان تجسيد لمقولة دوزي "يسحقون أشراف القبائل".

- المستشرق سيديو، يختزل فضائل علي في قرابته وكونه زوجا لفاطمة، وبناء على هذا يذهب للبحث عن عظمتة^(٢)! أليست هذه الفكرة التي تتردد لدى مروان: أن كل ما لدى علي من الفضيلة إنما كان بزوجه فاطمة؟! وأن كل همه بعد ذلك البحث عن حقوقها، والتعيش عليها، وكسب تعاطف الناس من خلالها؟!

- ويقول سيديو أن عليا بمجده الشخصي العظيم، أراد من الجميع أن ينحنوا أمام هذا المجد، فلما رفض طلحة والزبير قاتلهم! هذه الفكرة ترددت لدى

(١) نقلا عن موقف المستشرقين من الصحابة، ص ٤٣٠.

(٢) تاريخ العرب العام، ١٢٧ - ١٢٨.

مروان بأكثر من وجه، منها دعواه أن عليا دعا الناس إلى تأليهه، وأنه جند الإعلاميين المرتزقة لنشر فضائله وفرض احترامه على الناس، ومنها أن طموح علي للسلطة هو الذي جعله يرتمي في أحضان المرتزقة، ويواجه كبار الصحابة

- ويقول سيديو (جمع علي في شخصه حقوق الورثة وحقوق الانتخاب)، ويقصد أن عليا بقرابته من النبي استحق وراثته، واستحق السلطة! وهي الفكرة التي يدعيها مروان على لسان علي، حيث يزعم أن عليا ادعى حقه في الإمامة بناء على تلك القرابة من النبي!

- وبودلي، في كتابه "حياة محمد"، يصور عليا صاحب سلطة، متبعاً لهواه، وأنه دخل في تنافس على السلطة مع الزبير وطلحة ومعاوية، (بلغة مروان: جئنا إلى السلطة)، ويقول بودلي أن عليا انقض على السلطة في حين كان كبار الصحابة مشغولين بمقتل عثمان^(١)، لا فرق بين هذه المقولة ومقولة مروان أن كبار الصحابة "يرون أنه من العار أن يعلن نفسه رئيساً بينما كبار القوم، من الفقهاء وعتالة الصحاب وزوجات النبي، يتدارسون مسألة قتل إمبراطور الدولة ويحاولون التوصل إلى صيغة سياسية تملأ الفراغ الناشئ".

- ويقول بودلي أيضاً أنه سيكون من السهل على المقربين من علي أن يحركوه، كما كان الحال مع عثمان، ومن ثم يستولون على المناصب الهامة، ولذلك لأن عليا لم يكن رجل حكم وسياسة، بل رجل حرب، فقد كان حاكماً فاشلاً^(٢)، وهذه تكاد تكون أفكار مروان بألفاظها.

(١) الرسول حياة محمد، ٣٤٦.

(٢) الرسول حياة محمد، ٣٤٧.

والعجيب أن منهج المستشرقين والمستغربين واحد، يفتحون أعينهم على الروايات التي يريدونها، ويضعون أيديهم لتغطية الروايات التي لا يريدونها، بالرغم من أنها روايات في الكتاب نفسه؛ فتاريخ الطبري مثلا، يعج بكل الروايات.

ومع طعن المستشرقين في الصحابة، فإن لغتهم تظل أنظف من لغة المستغربين المنسلخين من عروبتهم، فهم يحاولون الحفاظ على اللغة العلمية في الكتابة، ويتعدون عن لغة الإثارة والبحث عن الإعجابات، والصور السخيفة؛ حتى لا ترفض مقولاتهم، أما المستغربون فلا فرق بينهم وبين أولئك الذين يُدْمون أنفسهم يوم عاشوراء، ونراهم وقد علتهم الدماء، كذلك الكتبة المنسلخون من عروبتهم يقومون بذبح العروبة على أقلامهم، وذبح الإسلام، وبعث رجاله العظماء لذبحهم، وتلطّيح صفحتهم بدمائهم الطاهرة النقية!

ويظل مروان متفوقا على مصادره القديمة والحديثة في مبالغاته الفائضة، كالقول بـ "ربع مليون قتيل"، فلم يجرؤ أحد من قبله على الوصول إلى هذه الدعاوى، والاستنتاجات، ويتفوق أيضا في صوره وألفاظه التي يستخدمها كسكين الجزار حين يسلخ الذبيحة، ويتفوق أيضا في "النفي الجذري"؛ فمروان لا يعرف الوسط، يتغلغل في نفيه حتى الجذر، يعيش مروان ثنائية حادة في رسم الشخصية، يجرد الشخصية التي يدرسها من كل فضيلة، يجردها من كل قيمة، يجردها من كل خير، يجردها من كل إنسانية، يتركها جاهزة للضحك والسخرية.

وما ذكرته في هذا الباب من مصادر مروان القديمة والحديثة، أكشف به حقيقة ما ينقله الدكتور مروان عن تلك المصادر، والزعم أنه يقدم للناس جديدا، بل أكشف لهم ما سيكتبه الدكتور مروان أيضا في مقالاته الجديدة، فسيظل يدور حول هذه الأفكار.

يقول عبد الستار الشيخ^(١): "ومعضلة المعضلات، وكبرى الطامات أن ذاك الموروث الضخم بما فيه، أمسى ملكا عاما شائعا، تناقله المؤرخون والكتاب طبقا عن طبق حتى وصل إلينا، فخاضت في لججه أقلام من مشارب شتى من الكتاب والباحثين المعاصرين، حتى شارك فيه المستشرقون والمستغربون والشعوبيون والعلمانيون، وأضافوا إلى تلك التركة العملاقة منظومة جديدة زعموا لها البحث النزيه، والنقد والتمحيص، وعرض السيرة بأسلوب عصري من التبويب والترتيب. ولكن الواقع عند المحاققة أن كثيرا من المعاصرين زادوا الطين بلة، وأضافوا لما اقترفه السابقون جراحات، وجنایات وخطايا وأكاذيب وافتراءات، قدموها للنشء على أنها تاريخ أسلافهم في أزهى العصور أيام الراشدين، [وذكر أمثلة من كتبهم]" اهـ.

(١) علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين، ص ١٧.



الجزء الثالث

الرد على دعاوى الشخصية

بحق علي بن أبي طالب



هل كان علي جباناً؟ أم فارساً شجاعاً؟

١ - الشجاعة ليست بالقتال فقط.

٢ - علي في غزوة بدر قتل نحو ١١٪ من قتلى المشركين، وفي أحد قتل نحو ١٨٪.

٣ - علي شارك بالقيادة الكاملة أو الجزئية في نحو ١٥٪ من غزوات النبي وسراياه.

٤ - علي كان يقوم بالمهام الأمنية والعسكرية السرية للنبي، والمهام الإصلاحية نيابة عنه.

٥ - علي أبقاه أبو بكر في حروب الردة، مع كبار الصحابة، للمشورة، وكان يقوم بحراسة المدينة وتأمينها.

٦ - علي ولاء عمر القضاء في أول خلافته، وأمره بالتفرغ للقضاء وترك الحروب.

٧ - تعقيب في دعوى أن علياً أعمش العينين، فلم يكن يقدر على القتال. يرمى د/ مروان علياً بالجبن والضعف، ويبحث عن الصور الساخرة لتجسيد هذه التهمة، ويدعي أن بطولته إنما هي اختراع صنعه علي بنفسه.

لنقرأ ما تقوله كتب التاريخ، لنرى إن كان علي بطلاً، أم أن البطولة صنعها علي لنفسه؟

* الشجاعة ليست بالقتال فقط:

وقبل ذلك: هل تتوقف شجاعة الإنسان على خوض المعارك وعدد القتلى؟ من يدعي ذلك يقصر الشجعان على أهل الحرب، ولا يسي البدلات العسكرية، وهذا تفكير خاطئ، ولو كان الأمر كذلك فأول الجبناء هو الدكتور مروان، الذي لم يخض معركة طوال حياته، فضلاً أن يكون قتل أحداً في سبيل الله، أو في سبيل الوطن!

الشجاعة ليست بالحرب، بل الشجاعة في القلب، الشجاعة في الموقف، الشجاعة تكون بالكلمة أيضاً، ورب شجاعة كلمة تعدل ألف معركة، ولذلك في الحديث الصحيح^(١) (سيد الشهداء حمزة، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم المواقف التي تحتاج إلى شجاعة.

والرسول ﷺ هو أشجع الناس، وشجاعته لا تقاس بعدد قتلاه، ولا بعدد المعارك التي خاضها، بل بقيامه بالرسالة بالرغم مما واجهه من عقبات ومعوقات ومصاعب، فلم يتضعضع ولم يهن.

وشجاعة أبي بكر رضي الله عنه لم تكن بالمعارك التي شارك فيها، أو القتلى الذين قتلهم، بل بقلبه ومواقفه في نصرته الرسول ﷺ، ونصرة الدين، ولذلك كان موقفه من حروب الردة مبيناً عن رجل ممتلئ بالشجاعة.

وفي مسند البزار^(٢) أن علي بن أبي طالب سأل يوماً أصحابه: من أشجع

(١) انظر في سلسلة الصحيحة للألباني (٣٧٤).

(٢) (٧٦١).

الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أما إني ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه، أنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منه إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى عليه، فهذا أشجع الناس، فقال علي: ولقد رأيت رسول الله ﷺ، وأخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلته، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا قال: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا ويجاء هذا ويتلثل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟! فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني، فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ذاك رجل كتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه.

والنبيون الذين لم يخوضوا معركة حربية مع أعدائهم هم أشجع الناس، صدعوا بالحق، وواجهوا قومهم بما هم عليه من خطأ، ورغم تهديد أقوامهم لهم فإنهم ثبتوا وصمدوا، فهم أشجع الناس.

وعلي رضي الله عنه وقف حياته مجاهدا في سبيل الله، ناصرا لدين الله، وكان كذلك مع رسول الله ﷺ، ثم مع الخلفاء الراشدين، وفي خلافته قبل تحمل مسؤولية الخلافة بالرغم من علمه بما هو مقبل عليه من مصاعب ومتاعب، ومشاق كبيرة، فتنة فتنة، وثمة نيران ودخان في الأفق، ولكنه وقف شجاعا، رابط الجأش، حتى استشهد.

ويعتبر أهل الأصول أن "شجاعة علي" مثال للتواتر المعنوي، كـ "سخاء حاتم"^(١)، ومن ذلك مثلاً قول ابن قدامة، وهو يتحدث عن التواتر المعنوي^(٢):
(وهي وإن لم تتواتر آحادها، حصل لنا بمجموعها العلم الضروري: أن النبي ﷺ عظم شأن هذه الأمة، وبين عصمتها عن الخطأ، وبمثل ذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى تصديق شجاعة "علي"، وسخاء "حاتم"، وعلم "عائشة"، وإن لم يكن آحاد الأخبار فيها متواتراً).

وقال الثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ)^(٣): يضرب المثل بسيف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في المصائب، كما قال صاحب:

أَحْسَنُ مِنْ عُوْدٍ وَمِنْ ضَارِبٍ	وَمِنْ فَتَاةٍ طَفْلَةٍ كَاعِبٍ
قَدْ غُلِّمَ صَيْغَ مَنْ فَضَّةٍ	مُتَّصِلَ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ
سَلَّ عَلَى الْأُمَةِ مِنْ طَرَفِهِ	سَيْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

* علي في معركة بدر:

في بدء المعركة اختاره الرسول لمبارزة صناديد قريش^(٤)، وقال له: قم يا علي، [مع حمزة وعبيدة بن الحارث]، وكان علي أثناء معركة بدر معلماً بصوفة بيضاء^(٥)، وهذا من عادة فرسان العرب وشجعانها أنهم يجعلون على أنفسهم علامة

(١) انظر عشرات النقولات عن أهل الأصول بهذا الشأن، في كتاب: رسالة تشتمل على ما ذكره ابن تيمية

في منهاجه فيما يتعلق بالإمامة والتفضيل، الحسن بن إسحاق الصنعاني، ص ٢١٦، هامش رقم (١)

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، ٣٨٧/١.

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ٦٢١.

(٤) البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣).

(٥) طبقات ابن سعد، ١٦/٣.

يتميزون بها، قال عنتره بن شداد يفتخر بقتله لبطل مُعَلِّم:

وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكْتُ فُروَجَهَا بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ، مُعَلِّمٍ

يقول أنه قطع بسيفه درع البطل المُعلم، الذي كان يحمي عن قومه.

وأما عدد القتلى، ففي سيرة ابن هشام^(١)، بلغ عدد قتلى المشركين في بدر:

٧٠ رجلاً، وقد ذكر اسم كل قتيل ومن قتله من المسلمين، والنتيجة، فيما يخص

علياً، كالتالي:

- علي بن أبي طالب قتل (٨) في المعركة.

- علي بن أبي طالب قتل (٤) بالاشتراك مع آخرين.

- (٧) من القتلى قيل إن الذي قتلهم علي، وقيل غيره.

وإذا تجاهلنا المختلف فيهم، والمشارك فيهم، فإن (٨ قتلى) تمثل نسبة

(١١٪) من قتلى المشركين ببدر، قتلهم علي بن أبي طالب، [مع الشكر للدكتور/

كمال القطوي، الذي اقتبست هذه الفكرة منه].

*** علي في معركة أحد:**

- في سيرة ابن هشام^(٢) عدد قتلى المشركين في أحد: ٢٢ رجلاً، قتل علي

منهم: (٤)، و(اثنان قيل هو وقيل غيره)، فالأربعة تمثل نسبة (١٨٪) من القتلى.

وأكتفي بهاتين المعركتين؛ فهما اللتان فصل ابن هشام، ومن قبله ابن

(١) ٣٧٤-٣٦٥ / ٢.

(٢) ١٣٤ / ٣.

إسحاق، ذكر القتلى ومن قتلهم، وتكاد بقية غزوات النبي تخلو من المواجهة القتالية، كما حدث في بدر وأحد، ولا يعني ذلك عدم حدوثها، فقد حدثت في خيبر وبني المصطلق [وفيها قتل علي رجلين].

ومن الصناديد الذين ذكر ابن هشام أن عليا قتلهم:

- حامل لواء المشركين في بدر (طلحة بن أبي طلحة)، والوليد بن عتبة في بدر، وعثمان بن طلحة حامل لواء المشركين في غزوة أحد، وعمر بن عبد ود في الخندق، وضرب حامل الراية في غزوة حنين حتى أقعده.

- قال المقرئ: وفقد علي رضي الله عنه في بعض ليالي بني النضير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه في بعض شأنكم! فعن قليل جاء برأس عزوك [وكان راميا، وقد بلغ أذاه المسلمين]، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعا راميا، فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله، وفر اليهود^(١).

*** علي في غزوات النبي وسراياه - مجاهدًا وقائدًا:**

علي، شارك في غزوات الرسول وسراياه، ولم يتخلف عنها، وهو ممن ثبت في "أحد" ولم يفر [وكان ضمن قلة قامت بالتطويق حول الرسول صلى الله عليه وسلم وحمايته، ومنهم أبو بكر وعمر]، وهو ممن ثبت في "حنين" ولم يفر، ضمن قلة ممن بقوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جاء في مسند أبي يعلى بإسناد حسنه محقق الكتاب^(٢)، أن عليا رضي الله عنه حين أشيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل، فقال: لا خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسر جفن سيفه، ثم

(١) إمتاع الأسماع للمقرئ، ١/ ١٨٩.

(٢) ٤١٥/١.

حمل على القوم حتى أفرجوا له، فإذا برسول الله ﷺ بينهم، فثبت ودافع عنه دفاع الأبطال، فعلي خالص إلى الرسول حين طوقه المشركون مع مجموعة من أصحابه (كانوا تسعة، منهم سعد وطلحة، وشلت يد طلحة يومئذ، وقد بدأ كبار الصحابة بالاجتماع حول النبي، منهم أبو بكر وعمر وعلي ومصعب وسهل بن حنيف)، ومع شدة ضغط المشركين عليهم سقط الرسول ﷺ في حفرة، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة، حتى استوى قائما، وعندئذ قام الرسول مع هذه لمجموعة بالانسحاب المنظم إلى شعب الجبل، وكان المشركون المحيطون يحاولون عرقلة الانسحاب إلا أنهم فشلوا، ببسالة من حول الرسول ﷺ^(١).

وقد أصيب علي يوم أحد بست عشرة ضربة^(٢).

ووفقا لابن هشام^(٣)، فعدد غزوات النبي (٢٧)، وسراياه (٣٨)، شارك علي بالقيادة الكاملة، أو الجزئية في (١٢) منها، أي بنسبة (١٨٪)، وإذا قصرنا النسبة على ما ذكره ابن هشام أي ست، فتكون (٩٪).

وليس بالضرورة أن كتب السير ذكرت كل التفاصيل، فيقول ابن حجر في الإصابة^(٤): "وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد"، وقال الحسن بن علي حين استشهد علي^(٥): (كان رسول الله ﷺ يبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف حتى يفتح له)، وهي صيغة تدل على استمرارية الفعل في الماضي.

(١) انظر تفاصيل الأحداث في الرحيق المختوم، ٢٤٥ - وما بعدها.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ٣٤٥ / ١.

(٣) ٢٥٧ / ٤.

(٤) ٤٦٤ / ٤. وراجع موضوع: هل كان علي جبانا؟

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (١ / ٥٤٨)، قال المحقق: وإسناده صحيح.

وفي فضائل الصحابة^(١)، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله ﷺ لو فد ثقيف حين جاءوه: "والله لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلا مني، أو قال: مثل نفسي، فليضربن أعناقكم، وليسبين ذرايكم، وليأخذن أموالكم"، قال عمر: فوالله ما انتهيت الإمارة إلا يومئذ، جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هذا، فالتفت إلى علي فأخذ بيده ثم قال: «هو هذا، هو هذا» مرتين.

فهذه واقعة أخرى غير واقعة خيبر، وصيغة الحديث تبين اعتياد إرسال الرسول ﷺ عليا في السرايا، وثقته بأهليته وكفاءته.

ومن السرايا التي قادها:

- علي قاد سرية في ١٠٠ رجل عام ٦هـ، إلى بني سعد، فمضوا يكمنون النهار ويسرون الليل، حتى أغاروا عليهم فهرب بنو سعد، وعادوا بالغنائم^(٢).

- وأمره الرسول على سرية لهدم صنم طيء^(٣)، فقاد مجموعة من الفرسان، وأغاروا على طيء، وفيها سُبيت سفانة بنت حاتم الطائي، وفر عدي بن حاتم، ثم أقبل إلى المدينة فأسلم، في قصة مشهورة^(٤).

- وقاد سرية إلى اليمن، وسرية أخرى قادها خالد بن الوليد، وفي الترمذي^(٥) أن النبي قال: "إذا كان القتال فعليّ"، أي: فالأمير علي.

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١/٥٨٣)، قال المحقق: مرسل رجاله ثقات.

(٢) طبقات ابن سعد، ٦٩/٢.

(٣) طبقات ابن سعد، ١٢٤/٢.

(٤) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٩٣/٦٩. وإمتاع الأسماع، ٤٥/٢.

(٥) (١٧٠٤).

- وذكر ابن سعد^(١) أن النبي بعث عليا إلى اليمن مرتين، إحداهما في رمضان ١٠ هـ، فخرج في ثلاثمائة فارس وكانت أول خيل دخلت بلاد مذحج، وحدث فيها قتال، وعاد منتصرا بما معه من غنائم، والتقى بالرسول في حجة الوداع، وأما المرة الأولى فعندما بعثه قاضيا ومعلما إلى اليمن، وفيها أسلمت همدان على يديه^(٢).

الغزوات التي حمل ألويتها وراياتها: [وحامل اللواء أو الراية بمثابة القائد العسكري للجيش، أو المساعد الأعلى للقائد]

- على حمل اللواء في غزوة بدر الأولى^(٣)، وحمل اللواء في غزوة الكدر بعد بدر^(٤)، وحمل اللواء بعد استشهاد مصعب في غزوة أحد^(٥)، وحمل لواء أحد في غزوة حمراء الأسد^(٦).

- علي حمل الراية في غزوة بدر الكبرى^(٧)، وحمل الراية في غزوة بني قريظة^(٨)، وحمل الراية في غزوة خيبر^(٩).

(١) الطبقات الكبرى، ٢ / ١٢٨.

(٢) انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، لابن سيد الناس، ٢ / ٣٤١.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي، ٣ / ١٦.

(٤) طبقات ابن سعد، ٢ / ٢٣.

(٥) سيرة ابن هشام، ٣ / ٧٧.

(٦) إمتاع الأسماع، للمقريزي، ٧ / ١٦٧.

(٧) سيرة ابن هشام، ٢ / ٢٦٤.

(٨) سيرة ابن هشام، ٣ / ٢٤٥.

(٩) صحيح البخاري (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم (٢٤٠٥).

- علي كان معه إحدى رايات المهاجرين الثلاث في فتح مكة^(١).

- علي كان معه إحدى رايات المهاجرين في غزوة حنين^(٢)، (ولما كسرت إحدى زندي علي - رضي الله تعالى عنه - يوم حنين حتى سقط اللواء من يده، قال النبي ﷺ اجعلوها في يساره)^(٣).

بل جاء في طبقات ابن سعد^(٤) عن قتادة أن علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله ﷺ يوم بدر وفي كل مشهد، [وهذا دال على كثرة حمله للواء دون بقية الصحابة].

قارن هذه الحقائق مع قول مروان: "فبرغم أن غزوات الرسول وسراياه تجاوزت المائة إلا أنه لم يمنح عليا القيادة سوى مرة واحدة: غزوة خيبر، ٧ للهجرة، وتلك لم تكن حربا، بل حصارا ضرب على واحة في الصحراء".

وطعن بعضهم بالقول إن مؤهل علي لحمل الراية في خيبر، ليس كفاءته، أو كونه رجلا استثنائيا، بل كونه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كما في الحديث. فالجواب:

هل مجرد أنه شخص يحبه الله ورسوله يجعل النبي يعطيه الراية؟ فبقية الصحابة كلهم يحبهم الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، فالوصف ليس تفضيلا ولا تمييزا ولا معيار أخذ الراية.

(١) طبقات ابن سعد، ١٦/٣.

(٢) إمتاع الأسماع، للمقرئ، ١٢/٢.

(٣) المبسوط للسرخسي، ١/٧٣.

(٤) ١٦/٣.

ولم يقل أحد إن علياً شخص استثنائي، هل الوزير أو القائد العسكري شخص استثنائي؟ كلهم بشر، وكلهم يجتهدون، والقائد حين يولي أحد أتباعه فلا يعني أنه يقول إنه استثنائي، كل ما في الأمر: أنه يعتبره صاحب كفاءة لما أسند إليه، وقد يكون غيره أكفأ منه.

والنبي حين كان يختار أحداً من أصحابه للمهام الموكلة إليهم يختار الكفاءات، كيف لا؟! وهو الخبير بأصحابه، وهو الخبير بكفاءة كل منهم.

ويؤكد هذا حديث أبي سعيد الخدري^(١)، قال: أخذ رسول الله ﷺ الراية فزهها فقال: «من يأخذها بحقها؟» فقال فلان: أنا، فقال: «أمط»، ثم جاء رجل آخر فقال: «أمط»، ثم قال: «والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر، هاك يا علي» فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وجاء بعجوتها وقديدها.

فهذه الرواية تبين أن الرسول لم يعط الراية لعلي لمجرد أنه يحب الله ورسوله، بل لأنه أهل لها، وأنه سيأخذها بحقها، وقوله "لا يفر"، أي لا يرجع حتى يفتح الله عليه، وهذا يدل على أن علياً قد اشتهر بهذا، وهو أنه إذا أخذ راية لا يرجع إلا بالفتح.

بل ثمة رواية عند أحمد بسند صحيح^(٢)، قال بريدة: حاصرنا خيبر فأخذ

(١) انظر: فضائل الصحابة لأحمد ٥٨٣/٢، وحسن إسناده محقق الكتاب. وفي مسند أبي يعلى (٤٩٩/٢)، وقال المحقق: إسناده جيد. وقال الهيثمي: رجاله ثقات [مجمع الزوائد، ٦/١٥١]. وفي رواية لأبي يعلى أن الذي جاء أولاً هو الزبير. وفي مسلم أن عمر قال: ما تطلعت للإمارة إلا يومئذ. وهذا يبين أن الذين تطلعوا لها هم كبار القادة حول الرسول ﷺ.

(٢) مسند أحمد (٢٢٩٩٣)، قال الأرناؤوط: حديث صحيح. وصححه الهيثمي [مجمع الزوائد، =

اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه من الغد عمر فخرج فرجع، ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهه، فقال رسول الله ﷺ: "إني دافع اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له"، فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غدا، فلما أن أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة، ثم قام قائما فدعا باللواء والناس على مصافهم، فدعا عليا وهو أرمد، فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء وفتح له قال بريدة: وأنا فيمن تطاول لها).

فهذا يبين أن الرسول أعطى الراية لعلي بعد أن أصاب المسلمين جهدا، ولم يتيسر الفتح لأبي بكر ولا لعمر من قبله، وهذا ليس فيه عيبا وانتقاصا لأحد منهما، وهذا يفسر لماذا تطلع عمر إلى الإمارة؛ لأنه رجا أن يكون الفتح على يديه بعد أن جزم الرسول بذلك.

* علي رجل المهام:

علي كان يقوم بالمهام الأمنية والعسكرية السرية للرسول ﷺ، ومن ذلك:

- في بدر كلفه الرسول مع الزبير وسعد، في بعثة استطلاعية، لالتماس أخبار العدو^(١).

- وفي أحد كلفه الرسول بتتبع جيش المشركين، واستطلاع أخبارهم^(٢).

= ١٥١/٦]، والألباني في سلسلة الصحيحة (٣٢٤٤)، وصححه محقق كتاب فضائل الصحابة، ٥٩٣/٢.

(١) سيرة ابن هشام، ٢/٢٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام، ٣/١٣٦.

- وتكليفه مع الزبير والمقداد قبل فتح مكة بإحباط عملية إفشاء السر
لقريش^(١).

- بل إن الأدوار الأمنية لعلي في خدمة الدعوة بدأت مبكرا، ففي صحيح البخاري^(٢)، حديث عن أدوار علي وهو صبي بمكة، يذكر مثالا قصة إسلام أبي ذر، ويتبين من القصة الحس الأمني لعلي في إيصاله للنبي ﷺ، وحمايته له، بعيدا عن أعين قريش.

- وروت عائشة^(٣)، في الهجرة، أن النبي ﷺ أمر (عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس).

وكان ينييه الرسول عنه ليقوم بالمهام الإصلاحية جراء أخطاء بعض قادة الجيوش، ومن ذلك:

- تكليفه بإصلاح الأمر مع بني جذيمة بعد فتح مكة، حين قالوا: صباأنا، فقتل خالد بن الوليد منهم وأسروا، فبعث النبي عليا لإصلاح الأمر، قال ابن

(١) صحيح البخاري (٣٠٠٧).

(٢) (٣٥٢٢).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٦/ ٤٧٢. قواه ابن حجر، فقال في التلخيص الحبير، ٣/ ٢١٤: (وأما أمره عليا بردها فرواه ابن إسحاق بسند قوي). وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ٥/ ٣٨٤.

ونقل ابن هشام في سيرته، ٢/ ١٢٩، عن ابن إسحاق: (أما علي فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ).

هشام^(١): (فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب [أي وعاء شربه]، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني، أعطيتكم هذه البقية من هذا المال، احتياطا لرسول الله ﷺ، مما يعلم ولا تعلمون، ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر: فقال أصبت وأحسن).

- وتكليفه بإصلاح الأمر بعد سرية زيد إلى حسمى^(٢).

وكان مع كبار الصحابة مع النبي في مهامه:

- علي كان رفيق رسول الله حين عرض نفسه على القبائل في مكة، مع أبي بكر^(٣).

- حين ذهب النبي إلى بني النضير خرج في وفد منهم: أبو بكر وعمر وعلي^(٤).

- وفي الحديبية: علي هو من كتب كتاب الصلح^(٥)، ولما فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح أشهد رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين، وممن

(١) سيرة ابن هشام، ٧٢-٧٣/٤.

(٢) سيرة ابن هشام، ٢٦٤/٤.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي، ٤٢٢/٢.

(٤) سيرة ابن هشام، ١٩٩/٣.

(٥) والحديث في صحيح البخاري ٣١٨٤.

أشهدهم من المسلمين علي بن أبي طالب.

* أهذا هو البطل المخترع؟!

وهكذا قارن ما سبق مع قول مروان وهو حين يحلق في عالم الخيال يفك الأحزمة، فيقول في لغة مليئة بنشوة التهكم: "في مثل تلك الهوامش صنع علي لنفسه أسطورة المقاتل، وأردى فارس اليهود الشهير مرحب الذي زار وأخاف المسلمين"، فعلي عند مروان هو ذلك الرجل الكاذب، الذي يضع الأحاديث، والذي يخترع قصص بطولاته.

فهل هذه البطولات اخترعها علي؟ أم سطرها بجهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

وهل هذه البطولات نتيجة مرويتين فقط، هما: نومه على فراش النبي ومقتل عمرو بن عبد ود؟! كما يزعم مروان الذي قام بنقد هذه الروايات، وتوصل إلى أنه بضعف هذه الروايات فبطولة علي أسطورية.

من أين أتت هذه القفزة العلمية؟ أهكذا تدرس الشخصيات؟ أتختزل الشخصية كلها في موقف أو موقفين، وتجتهد طويلا في تضعيفهما؛ لتقفز مباشرة إلى النتيجة النهائية: شخصية أسطورية!

وقد ناقشنا من قبل ادعاء مروان أن ابن تيمية قال عن بطولات علي إنها مزيفة [راجع موضوع: التزوير على ابن تيمية].

ولا ينسى مروان، وهو يسلب عن علي كل فضيلة، أن يطيل الوقوف في كون علي رجلا بدينا، يتوقف ليلتقط أنفاسه، ثم يأتي على مثل هذه المعلومة بـ٦ مصادر (ويضيف: وغيرهم)، لا أدري هل تحتاج هذه المعلومة إلى كل هذه

المصادر؟ أم أن النفس حين تنتشي بلقيان معلومة تريد إعلانها بالصوت المرفوع! وبذلك يؤكد مروان: "إن بنيانه الجسماني، وهو في شبابه، لا يعكس أي صورة عن محارب متمرس".

بقي أن أشير إلى مروية عمرو بن عبد ود.

يقول مروان: "لا وجود لبطل عظيم الشأن في حياة قريش اسمه عمرو بن عبد ود، وتتأكد تفاهة القصة حين يقال إنه خاض معركة بدر شاباً، وفي الخندق كان قد بلغ الثمانين من العمر، رغم أن المعركتين تفصلهما ثلاثة أعوام! كذلك حين تقول القصة إنه طلب من علي أن يتنحى ويرسل أحداً من أعمامه ليبارزه، وأعمامه كلهم ماتوا قبل ذلك عدا العباس كان لا يزال في مكة "مع المشركين"، كأن بن عبد ود القادم من قريش لا يعرف ذلك!، على أن تلك القصة شهيرة لدى كتاب السير لا المحدثين، وللألباني تعليق ذكي حولها في الجزء الأول من سلسلة الأحاديث الضعيفة: لا أعرف لها طريقاً مسنداً صحيحاً، وإنما هي من المراسيل والمعاضيل" اهـ.

وإذا رجعنا لكتب التاريخ والحديث، نجد ما يلي:

- ذكر ابن دريد في كتابه الاشتقاق^(١): "عمرو بن عبد ود"، مبيناً أنه من فرسان بني عامر بن لؤي، من قريش.

- كتب السير والتاريخ قد ذكرت "عمرو بن عبد ود" في فرسان قريش بيدر، وهو الذي قتل: عمير بن أبي وقاص، وقتل سعد بن خيثمة [كما في تاريخ

(١) ص ١١٠.

خليفة بن خياط^(١)، وفي تاريخ الطبري^(٢): "وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر، حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد أحدا، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه"، ولم يذكروا أنه "كان شابا ثم شاخ خلال سنتين"!

- المبالغة في تصوير عمرو بن عبد ود وكأنه الفارس الذي لا يقهر - مبالغة مرفوضة، فهو فارس مثل غيره من الفرسان، وكذلك قصة مقتله وجبن الصحابة عنه مرفوضة، ولا تصح، فلم يكن الصحابة ليجنبوا عن أحد.

- مقتل "عمرو بن عبد ود" روته كتب السير، وبعيدا عن القصة وتفاصيلها، فقتل علي لعمرو بن عبد ود ورد بسند صحيحه الذهبي في المستدرک للحاكم^(٣): "وقتل من بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد ود قتله علي بن أبي طالب مبارزة"، وهو غير السند المرسل الذي ضعفه الألباني.

* علي وحروب الردة:

يقول مروان مفتريا على علي، دون أن يذكر حتى مصدرا: "ولم يتبق مع دولة أبي بكر سوى مكة والمدينة وجزء من ثقيف، وعندما التمس الخليفة عوناً من علي اعتذر الأخير وتلكأ، وترك الأمر برمته ولزم بيته".

في حين أن التاريخ يقول شيئا آخر:

حين بعث أبو بكر الصديق قاده لقتال المرتدين، بقي معه في المدينة كبار

(١) ص ٥٩.

(٢) ٥٧٤/٢.

(٣) (٤٣٢٦).

رجال الدولة للتشاور معهم، ولم يذهبوا للقتال في حروب الردة، إضافة إلى تكليف بعضهم، ومنهم علي، بتأمين المدينة، كما في الطبري وغيره^(١)، جاء في البداية والنهاية لابن كثير^(٢): "فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراسا يبيتون بالجيش حولها؛ فمن أمراء الحرس: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود".

* علي والفتوحات في عهد عمر:

يتهمج مروان على علي بن أبي طالب في مقاله "ربع قرن بلا معركة"، ولست بصدد نقل ما كتب عنه، إلا أن النتيجة التي يقفز إليها من كون علي لم يشارك في الفتوحات أنه "رجل بلا تاريخ"، مروان يريد نفي كل ما يتعلق بعلي من التاريخ، حتى الكوفة التي سكنها علي "مدينة بلا تاريخ".

بل يذهب مروان إلى فتوح البلدان ومروج الذهب للمسعودي ليستشهد به أن عمر عرض على علي قيادة القادسية فكره ذلك وأبى!

أولاً: لو قرأت ما قال ابن تيمية في منهاج السنة^(٣): "وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصى إلا الله تعالى؟" وفتوح البلدان أورد القصة دون أي سند لها!

ثم ألم تقرأ ما في تاريخ الطبري من روايات أخرى، لا أدري لم تتجاهلها، ومن ذلك، ما رواه الطبري أن عمر أراد الخروج بنفسه، فأشار عليه كبار الصحابة ألا يفعل، فطلب منهم أن يشيروا عليه بأحدهم، فأشاروا بسعد بن أبي وقاص.

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٤٥.

(٢) ٩/ ٤٣٧.

(٣) ٤/ ٨٤.

فلا توجد مروية صحيحة تقول هذا، بل أن الروايات الشائعة أن عمر أراد الخروج بنفسه، وروايات أخرى تقول أن عمر استشار أصحابه فأشاروا بسعد، وروايات تقول أن عمر كلف سعدا مباشرة.

ثانياً: وبافتراض صحة الرواية أن عمر طلب من علي قيادة الفتوح، فهذا دليل على فروسية علي وشجاعته، وإلا ما كان للخليفة عمر أن يطلب من رجل جبان غير فارس وغير كفؤ، قيادة هذه المعارك المصيرية الحاسمة.

ثالثاً: وبافتراض صحة الرواية، وأن عليا اعتذر، فلماذا تجاهل كل الاحتمالات في اعتذاره، والذهاب مباشرة وبسرعة صوب النتيجة (إذن علي جبان، وغير كفؤ)! هناك احتمالات ممكنة كثيرة للاعتذار، ويدل على افتراض صحة الرواية أصلاً، أن عمر لم يثبت عنه لوم علي أو مؤاخذته لاعتذاره.

رابعاً: وبافتراض صحة الرواية، فقد يكون لعلي وجهة نظر في الفتوح، والتوسع فيها، وهذا الذي جعل لعمر موقفاً من بعض الفتوحات [كما ورد عنه في فتح أفريقية: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيني الماء]^(١)، فهل كان لعلي دور في ذلك؟

خامساً: ما يخص عدم مشاركة علي في الفتوحات - هل كان مروان منصفاً في قراءة الروايات التاريخية؟

حين تولى عمر الخلافة قام بتولية علي قضاء المدينة، بالرغم من وجود عمر فيها، بل كان هذا من أول أعمال عمر، كما قال ابن كثير في البداية والنهاية^(٢):

(١) طبقات علماء أفريقية، ١٣.

(٢) ٦٠٢/٩.

(وفيها [أي سنة ١٣ هـ] ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها، فولى قضاء المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه).

ثم إن عمر هو الذي طلب من علي أن يتفرغ للقضاء ويترك الحرب، كما ذكر إبراهيم النخعي: "لما ولي عمر رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: اقض بين الناس، وتجرد للحرب"^(١).

وعمر، كان يستخلف عليا حين يخرج من المدينة، من ذلك حين حج، وحين ذهب إلى الجابية، وحين خرج إلى صرار، (وهي مذكورة في تاريخ الطبري، والبداية والنهاية)^(٢).

فعمر أمر عليا بالتفرغ للقضاء، وولاه القضاء أول ما استخلف، وكان يستخلفه على المدينة.

سادساً: من التناقض: تقييم شخصية علي بأنه لم يخض المعارك، ولم يشارك في الفتوحات، ولذلك فهو بلا تاريخ، ثم تجد العلمانيين يصفون تاريخنا أنه تاريخ حروب وقتال، وأن الصحابة حرقوا الإسلام بمحاولات نشره كما زعموا بالسيف، لماذا ما تعيينه على تاريخنا تعودون لتقييموا به رجالنا!

لو أراد هذا المثقف في سياق آخر لنظر إلى من لم يشارك في الفتوحات على أنه رجل مدني، رجل سلام، رجل لبس "البدلة المدنية" بدل "البدلة العسكرية"، وانخرط في الحياة السياسية، ولا سيما وهو يقف مستشارا ووزيرا مع الخلفاء الراشدين.

(١) المتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١٣٦/٤.

(٢) انظر مثلاً، تاريخ الطبري، ٣/٤٧٩، ٦٠٨.

سابعاً: عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يشارك في حروب الردة! فهل عابه ذلك؟ وهل المطلوب من الصحابة جميعاً لبس البدلة العسكرية والذهاب إلى القتال؟! وإذا نظرنا إلى الخليفة الثالث، وهو عثمان بن عفان رضي الله عنه، لم يشارك في غزوة بدر الكبرى، المعركة الأعظم في تاريخ المسلمين؛ لانشغاله بمرض زوجته، ومع ذلك لم يعبه ذلك، ولم يكن ذلك مذمة له، عثمان أيضاً فر في غزوة أحد، ولم يعبه ذلك، بل قال ابن عمر للرجل الذي طعن فيه، فرد عليه ابن عمر، والحديث في صحيح البخاري^(١): "أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له"، هكذا النفوس السليمة حين تقيم الأحداث، أما النفوس المريضة فتقول شيئاً آخر، عثمان لم يشارك في حروب الردة، لم يشارك في الفتوحات، هل كان ذلك عيباً ونقصاً ومذمة؟ أما أنا فأشهد الله أنه لا يعيبه ذلك، ولا ينقص من قدره قلامة ظفر، وأما المرضى فليقولوا ما شاؤوا.

ثامناً: هل تاريخ الشخصيات يكون عبر القتال فقط؟

ثمة أمر آخر، أشير إليه في تقييم الشخصيات، وهو من الخطأ الفاحش أن نضع الشخصيات كلها في بوتقة واحدة، النظر إلى علي بن أبي طالب على أنه ظل في المدينة لم يقاتل، ومن ثم التوصل إلى نتيجة أنه شخصية بلا تاريخ! هل الشخصيات لا تكون ذات تاريخ إلا إذا قاتلت؟

صحيح، تذكرت، هذا ما يقوله المنطق الجاهلي القديم، حين كانوا يعدون المقاتلين فقط هم أصحاب الحق في القبيلة، (ولذلك لم يكن يرث إلا المقاتلون،

(١) (٣٦٩٨).

ويستبعدون النساء والأطفال من حقوق الميراث)، وهو منطق جاء الإسلام وغيره، وجعل لكل حقه ونصيبه.

تاريخ الشخصية قد يكون بجهادها أو بعلمها أو فكرها أو بمواقفها أو ببطولات عسكرية أو مهارات إدارية أو... إلخ، منهجية إدخال العالم في شرنقة منهجية غير لائقة لتقييم الشخصيات.

تاسعاً: ثمة أمر آخر، في تقييم الشخصيات والأحداث، فالحديث أن علياً وبنيه لم يخرجوا من المدينة للقتال! وكأنك تتخيل المدينة لا بد أن تخلو من أهلها جميعاً، وأن يذهب كلهم للقتال، أهذا منطق بناء الدولة؟!

أليست الدولة تحتاج إلى جهود متعددة متنوعة لبنائها؟ أو أن دولة الخلافة مجرد عصابات وصعاليك وقطاع طرق، ينبغي أن يعيشوا طوال حياتهم على السلب والنهب والغزو؟! أليس هذا منطق الجماعات الإرهابية؟

لقد جاء الإسلام وغير هذا المنطق والفكر؛ فتغييره كان ضرورة لبناء الدولة، وبالرغم من فضيلة القتال العظيمة في القرآن الكريم، لا سيما أن الدولة في بداية نشأتها كانت بحاجة إلى ذلك للحفاظ عليها من اعتداء المشركين، بالرغم من ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فهذا بدأ تكوين الجيش النظامي المتناوب، فيكون جزء من رجال الدولة وأفرادها في الجيش، وجزء في الجوانب المختلفة اللازمة لتنظيم الدولة، وقام الرسول ﷺ بتوزيع المهام، ودفع الصحابة إلى التكامل، ولما جاء العهد

الراشدي بدأ التكوين النظامي لأجهزة الدولة يزداد وضوحا وتنظيما، فثمة جيش نظامي للدولة، وثمة وزراء ومستشارون وقضاة وولاة... إلخ.

الفريق حين يلعب، ليس البطل فيهم من يسجل الأهداف وحده، بل الفريق كله يشترك في البطولة، وكل يسهم بدوره فيها، وكذلك الدولة!

عاشراً: لو أردنا قلب الحجة، فسنقول: لماذا لم يستفد أبو بكر وعمر من علي في قيادة الجيوش، كما استفاد منه الرسول ﷺ، كما يقولون: لماذا لم يقرب علي كبار الصحابة حين تولى ولم يستعن بهم في قيادة الدولة؟ فيلومون عليا. وبالمنطق نفسه، سيكون المعلوم أبا بكر وعمر في أنهم لم يستثمروا الكوادر.

حادي عشر: ثم إن الدكتور/ مروان حين ينعى على الحسن والحسين عدم المشاركة في الحروب، يتناقض مع نفسه، ومع الخطاب السائد، الذي يفرض تجنيد الأطفال، ويهاجمون خصومهم الذين يزجون بالأطفال إلى المعارك.

الحسن بن علي، ولد عام ٣ هـ، والحسين ولد عام ٤ هـ، فهما مع بدء الفتوحات في خلافة أبي بكر ثم خلافة عمر لم تتجاوز أعمارهما العشر السنوات، وكانا في خلافة أبي بكر طفلين يلعبان مع الغلمان، وحين تولى عمر لم يكونا تجاوزا السنوات العشر.

ثاني عشر: وحين سبّا شاركا في الفتوحات، في خلافة عثمان.

في عام ٢٦ هـ، شاركا في فتح أفريقية، مع عبد الله بن سعد بن أبي السرح^(١).

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢/ ٥٧٣.

وفي ٣٠ هـ شارك في فتح خراسان مع سعيد بن العاص^(١).

وفي حصار عثمان، حملاً سلاحهما، ودافعا عن الخليفة، حتى حمل الحسن جريحا^(٢).

ثم كانا من الصحابة الذين نصرروا الخليفة علياً بسيفهم، ولم يتخلفوا عن نصرته، وفي خلافة معاوية، لم يكن معاوية من السداجة بأن يترك ولدي الخليفة الذي ظل يقاتله خمس سنين، وأسهم في إضعاف الدولة التي كان يقودها - لم يكن ساذجاً ليركها مشاركان في الحروب والفتوح، بل كان حريصاً على إبعادهما عن مواطن التأثير، وإبقائهما أقرب ما يكون تحت الإقامة الجبرية.

* علي عند مقتل عثمان:

لقد وقف علي مع عثمان حتى آخر لحظة في حياته، وهذا يدل على شجاعته وعلى مكانته من الخليفة ومن الناس، وقد حاول الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وحين حاصر أهل مصر عثمان، لم يكن الصحابة يتوقعون أنهم سيقتلون، فغاية مطلب الثوار تسليم مروان بن الحكم؛ لاتهمهم إياه بتزوير الكتاب عليهم.

قال محمد بن الحنفية^(٣): (كنت مع علي، وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل

(١) في تاريخ الطبري (٢٦٩/٤): (غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير). وانظر: البلدان لابن الفقيه الهمداني، ٥٧٠، وانظر: البدء والتاريخ، ١٩٨/٥.

(٢) انظر تاريخ خليفة بن خياط، ١٧٤، وانظر الاستيعاب ٣/١٠٤٦.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد، ٥٧٣/٢، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام علي، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفا عليه، فقال: خل لا أم لك، قال: فأتى علي الدار، وقد قتل الرجل).

فمحمد يروي أن عليا حين سمع أن الثائرين على وشك قتل عثمان ذهب مسرعا إلى دار عثمان، كي يحول بينهم وبينه؛ وهذا يدل على شجاعة وقوة قلب، حتى قال ابنه: حاولت إمساكه تخوفا عليه من الثائرين، ولكنه قال لابنه: اتركني، وذهب مسرعا، ولكنه أتى وقد قتل عثمان.

وقد اعترف مروان بأنه لم يدافع عن عثمان أحد كعلي، في سند قواه الذهبي^(١)، يروي شهادة مروان بن الحكم عن دفاع علي، حيث قال لعلي بن الحسين: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني عليا - عن عثمان.

* تعقيب مسألة أن عليا أعمش العينين

يكثر مروان من وصف علي أنه أعمش العينين، ناسبا ذلك إلى زوجه فاطمة رضي الله عنها، ويبنى على ذلك نتيجة أنه لم يكن قادرا على القتال، وأنه بعيد عن الفروسية.

وفيما يلي فحص لهذه المقولة.

حديث فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ في مصنف عبد الرزاق ومعجم الطبراني^(٢) عن أبي إسحاق أن عليا، لما تزوج فاطمة قالت للنبي ﷺ: زوجتني

(١) الرواية في تاريخ ابن أبي خيثمة، ٩١٧/٢، وذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام، ٢٥٢/٢، وقوى إسنادها.

(٢) مصنف عبد الرزاق، ٤٨٩/٥، والمعجم الكبير للطبراني، ٩٤/١.

أعيمش، عظيم البطن؟ فقال النبي ﷺ: «لقد زوجته وإنه لأول أصحابي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً».

أولاً: الحديث مطعون في سنده، فهو مرسل، وهذا يضعف الحديث، فميزان المحدثين في الحديث ضعف.

ثانياً: الحديث مطعون بمتنه من عدة أوجه:

- الوجه الأول: في الحديث الصحيح (في البخاري ومسلم)^(١) أن الرسول ﷺ قال عن فاطمة (يؤذيني ما آذاها)، فهل يصح أن تخبر النبي بأنها لا تريد علياً وهو يتجاهل رغبتها؟! وهو يتجاهل رغبتها؟!

- الوجه الثاني: في الصحيحين أن النبي قال عن البكر: "إذنها صماتها"^(٢)، فكيف تتكلم فاطمة برفضها بهذه الطريقة، ثم يجبرها النبي على الزواج به؟

ثالثاً: لنسلم بصحة الحديث، فعلينا ألا نسلم بأوله ونكفر بآخره، فعلى فرض صحته، فهو شهادة من الرسول لعلي أنه أول من أسلم، وأعلم الصحابة وأحلمهم، ويلزم مروان الإقرار بذلك، وإلا فهو الهوى.

رابعاً: إذا افترضنا صحته، فالرسول ينبه فاطمة إلى معايير التقييم، وأن التقييم لا يكون بالصفات الشخصية، فلماذا إذن يأتي اليوم من يخالف الهدى النبوي، ويستخدم هذه الأوصاف للتعبير؟

خامساً: وعلى فرض صحة الحديث، فنحن أمام افتراضين:

(١) البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩).

(٢) البخاري (٦٩٧١)، ومسلم (١٤٢١).

- الأول: أن هذه الصفات غير مؤثرة في شجاعة علي وما يقوم به من مهام قيادية ونحوها، فإذا حين يرددها مروان باستمرار، يكون من باب التعبير، وتعير الأشخاص بصفاتهم الخلقية خساسة لا يفعلها كرام الناس، فكيف حين يأتي التعبير من طبيب! فالقبح مضاعف؛ لأنه يفهم أكثر من غيره أن تخمة البطن لها أسباب عديدة، ليس فقط ضعف الحركة أو الكسل، الدكتور بتعييره هذا أسقط كل الأسباب، وألصقها بقله نشاطه، أهكذا يفعل المتخصصون؟ ماذا سيكون رأي مرضاك؟! فضلا عن أساتذتك، وزملائك؟

- الثاني: أن هذه الصفات مؤثرة في شجاعة علي، ومعيقة له، ويستلزم من ثبوتها أن يكون جباناً، غير فارس... إلخ، ففي هذه الحالة نلجأ للترجيح.

ففي الصحيحين أن علياً اختاره النبي للمبارزة في بدر، وفي الصحيحين أن علياً حمل الراية في خيبر، وفتح الله على يديه، وغير ذلك من روايات صحيحة، تقتضي بالضرورة شجاعة علي وفروسيته، فهل نترك هذه الروايات الصحيحة، ثم نذهب إلى رواية ضعيفة؟ أو مرسله؟

نحن نفترض أننا نشترك في مرجعية علم الرجال، التي هي معيار للنقد الحديثي، أما إذا رفضناها فعندئذ سيكون العقل الخيالي قادراً على ادعاء أي شيء، ونفي أي شيء، ولن يصبح هناك مجال للحوار والنقاش.

وإن قال مروان إن وصف علي بأنه "ضعيف النظر" جاء في كتب التراجم، كالطبقات، فعليه إثبات صحة الدليل.

وإن إصرار مروان على تكرار هذه الأوصاف، دليل واضح على أنه يتحدث

عن التاريخ كما لو كان رواية، فوصف الشخصية جزء من كتابة الرواية، حتى يتصور القارئ الشخصية، راميا بصحة الرواية عرض الحائط!

ولو جاء من يقول لك، يا دكتور مروان: أنت تلبس نظارة، ولو كنت في زمن لم تصنع فيه النظارة لكنت أعمش، ولن تستطيع إجراء عملية جراحية واحدة، وربما لما تمكنت من الدراسة والقراءة؟ وستكون بمنطقك وتفكيرك: مروان بلا كفاءات، أنا لا أعايرك ولكن أستخدم أسلوبك فيما هو كائن وموجود فيك.

مروان يكشف عن علمية تفكيره، حين يقفز من معطى فقير يتيم كسيح إلى النتائج، يقول: بما أن عليا أعمش إذن هو جبان، بما أن عليا بدين إذن هو بلا كفاءات ولا مهارات... إلخ، أيفعل هذا طبيب أكاديمي؟! يقفز من المعطيات إلى النتائج، متجاهلا الشروط اللازمة للنتائج، ومتجاهلا الخطوات المنطقية للمعطيات؟ وقافرا على التحقق من الروايات!

حين وصف ياقوت الحموي ابن جني، وكان أعور، قال في وصفه^(١): (كان ممتعا بإحدى عينيه)، هذا وصف أهل الأدب لرجل أعور، يتحدث عنه بذوق رفيع، فما بالك حين يأتي أديب بأوصاف التعبير لرجل بريء منها!

ولنختم بقراءة النص الوصفي كاملا، من أحد كتب تراجم الصحابة، وهو الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، وهو ما كان حريا بالدكتور/ مروان نقله كاملا، لا اختيار ما يريد، يقول^(٢): (وأحسن ما رأيت في صفة

(١) معجم الأدباء، ٤/ ١٥٨٨. وهو وصف ورد عن عدة من أهل العلم والأدب، انظر مثلا: تاريخ بغداد، ١٠/ ١٠٣، و ٢٠/ ٨٢، ٩٠. وغيرها.

(٢) ١١٢٣/ ٣.

علي عليه السلام أنه كان رُبعة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسنا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شئن الكفين عتدا [أي: قوي البنية] أغيد، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت إدماجا، إذا مشى تكفأ^(١)، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، منصور على من لاقاه، فهل هذا الوصف لرجل ضعيف أو لرجل جبان؟!

* تعقيب بشأن أن عليا كان يتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم:

حين كان الالتقاء برسول الله صلى الله عليه وسلم مدحا للصحابة، قال الدكتور/ مروان [مقال: ربع قرن بلا معركة]، منتقدا قصة مقتل علي لعمر بن عبد ود: (الرمزية السياسية للقصتين جلية، مهمتهما اغتيال عمر في ساعة تنصيب علي بطلا، بيد أن هذه القصة ذهبت بعيدا وأصابته النبي نفسه، ذلك أن صحابته الذين لطالما قالوا "كنا إذا اشتد البأس اتقيناه برسول الله" رأوه هذه المرة وهو ينكمش ويتقي بعلي!)، فالدكتور مروان هنا يمدح النبي ويمدح الصحابة الشجعان الذين يتقون به، ويكذب أن يكون علي بطلا يتقي به الرسول.

(١) أي: كأنه ينحط من صعب. وقد جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم (٢٣٣٠) أنه كان إذا مشى تكفأ. وفي شرح النووي [٨٦/١٥]: (قال شمر: أي مال يميننا وشمالا، كما تكفأ السفينة. قال الأزهرى: هذا خطأ؛ لأن هذا صفة المختال، وإنما معناه أن يميل إلى سمتة وقصد مشيه، كما قال في الرواية الأخرى: كأنما ينحط في صعب).

ثم بعد ذلك في منشور في صفحته [في ١٥ سبتمبر ٢٠٢٢] يقول أن الشيخ عثمان الخميس: (تحدث عن جبن علي يوم بدر، قال إنه وهو الشاب يقول عن ذلك اليوم (كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله)، أي، وهذا ما لم يجرؤ الخميس على إكماله، أنه لا يمكن لشاب يختبئ خلف قائده أن يقتل كل ذلك العدد من القرشيين كما تخبرنا سيرة ابن هشام) اهـ.

وهكذا، حين تعلق الأمر بعلي عليه السلام، تحول هذا الفعل إلى مذمة ومنقصة، ويقفز منها قفزة لا علمية إلى تكذيب ما جاء في السيرة، بل ما جاء في صحيح البخاري نفسه، حين قال الرسول في بدء معركة بدر لعلي: "قم يا علي".

الدكتور/ مروان، حين يتعلق الأمر بما يعتقده ذما لعلي، لا يقف لنقد الحديث: أصحيح أم غير صحيح (كما فعل مع مروية عمرو بن عبد ود، أو النوم على فراش النبي)، ولا يهتم إن كان الحديث مرويا في كتب الحديث التي من الدرجة الأولى أو العاشرة، وفقا لتصنيفه، ولا يهتم إن كان الحديث استنساخا لفضائل آخرين! كل ذلك يتلاشى.

لو لم يعجبه الحديث، وقد صح، لقال: إن عليا ينسخ فضيلة شجعان الصحابة، كالبراء وغيره، كما فعل مع أحاديث أخرى أصح منه، كحديث (لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق).

وحديث أن عليا كان يتقي برسول الله ﷺ ليس عيبا، فها هو البراء بن مالك يصف شجعان الصحابة بفعل ذلك، فيقول متحدثا عن ثبات الرسول ﷺ يوم حنين: «كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ» أخرجه مسلم^(١).

(١) (١٧٧٦).

ثم إن عليا لم يقل ذلك عن نفسه، بل قاله بلفظ "نحن"، فالحديث في مسند أحمد^(١): (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا)، وهو يمدح الرسول ويصف شجاعته وشدة بأسه وقوة ثباته، والحديث بلفظ "رأيتنا" يحتمل أن يكون الحديث عنه وعن غيره، ويحتمل أن يكون الحديث عن غيره من شجعان الصحابة، إلا أنه أدباً منه لم يتحدث بصيغة "هم"، بل بصيغة "نحن".

وشجاعة علي وثباته في يوم بدر ثابتة؛ فقد ثبت في الصحيحين أن عليا اختاره النبي للمبارزة في بدر، فهل كان النبي ليختار رجلاً جباناً في أول مواجهة، يراد منها عادة تقوية قلوب المقاتلين، ورفع حماسهم؟!

وثباته يوم أحد، وثباته يوم حنين، كما نقلنا ذلك من قبل.

والشجعان من الناس ليسوا آلات، بل هم بشر، نفوسهم لا تختلف عن نفوس الناس، يعتريها القوة والضعف، والشجاعة والخوف، والإقدام والإحجام، إنما الشجاع من يتغلب بعد ذلك على عوامل الضعف والخوف، ويتخذ الإقدام درعاً وسيفاً.

وجرت عادة العرب في التعبير عن مخاوفهم، وتغلبهم على تلك المخاوف، فهذا أمدح للفارس الشجاع.

هذا قطري بن الفجاءة، من أشجع فرسان العرب، يقول واصفاً ما اعتراه من

تردد:

(١) (٦٥٤).

أقول لها وقد طارت شعاها من الأبطال: ويحك لن تُراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي

وهذه المقطوعة قال ابن خَلَّكان عنها^(١): "إنها تُشجّع أجبن خلق الله، وما أعرف في هذا الباب مثلها، وما صدرت إلا عن نفس أبيّة وشهامة عربية".

وسأل هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة، وهو من فرسان العرب وقادتها، فقال له: يا أبا سعد، هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدوّ؟ قال: ما سلمت في ذلك من ذعر ينّبّه على حيلة، ولم يغشني ذعر قطّ سلّبني رأيي، قال هشام: صدقت هذه والله البسالة^(٢).

وقال معاوية: شجعني يوم صفين على علي بن أبي طالب، قول عمرو بن الأطنابة، فذكر أبياتا منها:

وقولي، كلّما جشأت، لنفسي مكانك تحمدي أو تستريحي
وكان يزيد بن المهلب، وهو من فرسان العرب المشهورين، يتمثل كثيرا في الحرب بقول حصين بن الحمام [وهو من الشعراء الفرسان]^(٣):

تأخّرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدّما
وهذا عبد الله بن رواحة، أحد قادة غزوة مؤتة، أو معارك المسلمين مع الروم، حين قتل جعفر أخذ الراية، فترددت نفسه قليلا، ثم قال يشجعها أن تفعل

(١) وفيات الأعيان، ٩٤/٤.

(٢) العقد الفريد، ٩٦/١.

(٣) العقد الفريد، ٩٥/١.

كالقائدين السابقين: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هُديت

فلا عيب إذن أن تتردد نفس الشجاع، إنما العيب أن يفر ويترك ساحة القتال.

وهذا عمرو بن معدي كرب، الذي تضرب العرب المثل به في الإقدام،

حتى قال أبو تمام يصف ممدوحه:

إقدام عمرو، في سماحة حاتم في حلم أحنف، في ذكاء إياس

يقول عمرو واصفا تردد نفسه وفزعها في مواطن القتال^(١):

ولقد أجمعُ رجليَّ بها حذرَ الموت وإني لفروزُ
ولقد أعطفها كارهةً حين للنفس من الموت هريزُ
كلّ ما ذلك منّي خلُقُ وبكلّ أنا في الرّوع جديرُ

وما يقوله عمرو بن معدي كرب قد فعله؛ حيث فر من عباس بن مرداس،

وأسر أخته ريحانة، وفيها يقول عمرو قصيدته:

أمن "ريحانة" الداعي السميعُ يؤرقني وأصحابي هجوعُ

وفرّ عن بني عبس وفيهم زهير بن جذيمة العبسي، فقال يصف فراره،

ويعتذر لنفسه:

أجاعلُهُ أمّ الثوير خزايةً عليّ فراري إذ لقيت بني عبسٍ؟!

(١) العقد الفريد، ١/ ١٣٠-١٣١.

لَقِيتُ أَبَا شَأْسٍ وَشَأْسًا وَمَالِكًا وَقَيْسًا؛ فَجَاشَتْ مِنْ لِقَائِهِمْ نَفْسِي
لَقَوْنَا فَضْمًا جَانِبَيْنَا بِصَادِقٍ مِنْ الطَّعْنِ مِثْلَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْيَبَسِ
وَلَمَّا دَخَلْنَا تَحْتَ فِيءِ رِمَاحِهِمْ خَبَطْتُ بِكَفِّي أَطْلُبُ الْأَرْضَ بِاللَّمْسِ
وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ مِنْ جِبْنِ يَوْمِهِ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ

فهل كل ذلك انتقص من شجاعة عمرو بن معدي كرب؟! وهو الذي سمعته في الفروسية باقية إلى اليوم؟! وهل انتقص التردد من شجاعة قطري وغيره من فرسان العرب؟!

وحتى خالد بن الوليد، قال للرسول ﷺ: (إِنِّي أَرْوَعُ فِي مَنَامِي) [أي يصيبني الفزع والخوف]، فقال له الرسول ﷺ: "قل أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" (١).

أما علي رضي الله عنه، فلم يثبت عنه أنه ترددت نفسه في موطن من مواطن القتال، ولم يثبت عنه أنه فر أو أحجم، وهو القائل (٢):

أَيُّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْر؟ يَوْمٌ لَا يَقْدِرُ أَمْ يَوْمٌ قُدْر؟
يَوْمٌ لَا يَقْدِرُ لَا أَرْهَبُهُ وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذَرُ

* تعقيب بشأن أن عليا كان يطحن يوم خيبر:

سألني أحدهم الرد على ما نشره د/ مروان على صفحته، متهمًا ساخرًا بعلي قوله: (فيرد عليهم آخرون أن الرجل حتى في غزوة خيبر [الرمز التاريخي

(١) موطأ مالك، ٢/ ٩٥٠.

(٢) العقد الفريد، ١/ ٩٦.

لبطولته] كان يطحن الرحي للمقاتلين [أي يخبز] كما يتفق كبار المحدثين، قبل أن يستخرجه النبي من الطاحونه ويأمره بالقتال) اهـ.

وكان جوابي:

الدكتور/ مروان يذكرني بالطفل الذي حفظ نكتة فقالها فضحك منها من سمعها من أسرته، فصار يرددها كل مرة، معتقدا أنها تضحكهم، ولم يدرك أنهم يشجعونه بضحكهم، ولا يكسرون بخاطر طفلهم، وهكذا تجده يطالعنا كل حين بمنشور يذم فيه عليا أو أحد أولاده!

هو قال (كما يروي كبار المحدثين)، لم يقل البخاري؛ لأنه يعلم أنه حين ينسب رواية يخطئ، كما حصل في نسبة رواية البغلة لصحيح البخاري، وغيرها مما تعقبناه من قبل، فأصبح يستخدم الرواية المجهولة؛ حتى لا يتعقبه أحد بالتخطيء.

ثم إن عليا الآن وجد عملا عند مروان، وأصبح يطحن للمقاتلين، ولم يعد يتعالى على العمل والعمال، وهذا تراجع من مروان الأول إلى مروان الثاني.

ثم إن كون علي يخدم المقاتلين، هذا فيه تواضع منه، وهي ميزة له وفضل، وليست منقصة، فـ"سيد القوم خادهم" كما في الأثر.

والبخاري عقد في صحيحه بابا بعنوان (الخدمة في الغزو)، وأورد فيه حديث خدمة المفطرين للصائمين، وقول الرسول ﷺ (ذهب المفطرون اليوم بالأجر).

ثم لماذا يبحث د مروان عن أي مروية يعتقد أنها مسيئة لعلي، ما الذي داخل نفسه حتى ينجذب إليه؟!

وأما الرواية التي ورد فيها أن (عليا في الرحى يطحن)، ففي مسند أحمد من طريق (أبي بلج الكوفي)^(١)، هل تذكر من أبو بلج؟ الرواية الذي عمل د مروان مقالا مطولا عنه، وكذب روايته (نوم علي على الفراش)، ولما وجد أنه ذكر أن (عليا يطحن)، رجع ليروي عنه، ضاربا عرض الحائط بكل ما قال عنه من قبل!

ثم حين يقول د/ مروان (يروي كبار المحدثين)، وهو مروي في مسند أحمد والمستدرک وعند الطبراني، نسي أنه قال من قبل (في مروية نوم الفراش)، أن القصة مروية عند (محدثي الدرجة الثالثة كابن حنبل والبيهقي والحاكم)، الآن لم يعودوا من الدرجة الثالثة، بل أصبحوا (كبار المحدثين)، وهكذا ارتفعت مرتبتهم عند د/ مروان، حين قدموا له رواية (يطحن في الرحى).

وأخيرا، فإن هذا الحديث الذي يروي أبو بلج، ويعمده مروان بأنه من رواية كبار المحدثين، فيه أمور أخرى مذكورة عن علي [فيه: أن الرسول ﷺ يقول لعلي: "أنت وليي في الدنيا والآخرة"، وقال الراوي: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة]، وفي الرواية: ("أنت وليي في كل مؤمن بعدي")، وفيها (وسد أبواب المسجد غير باب علي)، وفيها (من كنت مولاه، فإن مولاه علي)، فهل يقولها مروان كلها؟ أو أنه سيقول: من رواية أبي بلج، ومحدثي الدرجة الثالثة!

وأزيدكم من الشعر بيتا، هذه الرواية التي فيها (يطحن في الرحى)، هي نفسها رواية أبو بلج التي فيها أن عليا نام في الفراش، جاء فيها (وشرى علي نفسه، لبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام مكانه).

(١) (رقم: ٣٠٦١).

ماذا يا مروان! هل صحت رواية نوم علي على الفراش؟! أو في الموضوع إن؟

* تعقيب بشأن أهمية حامل اللواء في الحروب:

يطعن بعضهم بشأن أهمية حمل اللواء أو الراية في الحرب، ويقول: لا يشترط أن يكون حامل اللواء ذا مؤهل عسكري أو قيادي، بل يمكن لأي أحد حمل اللواء.

والجواب:

قال الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية^(١): "العَلَم الذي يحمل في الحرب، ليعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم العسكر، [ونقل عن ابن حجر في الفتح: اللواء: الراية ويسمى أيضا العلم، وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه"، ثم ذكر مجموعة من الصحابة الذين حملوا اللواء، فقال: "فمنهم أبو بكر وعمر، وعلي والزبير بن العوام، وسعد بن معاذ، وسعد بن عباد، وقيس بن سعد بن عباد، ومصعب بن عمير، وذلك مفرق في غزواته ﷺ".

فالنص يبين أهمية حامل اللواء وخبرته.

وحين كان النبي يرسل القادة في السرايا يدفع اللواء للقائد.

وفي معركة مؤتة، حمل الراية القائد: زيد، فلما قتل حملها القائد الثاني جعفر، فلما قتل حملها القائد الثالث عبد الله بن رواحة، فلما قتل أخذها ثابت وبحث عن خالد بن الوليد ليسلمها له.

(١) ٢٦٣/١.

وإذا نظرنا إلى من كان يحمل اللواء في المعارك والفتوحات، أدركنا أهمية هذا الدور، الذي كان يضطلع به القائد أو مساعده.

واهتمام كتب التاريخ بذكر حامل اللواء في المعركة ذو دلالة على أهمية هذا الدور.

ومن يطلع على كتاب "رايات الإسلام من اللواء النبوي الأبيض إلى العلم العثماني الأحمر" سيرى أهمية اللواء والراية عبر التاريخ عند الأمم.

** ** **

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الروايات الحديثية

- ١- عدد أحاديث علي في ١٦ كتابا من كتب السنة تبلغ ١٢٠٠ حديثا.
- ٢- مرويات علي في مسند أحمد، تعادل مرويات بقية العشرة.
- ٣- الروايات الصحيحة أن عليا كان ينفي عن نفسه أي امتيازات عن الناس خصه بها النبي.
- ٤- تصنيف أحاديث علي في الكتب السنة يبين أن أقل الأحاديث هي ما رواه في مناقبه (٢٪) فقط، وروى في مناقب الصحابة الآخرين ثلاثة أضعافه (٦٪)، وأغلب أحاديثه في: العبادات وشعائر الدين (٣٧٪)، ثم في باب العلم والإيمان والتفسير (١٤٪).
- ٥- علي روى في مناقب الصحابة ثلاثة أضعاف ما رواه في مناقبه.
- ٦- بإحصاء الأحاديث المروية في مناقبه، يتبين أن نسبة (٨٤٪) من مناقبه رواها الصحابة الآخرون.
- ٧- بتصنيف الأحاديث الصحاح والحسان المروية في مناقبه، والبالغ عددها ٢٤ حديثا، لم يُرو حديث يفهم أن فيه تهديدا سوى حديث واحد (نسبة ٤٪)، ومثله مروى في فضل الأنصار، والعلماء شرحوه دون أن يبدو فيه تهديد ووعيد.
- ٨- الرد على اتهام علي أنه كان يستنسخ فضائل أصحابه.

يقول مروان عن علي رضي الله عنه: "روى مجموعة من الأحاديث، زهاء ٢٢٠ حديثاً، وليس في ذلك من ميزة، نسبة ملحوظة من تلك النصوص تتعلق بامتيازها الشخصي، وبأقوال كان النبي يخاطبها، مثل الفرق بين بول الجارية والصبي" اهـ. مع ما في العبارة من مجافاة للعلمية، وانغماس في النفسية، ولا سيما حين يختار رواية البول ليضربها مثلاً!، سنعرض عن كل ذلك، ودعونا نفحص هذه العبارة في ضوء الحقيقة التاريخية والحديثية.

أولاً: [أحاديث علي في ١٦ كتاباً من كتب السنة تبلغ ١٢٠٠ حديثاً]

العبارة كلها زور، ودعونا نسأل المحدثين عن مدى صحة ما يقوله مروان، وهو يقلل من مرويات علي، بطريقة مليئة بالازدراء والسخرية، ولو اعتمد مروان على التقدير القديم لاتباع النووي، حيث يقول^(١): "روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٨٦) حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر".

ولو اتبع التقدير الإحصائي لنظر إلى مرويات علي في كتب الأطراف، ولننظر إلى مروياته في ١٦ كتاباً من كتب السنة، والمقصود بالأطراف أن المصنف يذكر حديث الصحابي وأطرافه في بقية الكتب، بحيث يعد مجموع الطرق حديثاً واحداً، بعبارة تبسيطية، عدد الأحاديث في كتب الأطراف دون تكرار.

كتاب (تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف)، للإمام الحافظ أبي الحجاج المزي (ت: ٧٤٢هـ)، جمع أطراف أحاديث الصحابة في الكتب الستة: "صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي،

(١) تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٣٤٥.

وسنن ابن ماجه"، بلغت أحاديث علي بن أبي طالب في الكتب الستة: ٣٢٢ حديثاً (بحسب تحفة الأشراف).

جاء بعد ذلك الحافظ المحدث ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، فصنف كتابه (إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة)، ليكون مكملاً لتحفة الأشراف بجمع أطراف الأحاديث في مجموعة أخرى من كتب السنة، وهي: سنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح أبي عوانة، وصحيح ابن حبان، والمستدرک للحاكم، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، وشرح معاني الآثار للطحاوي، وسنن الدارقطني، بلغت أحاديث علي بن أبي طالب في الكتب العشرة، دون تكرار: ٨٧٧ حديثاً.

وبعبارة أخرى، مجموع أحاديث علي بن أبي طالب في ١٦ كتاباً من كتب السنة يبلغ (١١٩٩ حديثاً)، ومروان ذكر مجموعها زهاء (٢٢٠ حديثاً) أي أنه ابتلع نحو ٨٢٪، إذن نحو ١٠٠٠ حديث غُمست في البحر، واختُزلت في بول الجارية والصبي!

وقد روى عنه من الصحابة: ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو سعيد الخدري، وأبو موسى الأشعري، وجابر بن عبد الله، وزيد بن أرقم... إلخ، وروى عنه من التابعين خلائق مشهورون (انظر تهذيب الأسماء واللغات، للنووي).

ثانياً: [مرويات علي في مسند أحمد تعادل مرويات بقية العشرة]

العبارة أيضاً ليست مجرد زور، بل تضليل أو جهل؛ فمتى كانت كمية الروايات الحديثية معياراً في تقييم الصحابة؟! كثير من الصحابة لم يرووا، وهؤلاء

الخلفاء الراشدون، بالنظر في مسند أحمد، مثلاً، فإن مروياتهم [بالمكرر] مجتمعين أقل من مرويات علي، (أبو بكر الصديق: ٨١ حديثاً، وعمر بن الخطاب: ٣١٧ حديثاً، وعثمان بن عفان: ١٦٣ حديثاً، بمجموع الثلاثة: ٥٦١ حديثاً، في حين أخرج أحمد لعلي نحو ٨١٩ حديث، في نحو جزء كامل، بل إن مرويات علي في مسند أحمد تعادل مرويات بقية العشرة المبشرين بالجنة، والبالغ عددها ٨٨٢)، فهل ذلك يعيهم أو يغض من مكانتهم، أو يقلل من قدراتهم الفقهية والعلمية؟!

وبالرغم من ذلك، فمرويات علي قليلة، وسبب ذلك يعود إلى شدة تحري المحدثين في مروياته، فقد أورد مسلم في مقدمة صحيحه^(١): قال أبو إسحاق السبيعي: "لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي عليه السلام، قال رجل من أصحاب علي: قاتلهم الله، أي علم أفسدوا"، قال النووي في شرحه^(٢): "فأشار بذلك إلى ما أدخلته الروافض والشيعة في علم علي عليه السلام وحديثه، وتقولوه عليه من الأباطيل، وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة، وخلطوه بالحق؛ فلم يتميز ما هو صحيح عنه مما اختلقوه"، وهذا اضطر علماء الحديث إلى ترك ما اشتبهوا فيه من حديثه؛ تحرياً منهم لذلك.

وأحيل القراء إلى الموسوعة الحديثية التي أصدرها يوسف أوزبك، بعنوان "مسند علي بن أبي طالب عليه السلام"، وخرج أحاديثها وآثارها، وصدرت الموسوعة في سبعة أجزاء، اشتملت على (١٧٤٨٢) حديثاً أو أثراً مسنداً لعلي في كتب السنة، وليس في كتب الشيعة، وقال المؤلف في المقدمة: "شرط هذه الموسوعة استخدام الكتب المسندة فقط، أي: التي يسوق مؤلفها الحديث أو الأثر بإسناده".

(١) ١٣/١.

(٢) ٨٣/١.

ثالثاً: [هل أحاديث علي تتعلق بامتيازهِ الشخصي؟]

والعبارة ليست مجرد زور، أو تضليل وجهل فحسب، بل هي أيضاً افتراء، حين يرمي علياً أن مجموعة من أحاديثه تتعلق بامتيازهِ الشخصي، وما نبز به هنا، صرح به في موضع آخر، أن علياً يفترى على النبي ويضع الأحاديث على لسانه، يقول مروان: "لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق"، قال علي عن نفسه، وهو تحوير مذهل لوصف قاله النبي في الأنصار، كما في صحيح مسلم، وقد تحدثنا عن التزوير في هذا من قبل.

بل إن علياً يصرح وينفي عن نفسه أي امتيازات عن الناس، في صحيح مسلم^(١)، سئل علي، أخصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً».

أهذا سلوك من يبحث عن امتيازات؟ لم يرض أن يسكت أمام هذه الدعاوى، بل إنه حين قال له رجل "أسر إليك الرسول شيئاً؟" غضب، وقال: "ما كان النبي ﷺ يسر إلي شيئاً يكتمه الناس"، والحديث في صحيح مسلم أيضاً، وفي صحيح البخاري^(٢)، عن أبي جحيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قلت لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة»... إلخ.

(١) (١٩٧٨).

(٢) (٣٠٤٧).

وأخرج أبو داود^(١): قال قيس بن عباد: قلت لعلي عليه السلام: أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأي رأيته فقال: «ما عهد إلي رسول الله ﷺ بشيء ولكنه رأي رأيته»، أيكون هذا رد من يروي الامتيازات الشخصية؟

وفي صحيح البخاري^(٢)، أن عليا حدث أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة، فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، فلو كان علي يروي امتيازات شخصية لكان أخفى هذا الحديث، الذي يبدو أن فيه ذمًا له وأنه نام عن الصلاة، وأن النبي يعاتبه، وأنه يحتج بمثل هذه الحجة، قال ابن حجر^(٣): (وفيه منقبة لعلي حيث لم يكتف ما فيه عليه أدنى غضاضة فقدم مصلحة نشر العلم وتبليغه على كتفه)، ونقل عن الشيخ أبي محمد بن أبي جمرة^(٤): (وفيه فضيلة ظاهرة لعلي من جهة عظم تواضعه لكونه روى هذا الحديث مع ما يشعر به عند من لا يعرف مقداره أنه يوجب غاية العتاب فلم يلتفت لذلك بل حدث به لما فيه من الفوائد الدينية).

و[العبرة احتقار للفقهاء الإسلامي]

والعبرة ليست مجرد زور، أو تضليل وجهل، أو افتراء على الصحابة فحسب، بل هي أيضا احتقار للفقهاء الإسلامي، والتراث الفقهي الإسلامي عبر

(١) (٤٦٦٦)، وصحح إسناده الألباني.

(٢) (١١٢٧).

(٣) فتح الباري، ٣/ ١١.

(٤) فتح الباري، ٣١٤/ ١٣.

مئات السنين، الذي تناول كل المسائل الفقهية دون استحياء، سواء في ذلك أحاديث الطهارة، أو أحاديث الصلاة، أو أحاديث المعاملات، أو أحاديث القضاء والحكم... إلخ.

رابعاً: [تصنيف أحاديث علي وموضوعاتها، وأحاديثه في مناقب الصحاب]

والعبارة بعد ذلك منافية للعلم، فلو اتبعت المنهج العلمي واطلعت على مروياته الحديثية في كتب السنة لقلت شيئاً آخر، قمتُ بتصنيف مرويات علي بن أبي طالب في الكتب الستة (سواء صحيحها أو ضعيفها)، وفقاً لما جاء في (تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف)، وهي ٣٢٢، فكانت النتيجة كالتالي:

- (عبادات وشعائر الدين وأذكار وأدعية): ١١٩ حديثاً، [وشملت

العبادات: الطهارة، والصلاة، والصيام، والحج، والجنائز،]، (٣٧٪)

- أحكام المعاملات: ٢٠ حديثاً، (٦٪)

- الحدود والجنايات والديات: ١١ حديثاً، (٣٪)

- أحكام اللباس، الطلاق، الأطعمة، الآداب: ٤٣ حديثاً، (١٣٪)

- العلم، الإيمان، التفسير، الفتن: ٤٥ حديثاً، (١٤٪)

- علاقات الدولة وإدارتها: ١٧ حديثاً، (٥٪)

- المغازي والسير: ٣٠ حديثاً، (٩٪)

- حياته الشخصية (ما يرويه عن فاطمة، مهنته، حالة حياته): ١١ حديثاً،

(٣٪)

- مناقبه: ٧ أحاديث، (٢/٪).

- ما يرويه في مناقب الصحابة الآخرين: ١٩ حديثاً، (٦/٪).

أعتقد أن في هذا دليلاً كافياً وشفافاً وواضحاً للهذر الذي يُكتب بلا علم ولا برهان.

خامساً: علي يروي في مناقب الصحابة:

الأحاديث التي رواها علي في مناقب الصحابة أكثر بكثير من تلك التي رواها في مناقبه (ثلاثة أضعافها على الأقل)، وحتى الأحاديث التي في مناقبه نصفها ضعفه العلماء، بعبارة أخرى، يرى علماء الحديث أن علياً لم يقل ذلك، في حين له ما لا يعد من الأحاديث في فضائل أصحابه، فقط رُوي عنه في أبي بكر وعمر أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر" (كما قال ابن تيمية في الفتاوى)^(١)، ومن أحاديث علي في مناقب الشيخين: "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين" [راجع سلسلة الصحيحة للآلباني]، فما بالك بأحاديثه الأخرى فيهم، وفي غيرهم؟!!

حين يقول مروان: "في نهج البلاغة، خطب علي والخطب المنسوبة إليه، هجوم قاسي ضد الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه"، ويكتب مروان عنواناً: "طريق الضجيج، عن رجل يسطو على فضائل رفاقه وأخبارهم"، ويقول: "أبعد من ذلك، يشير عُمر هُنا إلى ما قاله عليُّ بحقه وحق سلفه حين وصفهما بالكذابين والغدارين والخونة" [وقد ناقشت تزويره على عمر سابقاً].

(١) ٢٢٣/٢.

وقد أشرنا من قبل إلى أن الدكتور مروان قال عن نهج البلاغة أنه مكذوب، لكنه هنا يعود للاستدلال به، كيف يستدل بمرجع مكذوب؟! في الدراسات البحثية الطبية إذا قلت: هذه الدراسة فيها كثير من الأخطاء ولم تلتزم بمعايير البحث الطبي، هل يصح أن تستشهد بها على أنها مصدر صحيح؟! أو تركز على نتائجها أو تبناها دون أن تخضع نتائجها إلى التدقيق والتحقيق؟

ثم لنقرأ ما يقول العلماء عن موقف علي من أبي بكر وعمر وعثمان، يقول ابن تيمية في الفتاوى متحدثاً عن موقف علي ممن يفضله على أبي بكر وعمر^(١): (وأما المفضلة، فقال [أي علي]: "لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفترى"، وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر"، اقرأ ما يقول ابن تيمية، تفضيل علي لأبي بكر وعمر وارد من أكثر من ثمانين وجهاً، بعضها في الصحيح، فلم الافتراء على علي؟!)

وفي صحيح البخاري^(٢)، عن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر»، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: «ما أنا إلا رجل من المسلمين»، أفيقول هذا رجل متكبر متعال مغرور؟! أم يقوله رجل متواضع؟! أيفعل هذا من يجند جيشاً من المرتزقة لنشر فضائله؟! يقول متواضعاً "ما أنا إلا رجل من المسلمين"، ألا قبح الله كل أفاك أثيم!

(١) ٢٢٣/٢.

(٢) (٣٦٧١).

وفي الثقات لابن حبان^(١)، وهو يروي قصة بيعة علي، وفيها: "وجاء أهل مصر، فقالوا: ابسط يدك نبايعك، فوالله لقد قُتل عثمان، وكان قتله لله رضى، فقال علي: كذبتُم، والله ما كان قتله لله رضى، لقد قتلتموه بلا قود ولا حد ولا غيره".

وقال علي مخاطباً أبا بكر حين أراد الخروج للقتال بنفسه: (أَشْمُ سَيْفِكَ، ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصيب فيك لا يكون للإسلام بعدك نظاماً أبداً)^(٢)، أ فمن يقول هذا الكلام هو شخص يسرق فضائل الآخرين؟ ويغمطهم حقهم!

وحين نزل الكوفة بعد وقعة الجمل، فقال له أصحابه: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة^(٣)، فهذا يدل على غاية احترامه للخلفاء السابقين من قبله، بالرغم من أنه صار الخليفة، وعمر ميت، ولكنه احترام مشاعر عمر حتى بعد موته.

وفي الخمس، حين ولي الخلافة، اتبع ما ذهب إليه الخلفاء السابقون في إسقاطه، احتراماً لهم، وحين سئل أبو جعفر^(٤): ما كان رأي علي (رضي الله عنه) في الخمس؟ قال: كان رأيي فيه رأي أهل بيته؛ ولكنه كره أن يخالف أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما).

ويقول لعثمان وهو يشير إلى عمر: (هذا القوي الأمين)^(٥).

وقال لوفد نجران حين قدموا عليه في خلافته، وأملوا أن يردهم إلى اليمن،

(١) ٢٦٧/٢.

(٢) الرياض النضرة: ١٤٨/١، معجم ابن الأعرابي ٧٩١/٢.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، ٤٩١/١٠.

(٤) الخراج لأبي يوسف، ٣٠. وانظر: الأموال للقاسم بن سلام، ٤١٦.

(٥) الرياض النضرة في مناقب العشرة، ٣٩٤/٢.

وكان عمر أجلاهم، فقال لهم علي^(١): (إن الذي أخذ منكم عمر رضي الله عنه لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه لجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذ منكم خيرا مما أعطاكم، والله لا أرد شيئا مما صنعه عمر رضي الله عنه)، إن عمر رضي الله عنه كان رشيدا (أمرا)، فهو لم يكتف بالثناء على عمر، وتزكية فعله، بل ذكر وجاهة ما فعل، وأنه فعل ذلك للمسلمين وليس لنفسه، حتى قال الراوي: (فلو كان طاعنا على عمر يوما لكان ذلك اليوم).

وظل حتى وفاته على رأيه في من سبقه، ففي المستدرک: عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: «ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا، فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم»^(٢)، فهو يصرح أن أبا بكر خير الصحابة.

وحين توفي عمر دخل علي بن أبي طالب، فترحم عليه وقال^(٣): ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك، وحسبت إن كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر، وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر، وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر، وعمر».

ومن الصحابة الذين روى علي في مناقبهم: أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير بن العوام وابن مسعود، وسهل بن حنيف، ومصعب... إلخ، وقد ذكرنا بعض تلك الأحاديث، فهل يفعل هذا "رجل يسطو على فضائل رفاقه وأخبارهم"؟!

(١) انظر سنن البيهقي، ١٠/ ٢٠٥.

(٢) المستدرک للحاكم (٤٤٦٧)، وصححه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري (٣٦٨٥).

و ذات يوم سأل علي أصحابه: من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت، فقال: بل أبو بكر، ثم ذكر موقف أبي بكر في العريش يوم بدر، وموقفه في مكة^(١)، أفيقول هذا رجل يتنكر لأصحابه، أو يغمط الصحابة حقهم؟ أو يحاول التسلق على ظهورهم؟! ظهورهم!

ثمة عشرات، بل مئات المقولات المروية عن علي في تبجيل أبي بكر وعمر وعثمان بالأخص، وغيرهم من الصحابة، أيفعل ذلك رجل ناكر للجميل، غامط لأهل الفضل حقهم؟! غامط!

هذا علي المتواضع، الوفي، الصادق الصلبة، الذي يعرف للرجال حقهم ومكانتهم.

وذكر علي بن أبي طالب عائشة، فقال^(٢): (لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة).

وبعد عقر الجمل وإنهاء المعركة، وقع رجلان في عائشة، قال أحدهما: جزيت عنا أمانة عقوقا، وقال الآخر: يا أمانة توبي فقد خطيت، فأمر القعقاع فجلدهما مائة جلدة، وجردهما من ثيابهما زيادة في التنكيل بهما^(٣).

سادساً: من الذي روى مناقب علي؟

ثم إن مناقب علي عليه السلام، معظمها، إنما رواها الصحابة رضي الله عنهم، ولم يروها علي عن نفسه، فمثلا مناقب علي في صحيح البخاري ومسلم، رواها: سعد بن

(١) مسند البزار، (٧٦١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ١٥٢١ / ٨.

(٣) تاريخ الطبري، ٥٤٠ / ٤.

أبي وقاص، أبو هريرة، سهل بن سعد، سلمة بن الأكوع، زيد بن أرقم، ابن عمر.
وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، والحديث في البخاري^(١): "ما أجد أحدا أحق
بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم
راض"، وذكر منهم عليا.

وعائشة روت حديث الكساء في صحيح مسلم^(٢)، قالت: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم
غداة وعليه مرطٌ مُرَحَّلٌ، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء
الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:
"إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" ﴿١٣﴾.

وحديث العشرة المبشرين في الجنة رواه من العشرة: عبد الرحمن بن
عوف (كما عند الترمذي والنسائي وغيرهما)، ورواه سعيد بن زيد (عند الحميدي
وابن أبي شيبة وغيرهما)، ورواه آخرون من الصحابة^(٣).

وإذا نظرنا في "جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير، الذي
جمع فيه أصول أحاديث الكتب الستة، في المجلد الثامن، في أحاديث مناقب
علي، أورد (٣٢ حديثا)، ما رواه علي منها ٥ أحاديث فقط، وبقيتها رواها ١٧
صحابي فيه، رضي الله عنهم أجمعين، (أي أن نسبة ٨٤٪ من مناقبه رواها
الصحابة الآخرون).

(١) (٣٧٠٠).

(٢) (٢٠٨١).

(٣) انظر تلك الروايات في جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٨/ ٥٥٧، ٥٦١.

وفي مسند أحمد^(١): "قال زياد بن أبي زياد: سمعت على بن أبي طالب يَنْشُدُ الناس فقال: أنشد الله رجلا مسلما سمع رسول الله ﷺ يقول: يوم غدیر خم ما قال: فقام اثنا عشر بدريا فشهدوا" ... إلخ.

ثم متى يعيب الصحابي أن يروي ما يقوله رسول الله ﷺ فيه؟! فهو لاء الصحابة كانوا يروون ذلك.

حتى لو روى منقبة عن نفسه، فذلك لا يقلل من قدره، ومن حقه أن يفرح بما قيل فيه، ومن حقه أن يخبر الناس بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.

أنت، إذا شخص أعلى منك في مجال الطب أثنى عليك ومنحك شهادة، فسيكون من دواعي سرورك أن تشارك ذلك مع الجمهور.

ألا تفرح لو حصدت جائزة في الأدب أو أثنى عنك كاتب؟! أو منحت شهادة تميز، أو خدمة من مدير مشفاك؟ وهل يقال مروان يسطو، إذا ما حدث ذلك؟ بأي معيار تحاكم عليا إذن؟

سابعاً: موضوعات الأحاديث المتعلقة بمناقب علي

ثم حين يقول مروان: "لكل صحابي، من المجموعة الضيقة التي أحاطت بالنبي، قائمة "مناقب" يذكرها أصحاب السير، إلا قائمة علي فإنها مختلفة كلياً، تتعلق بمناقب علي، أغلبها، بالوعيد والتهديد لأولئك الذين سيغضونه أو يكرهونه" اهـ.

(١) (٦٧٠)، وصححه الشيخ شاکر، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

كان على مروان أن يحصي أحاديث مناقب علي، قبل أن يقفز إلى النتيجة من قراءة حديث واحد، أو يعتمد على أحاديث واهية باطلة، كان من المفترض أن ينتقدها كما انتقد مروية نوم علي على فراش النبي، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث. جمع الشيخ "عبد الستار الشيخ" في كتابه "علي بن أبي طالب عليه السلام" أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين^(١)، الأحاديث الصحاح والحسان في فضائل علي، وصنفها، وخصص لها باباً كاملاً، وقد بلغت الأحاديث الصحيحة والحسنة التي جمعها ٢٤ حديثاً، (عدا أحاديثه في بيته مع فاطمة).

وصنفها المؤلف كما يلي: (ما نزل فيه القرآن الكريم: ٤ أحاديث)، (المبشر بالجنة: ٦ أحاديث)، (مكانته عند النبي: ٨ أحاديث)، (مناقبه وخصائصه: ٦ أحاديث)، وهذه الأربعة والعشرون حديثاً روى علي منها ٤ فقط، وأما عشرون حديثاً فرواها صحابة آخرون، [وهذه النسبة تتفق مع النسبة السابقة في أن نحو ٨٣٪ من مناقبه رواها الصحابة الآخرون].

وليس في أي واحد منها ما يفهمه بعضهم على أنه تهديد ووعيد، باستثناء حديث مسلم "لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق"، وهو غير خاص بعلي، فمسلم نفسه روى ذلك عن الأنصار أيضاً.

ولا دلالة على التهديد الذي يضخمه مروان، يقول النووي في شرح الحديث^(٢): "ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في

(١) ص ٢١٨ - وما بعدها.

(٢) ٦٤/٢.

نصرة دين الإسلام، والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين، وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ وحبهم إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إثارة للإسلام، وعرف من علي بن أبي طالب رضي الله عنه قربه من رسول الله ﷺ وحب النبي ﷺ له وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثم أحب الأنصار وعلياً لهذا، كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه؛ لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم".

وإذا كان مروان يقيم مثل هذه الأحكام على الروايات الواهية والمنكرة والموضوعة، فسيجد أيضاً نحواً من تلك الأحاديث التي يقولون إنها حاملة لمتفجرات التهديد - عن بقية الخلفاء، ومنها، مثلاً في فضائل الخلفاء الأربعة لأبي نعيم: أن النبي لم يصل على رجل، فلما سئل: "إنه كان يبغض عثمان أبغضه الله"، وحديث "اتقوا غضب عمر فإنه إذا غضب غضب الله له"، وفي السلسلة الضعيفة: حديث "حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما من الكفر"، فهل نعتمدها، كما يفعل مروان، ونقول أيضاً إن مناقب الآخرين قائمة على التهديد والوعيد؟!

وهذا عدا عن عشرات الأحاديث الضعيفة والموضوعة في مناقب بقية الخلفاء، فلماذا لم يستخدم مروان منهج علماء الجرح والتعديل في نقد هذه الروايات، بل ذهب يحتفي بها؛ ليستخدمها في إدانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟! لماذا يُعني مروان نفسه في استدعاء علماء الجرح والتأويل وهو ينقد مروية نوم

علي على الفراش، ثم يمضي ولا يلقي السلام عليهم حين ينقب عن الروايات الواهية والضعيفة والمنكرة؛ لإدانة علي عليه السلام؟!!

فكون العلماء يتقدون الأحاديث وفق منهج المحدثين، ويقولون إن الأحاديث الثابتة في فضل علي معدودة، فلماذا تبني نتائجك على أحاديث واهية؟! ولماذا تتناسى الجرح والتعديل، وكلامك المنمق عنه؟!!

ويوغل مروان، وهو الذي يحب الإيغال والتعمق، في المبالغة الفقيرة من العلم وفقه العلم، المليئة بالهوى، فيقول: "تفوق الأحاديث التي تتوعد خصوم علي بالويل والثبور، من حيث النوع والدرجة، على تلك التي تتوعد كارهي النبي ورسالته".

لا نقول إلا: أحشفاً وسوء كيلة، يا مروان؟

ثامناً: استنساخ الفضائل

ادعاء د/ مروان أن كل فضيلة قيلت في صحابي نسجت في علي، فهنا نقض لها من ستة أوجه:

أولاً: نحن أمام أحد أمرين:

- الأول: أن تكون الرواية [المنسوجة] ضعيفة، وبالتالي تسقط، ولا يصح إقامة نتيجة عليها، وإذا أقام مروان دعواه عليها فيكون قد اجترأ على المنهج العلمي، حين يقيم نتائج على أدلة ضعيفة.

- الثاني: أن تكون الرواية صحيحة، ومن ثم فهي ثابتة بذاتها، والطعن فيها لمجرد أنها شابهت فضيلة أخرى، هو طعن في الرواة، ويلزم الطاعن إثبات مطاعنه، وعندئذ تكون الرواية ضعيفة.

ثانيًا: ثم ما العيب أن تجد فضيلة متشابهة لأكثر من صحابي؟ والرسول كان يشهد لأصحابه بما فيهم من الفضل، سواء تكرر الأمر أو لم يتكرر، فمثلاً، أنت تدرس الطب وتخرج بشهادة في تخصص ما، كجراحة القلب، فهل نقول: إن أي شهادة في هذا التخصص مزورة؛ لأن المتخصص يجب أن يكون واحد فقط؟!

ثالثًا: ثم لو اعتدنا بهذا المعيار، فسيأتي من يقول: إن هذه الفضائل لعلي، ثم نسج الآخرون على منوالها! وعليه فحديث "سيدا شباب أهل الجنة" يقابله "أبو بكر وعمر سيذا كهول أهل الجنة"، وحديث: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" يقابله حديث: "لو كان بعدي نبي لكان عمر".

وكذلك نقول في الكثير من الآيات التي وردت فيها أسباب النزول أيضاً. وهكذا لن يكون أحد بأولى بالدعوى.

رابعًا: لم يقل أحد من المحدثين أن من نكارة المتن أن يكون الحديث غير متشابه مع حديث آخر، وإذا كان مروان يحترم علم الحديث، فعليه أن يأتي بأدلة على دعواه، من أقوال المحدثين، ما لم فإما أن يسحب الادعاء، أو هو الهوى.

خامسًا: هذه المقولة تفترض بالضرورة أن الرواة يكذبون ويضعون أحاديث على الرسول، وأولهم علي بن أبي طالب بنفسه، وإذن، إذا كان مروان يحترم علم الحديث، فليأت بأقوال العلماء الذين قالوا إن علي بن أبي طالب كذاب وضاع للحديث.

سادسًا: هذه الأحاديث، بعضها في الصحيح، كحديث (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، وبعضها في بقية السنن، وقد صححها علماء الحديث، فلماذا

صححوها إن كانت موضوعة؟ أهم يشتركون أيضا في التغطية والكذب على
رسول الله ﷺ؟

فإذن، المعيار إنما هو صحة الحديث وضعفه، وبدون هذا المعيار ينقلب
الأمر إلى الهوى.

علي رضي الله عنه: علمه وفقهه

١ - العلماء ألفوا كتباً في فقه الإمام علي، شملت مختلف المسائل الفقهية، وشهد بفقهه علي الصحابة، ومنهم كبار فقهاء الصحابة: عمر، وعائشة، وابن مسعود، وابن عباس، عدا عن التابعين، ومن بعدهم من علماء الأمة.

٢ - علم علي رضي الله عنه.

٣ - الصورة العلمية لعلي رضي الله عنه لدى الإمام مالك.

٤ - نماذج من الفراسة في أقضية علي.

٥ - صور مختلفة عن علم علي واجتهاده.

٦ - علي يصحح للصحابة اجتهاداتهم ورواياتهم.

٧ - الصحابة يحيلون السائلين إلى علي.

٨ - علي وعلم الكتابة.

٩ - أخيراً، دور علي في نشأة علم النحو.

يسخر الدكتور مروان من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قائلاً: (سيملؤون كتب

المغازي والسير بخرافات البطل والفيقهِ والفدائي)، ففقه علي - عند مروان -

مجرد خرافة، ويقول في موضع آخر مبرراً للخوارج الخروج على علي: (ورأوا

أن قدراته الفقهية أقل من أن تكون موضع احترام).

في هذا الموضوع، سنختبر شهادة الدكتور مروان عن علي، مقابل شهادات أهل العلم والاختصاص طوال التاريخ الإسلامي، إضافة إلى ما ذكرناه في الموضوع السابق من الروايات الحديثية لعلي عليه السلام، فالصحابه الذين حملوا الروايات هم أهل علم.

أولاً: علي الفقيه

يقول مروان إن علياً ليس بفقيه، ومروان، كعادته لا يجرد الشخص من الفضيلة، بل يتفنن في السخرية والاحتقار وإضحاك الناس، فيقول: "بعد عام سيفتك علي بالآلاف من رجاله السابقين في معركة النهروان ممن اعترضوا على إدارته العسكرية والسياسية، ورأوا أن قدراته الفقهية أقل من أن تكون موضع احترام"، مروان لا بد أن يأتي بالوصف مصوراً بصورة السخرية والاحتقار والتشويه والازدراء.

حسناً، من أراد التحقق من كلام مروان، فليطلع على كتب الفقه القديمة والحديثة، وتوفيرا على القارئ، نحيله إلى الكتب التالية:

تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، د صبحي المحمصاني، وكتاب فقه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أحمد البالياني، وأصله رسالة دكتوراه، وكتاب فقه الإمام علي بن أبي طالب، لأحمد محمد طه، رسالة علمية، وكتاب موسوعة فقه علي بن أبي طالب، للدكتور محمد رواس، وهو فقه يشتمل على آلاف المسائل الفقهية في مختلف أبواب الفقه، بل إن أبواباً في الفقه تكاد تقوم على فقه علي عليه السلام، كفقه البغاة والتعامل معهم، قال إبراهيم النخعي^(١): (لولا أن

(١) شرح السنة للبخاري، ٢٣٦/١٠.

عليًا قاتل أهل القبلة لم يدر أحد كيف يقاتلهم)، والصلابي في كتابه خصص نحو ١٥٠ صفحة لعرض أمثلة من فقه علي بن أبي طالب^(١)، في مختلف الموضوعات الفقهية.

وثمة رسالتان جامعيتان، في مجلدين كبيرين، اشتركتا في تتبع: "المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير".

وقد أحصيت المرويات التفسيرية المسندة إلى علي عليه السلام، في (موسوعة التفسير المأثور)، الصادر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية^(٢)، فبلغت الآثار التفسيرية لعلي نحو (٦٠٠ أثر).

[نقرأ شهادة الرسول ﷺ لعلي]:

أخرج ابن ماجه بسند صحيح^(٣)، من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب"، قال المناوي في شرحه^(٤): ("وأقضاهم علي"، أي أعرفهم بالقضاء بأحكام الشرع، قال السهودي: ومعلوم أن العلم هو مادة القضاء، وأخبره في هذا الباب مع عمر وغيره لا تكاد تحصى).

(١) ص ٣٨٢.

(٢) انظر فهرس آثار الأعلام للموسوعة، ٢٤ / ٦٤٠.

(٣) ابن ماجه (١٥٤)، وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط، والألباني. والحديث في مسند أبي يعلى من حديث ابن عمر (٥٧٦٣)، ومعجم ابن الأعرابي من حديث أبي سعيد (٢١٩٢)، وفي جامع معمر بن راشد مرسلًا عن قتادة (٢٠٣٨٧)، وفي الشريعة للأجري، ٤ / ١٦٨٨. وصحح الحديث الشيخ حسين سليم أسد، محقق موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ٧ / ١٦١.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ٤٥٩.

وقال القرافي^(١): (اعلم أنه يجب أن يقدم في كل ولاية من هو أقوم بمصالحها على من هو دونه، فيقدم في ولاية الحروب من هو أعرف بمكائد الحروب وسياسة الجيوش والصولة على الأعداء والهيبة عليهم، ويقدم في القضاء من هو أعرف بالأحكام الشرعية وأشد تفتنا لحجاج الخصوم وخدعهم، وهو معنى قوله: "أقضاكم علي"، أي هو أشد تفتنا لحجاج الخصوم وخدع المتحاكمين.

وبه يظهر الجمع بينه وبين قوله: "أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل"، وإذا كان معاذ عرف بالحلال والحرام كان أقضى الناس، غير أن القضاء لما كان يرجع إلى معرفة الحجاج، والتفتن لها كان أمرا زائدا على معرفة الحلال والحرام، فقد يكون الإنسان شديد المعرفة بالحلال والحرام، وهو يخدع بأيسر الشبهات، فالقضاء عبارة عن هذا التفتن، ولهذا قال - عليه السلام - «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع»، فدل ذلك على أن القضاء تبع الحجاج وأحوالها، فمن كان لها أشد تفتنا كان أقضى من غيره).

[ونقرأ شهادات الصحابة في فقه علي]:

قال ابن عباس، هو حبر الأمة وترجمان القرآن^(٢): "إذا حدثنا ثقة بفتوى عن علي لا نعدوها" [أي نأخذ بها، ولا نتجاوزها، ولا نسأل غيره]، وقال عبد الله بن

(١) الفروق، ٢/١٥٧-١٥٨.

(٢) طبقات ابن سعد، ٢/٢٥٨.

مسعود: أفضى أهل المدينة ابن أبي طالب^(١)، وقال عمر بن الخطاب: أفضانا علي
[في صحيح البخاري^(٢)].

وفي المستدرک للحاکم^(٣)، قال ابن مسعود: "كنا نتحدث أن أفضى أهل
المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه".

وقالت عائشة رضي الله عنها^(٤): (علي أعلم الناس بالسنة).

ونقل ابن عبد البر في الاستيعاب^(٥): "عن جبير، قال: قالت عائشة: من
أفتاكم بصوم عاشوراء؟ قالوا: علي، قالت: أما إنه لأعلم الناس بالسنة".
وهناك روايات كثيرة تبين أن الصحابة كانوا يحيلون السائلين إلى علي،
وسأورها بعد قليل.

وذكر ابن عبد البر أيضا في الاستيعاب^(٦): "وكان معاوية يكتب فيما ينزل
به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه
والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام،
فقال له: دعني عنك"، إلى غير ذلك من شهادات الصحابة له.

(١) طبقات ابن سعد، ٢/٢٥٨.

(٢) (٤٤٨١).

(٣) (٤٦٥٦)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه البغوي في معجم الصحابة
(٤/٣٦١).

(٤) السنة لأبي بكر الخلال، ٢/٣٤٣.

(٥) ١١٠٤/٣.

(٦) ١١٠٨/٣.

[ونقرأ شهادات التابعين ومن بعدهم]:

قال عبد الله بن عياش المخزومي، وكان من كبار التابعين، وهو مقرئ المدينة، وأحد من ولي لابن الزبير، يقول عن علي^(١): (كان علي مزاحا، ولكنه إذا قرع قرع إلى ضرر حديد، فسئل: وما ضرر الحديد؟ قال: قراءة القرآن، وفقه في الدين، وشجاعة، وسماحة).

في الطبقات لابن سعد^(٢)، عن القاسم بن محمد: كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

وقال سعيد بن المسيب^(٣): لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ يقول: "سلوني" إلا علي بن أبي طالب.

وقال الشافعي في الأم، بعد أن أورد الخصم فتوى لعلي، فقال الشافعي^(٤): (لو ثبت عن علي - رضي الله تعالى عنه - صرنا إليه).

يقول ابن المديني، شيخ البخاري، في كتاب العلل^(٥): "قضاة هذه الأمة أربعة: عمر وعلي وزيد وأبو موسى الأشعري"، ثم يورد مجموعة واسعة من الأقوال في ذكر فقهاء الصحابة وعلمائهم وقضاتهم، واسم علي يتردد باستمرار فيها.

(١) فضائل الصحابة لأحمد، ٥٧٦/٢. قال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(٢) ٢٥٥/٢.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد، ٦٤٦/٢. وصححه محقق الكتاب. وانظر مصنف ابن أبي شيبة، ٣١٢/٥.

(٤) ٢٦٩/٦.

(٥) ٤٠.

وقال ابن القيم^(١): (والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وقال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخمة).

وقال ابن القيم بعد أن ذكر أحد أقضية علي^(٢): (فله ما أحسن هذا القضاء، وأقربه من الصواب).

وإذا نظرنا في أبواب الفقه، فإن أهم أبواب القضاء تتمثل في الحدود والجنایات، ثم أحكام البغي والنزاع السياسي، وهذه الأبواب الثلاثة كان لعلي بن أبي طالب أعظم الأثر فيها.

فأحكام البغي تكاد تقوم على فقهه (رضي الله عنه)، حتى قال الفقهاء: لولا علي لم ندر أحكام قتال أهل القبلة.

وجاء في مناقب الشافعي للبيهقي^(٣) أن: ((أحمد بن حنبل «أخبر أن يحيى بن معين» ينسب «الشافعي» إلى التشيع، فقال له أحمد: تقول هذا لإمام من أئمة

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ١٠.

(٢) الطرق الحكمية، ٤٨.

(٣) ٤٥١/ ١. بالرغم من أن المنقول عن يحيى بن معين أنه قال: (من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم)، وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة، ومن قال أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وعرف لعثمان سابقته وفضله فهو صاحب سنة، فذكرت له هؤلاء الذين يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ويسكتون، فتكلم فيهم بكلام غليظ). [انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/ ١١١٦].

المسلمين؟ فقال يحيى: إني نظرت في «كتابه في قتال أهل البغي» فإذا قد احتج من أوله إلى آخره بعلي بن أبي طالب.

فقال أحمد بن حنبل: عجباً لك! فبمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي، وأول من ابتلي من هذه الأمة بقتال أهل البغي علي بن أبي طالب؟ وهو الذي سنَّ قتالهم وأحكامهم، ليس عن النبي ﷺ، ولا عن الخلفاء وغيره - فيه سنة، فبمن كان يَسْتَنُّ؟ فحجل يحيى من ذلك)، اهـ.

وأما الحدود والجنايات، فكتب الفقه مليئة بأحكام علي ﷺ واجتهاداته وأقضيته، وفي رسالة دراسات عليا بجامعة الأمير نايف، بعنوان: (فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الحدود والجنايات وأثره في التشريع الجنائي الإسلامي) عرض لكثير من القضايا والمسائل التي تأثرت فيها المذاهب الأربعة بفقه علي وأحكامه، وسأورد بعض النماذج من تأثر الإمام مالك بعلي ﷺ.

كما أن أبا يوسف^(١) استشهد بفعل علي تجاه المرتدين من بني ناجية، مثلما استشهد بفعل أبي بكر.

ثم متى كانت القدرات الفقهية سبباً وجيهاً لتمرّد الناس وخروجهم على الحاكم؟ بهذا المنطق تدعو اليوم معظم شعوب العالم الإسلامي، إن لم يكن كلها، إلى الخروج على حكامهم؛ لأن قدراتهم الفقهية الضعيفة غير جديرة بالاحترام!

ثم إن الحرورية لم يخرجوا على علي؛ لطعنهم في فقهه؛ بل كما في صحيح مسلم^(٢) أن الحرورية لما خرجت، قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة

(١) ١/ الخراج، ٨٠.

(٢) (١٠٦٦).

حق أريد بها باطل... إلخ، فالحديث يبين لماذا خرج الخوارج على علي، وهو اعتراضهم على أنه رضي بالتحكيم بينه وبين معاوية لحقن دماء المسلمين، وكأن ذلك يصبح رذيلة عند كاتبنا!، وهذا من سوء فقههم، فهم يبحثون عن الدم لا السلم، وحاولوا مرارا مع علي أن يتراجع عن التحكيم^(١)، فهذا افتراء منك حين تذكر سببا بدون مصدر، وتجاهل ما نقلته المصادر الحديثية والتاريخية.

والخوارج كما جاء وصفهم في الحديث المتفق عليه^(٢): "أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، لا يجاوز الإيمان حناجرهم"، وأولهم لم يعترض على علي، بل اعترض على رسول الله ﷺ، وطعن في عدالته قائلا: "اعدل يا محمد"، وطعن في تقواه أيضا: "اتق الله يا محمد"، مما أغضب خالد بن الوليد الذي أراد قتله^(٣)، والخوارج لم يكفروا عليا فحسب، بل كفروا عليا وعثمان رضي الله عنهما، وبدأت الفتنة بخروجهم على عثمان، ثم تأتي زورا وتتهم عليا بأنه "المؤسس العملي لجيش الخوارج".

ثانياً: علم علي رضي الله عنه

مما سبق يتبين لنا أن عليا رضي الله عنه كان على علم مكين، وأكتفي بنقل تقريرين لعالمين من علماء الأمة، أحدهما للنووي، والآخر لشعيب الارناؤوط.

قال النووي^(٤): (وأما علمه، فكان من العلوم بالمحل العالي، روى عن

(١) انظر مثلاً، تاريخ الطبري، ٥ / ٥٧.

(٢) البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٣) صحيح البخاري (٤٣٥١).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات، ١ / ٣٤٦.

رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستة وثمانين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر، روى عنه بنوه الثلاثة الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وأبو موسى، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وأبو سعيد، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة، وصهيب، وأبو رافع، وأبو هريرة، وجابر بن سمرة، وحذيفة بن أسيد، وسفيانة، وعمر بن حريث، وأبو ليلي، والبراء بن عازب، وطارق ابن شهاب، وطارق بن أشيم، وجابر بن عبد الله، وعمارة بن رويثة، وأبو الطفيل، وعبد الرحمن بن أبزي، وبشر بن سحيم، وأبو جحيفة الصحابيون، رضى الله عنهم، إلا ابن الحنفية، فإنه تابعي، وروى عنه من التابعين خلائق مشهورون، ونقلوا عن ابن مسعود، قال: كنا نتحدث أن أقصى أهل المدينة على، وقال ابن المسيب: ما كان أحد يقول: سلوني، غير على، وقال ابن عباس: أعطى على تسعة أعشار العلم، والله لقد شاركهم في العشر الباقي، قال: وإذا ثبت لنا الشيء عن على لم نعدل إلى غيره، وسؤال كبار الصحابة له، ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة، والمسائل المعضلات مشهور).

قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للعواصم من القواصم، معلقاً على قول ابن الوزير أنه قد ثبت أن أمير المؤمنين علياً -عليه السلام- أعلم هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ^(١): (وكان كبار الصحابة رضوان الله عليهم يستشيرونه ﷺ في القضايا الكبرى، ويفزعون إليه في حل المشكلات، وكشف المعضلات، ويقتدون برأيه، وكان عمر ﷺ إذا أشكل عليه أمر، فلم يتبينه يقول: "قضية ولا أبا

(١) ٤٤٤/١، هامش: ١.

حسن لها"، وروى عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، عن النبي ﷺ مرسلًا: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقضاهم علي"، قال الحافظ في "الفتح" ٨ / ١٦٧: وقد روينا موصولاً في فوائد أبي بكر محمد بن العباس بن نجيح من حديث أبي سعيد الخدري مثله، وروى البخاري في "صحيحه" (٤٤٨١) و(٥٠٠٥) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: "أقرؤنا أبي وأقضانا علي"، والقضاء يستلزم العلم والإحاطة بالمشكلة التي يقضي فيها، ومعرفة النصوص التي يستنبط منها الحكم، وفهمها على الوجه الصحيح، وتنزيلها على المسألة المتنازع فيها، وما أثر عنه من فتاوي واجتهادات وحكم يقوي ما قاله المصنف رحمه الله).

ثالثاً: الصورة العلمية لعلي رضي الله عنه لدى الإمام مالك

إذا نظرنا في الموطأ للإمام مالك، الذي يمثل فقه أهل المدينة، واخترت الإمام مالك لما قاله بعضهم - عفا الله عنه - أن علياً لم يأخذ أهل المدينة من علمه، ففي موطأ مالك رحمه الله تعالى نحو (٢٨) رواية عن علي بن أبي طالب، بعضها مما يرفعه إلى النبي ﷺ، وبعضها من فتاويه وأقضيته.

وسأورد بعضاً من تلك الروايات؛ لإظهار الصورة العلمية لعلي عند الإمام مالك، فمنها:

- أورد مالك بسنده أن علي بن أبي طالب كان «يُلبِّي في الحَجِّ، حتَّى إذا زَاغَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ قَطَعَ التَّلِيَّةَ»، ثم قال مالك: (وذلك الأمر الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا)^(١).

(١) ٣٣٨/١.

- قال مالك: أنه بلغه، أن علي بن أبي طالب كان يقول في الرجل يقول لامرأته: «أنت علي حرام، إنها ثلاث تطليقات»، قال مالك: (وذلك أحسن ما سمعت في ذلك)^(١).

- ونقل بسنده عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول: «إذا آلى الرجل من امرأته، لم يقع عليه طلاق، وإن مضت الأربعة الأشهر حتى يوقف، فإما أن يطلق وإما أن يفيء»، قال مالك: «وذلك الأمر عندنا»^(٢).

- قال مالك: «من حلف لامرأته أن لا يطأها حتى تظلم ولدها، فإن ذلك لا يكون إيلاء، وقد بلغني أن علي بن أبي طالب سئل عن ذلك فلم يره إيلاء»^(٣).

ونقل مالك أنه بلغه، أن علي بن أبي طالب قال: في الحكمين اللذين قال الله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]: «إن إليهما الفرقة بينهما والاجتماع»، قال مالك: «وذلك أحسن ما سمعت من أهل العلم، أن الحكمين يجوز قولهما بين الرجل وامرأته في الفرقة والاجتماع»^(٤).

- وقال مالك: أنه بلغه أن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان كانوا «يشربون قياما»^(٥).

(١) ٥٥٢/٢.

(٢) ٥٥٦/٢.

(٣) ٥٥٧/٢.

(٤) ٥٨٤/٢.

(٥) ٩٢٥/٢.

من هذه النصوص السابقة يتبين احترام الإمام مالك لعلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ العلم عنه، فتراه يعقب في أكثر من موضع (وهذا أحسن ما سمعت)، و(هذا ما عليه العلم ببلدنا)، فهو يستند بعلم أهل المدينة إلى علي بن أبي طالب، ويبحث عن حجية لمذهبه في فتاوى علي، والنص الأخير الذي نقلته يبين مكانة علي عنده، وأنه يقرنه بعمر رضي الله عنهم أجمعين.

وثمة نصوص أخرى، يبين مالك من خلالها استشارة الخلفاء لعلي، وإمضاء فتواه رضي الله عنهم أجمعين، ومن ذلك:

- (عمر بن الخطاب):

نقل بسنده أن عمر بن الخطاب، استشار في الخمر يشربها الرجل، فقال له علي بن أبي طالب: نرى أن تجلده ثمانين، فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، أو كما قال، فجلد عمر في الخمر ثمانين^(١).

- (عثمان بن عفان):

قال مالك أنه بلغه أن عثمان بن عفان أتى بامرأة قد ولدت في ستة أشهر فأمر بها أن ترحم، فقال له علي بن أبي طالب: ليس ذلك عليها؛ إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وقال ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَسِّمَ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالحمل يكون ستة أشهر فلا رجم عليها"، فبعث عثمان بن عفان في أثرها فوجدها قد رجمت^(٢).

(١) ٨٤٢/٢.

(٢) ٨٢٥/٢.

وأورد بسنده عن محمد بن يحيى بن حبان، قال: كانت عند جدي حبان امرأتان هاشمية، وأنصارية، فطلق الأنصارية، وهي ترضع فمرت بها سنة ثم هلك عنها، ولم تحض، فقالت: أنا أرثه لم أحض، فاخصمتا إلى عثمان بن عفان، فقضى لها بالميراث، فلامت الهاشمية عثمان، فقال: "هذا عمل ابن عمك هو أشار علينا بهذا يعني علي بن أبي طالب" (١).

وأورد بسنده أن المقداد بن الأسود دخل على علي بن أبي طالب بالسُّقيا وهو يَنْجَع بَكَرَاتٍ له دقيقا وَخَبَطًا، فقال: هذا عثمان بن عفان ينهى عن أن يقرن بين الحج والعمرة، فخرج علي بن أبي طالب وعلى يديه أثر الدقيق والخبط - فما أنسى أثر الدقيق والخبط على ذراعيه - حتى دخل على عثمان بن عفان، فقال: أنت تنهى عن أن يقرن بين الحج والعمرة؟ فقال عثمان: ذلك رأيي، فخرج علي مغضبا وهو يقول: «ليك اللهم لييك بحجة وعمرة معا»، قال مالك: «الأمر عندنا أن من قرن الحج والعمرة لم يأخذ من شعره شيئا، ولم يحلل من شيء حتى ينحر هديا إن كان معه، ويحل بمنى يوم النحر» (٢).

من هذه النصوص يتبين أن الإمام مالك يبرز الصورة الاستشارية العلمية لعلي رضي الله عنه، فعمر يأخذ بمشورته، وعثمان يرجع إلى مشورته، ويتراجع عما كان قد قضى به، بل يتبين من خلال القصة عمق استنباطه ودقيق فهمه، كما أن عثمان يخبر الهاشمية أنه قضى لها بمشورة علي، وفي قصة المقداد بن الأسود يظهر من خلالها أن الصحابة كانوا يذهبون إلى علي حين يجدون أن الخليفة قال رأيا مخالفا؛ لعلمهم

(١) ٥٧٢/٢.

(٢) ٣٣٦/١.

أن عليا بعلمه وجرأته ومكانته لدى الخلفاء فإنهم يعودون إلى قوله.

هذه الصورة العلمية لعلي عليه السلام لدى الإمام مالك بن أنس، وهي صورة ناصعة مشرقة.

وأختم ذلك بما ذكره الإمام مالك بسنده عن سعيد بن المسيب، أن رجلا من أهل الشام يقال له: ابن خيبري، وجد مع امرأته رجلا فقتله أو قتلتهما معا، فأشكل على معاوية بن أبي سفيان القضاء فيه، فكتب إلى أبي موسى الأشعري، يسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك، فسأل أبو موسى عن ذلك علي بن أبي طالب، فقال له: علي: «إن هذا الشيء ما هو بأرضي، عزمت عليك لتخبرني»، فقال له أبو موسى: كتب إلي معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك، فقال علي: أنا أبو حسن، إن يأت بأربعة شهداء فليعط برمته" (١).

في هذه القصة، التي يرويها مالك في الموطأ، يتبين لنا عدة أمور، منها:

- أن معاوية بالرغم من قتاله لعلي؛ فقد كان مقرا بعلمه، ويستشيره في الأمور العويصة، ولم يسأل أحدا سواه، بالرغم من وجود فقهاء الصحابة، كابن عباس وابن عمر، فلجوءه لعلي غاية الإقرار بعلمه.

- أن عليا عليه السلام، لم يكن مجرد حاكم، بل كان واعيا بطبائع الناس، مدركا لمجتمعهم، ومدركا لطبيعة القضايا التي يفعلونها والتي لا يفعلونها، ولذلك حين سأله أبو موسى، قال (هذا الشيء ما هو بأرضي).

- أن عليا عليه السلام، حين علم أن السائل معاوية، لم يكتف العلم، بل وجهه إلى ما ينبغي عليه أن يفعل.

(١) ٧٣٧/٢. وقوله "فليعط برمته" أي: فليسلم نفسه للقصاص؛ إذا لم يأت بأربعة شهداء.

وإذا نظرنا في الكتاب الآخر، وهو المدونة لمالك بن أنس، التي يرويها سحنون بن سعيد عن عبد الرحمن بن قاسم، فقد ورد الاستشهاد بمرويات علي رضي الله عنه وأحكامه وفتاواه وأفضيته في أكثر من مائة موضع، واستدل بفعله في باب الخوارج، وفي كتاب الجهاد، مبينا سنته في مقاتلة البغاة^(١).

وفي المدونة، في كتاب الطلاق، يورد قصة عن عمر بن الخطاب، أن رجلا جاءه فقال^(٢): يا أمير المؤمنين إني طلقت امرأتي في الجاهلية اثنتين ثم طلقتهما منذ أسلمت تطليقة، فماذا ترى، فقال عمر: ما سمعت في ذلك شيئا وسيدخل علي رجلان فاسألهما، فدخل عبد الرحمن بن عوف، فقال عمر: قص عليه قصتك، فقص عليه فقال عبد الرحمن: هدم الإسلام ما كان قبله في الجاهلية هي عندك على طلقتين بقيتا، ثم دخل علي بن أبي طالب فقال له عمر: قص عليه قصتك ففعل، فقال علي بن أبي طالب: هدم الإسلام ما كان قبله في الجاهلية وهي عندك على تطليقتين بقيتا.

بهذا يتبين مكانة علي العلمية لدى معاصريه وتابعيه، وقد اخترت مالك بن أنس؛ لكونه من أهل المدينة، التي عرف عنها التشيع لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وزعم بعضهم كراهية أهل المدينة ومناوأتهم لعلي، وهو زعم زور، ثم إن مالك بن أنس من أقدم المؤلفين، لذلك كثير من مروياته ليس بينه وبين الصحابة سوى راويين فقط، ومن المستبعد أنه قد تسلل إلى كتبه أي من روايات الشيعة، ومالك بن أنس لم تتطرق إليه أي تهمة من تهم التشيع لعلي رضي الله عنه.

(١) ٤٩٧/١، ٥٣٠.

(٢) ٨٢/٢.

رابعاً: نماذج من الفراسة في أقضية علي

نماذج القضاء المروية عن علي تعكس الفطنة العلمية له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتبين فراسته، وهي كثيرة جداً، تمتلئ بها كتب الفقه، ولا سيما كتب الفرائض وكتب السياسة الشرعية، وفي كتاب ابن القيم (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) استشهد بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثر من ٧٠ موضع، وعرف عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سرعته في الحساب ودقته؛ مما جعل الفقهاء يثنون عليه في ذلك.

ومن تلك النماذج:

جاء في مصنف ابن أبي شيبة^(١): (ما رأيت رجلاً كان أحسب من علي سئل عن ابنتين وأبوين وامرأة فقال: «صار ثمنها تسعا»، قال أبو بكر: «فهذه من سبعة وعشرين سهماً للابنتين ستة عشر وللأبوين ثمانية وللمرأة ثلاثة»)، والقصة المذكورة في مسائل الإمام أحمد، وفي كتب اللغة، كغريب الحديث للقاسم بن سلام، وغريب القرآن لابن قتيبة، وتهذيب اللغة، وفي كتب التفسير، وكتب الفقه، والسياسة الشرعية... إلخ، ولقبها الفقهاء بالمسألة المنبرية؛ لأن علياً سئل عنها وهو يخطب على المنبر، فأجاب ثم مضى في خطبته.

وحين بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن، عرضت عليه قضية^(٢)، وهي أن قوماً بنوا زُبَيْةً للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل، فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فاندب له رجل بحربة فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم، فقاموا أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح

(١) ٢٥٨/٦.

(٢) انظر القصة في مسند أحمد (٥٧٣)، وصحح إسناده الشيخ شاکر.

ليقتتلوا، فأتاهم عليّ على تَفِيئة ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حي؟! إني أقضي بينكم قضاءً إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون، هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر رُبْع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فلأول الربع، لأنه هلك من فوقه، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا، فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم، فقصوا عليه القصة، فقال: "أنا أقضي بينكم"، واحتبى، فقال رجل من القوم: إن عليًا قضى فينا، فقصوا عليه القصة، فأجازه رسول الله ﷺ.

ومن صور الفراسة التي ذكرها ابن القيم^(١): أن رجلين من قريش دفعا إلى امرأة مائة دينار وديعة، وقالوا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلبثا حولا، فجاء أحدهما، فقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير، فأبت، وقالت: إنكما قلتما لي لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلست بدفعتها إليك؛ فثقل عليها بأهلها وجيرانها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولا آخر؛ فجاء الآخر، فقال: ادفعي إلي الدنانير، فقالت: إن صاحبك جاءني فزعم أنك قد مت، فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر رضي الله عنه فأراد أن يقضي عليها، فقالت: ادفعنا إلى علي بن أبي طالب، فعرف علي أنهما قد مكرأ بها؛ فقال: أليس قد قلتما: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟ قالوا: بلى؛ قال: فإن مالك عندها، فاذهب فجئ بصاحبك حتى تدفعه إليكما.

(١) الطرق الحكمية، ص ٢٩.

قال القرافي^(١): ومن نواذر المسائل الفقهية التي يدخل فيها الحساب المسألة المحكية عن علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك أن رجلين كان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة فجلسا يأكلان فجلس معهما ثالث يأكل معهما.

ثم بعد الفراغ من الأكل دفع لهما الذي أكل معهما ثمانية دراهم، وقال: أقسما هذه الدراهم على قدر ما أكلته لكما، فقال صاحب الثلاثة: إنه أكل نصف أكله من أرغفتي ونصف أكله من أرغفتك فأعطني النصف أربعة دراهم، فقال له الآخر: لا أعطيك إلا ثلاثة دراهم؛ لأن لي خمسة أرغفة فأخذ خمسة دراهم ولك ثلاثة أرغفة تأخذ ثلاثة دراهم، فحلف صاحب الثلاثة لا يأخذ إلا ما حكم به الشرع، فترافعا إلى علي عليه السلام فحكم لصاحب الثلاثة بدرهم واحد ولصاحب الخمسة بسبعة دراهم، فشكا من ذلك صاحب الثلاثة، فقال له علي عليه السلام: الأرغفة ثمانية وأنتم ثلاثة، أكل كل واحد منكم ثلاثة أرغفة إلا ثلثا، بقي لك ثلث من أرغفتك أكله صاحب الدراهم، وأكل صاحبك من أرغفته ثلاثة إلا ثلثا، وهي خمسة يبقى له رغيفان وثلث، وذلك سبعة أثلاث أكلها صاحب الدراهم، فأكل لك ثلثا وله سبعة أثلاث، فيكون لك درهم وله سبعة دراهم.

قال القرافي: فهذه مسألة فقهية يحتاج إليها الفقيه المفتي والقاضي الملزم وهي لا تعلم إلا بدقيق الحساب كما ترى.

وغير ذلك^(٢).

(١) الفروق، ٢/ ٢٢٢. وانظر: تخريج الدلالات السمعية، ٢٧٥، والوافي بالوفيات للصفاي، ١٧٩/٢١.

(٢) انظر نماذج من أفضيته في سمط النجوم العوالي، ٣/ ٦٨-٧٣ وانظر نماذج من فقهه وأفضيته =

خامساً: صور مختلفة من علم علي واجتهاده

جاء في مصنف عبد الرزاق الصنعاني^(١): (لما بويع لأبي بكر تخلف علي في بيته فلقبه عمر فقال: تخلفت عن بيعة أبي بكر؟ فقال: «إني آليت بيمين حين قبض رسول الله ﷺ، ألا أرتدي برداء إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى أجمع القرآن فإني خشيت أن يتفلس القرآن»).

هذه صورة علي، المجتهد، الجاد في الحفاظ على النص الديني، المهمم بذلك، حتى إنه قدم جمع القرآن الكريم على بيعة أبي بكر ﷺ، وعذره أبو بكر لذلك، لم يكن تأخره عن البيعة لدنيا أو لطمع أو لمؤامرة، بل للعلم، وهذا غير مستبعد من علي؛ لما سيأتي بيانه من منهجيته في كتابة العلم.

وكان علي ﷺ عالماً محققاً لما يسمع، فلم يكن يأخذ العلم إلا بعد التحقق منه، وإذا تعلم شيئاً لم يحفظه لمجرد العلم والمعرفة، بل حوله إلى منهج حياة وتطبيق.

يقول علي ﷺ^(٢): (كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني

= في كتاب علي بن أبي طالب للصلاحي، ٤٠١ - وما بعدها. وانظر رسالة دراسات عليا بجامعة الأمير نايف: فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الحدود والجنايات.

(١) ٤٥٠/٥. وسند الصنعاني صحيح، (عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة قال: لما.)، وهذا بخلاف الرواية عن ابن سيرين المرسلة، وقد ضعفها العلماء. وذكر ابن النديم في الفهرست (ص ٤١) مجموعة من الجوامع للقرآن على عهد النبي، منهم: علي بن أبي طالب، ثم ذكر رواية أن علياً عند وفاة النبي اعتكف ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قبله. وذكر الراوي أنه رأى مصحفاً بخط علي، قد سقطت بعض أوراقه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢١)، وغيره. وصححه الألباني.

الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه... إلخ).

ويبين علي رضي الله عنه ما وصل إليه من علم، أن مرده إلى لسانه الذي لا يتوقف عن السؤال؛ فالسؤال مفتاح العلم، ثم وعيه وعقله بما يتعلم، فيقول^(١): (والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت! إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا طلقا).

ومصداق قوله ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين^(٢)، يقول علي رضي الله عنه: (كنت رجلا مذاء، وكنت أستحيي أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: «يغسل ذكره ويتوضأ»)، فمروان حين يلزم عليا بهذا الحديث، لا يعلم أن فيه مدحا لعلي، الذي لم يمنعه الخجل والاستحياء من التعلم، وقد أرسى هذا منهجا علميا للمتعلم وللعالِم، فقال علي رضي الله عنه^(٣): (لا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم)، فالحياء لا ينبغي أن يكون عائقا للمتعلم من التعلم، ولا ينبغي أن يكون دافعا للعالم من القول بلا علم.

وقد اجتهد علي في مسألة، فقال له قاضيه عبيدة السلماني: يا أمير المؤمنين، رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك"، فقال علي رضي الله عنه:

(١) طبقات ابن سعد، ٢/ ٢٥٧. وهو في حلية الأولياء لأبي نعيم، ولفظه (إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا سؤولا).

(٢) البخاري (١٣٢)، ومسلم (٣٠٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ١٠١. وانظر جامع بيان العلم لابن عبد البر، ١/ ٣٨٣.

«اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي»^(١).

فعلي وهو خليفة لم يلزم قاضيه برأيه، بل ترك لهم مجالا للعمل بما يرون، وكان من عادته أنه يلتمس الأعذار لاجتهادات من سواه، ولا يظهر تخطيئهم، ومن ذلك ما جاء في مسند أحمد^(٢) أن عمرو بن حريث سأله: "كيف تقول في المشي مع الجنازة بين يديها أو خلفها؟ فقال علي: إن فضل المشي خلفها على بين يديها كفضل صلاة المكتوبة في جماعة على الواحد، قال عمرو: فإني رأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يمشيان أمام الجنازة، قال علي رضي الله عنه: إنهما كرها أن يحرجا الناس".

وكان يصرح برجوعه إلى رأي عمر، فقد قال: (يشاورني عمر في كذا فرأيت كذا ورأى هو كذا فلم أر إلا متابعة عمر)^(٣)، فلم تأخذه العزة بالإثم ألا يقول مثل ذلك.

ويصرح بإفادته من غيره من الصحابة، كما نقلنا آنفا حديثه عن أبي بكر، وهذا يدل على التواضع العلمي فيه رضي الله عنه.

سادساً: علي يصحح للصحابة أخطاءهم

ثمة روايات صحيحة كثيرة في كتب السنة، تبين كيف أن عليا لم يكن مجرد عالم، بل كان ناقدا فقيها محققا، وكان يصحح للصحابة أخطاءهم، سواء أخطاء الاجتهاد أو أخطاء الرواية، ومن تلكم النماذج:

(١) قول علي مروي في صحيح البخاري (٣٧٠٧)، والقصة مذكور في الطرق الحكيمة لابن القيم، ١٩.

(٢) (١٢٤)، وصحح الشيخ شاکر.

(٣) الإمامة والرد على الرافضة، أبو نعيم الأصبهاني، ص ٢٩٥.

[عمر بن الخطاب]:

في مسند أحمد^(١) بسند صحيح أن عمر بن الخطاب أتى بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت، فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم ورددهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا علي، قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي ﷺ يقول: "رُفِعَ القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل؟" قال: بلى، قال علي: فإن هذه مُبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدري، قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها، وزاد أبو داود: (فجعل عمر يكبر)، وهذا يدل على فرحه وحمده لما فعله علي.

وفي المغني^(٢) أنه قُتل رجلٌ في زحام الناس بعرفة، فجاء أهله إلى عمر، فقال: (بينتكم على من قتله)، فقال علي: (يا أمير المؤمنين، لا يُطَلِّدُ دم امرئ مسلم، إن علمت قاتله، وإلا فأعط ديتَه من بيت المال).

وفي المصنف^(٣) أن عمر كان يشك في مجموعة اشتركوا في قتل رجل واحد وألقوه في بئر غمدان، حتى قال له علي: «يا أمير المؤمنين أرايت لو أن نفرا اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضوا، وهذا عضوا أكنت قاطعهم؟» قال:

(١) (١٣٢٧)، وصححه الشيخ شاكر، والشيخ الأرناؤوط، وفي أبي داود (٤٣٩٩)، وصححه

الألباني. وثمة أمثلة أخرى، انظر: الرياض النضرة، ١٦٣/٣.

(٢) المغني لابن قدامة، ٤٩٣/٨.

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٤٧٦/٩.

«نعم» قال: فذلك حين استمدح له الرأي، وعندئذ كتب لعامله بصنعاء: «أن اقتلهم فلو اشترك في دمه أهل صنعاء أجمعون قتلهم».

[عثمان بن عفان]

ذكرنا من قبل ما رواه مالك في الموطأ من أمر عثمان بـرجم امرأة، ثم تصحيح علي له خطأه، فبعث عثمان بن عفان في أثرها فوجدها قد رجمت^(١).

وذكرنا ما في الموطأ من رد علي على عثمان بشأن الإقران بين الحج والعمرة^(٢).

وفي صحيح مسلم^(٣)، قال سعيد بن المسيب: اجتمع علي، وعثمان رضي الله عنهما بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة، فقال علي: «ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ، تنهى عنه؟» فقال عثمان: دعنا منك، فقال: إني لا أستطيع أن أدعك، فلما أن رأى علي ذلك، أهل بهما جميعاً).

[ابن عباس]:

في صحيح مسلم^(٤) أن علياً سمع ابن عباس يلين في متعة النساء، فقال: «مهلاً يا ابن عباس، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية».

(١) ٨٢٥/٢.

(٢) ٣٣٦/١.

(٣) (١٢٢٣).

(٤) (١٤٠٧).

[وغيرهم]:

كأبي مسعود الأنصاري، جاء في مسند أحمد^(١) عن نعيم بن دجاجة، أنه قال: دخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري على أبي طالب، فقال له علي: أنت الذي تقول: لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف؟ إنما قال رسول الله ﷺ: "لا يأتي على الناس مائة سنة، وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حي اليوم" والله إن رخاء هذه الأمة بعد مائة عام.

ففي هذه الرواية صحح علي لأبي مسعود ما قاله النبي، ثم نقد متن رواية أبي مسعود بالمنطق التاريخي، وهو أن الأمة ستكون في تصاعد، ولذلك سيكون رخاء الأمة فيما يأتي أكثر من رخائها فيما مضى.

وفي مصنف عبد الرزاق^(٢) أن عمر بن الخطاب أرسل إلى امرأة مغبية كان يُدخل عليها، فأنكر ذلك، فأرسل إليها، فقليل لها: أجيبني عمر، فقالت: يا ويلها ما لها، ولعمر! قال: فينا هي في الطريق فزعت، فضربها الطلق فدخلت دارا، فألقت ولدها، فصاح الصبي صيحتين، ثم مات، فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ فأشار عليه بعضهم: أن (ليس عليك شيء، إنما أنت وال ومؤدب)، قال: وصمت علي، فأقبل عليه، فقال: ما تقول؟ قال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم، وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك، أرى أن ديتك عليك فإنك أنت أفزعتها، وألقت ولدها في سببك، قال: فأمر عليا أن يقسم عقله على قریش، يعني يأخذ عقله من قریش لأنه خطأ.

(١) (٧١٤)، وصححه الشيخ شاکر والشيخ الأرناؤوط، والهيثمى في مجمع الزوائد (١/١٩٨)،

والألبنى فى سلسلة الصحیحة (٢٩٠٦).

(٢) ٤٥٩/٩.

وأختم بهذه القصة^(١)، فقد أُتيَ إلى علي بن أبي طالب برجل مقطوع اليد والرجل قد سرق، فقال لأصحابه: ما ترون في هذا؟، قالوا: اقطعه يا أمير المؤمنين، قال: قتلته إذا؟! وما عليه القتل، بأي شيء يأكل الطعام؟ بأي شيء يتوضأ للصلاة؟ بأي شيء يغتسل من جنابته؟ بأي شيء يقوم على حاجته؟ فردّه إلى السجن أياما، ثم أخرجّه، فاستشار أصحابه، فقالوا مثل قولهم الأول، وقال لهم مثل ما قال أول مرة، فجلده جلدا شديدا، ثم أرسله، وروي عنه^(٢)، أنه قال: إني لأستحي من الله أن لا أدع له يدا يبطش بها، ولا رجلا يمشي عليها.

فعلي راعى مصلحة الإنسان، ورأى أن الحد الشرعي لا ينبغي أن يعطل مصلحة كلية، فهو ليس قتلا، فلو قطع يديه فكأنما قد قتله! ولذلك كان هذا موقفه مع عمر^(٣)، فقد أُتي عمر برجل قد سرق، يقال له: سدوم، فقطعه، ثم أُتي به الثانية، فقطعه، ثم أُتي به الثالثة، فأراد أن يقطعه، فقال له علي: «لا تفعل إنما عليه يد ورجل ولكن احبسه».

وفي مصنف الصنعاني^(٤) أن رجلا قُتل، فادعى أولياؤه قتله، على رجلين كانا معه، فاختموا إلى شريح القاضي، وقالوا: هذان اللذان قتلا صاحبنا، فقال

(١) المغني لابن قدامة، ٩/ ١٢٥. وانظر المصنف لابن أبي شيبة، ١٠/ ١٨٦. [ولفظ المصنف: عن الشعبي، قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن، ونكل، وكان يقول: «إني لأستحيي الله، ألا أدع له يدا يأكل بها ويستنجي»].

(٢) مسند لأبي حنيفة، ١٦٠. وانظر المصنف لابن أبي شيبة، ١٠/ ١٨٦. [ولفظ المصنف: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن، ونكل، وكان يقول: «إني لأستحيي الله، ألا أدع له يدا يأكل بها ويستنجي»].

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ١٠/ ١٨٦.

(٤) ٤٢/ ١٠.

شريح: شاهدا عدل أنهما قتلا صاحبكم، فلم يجدوا أحدا يشهد لهم، فخلى شريح سبيل الرجلين، فأتوا عليا فقصوا عليه القصة، فقال علي: «ثكلتك أمك يا شريح، لو كان للرجل شاهدا عدل لم يُقتل، فخلا بهما، فلم يزل يرفق بهما، ويسألهما، حتى اعترفا فقتلهما».

فعلي يوجه شريحا إلى مفارقة منطقية في القضاء، وهي أنه لو كان هناك شاهدا عدل رأيا القاتلين، فإن القاتلين لن يجرؤا على القتل بحضور الشهود، ولذلك تولى الأمر معهما حتى اعترفا، وثمة روايات كثيرة وردت عن علي في استخراج الاعترافات من الجناة.

سابعاً: الصحابة يحيلون السائلين إلى علي

الروايات التي يحيل فيها الصحابة السائلين إلى علي فكثيرة، فقد أحال عمر وعائشة وعثمان وغيرهم على علي، ومنها:

في صحيح مسلم^(١)، عن شريح بن هانئ، قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين، فقالت: عليك بابن أبي طالب، فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ... إلخ، فهل تدل عائشة المستفتين على رجل غير فقيه؟! ولم لم تدله على من سواه من الصحابة الذين كانوا يسافرون مع النبي ﷺ؟ وهي شهادة من عائشة لعلي بملازمته للرسول ﷺ، وأخذه العلم عنه.

وفي معجم ابن المقرئ أن عائشة قالت لشريح بن هانئ^(٢): (أتت عليا

(١) (٢٧٦).

(٢) ٢٩٠.

فاسأله، فإنه كان يغزو مع رسول الله ﷺ إذا غزا ويقعد معه إذا قعد، ويدخل حيث لا يدخل أحد).

وفي مصنف ابن أبي شيبة^(١): عن مكحول، قال: سألت عائشة في كم تصلي المرأة؟ فقالت: «أنت عليا فاسأله، ثم ارجع إلي» فأتى عليا فسأله، فقال: «في درع سابغ وخمار» فرجع إليها فأخبرها، فقالت: «صدق».

وفي مصنف ابن أبي شيبة^(٢) أن رجلا أتى عمر فسأله عن العمرة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما آتيك حتى ركبت الإبل والخيول والسفن، فمن أين أهل؟ قال: «أنت عليا فاسأله»، فأتى عليا فسأله، فقال: «من حيث أبدأت» فرجع إليه فأخبره، فقال: «لم أجد لك إلا ما قال علي».

وفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني^(٣) أن رجلا أتى يعلى [بن أمية]، فقال: قاتل أخي، فدفعه إليه يعلى، فجدعه بالسيف، حتى رأى أنه قد قتله وبه رمق فأخذه أهله، فداووه حتى برأ فجاء يعلى [مرة ثانية]، فقال: قاتل أخي، فقال: أو ليس قد دفعته إليك؟ فأخبره خبره فدعاه يعلى، فإذا به قد سلك فحشيت جروحه فوجد فيه الدية، فقال له يعلى: «إن شئت فادفع إليه ديته، واقتله، وإلا فدعه»، فلحق الرجل بعمر فاستأدى على يعلى، فكتب عمر إلى يعلى، أن أقدم علي فقدم عليه فأخبره الخبر، فاستشار عمر علي بن أبي طالب فأشار عليه بما قضى به يعلى، فاتفق عمر وعلي على قضاء يعلى أن يدفع إليه الدية، ويقتله، أو يدعه فلا يقتله، وقال عمر ليعلى: «إنك لفاض»، ثم رده على عمله.

(١) ٣٦/٢.

(٢) ١٤٩/٢.

(٣) ٤٣١/٩.

ففي القصة بيان لرجوع عمر إلى علي لتقييم قضاء يعلى، ومن ثم لما وافق علي رؤية عمر، واتفقوا على حسن قضائه، قال له عمر "إنك لقاض".

وسبق إيراد قصة عثمان مع المرأة المطلقة في الميراث^(١).

ثامناً: علي وعلم الكتابة

لم تكن "الكتابة" لدى علي عليه السلام، مجرد مهنة، بل تحولت على يديه إلى علم، وجزء من المنهجية العلمية، ويمكن إيضاح ذلك من خلال مجموعة نصوص، وما فيها من دروس.

أولاً: حرص علي عليه السلام على تعلم الكتابة منذ صغره، ولذلك كان من قلة من القرشيين الذين يكتبون، وكان كاتباً للوحي لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان كاتباً له اتفاقياته، وقد بينا ذلك من قبل.

وقال أبو الحسين الحراني (ت: ٤٤٨ هـ) في رسوم دار الخلافة^(٢)، مينا بعض آداب الكتابة: (ما يذكر في أواخر الكتب من قولهم: وكتب فلان بن فلان: كتب علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك في كتب كتبها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

ولشهرة علي من بين الصحابة جميعاً في الكتابة، ولا سيما كتابة الاتفاقيات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان بعض النصارى يزورون كتباً يزعمون أنها بخط علي بن أبي طالب، كما ذكر ابن قدامة في كتابه المغني^(٣) أن بعض أهل الذمة في القرن الثالث الهجري ادعوا أن الجزية لا تلزمهم، وأن معهم كتاباً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسقاطها عنهم،

(١) موطأ مالك، ٢/ ٥٧٢.

(٢) ص ١٢٤.

(٣) ٣٦٣/ ٩.

لا يصح، وسئل عن ذلك أبو العباس بن سريج (ت: ٣٠٦هـ)، فقال: ما نقل ذلك أحد من المسلمين، وذكر أنهم طولبوا بذلك، فأخرجوا كتابا ذكروا أنه بخط علي رضي الله عنه كتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه شهادة سعد بن معاذ، ومعاوية، وتاريخه بعد موت سعد وقبل إسلام معاوية، فاستدل بذلك على بطلانه.

وقال ابن تيمية^(١): (وقد رأينا عند أهل الكتاب كتباً يدعون أنها عندهم من النبي صلى الله عليه وسلم بخط علي بن أبي طالب، فيها أمور تتعلق بأغراضهم، وقد التبس أمرها على كثير من المسلمين).

وقال أيضا^(٢): ولما كان عام إحدى وسبعمئة أحضر جماعة من يهود دمشق عهوداً ادعوا أنها قديمة، وكلها بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد غشونا بما يقتضي تعظيمها وكانت قد نفقت على ولاية الأمور من مدة طويلة فأسقطت عنهم الجزية بسببها، وبأيديهم توقيع ولاية فلما وقفت عليها تبين في نفسها، ما يدل على كذبها من وجوه كثيرة جداً.

منها: اختلاف الخطوط اختلافاً متفاقماً في تأليف الحروف الذي يعلم معه أن ذلك لا يصدر عن كاتب واحد، وكلها نافية أنه خط علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومنها: أن فيها من اللحن الذي يخالف لغة العرب ما لا يجوز نسبة مثله إلى علي رضي الله عنه ولا غيره... إلخ.

ثانياً: حرص علي رضي الله عنه على أن يكتب ما يتعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم، فلم يكتف بالحفظ، ولذلك ورد عنه مجموعة من الأحاديث التي بين أنه كتبها في

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٤/٣.

(٢) المستدرک علی مجموع الفتاوى، ٢٣٦/٣.

صحيفته^(١)، وكان يكتب أيضا أحكام الصدقة والزكاة^(٢).

ثالثًا: كان علي رضي الله عنه يكتب ما يستنبطه من أحكام من القرآن الكريم، أو من السنة النبوية، قال ابن حجر في فتح الباري، معلقا على قول علي (إلا فهمًا يُعطى رجلٌ في كتابه)، فقال^(٣): (ومراد علي أن الذي عنده زائدا على القرآن مما كتب عنه الصحيفة المذكورة وما استنبط من القرآن كأنه كان يكتب ما يقع له من ذلك لئلا ينسأه بخلاف ما حفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحكام فإنه يتعاهدها بالفعل والإفتاء بها فلم يخش عليها من النسيان).

رابعًا: ذكرت قبل قليل اعتكاف علي في بيته حتى جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يختلف عن جمع أبي بكر رضي الله عنه، فقد كان جمع أبي بكر أول جمع رسمي، كلف به زيد بن ثابت، فجمعه مما كتب كتاب الوحي، ومما في صدورهم، أما جمع علي فقد كان جهدا ذاتيا، قام به مما يحفظه ومما كتبه بنفسه.

خامسًا: ثمة آثار، يتبين من خلالها أن عليا رضي الله عنه، كتب المصحف العثماني بخط يده، ومن تلكم الآثار:

قال أبو داوود (ت: ٤٩٦ هـ) نقلا عن علم الدين السخاوي^(٤): (ودخلت في جامع بني أمية، وفيه مصحف بخط كوفي يقال إنه بخط علي بن أبي طالب)،

(١) انظر مثلا: صحيح البخاري (٣١٧٢)

(٢) قال ابن الحنفية: (أرسلني أبي، خذ هذا الكتاب، فاذهب به إلى عثمان، فإن فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الصدقة). أخرجه البخاري (٣١١٢).

(٣) ٢٤٦/١٢.

(٤) مختصر التبيين لهجاء التنزيل، ٣/ ٦٣١.

وذكر يوسف بن تغري في النجوم الزاهرة^(١) أن في جامع مصر مصحفا يقال إنه بخط علي بن أبي طالب، وذكر نحو من ذلك المقرئ^(٢)، وكذلك ابن خمارويه في أحداث ٩٢٢هـ^(٣).

سادساً: وردت آثار عن علي تبين اهتمامه بتوجيه الكتاب إلى كيفية ضبط الكتابة؛ حتى لا تختلط النصوص، ولئلا تكون الكتابة غير واضحة.

قال علي^(٤): (الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن)، ووجه كاتبه قائلاً^(٥): (ألقِ دواتك، وأطِلْ سن قلمك، وأفرج بين السطور، وقَرْمَط بين الحروف).

وقال أبو حَكِيمَة العبدى، قال: أتى علي عليه السلام - وأنا أكتب مصحفاً -، فجعل ينظر إلى كتابي، فقال: "أَجَلَّ قلمك"، فقضمت من قلمي قضيعة، ثم جعلت أكتب، فنظر إلي، فقال: "نعم، نورّه كما نورّه الله عز وجل"، وعند ابن أبي شيبة بلفظ: (كنا نكتب المصاحف بالكوفة فيمر علينا علي ونحن نكتب)^(٦).

(١) ٩٢/٤.

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المقرئ، ٨٦/٣.

(٣) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ٣٤٤.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ٢٦١/١.

(٥) المرجع نفسه، ٢٦٢/١. وثمة مراجع عديدة تنسب المقولة لعلي، منها: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/١٣٣)، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع (ص ٤١١)، والآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (٢/١٦٠)، وغيرهم. وشذ ابن عبد ربه في العقد الفريد فنسبه إلى عبد الله بن طاهر.

(٦) انظر التفسير من سنن سعيد بن منصور، ٢/٢٩٤. وانظر مصنف ابن أبي شيبة، ٦/١٤٨.

فهذه الروايات تبين حرص علي عليه السلام على أن يكتب الكتاب بوضوح وبيان، ولذلك كان يوجههم إلى كيفية الكتابة؛ وهذا يدل على علمه الجيد بها، وغلا لما أمكنه تصحيح أخطائهم وتوجيههم بهذه المعرفة الدقيقة.

كما تبين النصوص أن عليا عليه السلام، كان يتفقد من يكلفهم بالمهام، وينظر إلى أدائهم، ويقوم أفعالهم، ويرشدهم، ثم يتأكد من قيامهم بالفعل بالطريقة الصحيحة.

تاسعاً: دور علي في نشأة علم النحو

وأخيراً، أختتم هذا بالإشارة إلى ما ذكره جمع من علماء اللغة بشأن وضع علم النحو، وأن ذلك جاء بتوجيه من علي بن أبي طالب إلى أبي الأسود الدؤلي، وقد لا نتفق مع تفاصيل الرواية التي ذكرها الزجاجي (٣٤٠هـ) في أماليه^(١)، إلا أننا نرى أن كلمة علماء اللغة قديماً تكاد تتفق على نسبة الدور الأول في وضع علم النحو إلى علي عليه السلام.

قال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)^(٢): (وهذا الخل قد دخل على سائر اللغات وكاد يدخل على لسان العرب حين خالطوا العجم، حتى استدرك ذلك أبو الأسود بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام).

وقال السيرافي (٣٦٨هـ)^(٣): (وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ):

(١) ص ٢٣٩.

(٢) عمدة الكتاب، أبو جعفر النحاس، ص ٧٩.

(٣) أخبار النحويين البصريين للسيرافي، ص ١٣.

أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أحد حتى بعث إليه زياداً).

وقال ابن الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)^(١): (أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحد حدوده، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، وسبب وضع علي عليه السلام لهذا العلم، ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، [وحكى القصة]، وفي آخرها: ثم قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت! فلذلك سمي النحو نحواً).

ثم بعد مناقشة مجموعة من الأقوال في سبب نشأة النحو، عقب ابن الأنباري بقوله: (والصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب عليه السلام)؛ لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يسند إلى علي بن أبي طالب عليه السلام).

وقال القفطي (٦٤٦هـ) في إنباه الرواة على أنباه النحاة^(٢)، معلقاً على نسبة النحو إلى علي: (هذا هو الأشهر من أمر ابتداء النحو)، ويقول^(٣): (وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وأخذ عن أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم البصري، وأخذ عن نصر أبو عمرو بن العلاء البصري، وأخذ عن أبي عمرو الخليل بن أحمد، وأخذ عن الخليل سيويه).

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، ص ١٨.

(٢) ٣٩/١.

(٣) ٤١/١.

وذكر ذلك أيضا أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين^(١)، وياقوت الحموي في معجم الأدباء^(٢)، وأبو بكر الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين^(٣)، والمبرد في المرجع السابق، وابن النديم في الفهرست^(٤).

ولا وجه لمن رفض نسبة النحو إلى علي بن أبي طالب بحجة انشغاله بالحروب، أو بتضعيف القصة المروية التي فيها تفاصيل الأبواب النحوية، فثبوت النسبة يكاد يتفق عليه العلماء، وكون علي في الكوفة يجعله أكثر ملاحظة للحن الذي فشا؛ مما يدفعه إلى التفكير في إنشاء مثل هذا العلم.

وهذا ما ذكره أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر^(٥)، يقول: (وبسبب هذا الحرف وُضع النحو؛ لأن علياً ابن أبي طالب رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ على غير وجه الصواب، فسأه ذلك، فتقدم إلى أبي الأسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلاً ومثالاً وباباً وقياساً، بعد أن فتق له حاشيته، ومهد له مهاده، وضرب له قواعده).

وبعد أن ناقش عبد الرزاق الصاعدي حجج من أنكروا نسبة النحو إلى علي، عقب بقوله^(٦):

إننا لا نتصور أن يتواطأ جمع من علمائنا القدامى على الكذب، ولا نستكثر

(١) ٢٤.

(٢) ١٤٦٧/٤.

(٣) ٢١.

(٤) ٦١/١.

(٥) ١٨٠/١.

(٦) أصول علم العربية في المدينة، مجلة الجامعة الإسلامية، سنة ٢٨، العددان: ١٠٥-١٠٦،

١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ٣٠٠.

على الإمام عليٍّ عليه السلام أن يكون له دور بارز في نشأة هذا العلم، كإرشاد أبي الأسود وتلقينه بعض المبادئ اللغوية.

وأية غرابة في أن تدور بين عليٍّ وصديقه أبي الأسود أحاديث تتصل باللغة، وهما بها عالمان، وعلى سلامتها حريصان، في زمن استشرت فيه العجمة، وشاع فيه اللحن، وأخذ يتهدد القرآن؟

وليس ما صنعاه نحوًا بالمعنى الذي نعرفه اليوم، إنما هي إشارات، وتنبهات، وملحوظات؛ كانت تدور تحت سماء المدينة وغيرها، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فأضاف علي وصاحبه إضافات مهمة، جعلت الناس ينسون ما كان قبلهما، ويعزون هذا العلم لهما، أو لأحدهما.

ولو أخذنا بحجة انشغال الخليفة علي بتصريف أمور الدولة، لأنكرنا كثيرًا ممَّا أثر عنه من فنون القول والحكمة، ممَّا فاضت به كتب التراجم والطبقات، وذلك أو أكثره يحتاج في صياغته إلى التأمل والوقت.

وكيف نستكثر على علي أن يضيع شيئًا من مبادئ النحو أو يرشد إليها، وهو من أكثر الصحابة علمًا وأشدَّهم ذكاء، فعلي رجل القضاء والفقه والرواية والخطابة، وما روي عن ريادته في النحو ليس تأليفًا مكتملًا يستغرق الوقت، ولكنه لفظة من بداهة السليقة، اهـ.

خاصف النعل كان يعمل ويتصدق

- ١- ولو كان علي فقيراً، فهل تقيم الناس بممتلكاتهم أم بمؤهلاتهم؟
- ٢- ولو طالب علي بحق زوجه، فهل المطالبة بالحق منقصة وعيب وجشع؟
- ٣- ولو لم ينفق علي في جيش العسرة، فلماذا تخالف سورة التوبة وتلمزه؟، ووهي دعوى باطلة؟ لا مصدر لها.
- ٤- علي كان يعمل ويكد، وكان في مهنة أهله، إيراد مجموعة من النصوص الصحيحة، التي تدحض دعوى مروان أن علياً لم يكن يعمل ويكسب.
- ٥- ثم، هل كان علي لم يجد ما يتصدق به؟ نقل مجموعة من النصوص التي تبين حقيقة الأمر.
- ٦- ثم، ألم تقرأ عن صدقات علي وأوقافه؟
- ٧- الغني الزاهد، بالرغم من ممتلكاته، فقد أوقفها، وكان كثير الصدقات، وعاش زاهداً.

ولو كان فقيراً، فهل الفقر عيب؟!

يفرد مروان جزءاً من مقاله عن "يوميات أبي الحسن" لتشويه صورة علي، الذي هو بحسب مروان: الفقير، المتسول، الذي يمثل عبئاً على زوجه وأبيها... إلخ.

ونقول له: إن الناس لا يقيمون بممتلكاتهم بل بمؤهلاتهم، وإلا كان أثرى أثرياء العالم هم أفضل الناس!، وعلي نفسه يعلم الناس هذا الدرس، فيقول: "قيمة كل امرئ ما يحسن" (البيان والتبيين).

ومتى كان الفقير عيباً للإنسان؟ ومتى كانت معيشة الناس في حالة من البؤس عيباً لهم ومنقصة، وسالبة لفضائلهم، ودليلاً على رذائلهم؟! الصحابة كثير منهم لم يكونوا أغنياء، وسيتبين لنا في دعوى مروان من سوء تأويل، وافتراء أيضاً.

ولو طالب بحق زوجه، فهل المطالبة بالحق نقيصة، وعيب؟!

ويسخر مروان من مطالبة علي لمال زوجه، فيقول مروان: "سيموت النبي بعد أقل من عامين من تلك المعركة وسيذهب هذا الرجل إلى خليفته يريد مال زوجته، ثم سيذهب إلى الخليفة الآخر يطالبه بالأمر ذاته، تلك أسهل طريقة للحصول على المال، أن يضع يده في ميراث ما".

وهل مطالبة الإنسان بحقوقه المالية، أو بحقوق زوجه - يعني أنه فقير؟ أو أنه لا يملك غيرها؟ وقبل ذلك فهل المطالبة بالحقوق تقتضي العيب والازدراء والاحتقار؟! وهل وضع علي يده في "ميراث ما" هكذا مجهولاً، أو أنه يطالب بميراث [زوجته]؟ أيعيب الرجل فعل ذلك؟

وهل نقول لمن طالب بحقه أنه طماع وجشع؟!

أخرج ابن أبي شيبة، وابن ماجه، وصححه الألباني والأرنؤوط^(١):

عن أبي هريرة، قال: أتت فاطمة النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال لها: "ما عندي

(١) ابن ماجه (٣٨٣١)، وابن أبي شيبة، ٤٣/٦.

ما أعطيك" فرجعت، فأتاها بعد ذلك فقال: "الذي سألت أحب إليك، أو ما هو خير منه؟" فقال لها علي: قولي: لا، بل ما هو خير منه، فقالت: فقال: "قولي: اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر".

أهذا فعل الطمع الجشع؟ يقول لزوجته: بل اطلبي من رسول الله ما هو خير من المال.

والآثار المروية عن علي في زهده وورعه واستغنائه عن الدنيا، تمتلئ بها كتب السنة، [وسأذكر أمثلة في موضوع: مؤسسة فاسدة أم خلافة راشدة (٢)].

وأشير هنا إلى أمر في غاية الأهمية، حين طالب علي بميراث فاطمة، فأخبره أبو بكر بالحديث النبوي "إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة"، فمضى الأمر كما قضى فيه أبو بكر، ثم عمر، واختلاف علي والعباس عند عمر لم يكن بشأن الميراث، بل بشأن إدارة الميراث، أي: من الذي يديره، أو كيف يديره: هل يديره واحد منهما، أو كل منهما يدير قسما؟

فقول مروان: (ثم سيذهب إلى الخليفة الآخر يطالبه بالأمر ذاته) تزييف للحقيقة، فالذهاب إلى أبي بكر كان بشأن المال، أما الذهاب إلى عمر فلم يكن للأمر ذاته، بل بشأن إدارة المال.

هذا نص مسلم، عمر يقول مخاطبا عليا والعباس^(١):

(١) (١٧٥٧).

"فوليتهما ثم جئني أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا، فقلت: إن شئتم دفعتهما إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملأا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ، فأخذتماها بذلك، قال: أكذلك؟ قالا: نعم، قال: ثم جئتماني لأقضي بينكما".

فهما أخذأا المال لإدارته، ثم اختلفأا في طريقة إدارته، ولذلك عقب النووي بقوله^(١):

"ومما يؤيد ما قلناه، ما قاله أبو داود أنه لما صارت الخلافة إلى علي رضي الله عنه لم يغيرها عن كونها صدقة، وبنحو هذا احتج الخليفة العباسي السفاح؛ فإنه لما خطب أول خطبة، قام بها قام إليه رجل معلق في عنقه المصحف، فقال: أنشدك الله إلا ما حكمت بيني وبين خصمي بهذا المصحف! فقال: من هو خصمك؟ قال: أبو بكر في منعه فذك، قال: أظلمك؟ قال: نعم، قال: فمن بعده؟ قال: عمر قال: أظلمك؟ قال: نعم، وقال في عثمان كذلك، قال: فعلي ظلمك؟ فسكت الرجل، فأغلظ له السفاح".

وهناك رواية تبين أن عليأا لم يسأل النبي مالا، ولم يكن يرسل زوجه لتسأل النبي مالا، كما يقول المفتري، بل سأله أن يدير الخمس، حيث اجتمع العباس وعلي وفاطمة وزيد، فالعباس سأل النبي راتبا؛ كونه كبر سنه ورق عظمه، وفاطمة سألت أبأاها مثل عمها، وزيد سأل النبي أرضا كانت له ثم قبضها منه، وعلي سأل النبي إدارة الخمس^(٢).

(١) شرح النووي، ٧٣/١٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ٥٥٩/٦، ووثق البيهقي رجاله. قال علي: (اجتمعت أنا والعباس =

ولو لم ينفق في جيش العسرة، فلماذا تلمزه !؟

يقول مروان، وهو يتحدث عن إنفاق الصحابة في جيش العسرة، وكعاداته لا يمدح إلا ليكون مدحه ذماً لعلّي، ثم يقول: "رجل واحد لم يجد ما ينفقه من أجل الجيش، ولا حتى نصف صاع من التمر، ذلك أنه كان فقيراً لا يملك شيئاً، فهو لا يعمل ولا يريد أن يعمل ويتعالى على صنائع البشر" اهـ.

والرد على هذا الهراء في ما يلي:

أولاً: مجرد الإنفاق ليس شهادة في الدين، فهناك من المنافقين من أنفقوا أموالهم في العسرة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٥٣]، والخطاب للمنافقين، وراجع تفسير الطبري.

ثانياً: ذم الله أولئك المستهزئين الذين يجعلون جهود الناس - سواء قلت أو كثرت - مدعاة للسخرية والظعن والاستهزاء، فقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

= وفاطمة وزيد بن حارثة عند رسول الله ﷺ، فسأل العباس رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كبر سني، ورق عظمي، وركبتي مؤنة، فإن رأيت أن تأمرني بكذا وكذا وسقا من طعام فافعل، قال: ففعل ذلك، ثم قالت فاطمة رضي الله عنها: يا رسول الله، أنا منك بالمنزل الذي قد علمت، فإن رأيت أن تأمر لي كما أمرت لعمك فافعل، قال: ففعل ذلك، ثم قال زيد بن حارثة: يا رسول الله، كنت أعطيتني أرضاً أعيش فيها، ثم قبضتها مني، فإن رأيت أن تردّها علي فافعل، قال: ففعل ذلك، قلت أنا: يا رسول الله، إن رأيت أن توليني حقنا من الخمس في كتاب الله فأقسمه حياتك).

ثالثاً: أخبر الله أنه لا حرج على من لا يجد ما ينفق في الخروج، وليس في مجرد عدم الإنفاق، أفنعب اليوم أمراً حسم الله القول فيه، وبين إثم من يعيب عليهم؟! قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١].

رابعاً: ماذا قال المفسرون في الصحابة الذين لم يجدوا ما ينفقون؟ [في تفسير قوله: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ)]

- في تفسير الطبري^(١) نقل روايات عديدة، والأسماء التي ذكرها: عبد الله بن مغفل المزني، نفر من مزينة، عرباض بن سارية، نفر سبعة من قبائل شتى.

- ربما نسي الطبري ذكر علي، لنظر ابن الجوزي في زاد المسير^(٢)، الذي ذكر نحو أربعة عشر اسماً، ولم يذكر منهم اسم علي.

في كل ذلك، لم نجد ذكراً لعلي، فضلاً عن أن يكون هو الوحيد!

خامساً: وأما مسألة هل أنفق علي أو لم ينفق في العسرة، فكتب السيرة ذكرت أن الصحابة أنفقوا، وعلي منهم، ولم تورد كتب السير موازنة تفصيلية لكل من أنفق، وما أنفق، إنما ذكرت بعض من أنفقوا من الموسرين، وسكتت عن بيان نفقة آلاف الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

بقيت ثلاثة افتراءات: "علي كان فقيراً، وأنه لم يكن يعمل، وأنه كان يتعالى على صنائع البشر"، أعجب فعلاً، من القدرة الفائقة لمروان في حشد خمسة افتراءات في ثلاث إلى خمس جمل.

(١) ٤١٩/١٤.

(٢) ٢٨٨/٢.

وعلي، كالمسيح، كان يعمل ويكد:

الفقر ليس عيباً، بل الاتكالية هي العيب، وعلي لم يكن اتكالياً، بل كان يبحث عن رزقه بعمله وسعيه، كما دلت على ذلك الآثار.

يقول مروان: "في مطلع النهضة الأوروبية عمل المثقفون، والمتدينون التقدميون، على نشر رسم للمسيح وهو يغسل أقدام حواربيه، قالت تلك الصورة إن المسيح كان يعمل، يكد، ولا يتعالى، ساعدت الصورة، ضمن خطاب إصلاحى جديد، على خروج الناس من القدرية إلى مصادمة الحياة، لا نظير لتلك الصورة في حياة علي، ولو أنه أتقن حرفة ما، لو أنه جلس وساعد زوجته [لا نقول يغسل أقدام جنوده]، لخدم التاريخ"، ويقول مروان: "أين علي؟ كان في المدينة لا يفعل شيئاً، ولا يتقن حرفة، ولا يساعد زوجته وهي تشتكي له"، اهـ.

يتحدث مروان كما لو كان معلماً يقدم دروساً تعليمية للأطفال، يحمل العصا ويشير إلى علي، يستدعي الأجنبي: تعلم من المثقفين الأوربيين، يعتقد أنه أب يتحدث مع طفله: قم اعمل واشتغل، أهذا هو البحث العلمي؟

أسأل القراء: ما الذي أناقشه في مثل هذه المقولة؟ ولو أنه رجع إلى كتب الحديث والتاريخ لوجد علياً وهو يساعد أهله، هذا حديث أخرجه أحمد في مسنده^(١): "قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوْتُ حتى لقد اشتكت صدرى"، قال ابن حجر في فتح الباري شارحاً الحديث^(٢): "وقوله سنوت، أي استقيت من البئر فكنت مكان السانية، وهي الناقة".

(١) (٨٣٨). وصحح إسناده محقق المسند: الشيخ أحمد شاكر.

(٢) ١١٩/١١.

وروى ابن ماجه^(١) عن علي قوله: "كنت أدلو الدلو بتمرّة"، [والحديث حسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه، وحسنه الألباني أيضا]، والمعنى أن عليا كان يستقي الدلاء من البئر، كل دلو مقابل تمرّة.

وفي الزهد لأحمد^(٢)، قال علي: جئت إلى حائط أو بستان، فقال لي صاحبه: دلوا وتمرّة، فدلوت دلوا بتمرّة، فملأت كفي، ثم شربت من الماء، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ بملء كفي فأكل بعضه وأكلت بعضه".

وأخرج أصحاب السنن، كالترمذي وأحمد وابن أبي شيبة أن عليا كان يخصف نعل رسول الله ﷺ^(٣)، هل هذا سلوك رجل يتعالى على العمل؟! هل يخصف النعل من يتعالى على العمل؟

وحيث ينحر علي البدن ويذبحها (بلغة اليوم يمارس الجزارة)، فهل هذا سلوك من يتعالى على العمل وصنائع الناس؟ وحين يقول علي: "أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدنه، وأن أتصدق بلحمها وجلودها وأجلتها"^(٤)، فهل هذا سلوك من يتعالى على العمل والعمال؟

حين سُئِلت عائشة: أي شيء كان يصنع رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: ما يفعل أحدكم في مهنة أهله؛ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويرقع دلوه^(٥)،

(١) (٢٤٤٧).

(٢) ص ١٠٨.

(٣) انظر تلك الأحاديث في السلسلة الصحيحة للألباني، ٢٤٧٨.

(٤) والحديث متفق عليه، وهذا لفظ مسلم (١٣١٧).

(٥) أخرجه ابن حبان (٥٦٧٦)، وصححه الألباني في تعليقاته الحسان.

هذه مهنة بيتية كان الرسول وغيره من صحابته يفعلونها، وها هي الآثار التي أوردتها عن علي تبين أنه كان يقوم في مهنة نفسه وأهله.

وحين تزوج علي في السنة الثانية للهجرة، وعمره ٢٥ سنة، يقول^(١): (كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفا من الخمس يومئذ، فلما أردت أن أبنتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع يرتحل معي، فنأتي بإذخر أردت أن أبيع من الصواغين فأستعين به في وليمة عرسي).

ها هو شاب معتمد على نفسه، لديه المهر ليتجوز، ويجهز وليمة عرسه، ويقوم بالشراء والبيع والقيام بمهنة الصواغة، وذهب مستعينا بأهل الخبرة، وكل ذلك؛ حتى يوفر ما يحتاجه لوليمة عرسه.

ويحكي في القصة أنه رجع وقد قُطعت أسنمة بغيره، قطعها حمزة بعد أن شرب الخمر، ولم تكن الخمر قد حرمت بعد، فقال علي: (فلم أملك عيني حين رأيت)، قال ابن حجر^(٢): (والمراد أنه بكى من شدة القهر الذي حصل له؛ وذلك لتصوره تأخر الابتداء بزوجه بسبب فوات ما يستعان به عليه، أو لخشية أن ينسب في حقها إلى تقصير، لا لمجرد فوات الناقتين).

وفي الرواية يقول: (فبينا أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال)، فهو لا يتعالى عن العمل، بل ذهب ليجمع لبعيره الأقتاب [وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه]، والغرائر: ما يوضع فيها الأمتعة، والحبال.

(١) في صحيح البخاري (٢٠٨٩)، ومسلم (١٩٧٩).

(٢) فتح الباري، ٦/٢٠٠.

ثم إن الرسول أقطع علياً أوقافاً في ينبع، وكانت تلك الأوقاف أرضاً موات، وهذه سياسة الرسول ﷺ، لم يكن يقطع لأصحابه إلا الأرض الموات؛ كي يعمروها ويحيوها، وعلي قام بالعمل في تلك الأرض بيده، واستخدم عمالاً أيضاً في حفر آبار وزراعتها؛ فصارت مليئة بالآبار والبساتين.

والروايات الصحيحة وردت عن علي أنه كان يعمل ولا يتعالى على العمل، طوال حياته، حين أصبحت لديه أموال وأوقاف، ظل يمارس العمل بلا احتقار، قال ابن أبي مليكة: لما أرسل عثمان إلى علي في اليعاقب، وجده متزراً بعباءة، محتجزاً العقال، وهو يهنأ بعيراً له^(١)، [أي يطلي بعيره بالقطران الأسود، وكان العرب يعالجون جرب الإبل بالقطران]، فعلي كان يمارس مهنة البيطرة، دون أن يستكبر عن ذلك.

ثم إن الدكتور مروان ينطلق من رسمه المسيح لمحاكمة علي وإدانته، كما يفعل مع طالب الابتدائي: انظر إلى المسيح، تعلم التواضع منه؛ إنه يغسل أقدام أتباعه الحواريين، ثم يقفز إلى نتيجة (لا نظير لتلك الصورة في حياة علي)! كم يستحق الشفقة هذا النقاش!

متى كانت الرسمة دليلاً تحاكم من خلاله وتدين؟ ثم لو استخدمنا الرسوم فستجد آلاف الرسوم والرسوم المضادة، ولعلي آلاف الرسوم التي أدعوك للالتفات إليها، إذن، وثمة رسومات جعلت المسيح إلهاً، فهل سنحاكمه بناءً على من رسموه؟!، وستصبح الرسوم الدنماركية معبرة عن حقيقة النبي.

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١/٥٣٦)، بسند حسنه محقق الكتاب..

ثم هل التواضع لا بد أن يكون بمسح الأرجل؟ أنت طيب، فكم مسحت وغسلت أرجل المرضى؟ ولا أقول: كم رجلاً من أرجل المتابعين في فيسبوك قمت بغسلها؟!

ثم متى كانت الرسومات دليلاً علمياً يثبت صحة الحدث؟ هل تأتي بالمعلومات الطبية في أبحاثك من الرسومات، وتعتمدها؟ يا دكتور مروان لو استدلت برسمة، كهذه، في بحث طبي لسقطت في المناقشة؟ وربما فصلت من عملك؟ كم بحث أجريت بعد بحث الماستر والدكتوراه؟ كيف كنت تعود للدراسات السابقة؟ وكيف كنت تجري التجارب في أبحاثك؟ أم أن أسلوبك الروائي طغى على طريقة البحث الأكاديمي، فذهبت تكتب أبحاثك بالأسلوب الفكاهي والروائي؟

لقد كان مروان مغرماً بوصف علي أنه "يتعالى على العمل، على صنائع الناس"، لدرجة أنه كرر هذه الصورة بألفاظها في مقاله المظلم "الظل والظلام" خمس مرات، وهذا عدا عن تكرارها بصور أخرى، عن رجل لا يكسب، لا يريد أن يعمل، لا يتقن حرفة، رجل كسول، لديه الكثير من الأبناء والنساء، [ولا يعرف كيف ينفق عليهم].

يجد مروان نشوة، كل ما كتب شيئاً في مقال "الظل والظلام"، ما أن يضع فقرات، حتى يحن إلى هذا الوصف، وكأن قلمه يرضع منه فيزداد نشاطاً، ولا أدري: هل نسي أنه ذكره من قبل، أو أنه يحب إلصاق هذا الوصف بالكرام من الناس؟ أم أنه يريد، كما ذكرت من قبل، أن يستوثق أنه محا الصورة المشرقة لعلي، وأحل محلها "صورة علي مروان"، فهو يتعمق في الحفر، كما يتعمق في التحليل بخياله، فيقول بدون رواية، ويروي بدون دراية!

يقول مروان: "لنقرأ انفعالات النبي وهو يرى البؤس الذي تعيشه ابنته، وما إذا كان قد عاتب زوجها الشاب الذي لا يكسب دينارًا ولا درهماً، ويتعالى على أعمال الناس وصنائعهم".

كعاداته مروان ينسب انفعالاته وإسقاطاته إلى الآخرين، ولا يتورع من استنطاق ألسنتهم، إلا أنه هنا يسقط دخيلة نفسه على النبي نفسه! ثم يدعي أن علياً يتعالى على أعمال الآخرين! ولا يأتي مروان بالمصدر الذي يذكر أن علياً كان كذلك! فهذا إذن "مجرد حكي".

مروان يريد أن يتضامن معه الآخرون كلهم في كراهية علي، في حمل أحقادهم التي ناء بحملها، فيذهب باحثاً عن من يحمل معه، ولكنه لا يريد من همج الناس أن يحملوا تلك الأحقاد، بل يعود إلى مصادر الفضيلة نفسها، يعود إلى النبي وصحابته، يحملهم انفعالاته الثقيلة!

ذكرت مجموعة من الروايات، تبين أن علياً كان يعمل بيده: عمل في السقي، عمل خاصفاً للنعل، عمل في الجزارة، قام في مهنة نفسه وأهله، حث زوجته أن تسأل رسول الله ما هو خير من المال، وفي تاريخ المدينة لابن شبة أن علياً كان يعمل في مزارعه بيده^(١).

فأين يذهب المفترون؟! وهل ذلك كل ما في الأمر؟

ثم هل كان علي فقيراً؟ وهل لم يكن يجد ما يتصدق به؟

يتحدث علي^(٢): (كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان

(١) ٢٢١/١.

(٢) في صحيح البخاري (٢٠٨٩)، ومسلم (١٩٧٩).

النبي ﷺ أعطاني شارفا من الخمس)، والشارف: الناقة، فهو يتحدث عن السنة الثانية للهجرة، وكان يمتلك ناقتين، فهل هذا فقير؟!

كان الرسول ﷺ يقسم لأصحابه المقاتلين في المعارك، وعلي منهم، وحين أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير، وزعها على المهاجرين، وعلي منهم، وفي سيرة ابن هشام^(١) تفصيل للأسهم التي نالها الصحابة في معركة خيبر، ومنهم علي، وكان الرسول يُقَطِّع لأصحابه، وعلي منهم^(٢).

وبسند صحيح في مسند أبي يعلى^(٣)، قال علي: (أصبت شارفا في مغنم بدر مع رسول الله ﷺ، وأعطاني رسول الله ﷺ شارفا).

وكان علي من عمال النبي ﷺ، الذين يبعثهم لقبض الصدقات من القبائل^(٤)، وكان من عمال النبي الذين يقيمون الحدود^(٥)، وكان من رجال الدولة الذين يحملون الألوية والرايات، ويبعثهم الرسول في مهام سياسية وقيادية مختلفة، وولاه القضاء في اليمن.

وفي صحيح البخاري^(٦)، أن عليا بعث إلى النبي ﷺ بذهبية، فقسمها بين الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وزيد الخيل، وعلقمة بن علاثة... إلخ، علي يقوم

(١) ٣٦٤/٣.

(٢) انظر مجموعة من إقطاعات النبي لأصحابه [منهم أبو بكر وعمر والزيبر وقوم من مزينة] في كتاب الخراج لأبي يوسف، ٧٣. وانظر أيضا: مجموعة الوثائق السياسية، ١٤.

(٣) ٤١٦/١. والشارف: المسنة من الإبل.

(٤) سيرة ابن هشام ٢٤٧/٤.

(٥) أحكام القرآن، لابن العربي، ٦٣/٤.

(٦) (٣٣٤٤).

بالمهام ويأتمنه الرسول على المال، فإذا كانت هذه مهام الصحابة، وكانوا يكسبون منها، فلم إخراج علي واقتراض فقره؟

وثمة نصوص أخرى في كتاب التفسير تبين إنفاق علي وصدقته في حياة الرسول ﷺ، تركت ذكرها؛ لأنني لم أجدها أسانيد موصولة صحيحة، بالرغم من أن منهج المفسرين في إيراد أسباب النزول، يختلف عن منهج المحدثين، ويختلف تعامل المفسرين في ذلك.

ولكن العجيب اليوم، أنك تجد مثقفين، بل باحثين أحياناً، يطعنون في تلك الروايات؛ لأنها عن علي.

فلماذا تكون كتب التاريخ صادقة إلا حين تروى عن علي، وتكون كتب التفسير صادقة إلا حين تذكر علياً، وتكون كتب الأدب موثوقة إلا حين تستشهد بعلي؟!!

ولماذا لا نتحدث عن ضرورة تنقية كتب التراث إلا فيما يتعلق بمروياتها عن علي؟!!

ولماذا نعتقد أن أي فضيلة أو مزية لعلي لا بد أن تكون على جماجم فضائل الآخرين؟ فكلُّ من الصحابة قد حاز من الفضائل والمناقب والشهادات النبوية والشرف الشيء العظيم.

ألم تقرأ عن صدقات علي وأوقافه؟

في تاريخ المدينة لابن شُبَّه عقد فصلاً بعنوان: "صدقات علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"^(١)، وذكر أموال علي، والعقارات التي كان يمتلكها في ينبع ووادي القرى،

(١) ج ١، ص ٢١٩-٢٢٩.

وفيه (باختصار):

- اشترى علي من عبد الرحمن بن سعد بينبع قطعة أرض بثلاثين ألف درهم، وعمل فيها عدة عيون، وفيه أيضا: إقطاع عمر لعلي أرضا بينبع، ثم اشترى علي إلى قطيعة عمر غيرها، وتصدق بالعيون التي عملها فيها.

- وفيه: "وكانت أموال علي رضي الله عنه عيونا متفرقة بينبع، منها عين يقال لها: عين البحير، وعين يقال لها: عين أبي نيزر، وعين يقال لها: عين نولا، وهي اليوم تدعى العدر، وهي التي يقال لها إن عليا رضي الله عنه عمل فيها بيده".

- ويقول: "وعمل علي رضي الله عنه أيضا بينبع "البغيغات"، وهي عيون منها عين يقال لها: خيف الأراك، ومنها عين يقال لها: خيف ليلي، ومنها عين يقال لها: خيف بسطاس، فيها خليج من النخل مع العين".

- وفيه: "كان له أيضا صدقات بالمدينة: الفقيرين بالعالية، وبئر الملك بقناة، والأدبية بالإضم، فسمعت أن حسنا أو حسين بن علي باع ذلك كله فيما كان من حربهم، فتلك الأموال اليوم متفرقة في أيدي ناس شتى"، فهل أموال صارت متفرقة في أيدي شتى لرجل فقير!

- وفيه: "ولعلي رضي الله عنه في صدقاته «عين ناقة»، بوادي القرى، ويقال لها: عين حسن بالبيرة من العلا"، وفيه: "وله بوادي القرى أيضا عين موات".

- وفيه: "ولعلي رضي الله عنه أيضا حق على عين سكر، وله أيضا ساقى على عين بالبيرة، وهو في الصدقة، وله بحرّة الرجلاء من ناحية شعب زيد واد يدعى الأحمر، شطره في الصدقة، وشطره بأيدي آل مناع من بني عدي منحة من علي"، أرجل يمنح الناس فقير؟!

- وفيه: "وله أيضا بحرة الرجلاء أربع أبر، يقال لها: ذات كمات، وذوات العשרاء، وقعين، ومعيد ورعوان، فهذه الأبر في صدقته".

- وفيه: "وله بناحية فذك واد بين لابتي حرة يدعى: رعية، وفيه نخل ووشل من ماء يجري على سقا بزنوق، فذلك في صدقته".

- وفيه: "وله أيضا بناحية فذك واد يقال له: الأسحن".

- وفيه: "وله أيضا ناحية فذك مال بأعلى حرة الرجلاء يقال له: القصيبة".

ثم أورد نص نسخة كتاب صدقة علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي مذكورة أيضا في مصنف عبد الرزاق، وفي مصنف ابن أبي شيبة أن عليا أوصى بالخمس من ماله^(١).

وثمة وثيقة وقفية، أن عليا أوقف كل ماله، بتاريخ ١٠ جمادى الأولى عام ٣٩هـ [قبل مقتله بعام]، وبكتابه^(٢).

وفي كتاب "الأوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين" تفصيل عن أوقاف النبي صلى الله عليه وسلم، وأوقاف عمر، وأوقاف عثمان، وأوقاف علي^(٣)، وفي أوقاف علي ذكر بالتفصيل أوقافه في ينبع، وأوقافه في المدينة المنورة، وأوقافه في وادي القرى ومدينة العلا، وأوقافه في خيبر.

(١) مصنف عبد الرزاق (١٩٤١٤)، ومصنف ابن أبي شيبة، ٢٢٦/٦. وانظر تخريج الدلالات السمعية، ص ٥٦٧ [ذكر أوقاف علي].

(٢) الوثيقة في تاريخ المدينة لابن شبة ١/٢٢٥، وانظر هذه الوثيقة وتوثيقها وشرحها في كتاب: الأوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، ص ٣٩٨-٤١٣.

(٣) خصص المؤلف الباب الرابع للحديث عن أوقاف علي، من ص ٢٧٧-٤٤٠.

كما خصص مبحثا لبيان طرق تملك علي لتلك الأوقاف^(١)، كالإقطاع [أقطعه النبي، وكذلك عمر]، والشراء.

يجهد مروان نفسه، وهو يفتش عن أي أثر يعيب به عليا عليه السلام، ينطلق، لا يلوي على علم أو أخلاق، وكلما رأى أثرا ينصحه ويزجره عن غيه لوى رأسه وأعرض، ورمى به وراء ظهره، هو خبير في البحث ميمنة وميسرة عن الآثار التي يهواها، فإن لم يجدها ميمنة اتجه ميسرة، وفي تبدله بين الجهات يسحق العلم والأخلاق، ما أحرى عليا بقول المتنبي:

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره المجد ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهزم

مصادر أموال علي:

مما سبق يتبين لنا مصادر أموال علي عليه السلام، فعلي كان موظفاً من كبار موظفي الدولة، كأبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة، وكان يكسب مثلما يكسبون، وقد شغل مجموعة من المهام أيضاً في عهد أبي بكر وعمر.

ومن قرأ توزيع سهام خيبر في ابن هشام وغيره، سيجد إجابة واضحة للسؤال: من أي مصادر أتت أموال علي؟

وحتى الخمس، الذي أجد لمزابه، ذكر ابن هشام في السيرة أن رسول قسمه بين نسائه وأفاربه ورجال ونساء من الصحابة، فأعطى أبا بكر منه كما أعطى عليا، وأعطى عبد الرحمن بن أبي بكر... إلخ.

ثم إن أبا بكر وعمر وعثمان ساروا في قسمة أموال الرسول بسيرة الرسول، وهم أدرى منا بتوزيعها، وكان عمر يقسم على صحابته ورجال الدولة من خراج الدولة.

جاء في البدء والتاريخ^(١) أن عمر فرض للناس العطايا وفضل بعضهم على البعض فبدأ بالعباس ففرض له في اثني عشر ألفاً ولعلي بن أبي طالب في ثمانية آلاف.

ولو كان علي اختلس الأموال في عهد الصحابة فلماذا تركه أبو بكر ثم عمر؟ أجبنوا عنه؟

بل إن علياً نفسه، كما في تاريخ المدينة، مارس التجارة، فاشترى عقارات. ومن قال أن بقية الصحابة لم يكن لهم عقارات؟!، من يقرأ تاريخ المدينة يجد الدور والعقارات والأموال التي ذكرها للصحابة، بما فيهم الأنصار.

وإذا كنت تجهل مصادر أموال بعض أصدقائك، وتتفاجأ بهم قد اشتروا أو تاجروا... إلخ، فكيف تريد التفاصيل الحية لأحداث قبل ١٤٠٠ سنة؟! والروايات نقلت لنا القليل وسكتت عن الكثير، وحتى القليل الذي نقلته فيه الصحيح والضعيف!

والنصوص الصحيحة، تبين أن علياً لم يأخذ من بيت المال شيئاً في خلافته^(٢).

(١) ١٦٨/٥.

(٢) الأموال للقاسم بن سلام، ٣٤٣ - وما بعدها.

وبعض الصحابة كانوا في شظف من العيش، وفتح الله عليهم، فالدولة التي أسسها الرسول ﷺ أصبح لها موارد مالية، كان ينفق منها على رجال الدولة والمقاتلين، فكون علي عانى من شظف العيش لا يتناقض مع كونه كسب بعد ذلك، وهذا الكسب لا علاقة له بالتجارة، وكان الرسول يقطعه كما أقطع غيره، ومن يرجع لكتب السير والتاريخ لوجد كثيرا من التفاصيل.

الغني الزاهد:

أخيرا، قد يقول بعضهم: إذا كان غنيا، ومعه هذه الأموال، فلماذا وردت روايات تبين شدة شظف معيشتة، ولباسه الثوب المرقوع؟

مما سبق يتبين أن عليا خصص عائدات أمواله للفقراء والمحتاجين، فلم يكن يرى ماله إلا ما تصدق به وأنفقه، ونفع به الناس، وواسى به ذوي الحاجات منهم، ولذلك أوقف أمواله في حياته، وبعد وفاته، وكانت صدقاته السنوية تبلغ أربعين ألفا^(١).

ولو شاء لعاش غنيا مترفا مرفها، ولكنه أراد أن يمنع نفسه وينفع من سواه، وأن يكون قريبا من الناس الفقراء، يتلمس حاجاتهم، ولا يشعرون بفجوة طبقية أو اجتماعية حين يرون الخليفة يلبس مثلهم، ويأكل مثلهم، ولذلك حين سُئل عن لبسه الثوب المرقوع، قال: (يقتدي المؤمن، ويخشع القلب)^(٢)، ومرة أخرى عاتبه أحد أصحابه على لباسه، فقال علي^(٣): (ما لكم وللباسي! هو أبعد من الكبر،

(١) فضائل الصحابة، ١/ ٥٣٩.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٥٤٩)، قال المحقق: وإسناده صحيح.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٥٤٣).

وأجدر أن يقتدي بي المسلم).

يقول النووي^(١)، وهو يتحدث عن علي: "وأما زهده فهو من الأمور المشهورة التي اشترك في معرفتها الخاص والعام، وأما ما رويناه عنه في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره أنه قال: "لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار"، فقال العلماء: لم يرد به زكاة مال يملكه، وإنما أراد الوقوف التي تصدق بها وجعلها صدقة جارية، وكان الحاصل من غلتها يبلغ هذا القدر، قالوا: ولم يدخر قط ما لا يقارب هذا المبلغ، ولم يترك حين توفي إلا ستمائة درهم، روي عن سفيان بن عيينة، قال: ما بنى على رضى الله عنه لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، وروينا أنه كان عليه إزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم".

هذه تربية الرسول ﷺ لأصحابه، فقد كان قدوة لهم، وهو الذي بسط الله له الدنيا فأنفقها يمينا ويسارًا، ولو شاء لعاش كما تعيش الملوك في بذخ وترف، ولكنه كان ينام على الحصير، وتمر الأشهر، كما قالت عائشة، لا يوقد في بيته النار، ويلبس الإزار الغليظ، وعلى ذلك سار خلفاؤه من بعده: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وغيرهم من صحابته رضوان الله عليهم.

(١) تهذيب الأسماء واللغات، ١/٣٤٦.

هل علي بلا تاريخ ولا مهارات؟!

١ - هل كان النبي يختار رجلا بدون كفاءة؟ نماذج من كفاءة علي القيادية والعسكرية والسياسية والعلمية في عهد النبي ﷺ.

٢ - أبو بكر كان يستشير عليا، وكان يمارس الإفتاء في عهده، وأوكل له حراسة المدينة.

٣ - عمر ولي عليا قضاء المدينة، وقال: "أفضانا علي"، وكان يستخلفه علي المدينة، ورشحه مع أهل الشورى للخلافة، ونماذج من مشورات علي لعمر.

٤ - الزبير تنازل لعلي بالخلافة، كما في البخاري، فهل يستهين الزبير بأمر المسلمين حين يتنازل لرجل لا كفاءة له؟!

٥ - علي كان لعثمان كما كان لسابقه، بل كان أول المبايعين له، كما في البخاري.

٦ - لماذا يتكامل مروان مع الإمامية في الانتقاص من الصحابة، هم بعض وهو بعض.

٧ - مصادر مروان القديمة والحديثة، التي يدور في تكرير أفكارها، واستنساخها، ويتفوق عليها في الصور والأرقام.

يطلق مروان لنفسه العنان في تأنيب الصحابة وتوبيخهم، وعصر ألفاظه وصوره ليجعل منهم مادة للسخرية والضحك؛ فمروان ذو القدرات البالغة في إضحاك الناس وقهقهتهم، يستخدم هذه المرة قدراته في إضحاك الناس من صحابة

رسول الله ﷺ، دون أن يجد حدا يقف عنده، طالما أن ثمة من يصفق له، ويخبره أنه قد تنور بما يقول، وأنه عرف ما كان مجهولا، والأمثلة في مقالاته عديدة، ذكرت بعضها، وما تركت أكثر.

يصف مروان عليا ساخرا منه: "وتلك هي عادة الرجال الذين لا يجيدون أي صنعة، ويمضي بهم العمر وهم بلا مهارات".

ونحن نقول: وتلك هي عادة من لا يحسن إلا القيل والقال وتتبع العورات، وتلك عادة من لا يحسن التفكير، ولا يؤتمن على العلم؛ فيلتقط حادثة - حتى لو مكذوبة - ثم يقفز إلى النتائج العريضة، هذا كل مروان!

فلننظر، إلى أي مدى كان مروان قارئاً جيداً وأميناً للتاريخ؟

هل كان النبي يختار رجالاً بدون كفاءة؟

[نماذج من الكفاءة القيادية والعسكرية]: وقد خصصت لها موضوعاً سابقاً.

- حين نادى صناديد قريش للمبارزة، قال الرسول: (قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة... إلخ)^(١)، هل علي بلا مهارات؟ "قم يا علي" لقتال صناديد قريش، أيقولها النبي لرجل جبان خوار؟ لرجل يمر به العمر بلا مهارات؟ [أتدري كم كان عمره حينئذ؟ لم يتجاوز الخامسة والعشرين].

في صحيح البخاري ومسلم^(٢) من حديث أبي ذر وغيره، نزلت فيه (هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)، قال أبو ذر: "نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة، ابني ربيعة، والوليد بن عتبة".

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٦٥) وأحمد (٩٤٨)، وصححه شاكر والأرنؤوط والألباني

(٢) البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣).

- حامل اللواء والراية، والقائد العسكري في نحو ١١ سرية وغزوة، بل قال ابن حجر في الإصابة^(١): "وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد"، هل هو رجل يعيش بلا مهارات؟!

- الذي يروي سعد بن أبي وقاص، بطل القادسية، فيقول: سمعت الرسول ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، قال: فتناولنا لها فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمداً، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، [صحيح مسلم^(٢)]، فهل يعطي الرسول هذه الراية - التي تناول لها الصحابة وتمنوها، وقال عمر: "ما أحببت الإمارة إلا يومئذ" - إلى رجل بدون كفاءة أو مهارة؟! ومن كان فتح خيبر على يديه، كما في الصحيحين، هل هو رجل عاش عمره بلا مهارات وبلا صنعة وبلا كفاءة؟!

- من جعله النبي أميراً على جيش خالد بن الوليد، أهو رجل بلا مهارات وبلا صنعة! (والحديث في الترمذي^(٣)، وحسنه الأرنؤوط).

- الذي كلفه الرسول في حجة أبي بكر بإعلان بيان الرسول ﷺ إلى مشركي العرب^(٤)، فكان الناطق الرسمي باسمه، أهو بدون كفاءة؟ ويعيش بلا مهارات؟

[نماذج من الكفاءة العلمية والمعرفية]: علي الشاب المتعلم، الكاتب، الذي كان من كتبة الوحي، وهو من قلة من المكيين الذين كانوا يقرؤون ويكتبون،

(١) ٤٦٤/٤. وراجع موضوع: هل كان علي جباناً؟

(٢) (٢٤٠٤).

(٣) الحديث رقم (١٧٩٩)، وفي تصحيحه خلاف، وقد حسنه الأرنؤوط.

(٤) صحيح البخاري (٣٦٩).

قال في أسد الغابة^(١): (وكان الكاتب لعهوده ﷺ إذا عاهد، وصلحه إذا صالح، علي بن أبي طالب)، وكان يجمع في كل كتاباته بين الكتابة والشهادة، ومن ذلك: كاتب اتفاقية الحديبية^(٢)، وأحد الذين شهدوا على الصلح^(٣)، وهو الذي كتب عهد النبي لأهل أيلة^(٤)، وكتب كتاب النبي إلى قيصر الروم^(٥)، وكتب عهدا من النبي للنصارى في السنة الثانية للهجرة^(٦)، وكتب كتاب النبي لأهل نجران^(٧) [وهو آخر كتاب كتبه بين يدي النبي^(٨)]، وكتب معاهدة النبي مع أهل مقنا^(٩)، وكتب كتاب النبي إلى من أسلم من همدان^(١٠)، وكتب كتاب النبي لبديل بن ورقاء الخزاعي^(١١)، وكتب كتاب النبي لبني زياد من بلحارث^(١٢)، وكتب كتاب محالفة النبي لنعيم بن مسعود الأشجعي^(١٣)، وكتاب النبي للحصين

(١) ١٦٨/١.

(٢) صحيح البخاري (٣١٨٤)، (١٧٨٣).

(٣) سيرة ابن هشام، ٣١٩/٢.

(٤) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، إسحاق بن الحسين، ص ٩٧. وانظر خطط الشام للمقريزي، ٧٥/١.

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ٣٠١/٤. وفيه ما يفيد أن أحد ملوك الروم في نحو ٥٣٠ هـ، كان محتفظا بالكتاب.

(٦) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، ٥٦٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان، ٣٢٥/١، وانظر فتوح البلدان، ٧٣. وانظر الخراج لأبي يوسف، ٨٧.

(٨) انظر سنن البيهقي، ٢٠٥/١٠.

(٩) مجموعة الوثائق السياسية، ١٢٠.

(١٠) مصنف ابن أبي شيبة، ٣٤٧/٧.

(١١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٣٥٩/١.

(١٢) مجموعة الوثائق السياسية، ١٧٠.

(١٣) الطبقات الكبرى، ٢١٠/١.

الأسلمي^(١)، وكتب كتاب النبي لوافد بني تميم^(٢)، وكتاب النبي ليهود مدين^(٣)، وكتب إقطاع النبي لجميل بن ردام العذري^(٤)، وكتاب النبي لتميم الداري وإخوته^(٥)، وكتب كتابا من النبي لسلمان^(٦)، وكتاب صك النبي في فداء سلمان^(٧)، سلمان^(٧)، وغير ذلك، فهل هو بدون كفاءة؟

- رسول الله ﷺ، كان يستشير عليا أيضا، ومن ذلك استشارته مع أبي بكر وعمر في أسرى بدر، والحديث يرويه عمر^(٨)، واستشارته في حادثة الإفك^(٩).

- مروان الذي ينفي عن علي العلم والفقه، ورسول الله يرسله إلى اليمن معلما وقاضيا^(١٠)؟! هل يرسل الرسول جاهلا؟ هل يولي رسول الله ﷺ غير

(١) الطبقات الكبرى، ٢٠٥ / ١.

(٢) معجم الصحابة للبغوي، ١٧١ / ١.

(٣) المسالك والممالك للبكري، ٤٢٠ / ١.

(٤) أسد الغابة، ٥٥٤ / ١.

(٥) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، ١٣٢.

(٦) طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني، ٢٢٩ / ١.

(٧) تاريخ بغداد ٥١٨ / ١.

(٨) مسند أحمد (٢٠٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن ورجاله رجال الصحيح. ومصنف ابن أبي

شيبه، ٣٥٧ / ٧، وحلية الأولياء، ٤٢ / ١.

(٩) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(١٠) أخرج النسائي (٨٣٦٦) وأحمد (٨٨٢) والحاكم (٧٠٢٥) وغيرهم، وصححه الألباني في

السلسلة الصحيحة (١٣٠٠)، واللفظ للنسائي بسنده إلى علي: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن

وأنا شاب فقلت: يا رسول الله، تبعثني وأنا شاب إلى قوم ذوي أسنان لأقضي بينهم ولا علم لي

بالقضاء؟ فوضع يده على صدري ثم قال: «إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك يا علي، إذا

جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا

فعلت ذلك تبين لك القضاء» قال علي: فما أشكل علي قضاء بعد".

الكفاءات، ويبعث غير المؤهلين؟! هل يختار رسول الله لأعماله ومهامه الرجال الذين يعيشون بلا مهارات ولا كفاءات ولا مقدرات؟!!

- أيبعث رسول الله للقضاء رجلا لا يجيد القضاء؟ أهكذا إذن كان اختيار الرسول؟ يحابي المقربين على حساب الكفاءات؟!.

- الداعية الذي ذهب إلى اليمن، فأسلمت همدان على يديه، وقبائل أخرى، وقال النبي (السلام على همدان)^(١)، أهو بدون كفاءة أو مهارات؟

[نماذج من الكفاءة السياسية]^(٢):

- الذي يرسله النبي إلى اليمن داعيا وقاضيا، ألا يمتلك كفاءة سياسية؟
- الذي يرسله النبي نيابة عنه لإصلاح بعض المشاكل مع القبائل (بنو جذيمة، وحسمى)، ألا يمتلك كفاءة سياسية؟
- الذي كان يختاره النبي ضمن المرافقين له في لقاءاته، هل هو بدون كفاءة سياسية؟

- الذي كان النبي يوليه على السرايا، هل هو بلا كفاءة سياسية؟!

(١) الحديث أخرجه البيهقي في سننه وصححه (٣٩٣٢)، من حديث البراء بن عازب، قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالد ومن كان معه إلا رجل ممن كان مع خالد أحب أن يعقب مع علي ﷺ فليعقب معه قال البراء فكننت ممن عقب معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي ﷺ وصفنا صفا واحدا، ثم تقدم بين أيدينا، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعا، فكتب علي ﷺ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا، ثم رفع رأسه فقال: "السلام على همدان السلام على همدان".

(٢) راجع موضوع: هل كان علي جباناً؟

[نماذج من استشارات آخرين له في عهد النبي]:

ولأن علي بن أبي طالب كان شديد القرب من النبي، كثير الملازمة له، فقد كان عظيم الخبرة بالنبي ﷺ وأحواله المختلفة، وما يعجبه وما لا يعجبه، وما يرضيه وما يسخطه، ولذلك كان يستشير الصحابة والوفود فيشير عليهم بما هو أرجى لقبول النبي ﷺ.

ومن أمثلة ذلك: مشورته لفاطمة حين سألت النبي خادما، فأشار عليها علي أن تسأله ما هو خير من ذلك^(١)، ومشورته لأبي سفيان بن الحارث حين أسلم، ووجه كيف يفعل مع النبي^(٢)، ومشورته لأبي سفيان قائد قريش، حين قدم المدينة قبل الفتح، لتجديد الصلح^(٣)، ومشورته لوفد نجران^(٤).

وأبو بكر أيضاً؟

- هل كان أبو بكر يستشير رجلا بلا كفاءة أو مهارة؟

- وهل كان أبو بكر يسمح لرجل بلا كفاءة أن يمارس الإفتاء؟

ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى^(٥): "أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه"، وذكر منهم عليا، وقال: "وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء".

(١) ابن ماجه (٣٨٣١)، وابن أبي شيبة، ٤٣/٦.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٦٧٤/٤.

(٣) سيرة ابن هشام، ٣٨/٤.

(٤) زاد المعاد لابن القيم، ٥٥٣/٣.

(٥) ٢٦٧/٢.

- علي، الذي أوكل إليه أبو بكر أن يتولى حراسة المدينة وتأمينها^(١) أهو رجل بلا كفاءة أو مهارة؟

- وظل علي مصاحبا لأبي بكر، مشيرا عليه، ناصحا له، لم يتأخر عنه، نصحه بقتال المرتدين، ونصحه بألا يخرج بنفسه لقتالهم، كما تخبرنا عائشة نفسها، وقال له، كما في معجم ابن الأعرابي، والرياض النضرة في مناقب العشرة^(٢)، وغيره، تقول عائشة الصديقة: "خرج أبي شاهرا بسيفه راكبا على راحلته إلى ذي القُصّة، فجاء علي بن أبي طالب، فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال لكم رسول الله ﷺ يوم أحد: (أَسْمُ سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصيب فيك لا يكون للإسلام بعدك نظاما أبدا)".

- وكان علي بن أبي طالب يكتب لأبي بكر، كما كان يكتب للرسول ﷺ^(٣).

وعمر أيضاً؟

- علي ولاه عمر قضاء المدينة، بالرغم من وجود عمر فيها، بل كان هذا من أول أعمال عمر، كما قال ابن كثير في البداية والنهاية^(٤): (وفيها [أي سنة ١٣ هـ] ولي عمر بن الخطاب ﷺ يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها، فولى قضاء المدينة علي بن أبي طالب ﷺ)، وكان يرجع إليه في القضاء، ويقول

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٤٣٧/٩.

(٢) الرياض النضرة: ١٤٨/١، معجم ابن الأعرابي ٧٩١/٢.

(٣) الكامل في التاريخ، ٢٦٣/٢.

(٤) ٦٠٢/٩.

عمر^(١): أقضانا علي، وأمره بالتفرغ للقضاء^(٢).

- وعمر، كان يستخلف عليا حين يخرج من المدينة، من ذلك حين حج،
وحين ذهب إلى الجابية، وحين خرج إلى صرار^(٣)، فهل الرجل الذي يستخلفه
عمر بدون كفاءة سياسية وقيادية؟

- وعمر رشح عليا مع أهل الشورى الستة للخلافة، والحديث في
البخاري، وتنازلوا عنها حتى انحصرت في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فهل يوكل عمر
الخلافة لصاحب دور هامشي؟! أو لرجل لا يملك كفاءة سياسية وقيادية؟ عمر
يقول، والحديث في البخاري^(٤): "ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو
الرهط، الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان،
والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن"، هذه شهادة الخليفة عمر، فمن هذا
الذي يغض من قدر العظماء، ومن كفاءتهم؟!

- علي كان يشارك عمر وعثمان في كتابة أموال الصدقة^(٥).

- قال النووي^(٦): (رتب عمر بن الخطاب الناس على سابقتهم في العطاء،
وفي الإذن، والإكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولا عليه، وكان علي بن أبي
طالب أولهم)، فهل هذا الرجل الذي يجعل له عمر هذه المكانة رجل هامشي؟!

(١) صحيح البخاري، (٤٤٨١).

(٢) المتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٤/١٣٦.

(٣) انظر مثلا، تاريخ الطبري، ٣/٤٧٩، ٦٠٨.

(٤) (٣٧٠٠).

(٥) تاريخ الطبري، ٤/٢٠١. وانظر الرياض النضرة في مناقب العشرة، ٢/٣٩٤.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات، ٢/١٢.

وفي تاريخ دمشق^(١): (كان لأهل بدر مجلس من عمر لا يجلسه غيرهم، وكان علي بن أبي طالب أولهم دخولا وآخرهم خروجاً).

- حين أراد عمر أن يقسم أهل السواد بين المسلمين فأمرهم أن يحصوا، فوجد الرجل المسلم يصيبه ثلاثة من الفلاحين فشاور فيه، فقال له علي: (دعهم يكونوا مادة للمسلمين)^(٢)، وبه أخذ عمر، وهذا يبين منهجية علي في التعامل مع هذه الأراضي، فبقاؤها بأيدي الفلاحين يجعل منها مورداً ثابتاً للدولة، بخلاف ما لو وزعت على الفاتحين.

- أشار علي على عمر بالضمان الاجتماعي، وذلك بأن يجعل ما فضل من العطاء في فقراء المسلمين^(٣).

- علي هو الذي أشار على عمر بأن يبدأ التاريخ بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة^(٤)، هذا التاريخ الهجري الذي نذكره اليوم للأسف، ونبحث عن تاريخ من من هنا أو هناك.

- وحين أراد عمر الشخوص إلى الفرس بنفسه أشار عليه علي ألا يفعل؛ وإلا انتقضت عليه الأرض، فنزل عند رأي علي^(٥)، وقبل ذلك كان قد نصح أبا بكر

(١) ٤٢٠/٤٤.

(٢) الخراج لأبي يوسف، ٤٧، والأموال لابن زنجويه (ص ١٩٤)، وسنن البيهقي (٩/٢٢٦).

(٣) مسند أحمد بن حنبل، (٧٢٥)، وضعف الرواية الأرناؤوط.

(٤) انظر التاريخ الكبير للبخاري ٩/١، وتاريخ الطبري، ٣٨/٤، ونصه: (قال ابن المسيب: أول من كتب التاريخ عمر، لستين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب).

(٥) تاريخ الطبري، ٤/١٢٥.

بكر ألا يخرج بنفسه لقتال المرتدين^(١).

- وغير ذلك من مشورات تمتلئ بها كتب الحديث والتاريخ^(٢).

رجل الحرب، رجل القلم، ورجل العلم، ورجل القضاء، ورجل التربية،
ورجل الدعوة، ورجل القيادة، أهو بلا مهارات وبلا صنعة؟!

وعثمان أيضاً؟

كان علي أول المبايعين لعثمان رضي الله عنه^(٣)، وستحدث لاحقاً عن موقف علي
في فتنة مقتل عثمان.

وكذلك كان مع عثمان مستشاراً، وقد استشاره في فتح أفريقية^(٤)، وفي جمع
المصحف^(٥)، وغير ذلك، وقد نقلنا نصوصاً من الموطأ في استشارة عثمان لعلي،
عند حديثنا عن (صورة علي رضي الله عنه العلمية لدى الإمام مالك)، وفيه أن علياً كان يقيم
الحدود بأمر عمر، وأمر عثمان رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري^(٦): (ثم دعا علياً،
فأمره أن يجلد [أي الوليد] فجلده ثمانين)، ولا شك أن من يقيم الحدود يكون
قوي البنية، قوي القلب، قوي الأخذ والضرب، مكين في المجتمع.

(١) الرياض النضرة: ١/١٤٨، معجم ابن الأعرابي ٢/٧٩١، من حديث عائشة.

(٢) انظر على سبيل المثال: مصنف ابن أبي شيبة، ٣/٥٥٤، ٤/٤٠٩، ٥/٤٤٦، ٤٩٠، ٥٠٣.

وانظر موطأ مالك: ٢/٨٤٢، ومسند الشافعي: ٢٨٦. ومصنف عبد الرزاق: ٤/٣٥، ٩/٤٣١،

٤٥٨. ومسند أحمد: ١/٢٠٠، وأبو داود (٤٣٩٩). وغيرها.

(٣) صحيح البخاري (٧٢٠٧).

(٤) طبقات علماء أفريقية، ١٣.

(٥) المصاحف لابن أبي داود، ٩٦.

(٦) ١٤/٥.

وإقامة علي عليه السلام للحدود، اشتهر بها من زمن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن العربي^(١):
(وأما ولاية الحدود فهي على قسمين: تناول إيجابها، وذلك للقضاة؛ وتناول
استيفائها، «وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم لقوم منهم علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة»،
وهي أشرف الولايات؛ لأنها على أشرف الأشياء، وهي الأبدان؛ فلنقيصة الناس
ودحضهم بالذنوب ألزمهم الله بالذلة بأن جعلها في أيدي الأدياء والأوضاع بين
الخلق).

وغير إقامة الحدود، فقد كان علي أحد الذين يضربون الأعناق بأمر
الرسول، قال ابن سيد الناس^(٢): (وكان الذي يضربون بين يديه الأعناق: علي بن
أبي طالب، والزبير، والمقداد، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن ثابت).

حتى الزبير!

حين يقول مروان: "علينا أن نلتفت هنا لأمر واسع الأهمية: حضور الزبير
تلك الواقعة [أي احتكام علي وعباس إلى عمر]، فيما بعد سير فرض الزبير خلافة
علي، وسيذهب لقتاله، وسيقتله رجال علي".

حسنًا، لننظر ماذا يقول صحيح البخاري، جاء في حديث استخلاف عمر
للسنة: "فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم
إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت
أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف".

(١) أحكام القرآن، ٦٣/٤.

(٢) عيون الأثر، ٣٨٤/٢.

لماذا يتنازل الزبير لعلي إذن؟! لماذا لم تجعله تلك الواقعة يرفض التنازل لعلي، إذا لم يكن صاحب كفاءة وأهلية للقيادة؟! أم أن الزبير أيضا يستهين بأمر المسلمين حين يتنازل لرجل، يزعم مروان أنه هامشي، لا همّ له إلا اليوميات التي يجهزها ليكتب عنها مروان!

وبمناسبة ذكر الزبير وعلي، فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب^(١): قال أبو إسحاق السبيعي قال: (سألت مجلسا فيه أكثر من عشرين رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ: من كان أكرم الناس على رسول الله ﷺ؟ قالوا: الزبير، وعلي ابن أبي طالب).

وهل رفض الزبير خلافة علي؟

يلزم مروان الدليل على ما يقول، وإلا فهو مجرد حكي، فلا توجد مروية صحيحة تثبت أن الزبير خلع عليا، أو نكث بيعته.

وهذا موقف علماء الإسلام، يقول ابن حزم^(٢): "وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنه ومن كان معهم، فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها، ولا ذكروا فيه جرحه تحطه عن الإمامة، ولا أحدثوا إمامة أخرى، ولا جددوا بيعة لغيره، هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه، بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن، فإذا لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي، ولا خلافا عليه، ولا نقضا لبيعته، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته، هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح أنهم إنما

(١) ٥١٤/٢.

(٢) الفصل في الملل، ١٢٣/٤.

نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان".

ثم إن تصوير مروان للزبير بأنه احتقر عليا كونه تخاصم مع عمه، تصوير سقيم، فمتى كان الناس إذا اختلفوا حُقرُوا؟! ثم حين يلجأ علي وعمه إلى القضاء لفض نزاعاتهم، فهل يعيبهما ذلك؟ هل اللجوء إلى القانون لفض النزاع طريقة جديرة بالاحتقار؟ أم طريقة جديرة بالاحترام؟!

أم أن مروان يرى أن الرجل يكون جديرا بالاحترام حين يفض النزاع مع الآخرين بطريق الغاب بعيدا عن القضاء؟

ثم إن الزبير نفسه وعليا قد تنازعا إلى عمر، في ميراث مولى لصفية^(١)، فهل هو محتقر أيضا؟!

ماذا يقول عنه سعد بن أبي وقاص؟

في صحيح مسلم^(٢) أيضا، في الحديث الذي يرويه سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، حين سأله معاوية: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي»، وسمعت يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» قال: فتناولنا لها

(١) الآثار لأبي يوسف، ١٧٠.

(٢) (٢٤٠٤).

فقال: «ادعوا لي عليا» فأتي به أرمداً، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

في ذلك العصر المبكر، اختار الصحابة خليفتهم بالشورى، وكان أمامهم مرشحان: عثمان وعلي، ووقع الاختيار على عثمان، فلم يتمرد علي، ولم ينشق، ولم ينفصل، ولم يكون جبهة تمرد... إلخ، بل كان أول من بايع، والحديث في صحيح البخاري، وكان علي لعثمان كسابقه مستشاراً في مختلف شؤون الدولة الإدارية والسياسية والعسكرية، وفي شؤون الفتوح، ومن ذلك مشورته في جمع المصحف، وغيرها من القضايا والأحكام.

أما من أراد تحقيق موقف علي رضي الله عنه من فتنة عثمان، فليقرأ كتاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، لمحمد أمحزون^(١)، ليعرف حقيقة موقف علي، وليقرأ كتاباً مكتوباً بالمنهج العلمي في التحقيق، وليس مجرد مقالات روائية أو إسقاطات خيالية، أو مجرد اتباع الهوى، وليعرف الفرق بين العالم حين يكتب والهاوي حين يهذي.

فلا يحسب التمتام أني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم

تعقيب بشأن أهمية المستشار:

يورد بعضهم الطعن على "وظيفة المستشار"، بزعم أنها وظيفة هامشية، كانت تستخدم للترضية، كما تستخدم اليوم في بعض الدول، وعليه فأبو بكر أو عمر إنما عينا علياً مستشاراً لترضيته، ولا نعرف فيم كانا يستشيران علياً؟

(١) ص ٣٦٦ - وما بعدها.

والجواب:

إذا استخدمنا هذه المقولة، فسنقول لكل من اتخذهم أبو بكر مستشارين، ومنهم عمر، إنه استخدمهم للترضية، ولذلك من الخطأ النظر إلى هذه الوظيفة بمعايير اليوم، فالوظائف في الدولة لم تكن قد استقرت بعد، لذلك كان يطلق على كبير مساعدي الخليفة: مستشارا، فعمر كان مستشارا لأبي بكر رضي الله عنه.

ثم إن الروايات التاريخية، كما في الطبقات^(١) مثلا: (أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه ودعا رجلا من المهاجرين والأنصار دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت).

فالوصف "أهل الرأي وأهل الفقه" لهؤلاء، فلماذا نستثني علياً؟

ثم هل الروايات التاريخية جاءت لنا بكل أمر استشار فيه أبو بكر أصحابه؟ وهذا النص عام لمختلف القضايا.

ثم إن كتب التاريخ أوردت استشارة أبي بكر لعلي في عدة قضايا، منها: في حرب الردة، عند خروج أبي بكر للقتال، لكنه نزل عند رأي علي ولم يخرج، [الرياض النضرة]^(٢)، وفي الحرب نفسها وردت استشارته لمستشاريه من الصحابة، ثم قصة عمر مع أبي بكر.

تعقيب بشأن حراسة المدينة أثناء حروب الردة:

يتساءل بعضهم: زعمتم أن علياً حرس المدينة في خلافة أبي بكر، فمم كان

(١) ٢٦٧/٢.

(٢) ١٤٨/١.

يحرصها؟ فلم تكن بحاجة إلى حراسة، وجيوش المسلمين انطلقت لتأمين الجزيرة العربية؟ وحتى لو كان حارسا فهذا ليس بالأمر المهم.

الجواب:

أ/ من أراد التشكيك في القصة، فهذا شأن آخر، ينبغي أن يكون ذا منهجية واحدة في التعامل مع التاريخ، وليس تصديق بعض وتكذيب بعض، والقصة في تاريخ الطبري.

ب/ التهوين من أمر الحراسة، غير جيد، هل تعلم لماذا؟ المدينة التي لم تحرس في خلافة عثمان دخل إليها قتلة عثمان فقتلوا الخليفة؟ هل حراسة عاصمة الدولة بالأمر الهين، واليوم تخصص أهم وحدات الجيش لحماية العاصمة ومؤسسات الدولة ودستورها، مثلا في بعض الدول: (قوات الحرس الجمهوري).

ثم إن أبا بكر عين عليا والزبير وطلحة كقادة على الحراس، فهل هذا بالأمر الهين أيضا؟

ج/ مسألة مم تحرس المدينة؟ سؤال وجيه.

في تاريخ الطبري^(١) أن مرتدي بني أسد وغطفان وطيء بقيادة طليحة بن خويلد، سارت مجموعة منهم إلى ذي القصة، وهي حدود المدينة، وذهب مجموعة منهم إلى المدينة لاستطلاع الوضع فيها، خاصة بعد خروج الجيوش منها، قال الطبري: "فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدة إليهم، فأخبروا

(١) ٢٤٥/٣.

عشائهم بقلة من أهل المدينة، وأطعموهم فيها، وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفرا: عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهارا!... إلخ".

ثم قال الطبري: "فاستعدوا وأعدوا، فما لبثوا إلا ثلاثا حتى طرقت المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حُسى، ليكونوا لهم رداء، فوافق الغوار ليلا الأنقاب، وعليها المقاتلة، ودونهم أقوام يدرجون، فنبهوهم... إلخ".

آثار علي ومكانته الأدبية

١ - دحض مقولة مروان منطقياً وعلمياً، في استنتاجه ألا أثر لعلي؛ بناء على قوله أن نهج البلاغة مكذوب.

٢ - بيان مصادر الآثار الأدبية، التي نستقي منها آثار الأدباء.

٣ - آثار علي الأدبية مذكورة في كتب الأدب، التي ألفت قبل ولادة الشريف الرضي، بدءاً من جمهرة أشعار العرب (١٧٠هـ)، وكتب الجاحظ، والمبرد، وابن قتيبة، وابن عبد ربه، والقالبي.

٤ - علي في عيون الأدباء، كالجاحظ.

٥ - لماذا يتناقض مروان؛ فيكذب نهج البلاغة، ثم يستشهد به؟!

٦ - أمثلة من العبارات البليغة لعلي، مما ذكرته كتب الأدب.

يقول مروان [مقال: الظل والظلام]: "لنمض قليلاً في المدينة، يمنة ويسرة، ربما نجد أثراً للرجل، أثبتنا سابقاً أن كتابه وسفره الوحيد "نهج البلاغة" عمل مكذوب، ألفه الشريف الرضي وأخوه مطلع القرن الخامس الهجري، وإن نسبته إلى علي تستحيل علمياً وعملياً، علي، إذن، بلا أثر قولي" اهـ.

أولاً: [تهافت المقولة منطقياً]

هذا الكلام ضعيف منطقياً؛ فإن كون نهج البلاغة عمل مكذوب لا يقتضي أن يكون علي بلا أثر قولي، وكأن مرويات علي وآثاره لم ترد إلا في نهج

البلاغة؟! ومروان بذلك لا يسيء إلى علي، بل يسيء إلى نفسه حين يكشف عن علمه ومنطقه، ويخدع قراءه الذين وثقوا به.

ثم ما علاقة أن يمضي مروان في المدينة يمنة ويسرة بأن يجد آثارا للرجل؟! وكأنه يبحث عن حفريات وآثار تاريخية في المدينة المنورة، تكون منقوشة عليها كلمات علي! وكأن مروان لم يعلم أن آثار شعراء العصر الجاهلي والإسلامي، وفصحاءهم وخطباءهم، قد روتها ونقلتها إلينا كتب الأدب، ولم نجدها منقوشة في الصخور!

قد يقول قائل: كلام مروان مجاز، وهو لا يقصد به المعنى الحرفي، ونقول: نحن لم نجد له وجهاً مقبولاً لا على المعنى المجازي ولا على المعنى الحرفي.

الدكتور مروان، كعاداته، متطرف في النفي، حين ينفي عن علي فضيلة أو أثراً أو بطولة أو تاريخاً أو علماً أو مالا، فلا بد أن يتأكد، كما يفعل الطبيب الجراح، أنه استأصل كل البقايا؛ حتى لا يبقى أثر؛ ربما يسبب تساؤلات فكرية صحية عند القراء، لذلك يذهب ويعود في نفيه حتى يستلقي من التعب، ويوقن أنه قضى الأرب، وهذا يدل على النفسية العنيفة، التي تظل تضرب الضحية حتى تستيقن أنها قتلها موتاً!

ثانياً: [مصادر الآثار الأدبية]

ونحن أمام خيارين منطقيين، بالنسبة إلى الآثار الأدبية، الأول: إما رفض كل ما نقلته كتب الأدب عن الأدباء، وإنكار نسبتها إليهم جميعاً، وإما أن نقبل ما جاء في كتب الأدب منقولاً عنهم، ولا يعني هذا أن كتب الأدب لا تخضع للنقد الأدبي، والتاريخي.

ولكن لا يمكن التعامل بانتقاء فيها؛ فلا نأتي مثلاً إلى البيان والتبيين، ونرفض بعض آثاره بحجة أنها غير مسندة، ثم نقبل آثاراً أخرى، مع أنها غير مسندة!

أو لا يصح المجيء إلى البيان والتبيين، والتصديق بكل أثر ينسبه لقائله، والتكذيب بكل أثر ينسبه لعلي بن أبي طالب!

من أين نستقي آثار فصحاء وبلغاء العصور الأولى؟ من كتب الأدب إذن.

وقبل ذلك، فإن آثار الصحابة الأدبية لم تقتصر كتب الأدب على نقلها، بل تجد بعضها في كتب التاريخ والتراجم، وتجد بعضها في كتب السنة، ولعلي بن أبي طالب كثير من الآثار الأدبية والخطب التي نقلتها كتب السنة، عدا عن كتب التاريخ والتراجم والسير.

ثالثاً: [آثار علي في أقدم كتب الأدب]

وإذا اقتصرنا على كتب الأدب، سنجد آثار علي بن أبي طالب في سائرها: خطبه، ومواعظه، وحكمه، وأمثاله، ووصاياه، وأشعاره، ونقوده الأدبية، وقد قمت بتتبع سريع لبعض كتب الأدب المؤلفة قبل نهج البلاغة، فوجدت آثار علي في الكتب التالية:

- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ت: ١٧٠ هـ).

- الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤ هـ).

- كتب الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ)، في: البيان والتبيين، والبخلاء، والبرصان

والعرجان، والبالغ، والحيوان، ورسائل الجاحظ.

- عيون الأخبار لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ).
- وكتب المبرد (ت: ٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، والتعازي،
والفاضل.

- والفاخر للمفضل بن سلمة (ت: ٢٩٠هـ).
- والبديع لابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ).
- والاختيارين للأخفش الأصغر (ت: ٣١٥هـ).
- والموشى للوشاء (ت: ٣٢٥هـ).
- وأمالي الزجاجي (ت: ٣٢٧هـ).
- والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت: ٣٢٨هـ).
- عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ).
- وأمالي القالي (ت: ٣٥٦هـ).

وهؤلاء الأدباء كلهم قبل مجيء الشريف الرضي إلى الدنيا (الذي ولد
٣٥٩هـ)! ويمكن إكمال القائمة بعشرات الكتب، ولكن نكتفي بهذا دحضا لمقولة
يرسلها الدكتور/ مروان بلا برهان!

وإذا تحدثنا بلغة الإحصاء، ونقتصر على عدد آثار علي الأدبية في أربعة من
كتب الأدب وأقدمها: (البيان والتبيين للجاحظ: نحو ٤٠ أثرًا)، (عيون الأخبار
لابن قتيبة: أكثر من ٥٥ أثرًا)، (الإعجاز والإيجاز للشعالبي: أكثر من ١٠٠ أثر)،
(نثر الدر في المحاضرات للآبي: نحو ٢٧٥ أثرًا)، (مجمع الأمثال للميداني: نحو
٦٢ مثلاً).

أما إذا كان المقصود بأن عليا ليس بصاحب بيان أو بلاغة، هذا البيان وتلك البلاغة التي تنتجها مكنة التصوير الاحتقارية، وتنتج معاني هابطة يمكن أن يقولها أي رجل، ثم يأتي الأديب فيعيد إنتاجها وتبهيرها وتنميقها وتزيينها بألفاظ براقية؛ ليبهر بها القراء، فأتفق معك حقا، أن عليا لم يكن صاحب بيان ولا بلاغة وليس له أثر قولِي من ذلك، بل ولا أحد من الصحابة رضوان الله عليهم يملك مثل هذا البيان وهذه البلاغة!

رابعاً: علي في عيون الأدباء:

سأكتفي ببعض شهادات الجاحظ في علي عليه السلام، فالجاحظ صاحب أشهر كتاب أدبي "البيان والتبيين"، وإذا ذكر التراث الأدبي العربي ذكر الجاحظ معه، وقد احتفى الجاحظ بعلي أديباً، فلم يخل كتاب من كتبه من استشهادات واقتباسات لآثار علي، وهذا عدا عن شهاداته له، ونقل الثعالبي في "الإعجاز والإيجاز" مقولات لعلي، ثم قال^(١): "هذه المئة كلمة التي جمعها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ من كلام الإمام على رضى الله عنه".

قال الجاحظ في البيان والتبيين^(٢): "أبو الحسن قال: كان أبو بكر خطيباً، وكان عمر خطيباً، وكان عثمان خطيباً وكان عليّ أخطبهم".

وقال الجاحظ^(٣): "وأجمعوا على أنهم لم يجدوا كلمة أقل حرفاً ولا أكثر ريعاً، ولا أعم نفعاً، ولا أحث على بيان، ولا أدعى إلى تبين، ولا أهجى لمن

(١) ص ٤٠.

(٢) ٢٨٥/١.

(٣) رسائل الجاحظ، بتحقيق عبد السلام هارون، ٢٩/٣.

ترك التفهم وقصر في الإفهام، من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: "قيمة كل امرئ ما يحسن".

وقال الجاحظ بعد أن أورد لعلي قوله: "قيمة كل امرئ ما يحسن"، فعقب بقوله^(١): "فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية".

الدكتور مروان في مقال لاحق يدعي أن ابن تيمية والجاحظ كانوا يدلسون على الناس في كتبهم، فلما أغضبهم الشيعة أظهروا الحقيقة، وجردوا عليا من كل فضيلة، ومن كل أثر!

لا أدري، كيف أُرِد على هذا الهراء، الدكتور مروان مثل المريض النفسي، الذي يعتقد أن الآخرين يقضون حياتهم في النفاق، فإذا تحدثوا موافقين لما في نفسه فإنهم صادقون، فمعيار صدقهم أو كذبهم إذا وافق حديثهم ما في نفسه!

قد يكون ابن تيمية أو الجاحظ قالا رأيا يبين فضل علي، ثم غضبا - بحسب - مروان - فجرداه، قد نقبل مثل هذا القول، بعيدا عن المعلومات، فالآراء قد تختلف بحسب الأمزجة، ولكن حين يقول الجاحظ: قال علي كذا، وقال علي كذا، وينسب له ٤٠ أثرا في كتاب البيان والتبيين، فهل يعقل أنه إذا غضب يقول: كل ما كتبه كذب، وعلي لم يقل شيئا من ذلك!

لو فعل هذا لفقد مصداقيته في كل ما كتب، ولقال الناس عنه: أنت كاذب إذن، وكل ما كتبه كذب.

(١) البيان والتبيين، ١/ ٨٧.

علي ترجم له ياقوت الحموي في كتابه "معجم الأدباء" ^(١)، و[قال ابن تيمية في منهاج السنة ^(٢): "لا ريب أن عليا كان من أخطب الصحابة"].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ما اتعظت بشيء بعدما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اتعظت بكتاب كتبه علي عليه السلام إلي، وكان كتابه: "أما بعد، فإن المرء يسره دَرَك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك من ذلك، وما نلت من الدنيا فلا تنعم به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، وليكن همك لما بعد الموت" ^(٣).

في البصائر والذخائر للتوحيد ^(٤)، قال جعفر بن محمد: لأمير المؤمنين تسع كلمات أيَّمنَ جواهر الكلام، وأيَّتمنَ حقائق البلاغة، وقطعنَ أطماع المحاولين عن اللحاق بهنَّ، ثلاث منها في المناجاة، وثلاث في الحكمة، وثلاث منها في الأدب، فأما اللواتي في المناجاة فقلوه: "إلهي، كفاني فخراً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً، أنت لي كما أحب، فاجعلني لك كما تحب"، وأما اللواتي في الحكمة فقلوه: "امنن علي من شئت فأنت أميره، واحتج إلي من شئت فأنت أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره"، وأما اللواتي في الأدب فقلوه: "قيمة كل امرئ ما يحسنه، والمرء مخبوء تحت لسانه، والناس أعداء ما جهلوا".

(١) ١٨٠٩/٤.

(٢) ٥١/٨.

(٣) التعازي للمبرد، ٢٨٨.

(٤) ١٤/٢.

وقال ابن عبد البر^(١): (ويقال: إن قول علي بن أبي طالب: "قيمة كل امرئ ما يحسن" لم يسبقه إليه أحد، وقالوا: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، قالوا: ولا كلمة أضر بالعلم وبالعلماء والمتعلمين من قول القائل: "ما ترك الأول للآخر شيئاً")، ثم قال: (قول علي رضي الله عنه: "قيمة كل امرئ - أو قدر كل امرئ - ما يحسن" من الكلام العجيب الخطير، وقد طار الناس به كل مطير، ونظمه جماعة من الشعراء إعجاباً به، وكلفا بحسنه، فمن ذلك، [ثم ذكر مجموعة من الأشعار]

خامساً: لماذا يتناقض مروان؟

وطالما قال مروان أن "نهج البلاغة مكذوب"، واستدل بناء على ذلك أن علياً بلا أثر، فالذي نفهمه أن مروان يخبرنا أن كل الآثار التي فيه مكذوبة، وأن مروان سيرمي الكتاب في البحر، ونرميه نحن معه.

لكن ما بال مروان يعود إلى نهج البلاغة مستشهداً به، لإثبات الأحكام والنتائج المسبقة لديه، وقد تناولت هذا في موضوع سابق.

وبالمناسبة، فمروان يتحرك قلمه وفقاً لقلبه، فحين وجد أبياتاً هزيلة منسوبة للحسين، أسرع لكتابة مقال حول ذلك، ونقل تلك الأشعار؛ فرحاً بها مسروراً، وكأنما وجد كنزاً ثميناً، ولم يقف للحظة ليتساءل عن مصدر تلك الأبيات، وينقد سندها وميتها، كما تظاهر بذلك تجاه آثار علي، ولو أنه وجد لعلّي آثاراً هزيلة لآمن بنهج البلاغة وجعله قرآنه الذي يمسي ويصبح عليه؛ ليسطر منه كل يوم مقالة!

(١) جامع بيان العلم وفضله، ٤١٦/١.

ثم ذهب الدكتور الأديب الناقد يستعرض قدراته النقدية في السخرية من تلك الأعمال الشعرية التي وجدها منسوبة للحسين، واستخلص سيرة كاملة للحسين من تلك الأبيات: انفعالاته، ورؤيته السياسية، ورؤيته للعالم، ولا ينسى المقارنة بينه وبين الامبراطور الأموي الثاني، يزيد، ابن الشاعرة البدوية، وليس ابن بنت النبي، فيزيد من أمه اكتسب الذائقة الشاعرية، ومن أبيه اكتسب السياسة والذكاء، أما الحسين فما الذي سيكتسب من أمه (فاطمة بنت النبي)، أو من أبيه (علي بن أبي طالب)، فهم هامشيون في التاريخ، بلا كفاءة، بلا مهارة، بلا أدب.

سادساً: من مقولات علي (عليه السلام):

- حين تسمع من يستشهد بالمثل: "إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض" (١)، فتذكر أن أول من نطق به هو علي.
- وحين تسمع: "إنه لا يأبى الكرامة إلا حمار" (٢)، فتذكر أن من قاله علي.
- وكذلك: "رأى الشيخ خير من مشهد الغلام" (٣).
- وحين تسمع المثل الشهير: "كلمة حق أريد بها باطل" (٤).
- ولعلي مقولات رائعة، جرت مجرى الأمثال الذائقة، والحكم النافعة، منها:
- "قيمة كل امرئ ما يحسن" (٥).

(١) الأمثال لابن سلام، ١٨٤.

(٢) عيون الأخبار، ١/ ٤٢٣.

(٣) الأمثال لابن سلام، ١٠٨.

(٤) صحيح مسلم (١٠٦٦).

(٥) البيان والتبيين، ١/ ٨٧.

- "أول عوض الحليم عن حلمه: أن الناس أنصاره على الجهول" (١).
- "المرء مخبوء تحت لسانه" (٢).
- "الناس من خوف الذل في الذل" (٣).
- "الكريم لا يلين على قسر، ولا يقسو على يُسر" (٤).
- "عُقبى الأخرق مضرة، والمتعسف لا تدوم له مسرة" (٥).
- "مثل الدنيا مثل الحية لئن مسّها، قاتل سمّها" (٦).
- "إن الحق لا يعرف بالرجال، فاعرف الحق تعرف أهله" (٧).
- "لولا أن الكلام يعاد لنفد" (٨).
- "العلم قفل مفتاحه السؤال" (٩).

ومن ردوده الناضحة بالبلاغة، المنسوجة بأحسن الصياغة:

- أثنى رجل على علي بن أبي طالب، فأفرط، وكان يتهمه، فقال علي: "أنا

(١) عيون الأخبار ١/ ٢٨٤.

(٢) الفاضل للمبرد، ٦.

(٣) الإعجاز والإيجاز، ٣٤.

(٤) البصائر والذخائر، ١/ ٤١.

(٥) أدب الدنيا والدين، ٧١.

(٦) البصائر والذخائر، ٧/ ١٦٥.

(٧) البيان والتبيين، ٣/ ١٤٤.

(٨) الصناعتين للعسكري، ١/ ١٩٦.

(٩) البديع لابن المعتز، ٧٨.

دون ما تقول، وفوق ما في نفسك" (١).

- قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم؟ قال:
"كما قَسَم بينهم أرزاقهم" (٢).

- قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: كم بين الأرض والسماء؟ قال: "دعوة
مستجابة" (٣).

- سئل علي: لم حرص الناس على الدنيا؟ فقال: هم أبناؤها (٤).

- وسئل: أي الخلق أشد؟ قال: (أشد خلق ربك عشرة: الجبال الراوسي،
والحديد تنحت به الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب
المسخر بين السماء والأرض - يعني: يحمل الماء -، والريح تُقِلُّ السحاب،
والإنسان يغلب الريح يتقيها بيده ويذهب لحاجته، والسكر يغلب الإنسان، والنوم
يغلب السكر، والهم يغلب النوم؛ فأشد خلق ربك الهم) (٥).

ومن نصائحه التي حازت الشهرة، المتوهجة بمصباح الخبرة، المليئة بالنفع
والعبرة:

- "لا تؤاخ الفاجر؛ فإنه يزيّن لك فعله، ويحبّ لو أنك مثله، ويزيّن لك أسوأ
خصاله، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار، ولا الأحمق؛ فإنه يجتهد،

(١) البيان والتبيين، ٢/ ١٤٠.

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ١/ ١٣٩.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ، ٣/ ١٨٣.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ٢٥٠.

(٥) المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر المالكي، ٦/ ٢٢٩.

بنفسه لك ولا ينفعك، وربما أراد أن ينفعك فيضرك، فسكوتة خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وموته خير من حياته، ولا الكذاب؛ فإنه لا ينفعك معه عيش، ينقل حديثك، وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يصدق" (١).

- في الصناعتين للعسكري (٢)، قال علي للأشعث يعزيه في ابن له: "إنك إن صبرت جرى عليك قضاء الله وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك أمر الله وأنت موزور؛ فإنك إن لم تسأل احتساباً سلوت كما تسلو البهائم".

قال العسكري: فأخذه أبو تمام فقال:

وقال عليّ في التعازي لأشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى رجاءً وحسبة فتؤجر، أم تسلو سلو البهائم؟

- قال رجل لعلي بن أبي طالب وهو في خطبته: يا أمير المؤمنين، صف لنا الدنيا، فقال: "ما أصف من دار؛ أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من صحّ فيها آمن، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن" (٣).

- "الناس ثلاثة: عالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمّج رعاع، أتباع كلّ ناعق، مع كلّ ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق" (٤).

(١) عيون الأخبار ١٩/٣.

(٢) ٢١١/١.

(٣) الكامل للمبرد، ١٢٥/١.

(٤) العقد الفريد ٨١/٢.

- "العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزول بزواله" (١).

- "مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة" (٢).

- "ومن أدعيت: اللهم إن ذنوبي لا تضرك، وإن رحمتك إياي لا تنقصك، فاغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك" (٣).

وأختم بما ذكره أبو علي القالي (ت ٢٥٦هـ) في الأمالي (٤):

سئل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، عن مسألة فدخل مبادرا، ثم خرج في حذاء ورداء وهو متبسّم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنك كنت إذا سئلت عن المسألة تكون فيها كالسكة المحمّاة، قال: إني كنت حاقنا ولا رأي لحاقن، ثم أنشأ يقول:

كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظَرِ	إِذَا الْمُشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنِ لِي
عَمِيَاءُ لَا يَجْتَلِيهَا الْبَصَرُ	وَإِنْ بَرَقَتْ فِي مَخِيلِ الصَّوَابِ (م)
وَضَعْتُ عَلَيْهَا صَحِيحَ الْفَكْرِ	مُقَنَّنَةً بِغُيُوبِ الْأُمُورِ
أَوْ كَالْحُسَامِ الْيَمَانِيِّ الذَّكْرِ	لِسَانًا كَشَقْشَقَةِ الْأَرْحَبِيِّ (م)
أَبْرَّ عَلَيْهَا بِوَاهٍ دِرَرُ	وَقَلْبًا إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ الْفُنُونُ

(١) العقد الفريد ٢/ ٨١.

(٢) العقد الفريد ٢/ ٨١.

(٣) البيان والتبيين، ٣/ ١٨٣.

(٤) ١٠١/ ٢.

وَكُنْتُ بِإِمْعَةٍ فِي الرَّجَالِ
وَلَكِنِّي مِذْرَبُ الْأَصْغَرَيْنِ

يُسَائِلُ هَذَا وَذَا: مَا الْخَبَرُ
أُبَيِّنُ مِمَّا مَضَى مَا غَبَرَ

لمحات من القيم ذات البعد النفسي والاجتماعي في وصايا عليٍّ وحِكمِهِ

استكمالا للموضوعات السابقة، التي بينا من خلالها جوانب كثيرة في شخصية علي بن أبي طالب عليه السلام، منها: الفروسية والشجاعة، والحرص على العلم والاجتهاد فيه، والحرص على التعليم، والحرص على المشاركة الاجتماعية، والعمل والسعي والكسب والإنفاق والمهارات القيادية والسياسية والإدارية... إلخ، وفي الموضوع السابق ذكرنا بعض الوصايا التي تمتلئ بالقيم، وفي هذا المدخل نود إبراز بعض القيم ذات البعد النفسي والاجتماعي، من خلال وصاياه وحكمه.

* التواضع بين المدح والذم:

اشتهر علي بن أبي طالب بتواضعه، وكانت شدة تواضعه لما يعلم أنه قدوة للناس، ولذلك رويت له مواقف كثيرة عن تواضعه، تبين صورته الحقيقية، في أكله وملبسه وتعامله.

فمن ذلك: أنه رُئي وهو يلبس الثوب المرقوع، فلما سئل قال: (يقتدي المؤمن، ويخشع القلب)^(١).

فهو يربي نفسه، وفي الوقت نفسه يكون قدوة لغيره، ويجبر خواطر الفقراء في لباسهم؛ فهذا أمير المؤمنين بثوب مرقوع، وهو سلوك يجسد حقيقته أنه بعيد عن سلوك المفتونين بالسلطة، ولم يكن يبذر بأمواله فضلا عن أموال الدولة

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٥٤٩)، قال المحقق: وإسناده صحيح.

ومن ذلك: أنه اشترى تمرا فحمله بنفسه في ملحفته، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: (لا، أبو العيال أحق أن يحمل)^(١)، فهو الخليفة، يسير في السوق بنفسه، يشتري ويبيع، ويحمل الأمتعة، وحين عرضوا عليه حملها أجاب بدرس تربوي بليغ.

هذه المواقف وغيرها، جاءت في سياق القدوة والتربية، وفي الوقت نفسه كان ينهى الناس عن التكلف في إظهار التبذل والرياسة، مبينا أن التواضع في القلب وليس في اللباس، وأن اللباس الحسن لا يقلل من قيمة الإنسان، واشتهر عنه قوله في ذلك^(٢):

أَجِدِ الثِيَابَ إِذَا اكْتَسَيْتَ فِيهَا	زَيْنَ الرِّجَالِ بِهَا تُعْزُ وَتُكْرَمُ
وَدَعِ التَّوَاضُعَ فِي الثِّيَابِ تَحَوُّبًا	فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُجِنُّ وَتَكْتُمُ
فَرَثَاتُ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكَ زُلْفَةً	عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرَمُ
وَبِهَاءِ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ أَنْ	تَخْشَى الْإِلَهِ وَتَتَّقِيَ مَا يَحْرُمُ

*** إكرام الناس سلوك نفسي رفيع:**

لم تقتصر معاملته الكريمة للناس على المقربين منه، بل كان ذلك سلوكه حتى مع خصومه، يقول فيهم خيرا، ويلتمس لهم المعاذير، ويحث على حسن معاملتهم، ويكفي في ذلك الإشارة إلى موقفين، الأول: بعد وقعة الجمل حين كان يدور على قتلى البصرة ويشني عليهم، وسأورد القصة في موضوع (على ضفاف الجمل وصفين).

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١/٥٤٦).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع... إلخ طيب البغدادي (ت: ٤٦٢هـ)، ١/٣٨٢.

والثاني: موقفه من قاتله، حيث قال لبنيه: "إنه أسير؛ فأحسنوا نزله، وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن مت فاقتلوه قتلتني، ولا تعتدوا؛ إن الله لا يحب المعتدين"^(١)، ففي هذا الموقف العصيب يظهر حسن التوجيه تجاه ابن ملجم، ومعاملته كأسير، ويتبين منه كيف كان يعامل الأسرى، وإضافة إلى ذلك يتبين قوة نفسه وشدته في تحمل المواقف، والحفاظ على توازنه حتى في أحلك اللحظات، [انظر مزيداً عن القصة في موضوع: ومضات من سياسة علي].

* معايير التفاضل:

لعلي عليه السلام مقولات كثيرة، تجعل معايير التفاضل بين الناس عائدة إلى كسبهم وإنجازهم، ولا تخضع للنسب أو الأصل أو غير ذلك من معايير لا اختيار للناس فيها، فالإنسان هو الذي يحدد قيمته ودرجته بين الناس، ولا يترك ذلك لغيره من الناس، أو للبيئة أو للقدر.

يقول^(٢): (الشرف بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب)، مقولة رائعة، فشرف الإنسان بما يكسبه من تفكير ونظر وتقدير للأمور، وبما يتعلمه من علم، وبما يتخلق به من آداب، أما نسبه وأصله فلا معيار له في التفاضل، وجسد ذلك المعنى في مقولات عديدة، منها^(٣): (أكرم النسب حسن الأدب)، و(الحسب حسن الخلق)، و(أفقر الفقر الحمق)، و(أغنى الغنى العقل)، كلها مقولات تبين للناس أن حسبهم في الأخلاق لا في الأنساب، وأن غناهم في العقول لا في الأموال، وأن فقرهم في سوء الأخلاق لا في قلة الأرزاق.

(١) طبقات ابن سعد، ٢٥/٣.

(٢) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ٣٨.

(٣) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ٣٨.

والمقولة الأخرى^(١): "قيمة كل امرئ ما يحسن"، فالذي يمهر فيه الإنسان ويحسنه ويتقنه هو الذي يحدد قيمته في المجتمع.

وعلي عليه السلام يستثمر الرغبة النفسية للإنسان في الشرف والرفعة والطموح في توجيه الناس وتعليمهم وإرشادهم إلى ما يحققون به تطلعاتهم، وفي الوقت نفسه تكون تلك التطلعات إضافة نوعية في المجتمع؛ تسهم في رفد المجتمع بعناصر صالحة، وكفاءات مؤهلة.

وله أبيات رائعة، سبق ذكرها، وهي^(٢):

أي يومي من الموت أفر؟ يوم لا يقدر أم يوم قُدر؟
يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

وهو بهذا يجسد للنفس أن الأقدار لا ينبغي أن تكون مبررات وعللا للناس، فلا يصح الاحتجاج بالقدر والقعود بذلك عن الواجب، فالإنسان لا يعلم قدره، ولكنه يعلم ما يجب عليه، فعليه الإقدام، فإن لم يكن ذلك قدره فلماذا يخاف منه؟ وإن كان فيه قدره فكيف سينجو منه؟

*** قيم نفسية في السلوك السياسي:**

يقول علي عليه السلام^(٣): أ / (من حلم ساد)، (ومن طلب الرياسة صبر على السياسة).

(١) البيان والتبيين، ١/ ٨٧.

(٢) العقد الفريد، ١/ ٩٦.

(٣) العقد الفريد، ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

ب/ (ومن اقتحم اللجج غرق)، (ومن كابر في الأمور عطب).

ج/ (ومن سلّ سيف البغي قتل به)، (ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها)، (من تجبرّ على الناس ذلّ).

هذه مجموعة من وصايا علي وحكمه، التي يخلدها ببيان رائع، تمثل منهجا أخلاقيا سياسيا، فسيادة الإنسان بحلمه وصبره على سياسة الناس [أ]، وكذلك بتأنيه في معالجة الأمور، وعدم تقحمه لججها، والحذر من التعامل معها بمكابرة وعناد، بل يحاول الترفق في علاجها [ب]، والحذر من أن يبغي أو يظلم أو يتجبر، فالذي يتجبر يذل، والذي يسل سيف البغي يقتل به [ج].

ويقول^(١): (الإحسان يقطع اللسان)، (بالبر يُستعبد الحرّ)، فالإنسان يسود الناس بإحسانه إليهم، ويجعل ألسنتهم شاكرة له، مثنية عليه، ومثلها قوله^(٢): (أحسن إلى المسيء تسده)، ومن هذه المقولة اشتهر البيت الشهير لأبي الفتح البستي:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

ويقول^(٣): (من عذب لسانه كثر إخوانه)، فحسن الخطاب مع الناس، وحسن الأدب في القول، يجعل الإنسان محبوبا لدى الناس، يزداد محبوبه، ويكثر المعجبون به، أما سليط اللسان فالناس عنه نافرون، ومن الحكم في هذا المعنى: (اللسان معيار أطاشه الجهل، وأرجحه العقل)^(٤).

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ٣٩، ٣٥.

(٢) نثر اللاكئ، مخطوط.

(٣) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ٣٥.

(٤) أدب الدنيا والدين، ٢٧٥.

ويقول^(١): (من أكثر الفكرة في العواقب لم يشجع)، قال المبرد: (تأويله أنه من فكر في ظفر قرنه به، وعلوه عليه لم يقدم، وإنما كان الحزم عند علي رضي الله عنه أن يحظر أمر الدين ثم لا يفكر في الموت، وقد قيل له: أقتل أهل الشام بالغداة، وتظهر بالعشي في إزار ورداء؟ فقال: أبا الموت أخوف؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت، أم سقط الموت علي)، وقال الزمخشري، مردفاً بمعنى العبارة^(٢): (قيل: الفكر في العواقب يزجر الرجل عن الاقتحام في المعاطب).

* قيم نفسية في سلوك العلاقات:

لعلي حكم كثيرة، تهتم بتجلية العلاقة بين الجانب النفسي والسلوكي عند الإنسان، وشدة التأثير والتأثير بينهما، ومن تلكم الحكم^(٣): (من أبصر عيب نفسه عمي عن عيب غيره)، فالإنسان السوي هو الذي ينشغل بعيوبه عن عيوب الناس، أما الذي ينشغل بعيوب الآخرين فإن هذا دليل بينا على أنه يعجز عن معالجة عيوبه، فيحاول تغطيتها بهذا السلوك.

ويقول^(٤): (من أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ، ومن تجبر على الناس ذلّ، ومن تعمق في العمل ملّ)، ودلالاتها واضحة، فإعجاب المرء برأيه يؤدي به إلى الضلال، وكثرة الخطأ، وازدياد الغواية، وحين نجد إنساناً غارقاً في الضلالات الفكرية، دون أن يرعوي عنها، فإن هذا دليل على غروره، وإعجابه بنفسه.

(١) الكامل للمبرد، ١/ ١٦٧.

(٢) روض الأخيار، ١٠٨.

(٣) العقد الفريد، ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٤) العقد الفريد، ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

ونحو من ذلك قوله^(١): (أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع)، فالطمع يصرع العقل، ويعميه، فلا يعود يبصر الحق، بل لا يرى سوى شهوته ومصلحته، ولذلك لا يصح أن يتولى أمر الناس من كان لديه طمه؛ فإنه يبيع حقوق الناس ومصلحتهم من أجل مصلحته، فلا تنظر إلى مثقف العقل لتختاره على الناس، بل انظر إلى مثقف القلب.

ويقول^(٢): (إعادة الاعتذار تذكير بالذنب)، وهو ملحظ نفسي دقيق، ظاهره الخير والأدب، وباطنه الشر وسوء الأدب، فمن يكثر من الناس تكرير الاعتذار فإنما هو في الحقيقة يريد تذكيرهم بالذنب، ولكن بصورة أخرى، فالأصل في الاعتذار حصوله مرة واحدة، وبه يحصل المقصود.

ويقول [نثر اللآلي، مخطوط]: (إخفاء الشدائد من المروءة)، فالإنسان صاحب المروءة يتحمل الشدائد، والمصائب، ولا يذهب لإظهارها للناس، كما يفعل بعضهم في شبكات التواصل الاجتماعي، يعلنون للناس كل مصيبة تنزل بهم، ويبحثون عن مبرر يسترون به فعلتهم، كأن يطلبون منهم الدعاء، فصاحب المروءة يخفي ما يمر به من شدائد، وفي ذلك تحقيق للصبر، وكمال للأجر.

وقال رجل: يا أمير المؤمنين ما السخاء؟ قال: (ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء)^(٣)، فهو يفرق بين سلوكين، بالرغم من كونهما في الظاهر سلوكا واحدا، وذلك الاختلاف عائد إلى السياق الاجتماعي، والسياق النفسي، فعتاء

(١) الإعجاز والإيجاز، ٣٩.

(٢) الإعجاز والإيجاز، ٣٧.

(٣) أدب الدنيا والدين، ١٨٨. وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥١٧/٤٢.

الإنسان لغيره ابتداء دون مسألة سخاء، أما عطاؤه عن مسألة فهو حياء؛ لأنه يأتي استجابة لطلب.

وفي نثر اللاّلي [مخطوط]: (بشاشة الوجه عطية ثانية)، وهي مقولة تبين أن الإنسان ببشاشة وجهه يعطي الناس ما لا يعطيهم بيده، ولخص ذلك الجمال كله في قوله (عطية ثانية)، فمعاملة الناس لا تتوقف على إعطاء الحقوق، بل هناك ما هو أكثر من الحقوق، إنه طيبة النفس وسماحتها.

ويقول^(١): (من حسن خلقه سهلت له طريقه)، وهو بهذه المقولة يبين أن ما تلقاه في حياتك هو نتاج لسلوكك وأخلاقك، فمن حسن خلقه سيجد السهولة في طريقه في مختلف الأمور.

ويقول^(٢): (المرء مخبوء تحت لسانه)، وهي عبارة تختزل كثيرا من الشروح، وتقتصر عنها كثير من الأقلام، فلسان المرء يكشف عنه، ما تكتبه وما تقوله يكشف عنك أكثر مما يكشف عن غيرك.

ويقول^(٣): (الفرصة تمر مرّ السحاب)، بهذه المقولة يبين أن المستعد للفرص هو الذي يقتنصها حين تمر؛ لأن الفرصة لا تتلبث، بل تمر بسرعة، ولذلك لا تنتظر الفرص، بل هيئ نفسك، وكن مستعدا؛ فستأتيك الفرص حينئذ، أما غير المستعد فهو لا يدرك أن هناك فرصة أصلا، فضلا عن أن يلحقها.

(١) العقد الفريد، ٢/ ٢٥٩.

(٢) الفاضل للمبرد، ٦.

(٣) الأمالي لأبي علي القالي، ٢/ ٩٤.

مقاييس الناس:

يقول^(١): (من صاحب الأنذال حقّر، ومن جالس العلماء وقّر)، في هذه المقولة يبين أن مقياس الإنسان يتجلى من خلال أصحابه، فالناس يحتقرون من يجالس السفهاء، ويوقرون من يجالس العلماء، فالذي يريد توقير الناس سيختلف سلوكه عما يريد احتقار الناس.

ونقل أبو طالب المكي^(٢) (ت: ٣٨٦هـ) عن الشعبي قال: قال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه لرجل رآه يصحب رجلاً كرهه له، فقال شعراً:

فلا تصحب أخا الجهل	وإيّاك وإيّاها
فكم من جاهل أردى	حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما هوّ ما شاه
وللشيء من الشيء	مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب	دليل حين يلقاه

* قيم نفسية في السلوك الاجتماعي:

يقول^(٣): (الناس من خوف الذل في الذل)، عبارة جامعة شاملة، تفسر كثيراً من الأسباب التي تجعل الناس يرضون بالسيء من الأوضاع، ويعيشون في ذل كبير، فهم يخافون من الذل فيقع الذل عليهم رغماً عنهم، ولو أنهم شجعوا وأقدموا لعاشوا في عز.

(١) العقد الفريد، ٢/ ٢٥٩.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب، ٢/ ٣٦٩. وانظر الإبانة الكبرى لابن بطة، ٢/ ٤٦٥.

(٣) الإعجاز والإيجاز، ٣٤.

ويقول^(١): (الناس أعداء ما جهلوا)، وهذه عبارة بليغة، تبين نفور كثير من الناس من الجديد، سواء الفكر أو الأساليب أو أي تغيير جديد، فهم يجهلون ذلك الجديد، ولذلك يتمسكون بالقديم، ويعادون كل جديد، وزوال هذه الإشكالية بتوعية الناس، وبيان منافع الجديد، ومساوئ القديم.

ويقول^(٢): (لسانك يقتضيك ما عودته)، ويقصد أن ما تعود اللسان على النطق به، فإنه سيتجه إليه، بعبارة حديثة: الإنسان يبرمج نفسه وسلوكه بما يردده على لسانه، ولذلك حين يعود لسانه قول الخير سيكون فعاله خيرا، والعكس بالعكس.

وبهذا المعنى يقول المتنبي:

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

ومثل المقولة قول الشاعر:

عوذ لسانك قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد

ويقول^(٣): (قُرت الهية بالخيبة، والحياء بالحرمان)، في هذه المقولة يبين أن الحيى بحيائه يُحرَم من أمور كثيرة؛ لاستحيائه من الطلب، ولعدم تنبه الناس له فيعطونه ما يستحق، وأما صاحب الهية، الذي يتهيب عن اقتحام الأخطاء، فإنه يخيب عن بلوغ الآمال، والوصول إلى المعالي، وهذا المعنى أخذه الشاعر المعاصر (أبو القاسم الشابي)، فقال:

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

(١) الإعجاز والإيجاز، ٣٤.

(٢) الإعجاز والإيجاز، ٣٦.

(٣) عيون الأخبار، ٢/ ١٣٩.

مكانة علي عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ليس من غرضي في هذه الصفحات سرد مكانة علي عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه المكانة قد احتفظت بتخليدها كتب السنة، وكتب السير، وقبل ذلك القرآن الكريم نفسه.

ولكن حين يفتری الدكتور/ مروان في أكثر من موضع، بادعاء أن عليا لا مكانة له عند النبي، يقول د/ مروان: (من المحتمل أنه لم يجد، في كل حياته، إشارة واحدة تقول إن النبي كان يعول عليه في المسائل الكبيرة)، وحين يقول عن مرويات علي: (وليس في ذلك من ميزة، نسبة ملحوظة من تلك النصوص تتعلق بامتياز الشخص، وبأقوال كان النبي يخاطبه بها، مثل الفرق بين بول الجارية والصبي)، ولا يخفى مدى السخرية في هذا النص، وكأن كل مكانة علي عند النبي أنه خاطبه بالفرق بين بول الجارية والغلام!

في الموضوعات السابقة ناقشنا باستفاضة هذه الدعاوى، إلا أنني هنا أكتفي بلمحات يسيرة، تبين بعضا من مكانة علي عند النبي صلى الله عليه وسلم، مما هو مفصل غالبا من قبل.

من ذلك [وأكتفي بالإحالة لما لم أحل له من قبل]:

*** صور من مكانة علي عند النبي:**

المكانة الدينية:

نزلت فيه آيات من القرآن الكريم، وبشره النبي بالجنة، وبشره بأنه في الجنة معه في مكان واحد، وشهد بمحبة الله ورسوله له، وشهد له بمحبته لله ورسوله،

[وهي شهادة له بالإيمان ظاهرا وباطنا]، وشهد له بسلامة دينه، وشهد له بطهارته من الرجس، وباهل به مع زوجته وابنيه، وقال فيهم: (اللهم هؤلاء أهلي)، وبرأه مما شكاه بعض الجيش وبين لهم أن ما أخذه أقل من حقه، قال له (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)، وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، وقال له: (أنت مني وأنا منك)، وقال: (لا يؤدي عني إلا أنا أو علي)، وشهد له باستشهاده في سبيل الله. وبعض الأحاديث التي رواها علي عن النبي تظهر الحميمية التي كانت بينهما، يقول له مثلا: (ألا أعلمك كلمات إذا قلت غفر لك).

المكانة العلمية:

مرافقته الدائمة للنبي جعلته مرجعا علميا للصحابة، شهد الرسول له بأنه أفضى أمته، ولأه القضاء، زكاه في أقضيته وأحكامه، بعثه للدعوة، روى كثيرا عن النبي، أقرأه القرآن، وعرض علي علي النبي القرآن، وأخبر أنه^(١) سيقاقل علي تأويل القرآن كما قاتل النبي علي تنزيله.

المكانة السياسية والقيادية:

استشارة النبي له، واختياره لمرافقته لمقابلة القبائل، ومرافقته في مقابلة الوفود، ومرافقته في اللقاءات الدبلوماسية وتنفيذ العهود، واختياره لتمثيله في مواطن عديدة، منها: إصلاح الأمر مع بني جذيمة، وإصلاحه في حسمى، واختياره لإبلاغ البيان النبوي للناس في حجة الوداع، كان كاتب الرسول في

(١) مسند أحمد (١١٢٥٨)، وصححه الأرناؤوط. والحاكم في المستدرک (٤٦٢١)، وصححه الذهبي.

ومسند أبي يعلى (١٠٨٦)، وصححه الشيخ حسين سليم، محقق الكتاب. وصحيح ابن حبان

(٦٩٧٣)، وصححه محققه. وغيرهم. وانظر تصحيح الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٨٧).

اتفاقيات العهود والصلح، وكان أحد الشهود على تلك الاتفاقيات، وكان يبعثه لقبض الصدقات، وكان يقيم الحدود بين يدي النبي، وقد كافأه لأعماله ومهامه كما كافأ غيره، فأقطعه أرضا بينبع، وكان يمنحه من موارد الدولة.

المكانة العسكرية:

اختياره لحمل رايته ولوائه، واختياره لمبارزة الصناديد، واختياره لتنفيذ المهام العسكرية السرية، واختياره لتنفيذ الاستطلاعات العسكرية، واختياره لقيادة السرايا، وجعله أميراً على خالد بن الوليد.

المكانة الأسرية الخاصة:

كان يحبه رسول الله ﷺ، ولا يخفي محبته له، ورباه في بيته منذ نعومة أظفاره، وكلفه حين هجرته بأداء الودائع التي كانت عنده لأهل مكة، واختاره ليكون زوجاً لفاطمة، ولقبه مداعباً له بأبي تراب، واستخلفه على أهله في تبوك، وقال له أن منزلته منه بمنزلة هارون من موسى، وسمى أولاده: الحسن والحسين، وكلفه بإدارة أوقافه، وكان النبي يختار علياً ليخفف نعله [ولا يفعل ذلك إلا لأنه سقطت كل الكلفة بينهما]، وأمره بنحر بُذنه.

ومن سقوط الكلفة بينهم أنه [يخبر علياً بجوعه، فيذهب علي للعمل، ثم يأتي النبي بطعام]^(١)، ومن الحميمية أنه يأتي إليه في بيته، يقول علي: (فأتانا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: «على مكانكما»، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري)^(٢)، ومن ذلك أن الرسول يأتي إلى علي يراضيه، وقد

(١) الزهد لأحمد بن حنبل، ص ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٥).

غضب من فاطمة^(١)، وحدثه بمقتله، وحدثه بمن سيقاتلهم من الخوارج، واعتبر أن أذية علي أذية له، وحرص النبي على أن يكون آخر عهده من الدنيا يتحدث إلى علي عليه السلام ^(٢).

* فضائل نعيها ولا نستدعيها:

إن ذكر مناقب علي، لا يعني أنه البطل الأوحى بين الصحابة، فكلهم أبطال، وكلهم تمتلئ الكتب بمناقبهم، ولكن هو بيان لم أكن أود كتابته، فتلك أحداث نعيها ولا نستدعيها، ولكن الاستدعاء المزور اضطرني إلى هذا الحديث.

كنا نعتقد أنه لم يعد يتعيش ويأكل ويشرب ويبحث عن السلطة اليوم، على

(١) صحيح البخاري (٤٤١)، قال سهل بن سعد: (جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يقل عندي [أي لم ينم القيلولة عندي]. فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «انظر أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقداً، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»).

(٢) أخرج أحمد في مسنده (٢٦٥٦٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٥/٦)، والمستدرک للحاكم (٤٦٧١)، وأبو يعلى في مسنده (٦٩٣٤). وصحح الحديث الذهبي، والشيخ حسين سليم محقق مسند أبي يعلى، ومحقق فضائل الصحابة.

عن أم سلمة، قالت: والذي يُحْلَفُ به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ، قالت: كان رسول الله ﷺ يوم قبض في بيت عائشة، فجعل رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: «جاء علي؟» مراراً. قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة قال: فجاء بعد، فظننا أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، فقعنا عند الباب، فكنت من أدناهم، فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه، ثم قبض من يومه ذلك.

ولا يتعارض هذا مع حديث عائشة أن الرسول مات بين سحرها ونحرها. فيكون علي خرج من عند رسول الله، ودخلت عائشة فمات الرسول بين يديها. فعلي آخر من رآه النبي من الرجال.

حساب الصحابة إلا الإمامية، الذين يعيشون على مظلوميات واهمة، ولكن تفاجأنا أن ثمة آخرون (باسم الحداثة) يبحثون عن السلطة والشهرة والأضواء ويعيشون بها، كذلك على ظهور الصحابة وأعراضهم، فما الفرق بين من يزدرى أبا بكر وعمر وعثمان ومن يزدرى عليا، رضي الله عنهم أجمعين! وما الفرق بين من يبحث عن السلطة على ظهر عمر أو من يبحث عليها على ظهر علي؟

ما الفرق بين من يقول: أتبرأ من الأصنام أبي بكر وعمر وعثمان، ومن يقول: أنا أهدم الصنم عليا؟! فكلهم ينظر إلى الصحابة الحقيقيين على أنهم أصنام!

كأنما اتفقوا على التعاون والتكامل، كل منهم يُصنّم فريقا من الصحابة.

ما الفرق بين هذه الشتائم البذيئة في علي، وبين الشتائم البذيئة في أبي بكر وعمر وعائشة، رضوان الله عنهم؟!

افتح صحيح البخاري الحديث رقم ٤٣٥٠، واقراه جيدا، هل قرأته؟ إن الذي يرويه البخاري، وليس فيه أبو بلج الكوفي، اطمئن، يروي البخاري عن الصحابي الجليل بريدة، يقول: "بعث النبي ﷺ عليا إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض عليا وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا، فلما قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: «يا بريدة أتبغض عليا؟» فقلت: نعم، قال: «لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك»"، أي أنه أخذ أقل من حقه الشرعي.

هذا رسول الله ﷺ، وهؤلاء صحابته ورجاله الذين رباهم، ويعرف كيف يوجههم ويربهم، لم ينتظر مروان حتى يأتي ليقدم نفسه مرييا لهم،

لو أنك انشغلت بتهذيب ألفاظك وتصويراتك لكان خيرا لك من انشغالك بـ"تربية أصحاب النبي ﷺ".

يرى رسول الله عليا من تهمة اتهمه بها صحابي، ولم يخبئها، بل أخبر النبي بها، فقال له: لا تبغض عليا، فهو لم يأخذ إلا أقل من حقه، ماذا تقول لرسول الله ﷺ؟!

من نصدق: رجلا يغمس لسانه في علي، أم نصدق شهادة رسول الله ﷺ في علي؟

من رضي عنه مروان فهو صاحب الفضيلة، أما من غضب عليه مروان فهو المجرد من كل فضيلة!

إذا كان مروان قد نذر نفسه للتنقص من علي (رضي الله عنه)، فإنني أذكره بهذا الحديث، قال بريدة^(١): غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت عليا فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: "يا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٩٤٥)، وصححه الأرنؤوط. وفي فضائل الصحابة لأحمد ٥٨٥/٢، وصححه محقق الكتاب. وصححه الألباني في سلسلة الصحيحة (١٧٥٠). وفي رواية [في فضائل الصحابة (٢/٦٢٠)، وحسنها محقق الكتاب، وصحح ابن حبان (١٥/٣٧٤)، وقوى سندها محقق الكتاب] أن أربعة من السرية تعاهدوا على شكوى علي إلى النبي، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله ﷺ، فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله ألم تر أن عليا صنع كذا وكذا فأعرض عنه، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله ألم تر أن عليا صنع كذا وكذا فأعرض عنه، ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله، ألم تر أن علي صنع كذا وكذا، فأقبل إليه رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال: "ما تريدون من علي -ثلاثا- إن عليا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي".

بريدة ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟" قلت: بلى يا رسول الله، قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، فالتقص منه جعل وجه رسول الله يتغير ويمتعض، ولا شك أن الصحابي لم يسبه ويشتمه، بل تحدث عن واقعة مبينا ما فعله علي، بأسلوب أقرب إلى الشكوى، فكيف بمن يتفنن في السب والشتم والاحتقار والانتقاص؟!

ما ذنب علي إذا كنت لا ترى آثاره، وحين تصفه أنه أعمش، زورًا، ولو كان فما ذلك بعيب فيه، لكن العيب عمش العقل، الذي يحول دون رؤية التاريخ الصحيح!

وإن كنت تراه ثقيلا في مشيه، محدود الحركة، وهو زور، فما ذاك بعيب، بل العيب أن يكون الإنسان محدود الإدراك للحقائق الواضحة.

إن هذه الأمثلة لا تعني غمط الصحابة حقهم، أو تقليل دورهم، أو التقليل من شأن الخلفاء، فقد كان النبي وهو رسول الله يستشير الناس، وينزل عند مشورتهم، وليس في ذلك غضاظة.

والصحابه لهم مكانتهم وسابقتهم وفضلهم ثابت بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة، ويطول الحديث لو أردنا استقصاء هذا، فالاستنقاص من أحدهم، كالاستنقاص منهم جميعا، والطعن في أحدهم هو طعن في القرآن الذي كرمهم وفضلهم، وطعن في النبي الذي رباهم وعلمهم وائتمنهم من بعده على الدين، فلينظر الإنسان أين يقع قلمه: أيحارب به القرآن الكريم، أو يحارب به الرسول الأمين؟!

ولا أحد يقول: ها أنت تقول بعصمة الصحابة، بل الذي أقوله إنهم بشر، اجتهدوا وتأولوا، والمجتهد يصيب ويخطئ، ولكن ثمة فرق بين قراءة تاريخهم للعةظة والعبرة واستلهاام التجربة، وقراءة تاريخهم للانتقاص واختلاق الأخطاء، والبحث عن الأدلة للنتائج المسبقة، وسوء التأويل، وتحويل الأخطاء إلى خطايا؛ لإدانتهم ومحاكمتهم.

** ** **



الجزء الرابع

الرد على دعاوى العامة

بحق الخليفة الراشد



شرعية الخلافة

- ١ - الروايات التاريخية في بيعة كبار الصحابة لعلي (عليه السلام)، ومنهم: طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، والمهاجرون والأنصار وأهل بدر.
 - ٢ - محاولة علي رفض الخلافة، وإصرار الصحابة.
 - ٣ - قراءة في روايات الطبري بشأن بيعة علي.
 - ٤ - إجماع علماء الإسلام وشهاداتهم بشرعية خلافة علي.
 - ٥ - منظور سياسي لبيعة علي.
 - ٦ - الأحاديث الصحيحة في عدد سنوات الخلافة الراشدة، ومنها خلافة علي.
 - ٧ - بيان مسألة فقهية، وهي أن الإجماع ليس شرطاً في صحة الإمامة.
 - ٨ - ما الإشكال المترتب على القول بعدم صحة خلافة علي؟
 - ٩ - تعقيب بشأن حادثة غدير خم.
 - ١٠ - تعقيب بشأن الفتوحات في خلافة علي.
- ادعى الدكتور مروان أن علي بن أبي طالب ليس إلا "سارقاً للرئاسة"، في هذا الموضوع مناقشة لهذه المقولة؛ لنرى إلى أي مدى يمكنها الصمود أمام النقد العلمي.
- * بيعة كبار الصحابة لعلي:**

يقول مروان: "أولئك الذين لم يقبلوا سرقة الرئاسة [هكذا]، ويرون أنه

من العار أن يعلن نفسه رئيسا بينما كبار القوم، من الفقهاء وعتاوله الصحاب وزوجات النبي، يتدارسون مسألة قتل إمبراطور الدولة ويحاولون التوصل إلى صيغة سياسية تملأ الفراغ الناشئ" اهـ.

يقول مروان ذلك، إلا أن روايات عتاوله العلماء تتظافر على أن كبار الصحابة بايعوا عليا رضي الله عنهم أجمعين، وكلها تثبت أننا أمام رجل محترف في الافتراء، وتنميق الافتراء في صورة أدبية ساخرة، يقلب الحق بها باطلا، والباطل حقا، وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يعلن نفسه رئيسا، بل كبار الصحابة الذين بايعوه هم من فعلوا، وهذا ما يقوله التاريخ، إن كان مروان يحترم فعلا روايات التاريخ، أما إذا كان يجعل من نفسه ناطقا باسم التاريخ فهذا شيء آخر.

والدكتور مروان يتابع المستشرقين في هذه المقولة، ومنهم فلهوزن الذي ادعى أن عليا لم يحظ بتأييد قوي من الناس، وأن المصريين هم الذين نصبوه إماما، أما فاجليري فزعمت أن المعارضة [تقصد بهم قتلة عثمان] هم الذين نصبوه إماما، ويشير سيديو إلى أن وجه استحقاق علي للخلافة إنما هو قرابته من النبي، وبودلي يرى أن عليا كان طالبا للخلافة، طامحا إليها^(١).

لنذهب إلى كتب السنة؛ لتكون الفيصل بيننا وبين كتب التاريخ، جاء في كتاب السنة لأبي بكر بن الخلال^(٢) بسنده عن محمد ابن الحنفية، قال: كنت مع

(١) راجع هذه النقولات في موضوع: مصادر مروان القديمة والحديثة.

(٢) ٤١٦/٢، حديث رقم (٦٢٣)، وذكر روايات أخرى عديدة. وأخرجه ابن بطة في الإبانة ٣٠٢/٤، وقال محقق الكتاب، بعد أن سرد من خرج الحديث، ثم قال: وإسناده من طريق الإمام أحمد حسن. وهذه الرواية أوردها الطبري في تاريخه، مبتدئا بها (٤٢٧/٤). وفي الشريعة للأجري [٤/ ١٧٦٠] أن أحمد بن حنبل قال لأبي بكر الأثرم، الراوي عنه: (اكتب هذا الحديث، =

علي حين قتل عثمان رضي الله عنه، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام، ولا نجد أحداً أحق بهذا الأمر منك، أقدم مشاهداً ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال علي: «لا تفعلوا، إني وزير خير مني أن أكون أميراً»، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد؛ فإنه لا ينبغي بيعتي أن تكون خفياً، ولا تكون إلا لمن رضي من المسلمين".

هذه الرواية الصحيحة تبين أن من بايع علياً هم الصحابة، وهم الذين أتوا إليه، وليس قتلة عثمان، وتبين أن الصحابة رأوا علياً أكفأ الناس لتولي الخلافة، وتبين أن علياً حاول الاعتذار، وتبين أن البيعة تمت في المسجد بمشهد عامة الناس وبيعتهم، فهي بيعة عامة، وأن البيعة تمت باختيار الناس ورضاهم، ولم يكرههم أحد عليها.

وبذلك فهذه الرواية الصحيحة هي معيار لأي رواية تاريخية، ومن تلكم الروايات:

جاء في تاريخ الطبري^(١): "عن أبي بشير العابدي، قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً فقالوا: يا أبا حسن، هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختروا والله فقالوا: ما نختار غيرك، قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضي الله عنه مراراً، ثم أتوه في آخر ذلك... إلخ".

= فإنه حديث حسن في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ووردت الرواية في فضائل الصحابة لأحمد ٥٧٣/٢، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(١) ٤٢٧/٤.

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد^(١): "وبويع لعلي بن أبي طالب، رحمه الله، بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان، بالخلافة بايعه طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم"، فهل هؤلاء أقل في نظرك من أن يكونوا من كبار الصحابة؟!

في كتابه (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة)^(٢)، أورد أ. د. محمد أمحزون مجموعة من تلك الروايات في الطبري، ومجموعة من المصادر الأخرى التاريخية والحديثية التي ذكرت ذلك، ومنها: طبقات ابن سعد، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، وفضائل الصحابة للدارقطني، ومسند أحمد، وتاريخ خليفة بن خياط، والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، وتاريخ يعقوبي، وأنساب الأشراف للبلاذري، وابن عساكر في تاريخ دمشق... إلخ، ويقول أمحزون^(٣): "من الملاحظ أن الروايات السابقة تسير في الاتجاه الصحيح لما وقع فعلا، ويؤيد ذلك ما ورد في السنة النبوية من مؤشرات خلافة علي رضي الله عنه، وما روي عن الصحابة في هذا الشأن، وما نقله المؤرخون والمحدثون والفقهاء وأهل العلم عن شرعية خلافة علي وصحتها، ومبايعة أهل الحل والعقد له من المهاجرين والأنصار"، ثم أورد مجموعة واسعة من تلك الأدلة.

(١) ٢٢/٣.

(٢) ص ٣٩٧ - وما بعدها.

(٣) ص ٤٠٠.

وفي الثقات لابن حبان، وهو يتحدث عن بيعة علي، فقال^(١): "وأتاه الناس يهرعون إليه كلهم يقولون: أمير المؤمنين علي، حتى دخلوا عليه داره، وقالوا: نبايعك فإنه لا بد من أمير وأنت أحق، فقال علي: ليس ذلك إليكم إنما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا يطلبون البيعة، وهو يأبى عليهم... إلخ"، وبقية القصة يتحدث عن بيعته على ملاء في المسجد، وأول من بايعه طلحة، ثم الزبير وسعد.

فهل هذه البيعة، كما يقول مروان [في مقاله: علي وأوهامه]: "بيعة تسلّمها من اللصوص"؟ إلا إذا كان كبار الصحابة عند مروان من اللصوص، فهذا شيء آخر!

فالذين بايعوا عليا هم كبار الصحابة، هم أهل الحل والعقد، هم أهل بدر، هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، هم المهاجرون والأنصار، ثم بعد ذلك بايعه الناس في الأمصار، بايعه أهل اليمن، وأهل مصر، وأهل العراق، والحجاز، وخراسان، وما وراءها من بلاد فارس، ولم يتخلف عن بيعته إلا معاوية وأهل الشام، وحجة معاوية المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان، ولم يكن يدعي أنه خليفة، حتى مقتل علي، احتراماً منه لبيعة الناس لعلي بالخلافة، وإقراراً منه بذلك، وسوف أورد النقولات عن معاوية بعد قليل.

قال ابن حجر في فتح الباري^(٢): "وكانت بيعة علي بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فبايعه المهاجرون والأنصار وكل

(١) ٢٦٧/٢.

(٢) ٧٢/٧.

من حضر وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهم بعد ما كان".

ويروي ابن أبي شيبة في المصنف^(١) عن الأحنف بن قيس: "قدمنا المدينة ونحن نريد الحج، قال الأحنف: "فانطلقت فأتيت طلحة والزبير فقلت: ما تأمراني به وترضيانه لي، فإني ما أرى هذا إلا مقتولا" يعني عثمان، قالوا: نأمر بك بعلي، قلت: «تأمراني به وترضيانه لي»، قالوا: نعم، ثم انطلقت حاجا حتى قدمت مكة، فبينما نحن بها إذ أتانا قتل عثمان، وبها عائشة أم المؤمنين، فلقيتها فقلت: "ما تأمريني به أن أبايع"، قالت: علي، قلت: «أتأمرين به وترضينه؟» قالت: نعم، «فمررت على علي بالمدينة فبايعته".

هذه نظرة الصديقة بنت الصديق زوجة الرسول ﷺ لأحقية علي وأهليته وكفاءته في تولي الخلافة.

من أراد التوسع في نقاش مختلف الروايات في هذه المسألة، فعليه بالعودة إلى كتاب أ، د، محمد أمحزون، فقد خصص لها نحو ٢٤ صفحة (من صفحة ٣٩٧-٤٢١).

وأختم بنقل نصل مطول لابن العربي في العواصم من القواصم^(٢):
"ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلماً وتقى ودينًا، فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه،

(١) ١٩٧/٦.

(٢) ص ١٤٢-١٤٧.

ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضاً عليه، فانقاد إليه.

وعقد له البيعة طلحة، فقال الناس: بايع علياً يد شلاء، والله لا يتم هذا الأمر.

فإن قيل: بايعا مكرهين، قلنا: حاشا لله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحداً أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعاً، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام.

وأما من قال يد شلاء وأمر لا يتم، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع، ولم يكن كذلك.

فإن قيل: فقد قال طلحة: "بايعت واللج على قفي"، قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في "القفا" لغة "قفي"، كما يجعل في "الهوى": "هوي"، وتلك لغة هذيل لا قريش، فكانت كذبة لم تدبر.

وأما قولهم "يد شلاء" لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يدا شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه.

فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البيعة، ويقع الحكم، فأما على الهجوم عليه بما كان من قول مطلق، أو فعل غير محقق، أو سماع كلام، فليس ذلك في دين الإسلام.

قالت العثمانية: تخلف عنه من الصحابة جماعة، منهم سعد بن أبي وقاص،
ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم.

قلنا: أما بيعته فلم يتخلف عنها، وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكرتم،
لأنها كانت مسألة اجتهادية، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره "اهـ.

* محاولة علي رفض الخلافة:

علي، لم يستول على السلطة، ولم ينقض عليها بجيش مسلح، بل بايعه كبار
الصحابة وهو لها كاره، وقال لهم: "لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم
أمير"^(١)، ولقد حاول التنصل مرارا، وقال لهم أيضا^(٢): (واعلموا إن أجبتكم ركبت
بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن
وليتموه أمركم).

ولكنهم أصرروا عليه، وحذروه من الفتنة، فوافق حتى لا يستمر أمر
المسلمين فوضى.

أفبقول هذا ويفعله من يبحث عن السلطة؟! يحاول اجتنبها، ثم يخبرهم أنه
سيكون مطيعا لمن يختارونه.

مشكلة كتبة اليوم أنهم يتخيلون أصحاب رسول الله أصحاب أهواء ومطامع
مثلهم؟!

(١) الحديث في فضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/٥٧٣)، وفي السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤١٥)،
وحسن إسناده محقق الكتاب، وفي الإبانة لابن بطة (٨/٣٠٣)، وحسن إسناده محقق الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري، ٤/٤٣٤.

هذا علي يتحاشى الخلافة مرة تلو أخرى، وهو لها كفؤ، وقد قبلها كارها، وهو يرى الفتنة تموج وتضطرب، ولكنه استشعر الأمانة والمسؤولية، فقبل.

وفي تاريخ الطبري^(١) أن عليا طلب من طلحة تولي الأمر، فقال له: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك، فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، قال: فبسط علي يده فبايعه.

وبالرغم من ذلك صعد علي المنبر، فخطب الناس قائلا: (يا أيها الناس، إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد، فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس).

فهو يعلن للناس أن الأمر أمرهم، وأنه لا يحق لأحد تولي الخلافة إلا من اختاره الناس ورضوه، ثم يحرص على التأكد من رضا الناس، وأنهم لا زالوا على ما اتفقوا عليه.

وقد نقلنا من قبل ما أخرجه أبو داود^(٢): قال قيس بن عباد: قلت لعلي رضي الله عنه: أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيته فقال: «ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ولكنه رأي رأيته»، فهو ينفي أن تكون بيعته أو ما ترتب عليها من خروج بنص ديني، بل كما جعل البيعة لاختيار الناس، فقد جعل الخروج رأيا رآه.

(١) ٤٣٥/٤.

(٢) (٤٦٦٦)، وصحح إسناده الألباني.

وفي الشريعة للآجري^(١) نص صريح، أورده لأهميته:

عن الحسن قال: دخل عبد الله بن الكواء ، وقيس بن عباد على علي بن أبي طالب عليه السلام بعد ما فرغ من قتال الجمل ، فقالا له: أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت رأيا رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة ، إنك أحق الناس بهذا الأمر ، فإن كان رأيا رأيته أجبنك في رأيك ، وإن كان عهدا عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنت الموثوق المأمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثت عنه ، قال: فتشهد علي عليه السلام وكان القوم إذا تكلموا تشهدوا قال: فقال: أما أن يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ، ولو كان عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت أخا بني تميم بن مرة ، ولا ابن الخطاب على منبره ، ولو لم أجد إلا يدي هذه ، ولكن نبيكم صلى الله عليه وسلم نبي رحمة لم يمت فجاءة ، ولم يقتل قتلا ، مرض ليالي وأياما ، وأياما وليالي ، يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فيقول: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» وهو يرى مكاني ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا ، فإذا الصلاة عضد الإسلام وقوام الدين فريضنا لدينانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، فولينا الأمر أبا بكر رحمه الله ، فأقام أبو بكر رضي الله عنه بين أظهرنا الكلمة جامعة ، والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان ، ولا يشهد أحد منا على أحد بالشرك ، ولا يقطع منه البراءة ، فكنت والله آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بيده هذه الحدود بين يديه ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة ولاها عمر رحمه الله فأقام عمر بين أظهرنا الكلمة جامعة ، والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان ، ولا يشهد أحد منا على أحد بالشرك ، ولا يقطع منه البراءة ، فكنت والله آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بيدي هذه

الحدود بين يديه ، فلما حضرت عمر رضي الله عنه الوفاة ، ظن أنه لن يستخلف خليفة فيعمل ذلك الخليفة بخطيئة إلا لحقت عمر في قبره ، فأخرج منها ولده وأهل بيته ، وجعلها إلى ستة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان فينا عبد الرحمن بن عوف فقال: هل لكم أن أدع لكم نصيبي منها على أن أختار الله ولرسوله ، وأخذ ميثاقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه أمرنا ، فضرب بيده يد عثمان فبايعه ، فنظرت في أمري ، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيري ، فاتبعت عثمان لطاعته حتى أدبت إليه حقه رحمه الله).

هذا النص يمثل وثيقة مهمة، يبين خلاله علي أن الخلافة باختيار الناس، وليس فيها نص ديني، ولو كان فيها نص لما تخلى عنه، ولما ترك أبا بكر أو عمر يخالفان الشرع، ويبين في النص أنهم رضوا أبا بكر، وأنه كان مطيعا له، ثم ولي عمر فكان مطيعا له، ثم ولي عثمان فكان مطيعا له.

* قراءة في روايات الطبري بشأنبيعة علي:

أولاً: روايات الطبري من غير طريق سيف بن عمر

حين تحدث الطبري في تاريخه عنبيعة علي، بدأ بالقول^(١): (اختلف السلف من أهل السير في ذلك، فقال بعضهم: سأل عليا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقلد لهم وللمسلمين، فأبى عليهم، فلما أبوا عليه، وطلبوا إليه، تقلد ذلك لهم).

وقد جاء بمجموعة روايات، من غير طريق سيف بن عمر، وهي: طرق لعمر

(١) ٤٢٧/٤ - وما بعدها.

بن شبة، وجعفر المحمدي، وفي هذه الروايات، التي بدأ بها الطبري، يتبين أن الذين بايعوا علياً، وتحركوا في ذلك، وأهمهم أمر المسلمين، وأهمهم ألا يكون الناس بلا خليفة، هم الصحابة، وفيهم طلحة والزبير، والمهاجرون والأنصار، وأن تحرك الصحابة بدأ في يوم مقتل عثمان، وأول من بايعه طلحة والزبير، وأن أهل المدينة بايعوا علياً في المسجد، سوى نفر يسير ذكر منهم نحو ١٠ رجال.

ثانيًا: روايات سيف بن عمر

ثم جاء بمجموعة روايات عن سيف بن عمر، تفيد أن الدولة بقيت بلا خليفة ٥ أيام، وأن الغافقي أمير ثوار مصر كان المتحكم في المشهد، وأن كبار الصحابة قد اختبأوا، وتركوا الأمر للثوار، ولم يهتم الصحابة بشيء من ذلك، وأن الثوار كانوا يحاولون مع علي والزبير وطلحة ثم سعد وابن عمر، ثم جمعوا أهل المدينة وحذروهم بقتل أولئك الكبار إن لم يبايعوا، فاختار أهل المدينة علياً، وبعد محاولات عديدة وافق، وبايعوه بإشراف الثوار، وبدأت قريش تشك في تصرفات علي، وأنه سيكون أشد عليهم من غيره... إلخ، وفي رواياته أن طلحة والزبير قالوا له: دعنا نذهب للكوفة والبصرة فنأتي بالجنود ونفجأ هؤلاء الثائرين، ودخل عليه المغيرة ونصحه بإقرار معاوية وعمال عثمان، فقا: حتى أنظر، وفي اليوم الثاني غير المغيرة نصيحته، ولما علم ابن عباس قال لعلي: نصحك أمس وغشك اليوم... إلخ.

كما جاء بمجموعة روايات من طريق أبي مخنف والواقدي وسيف بن عمر، تفيد أن الزبير لم يبايع، وأن طلحة بايع كرها، وبعضها تقول أن الزبير بايع مكرها.

الطبري قدم رواية عمر بن شبة، وهي روايات تظهر الصحابة بمظهرهم اللائق، في الاهتمام بأمر المسلمين، وأنهم هم من تولوا الأمر، ثم أردفها بروايات سيف بن عمر، وهي روايات تسيء إلى الصحابة، وتظهر أن الثوار هم من يهمهم أمر المسلمين، وأنهم فرضوا الخلافة فرضاً!

وإذا نظرنا من حيث السند، فعمر ابن شبة هو أوثق من وري عنه الطبري، فقد وثقه علماء الحديث، كالدارقطني وابن حبان وغيرهم، أما سيف بن عمر والواقدي فكلاهما ذمهما علماء الجرح والتعديل، ووصفوهما بالكذب والوضع. وإذا نظرنا من حيث المتن، فما رواه عمر بن شبة هو الذي يليق بالصحابة.

* إجماع علماء الإسلام وشهاداتهم بشرعية خلافة علي:

يقول ابن تيمية، في تعليقه على حديث مقتل عمار، في فتاواه^(١): (وهذا [أي الحديث] يدل على صحة إمامة علي، ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار، وإن كان متأولاً) ... إلخ.

ولو شئت استعمال سلطة النص لأوردت مئات أسماء العلماء الذين انصبت شهاداتهم مبينة الإجماع على صحة خلافة علي، ويكفي الرجوع إليها في مواطنها، وأكتفي بنقل مقولة ابن تيمية^(٢) (وذلك أنهم [أي أهل السنة] يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله)، وقال^(٣): (اتفق عامة أهل

(١) ٤٣٧/٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٥٣/٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ٤٠٦/٣.

السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي (عليه السلام) فضع نفسك حيث شئت.

[لمن أراد مزيداً من نصوص علماء الإسلام التي نقلت الإجماع على صحة إمامة الخلفاء الأربعة، ورضا الصحابة بذلك، وتبعهم التابعون وأئمة المذاهب كلها: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي^(١)].

قال أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)^(٢)، مبيناً قول أصحاب الحديث وأهل السنة: (ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضوان الله عليهم ويقولون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ).

وقال أبو المظفر الأسفراييني^(٣) (ت: ٤٧١هـ): (أجمعوا على خلافة الأربعة بعد الرسول ﷺ وعلى أنهم لم يكتموا شيئاً من القرآن والشريعة بل ساروا أحسن سيره ووفقوا بحسن السعي في تثبيت المسلمين على الدين).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى عن خلافة علي^(٤): "وهو متفق عليه بين الفقهاء، وعلماء السنة، وأهل المعرفة، والتصوف، وهو مذهب العامة، وإنما يخالفهم في ذلك بعض أهل الأهواء من أهل الكلام ونحوهم: كالرافضة الطاعنين في خلافة الثلاثة، أو الخوارج الطاعنين في خلافة الصهرين المنافقين: عثمان وعلي، أو بعض الناصبة النافين لخلافة علي، أو بعض الجهال من المتسنة

(١) ج ٥/ص ١٨٨-١٩٢.

(٢) مقالات الإسلاميين، ص ٢٩٤.

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص ١٧٨.

(٤) ١٩/٣٥.

الواقفين في خلافته"، فالطاعن في شرعية خلافة علي - وفقاً لابن تيمية - إما خارجي، وإما ناصبي، وإما جاهل، فمن أراد أن ينضم إليهم فعل!

ووافقت المذاهب الفقهية على الإجماع على صحة خلافة الخلفاء الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية^(١).

* منظور سياسي لبيعة علي:

إذا قرأنا بيعة علي رضي الله عنه قراءة سياسية، فسنجد أنها تكاد تكون من أقوى البيعات في التاريخ؛ لأنه لم يأت بترشيح سابق (كما حدث مع عمر أو أهل الشورى)، ولم يأت في ظروف سلم، بل جاء في ظروف فتنة عاصفة، عقب مقتل الخليفة، فلما فزع الصحابة إلى من يختارونه خليفة، لم يجدوا سوى علي؛ وهذا إدراك منهم بأهليته وكفاءته على تولي الخلافة في مثل هذا الظرف العصيب، فكان اختياره في تلك الأثناء هو اختيار النخبة، واختيار عامة الناس، ولذلك لم يقبلوا منه الاعتذار، بل ترددوا إليه حتى قبل الخلافة، وبايعوه.

* خلافة علي تنمة للخلافة الراشدة:

وخلافة علي هي تنمة للخلافة الراشدة، على منهج أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وهذا مصداق للحديث الصحيح (خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء)^(٢).

(١) انظر النقولات عنهم في موسوعة الإجماع، ١٨٩/٥.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، وأحمد (٢١٩٢٨)، والحاكم (٤٤٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٤٤٤). وصححه الألباني. وانظر الحديث في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٥٩) لتدرك من أيضاً من العلماء أخرجه وصححه قديماً وحديثاً.

ولفظه عند أحمد (برقم: ٢١٩٢٨)، وحسنه شعيب الأرناؤوط: عن سفينة، قال رسول الله ﷺ "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملكا بعد ذلك" ثم قال سفينة [للراوي عنه]: "أمسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، وأمسك خلافة علي"، قال: "فوجدناها ثلاثين سنة، ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء، فلم أجده يتفق لهم ثلاثون".

فخلافة على بشهادة الرسول هي خلافة راشدة على منهاج النبوة، وقال الرسول في هؤلاء الخلفاء^(١): (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ).

وقال ابن تيمية بعد إيراده الحديث، في مجموع الفتاوى^(٢): "وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمرء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر ثم عمر؛ ثم عثمان؛ ثم علي رضي الله عنه".

الرسول يقول عن خلافة علي، مثل سابقه، إنها خلافة راشدة، فماذا يقول لنا الكتبة اليوم ومشاهير شبكات التواصل؟! هل نأخذ بشهادة الرسول ﷺ، أم بتقييم زعطان وفلتان!

(١) الحديث أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٢)، والترمذي (٢٦٧٦)، والدارمي (٩٦)، والحاكم (٣٢٩)، وصححه الذهبي، وصححه في تحقيق المسند عالم من علماء الجرح والتعديل، هو شعيب الأرناؤوط، وهذا عدا من صححه قديما وحديثا، كالألباني في الصحيحة (٩٣٧).

(٢) ٤٠٦/٣.

ومن وصف خلافة علي أنها خلافة غير تامة، فوصفه باطل؛ لا حجة له،
فالقضية الأساسية: هل الخلافة صحيحة وذات مشروعية أو لا؟ فإن كانت صحيحة
ذات مشروعية فلا معنى لوصفها أنها تامة أو غير تامة، فهذا وصف غير معتبر في
الشرع، وهو في حقيقة الامر وصف ملتف للطعن في صحة خلافة علي.

وأما حدوث المشاكل والفتن في خلافته، فهذا لا ينقض من صحة الخلافة
ولا من شرعيتها.

القضية الأساسية هي: أن الخلافة شرعية، وأن الخليفة سار على الكتاب
والسنة، وكان راشدا في القيام بواجباته ومهامه المنوطة به.

* الإجماع ليس شرطا في صحة الإمامة:

ثم إن هناك مسألة يجهلها بعضهم حين يحاكمون التاريخ، وهو الحدّ الذي
تنعقد به "الإمامة"، ومن يرجع إلى كتب السياسة الشرعية، وغيرها من كتب الفقه؛
سيرى أقوال العلماء في هذا، وأنه لا يشترط مبايعة جميع "أهل الحل والعقد"
في المدينة الواحدة، فضلا عما سواها من الأمصار، [ومن أراد الاطلاع على
عشرات النصوص والأدلة في هذه المسألة، فليرجع إلى "موسوعة الإجماع في
الفقه الإسلامي^(١)].

وأكتفي بنقل ما قاله الجويني^(٢): "مما يقطع به أن الإجماع ليس شرطا في
عقد الإمامة بالإجماع، والذي يوضح ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه صحت له البيعة؛ فقضى

(١) ج ٥/ ص ١٦٤-١٧٢، وأيضا: ج ٥/ ١٨٣-١٨٥.

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم، ٦٧.

وحكم، وأبرم وأمضى، وجهز الجيوش، وعقد الأولوية، وجر العساكر إلى مانعي الزكاة، وجبى الأموال، وفرق منها، ولم ينتظر في تنفيذ الأمور انتشار الأخبار في أقطار خطة الإسلام، وتقرير البيعة من الذين لم يكونوا في بلدة الهجرة، وكذلك جرى الأمر في إمامة الخلفاء الأربعة، فهذا مما لا يستريب فيه لبيب.

والذي يعضد ذلك علمنا على اضطرار أن الغرض من نصب الإمام حفظ الحوزة، والاهتمام بمهمات الإسلام، ومعظم الأمور الخطيرة لا يقبل الريث والمكث، ولو أخر النظر فيه لجر ذلك خللا لا يتلافى، وخبلا متفاقما لا يستدرك، فاستبان من وضع الإمامة استحالة اشتراط الإجماع في عقدها"، اهـ.

انظر إلى الفقه السياسي عند علماء الإسلام وأعلامه، وليس الخطل الذي يتفوه به من لا يفقه، هذا النص يبين أولا أن علماء الإسلام أجمعوا على عدم اشتراط إجماع أهل الحل والعقد لصحة الإمامة، وثانياً أن هناك من المصالح المهمة التي تجعل المسلمين يسرعون في اختيار الحاكم، بدلا من ضياع الوقت في المشاورات والبحث عن الإجماع، الذي يحصل للأسف في بعض المراحل؛ مما يؤدي إلى أخطار كبيرة في حياة الناس.

علي بن أبي طالب، بويع في عاصمة الخلافة، المدينة المنورة، وبايعه كبار الصحابة بها، فلا تتوقف صحة بيعته على بيعة معاوية.

ومعاوية، كما يقول علماء الإسلام، لم يدع إمارة المؤمنين إلا بعد مقتل علي؛ إقرارا منه بصحة بيعة علي، والخلاف كان بشأن مسألة القصاص من قتلة عثمان، رضي الله عنهم أجمعين، (ابن العربي، والجويني، وابن حزم،

والهيثمي^(١).

وها هو ابن تيمية يقول في مجموع الفتاوى^(٢): "ومعاوية لم يدع الخلافة؛ ولم يبايع له بها حين قاتل عليا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرّون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه".

واليوم، سار الفقه السياسي على خطى الفقه الشرعي، فمتى كان حصول الرئيس على ١٠٠٪ من الأصوات شرطا للفوز بالانتخابات؟ أليس في حصوله على الأغلبية ما يجعله رئيسا شرعيا!

ومروان لن يغطي الشمس بغربال، حين يزور الحقيقة بلسانه العليم، وكلامه البليغ؛ فيجعل الحق باطلا، حين يقول عن شرعية على أنها "مبنية على الصدمة والرعب"، وأن عليا صار "حاكماً على براري وقبائل وعصابات"، في حين أن بني أمية - الذين قاموا بانقلاب سياسي ضد الحاكم الشرعي - من وجهة نظر مروان: "يننون إمبراطورية على أنقاض روما"، وليسوا غارقين في التفاهات ودورات الهجاء، كعلي، بحسب ما يقوله مروان.

وبهذا يظهر أن الثقافة التي تعيب على الخليفة الراشد شرعيته، وتمدح من تمرد عليه أو بغى - هي الثقافة الرجعية، التي تجاوزها المسلمون منذ ١٤ قرناً من الزمان، ومروان - إضافة إلى تبني الثقافة الرجعية في هذه المسألة - يتبنى خطاباً متناقضاً؛ حين يدين الخليفة الشرعي، ويؤيد الانقلاب السياسي ضده، في حين

(١) انظر تلك النقولات في كتاب الصلابي في سيرة علي بن أبي طالب، ص ٥١٢، وص ٥٢١

وما بعدها.

(٢) ٧٢/٣٥.

أنه في خطابه السياسي يدين ما يسميه الانقلاب ضد الحكومة الشرعية!

الدكتور مروان يكشف عن ثقافته التاريخية الهشة، بالرغم من أنه يبدو كاتباً مثقفاً معاصراً، لكنه هش الثقافة التاريخية، لست أنا من يقول ذلك؛ بل هو يخبرنا بهذا، حين يعتقد أن الاجماع شرط في الخلافة، وحين يجهل كيف تمت بيعة أبي بكر!

يقول الدكتور مروان عني أنني لا أفهم، في حين أنه يعجز أن يقارن بين الواقع الذي يراه ديموقراطياً، وبين واقع تاريخي، حتى قليل الثقافة وصاحب الشهادة القليلة سيفهم حين نخبره أن الرئيس الفلاني فاز بنسبة ٥٢ ٪ من الأصوات على نظيره، فلا أحد يقول: لا بد من حصوله على ١٠٠ ٪ كشرط للفوز! (إلا على مذهب الرئيس الدائم الذي يحصل على ٩٩، ٩٩ ٪).

الدكتور مروان لم يستطع قراءة التاريخ بمنطق اجتماعي، فهو يفصل بين تجارب الماضي والحاضر (مع أن عمله كطبيب يقوم على أساس التجارب)! من يريد أن يكون قائداً وملهماً عليه أن يتصف بحب جمهوره، وأن يلتزم الأمانة والمصادقية معهم.

فخلاصة الموضوع أن خلافة علي شرعية، بايعه كبار الصحابة وأهل الحل والعقد، وقد كان علي كارهاً لها، وقد أجمع علماء الإسلام وشهدوا بشرعية خلافته.

*** ما الإشكال المترتب على القول بعدم صحة خلافة علي:**

وردني هذا السؤال: ما الإشكال المترتب على القول بعدم صحة خلافة علي، لا سيما وأن فيه خلافاً بين العلماء؟

فالجواب:

إذا لم تصح خلافة علي، فكل الأفعال المترتبة على ذلك غير شرعية.

إذا لم تثبت صحة خلافته، يكون علي مجرد زعيم عصابة، كما سماه

مروان، قام بسفك الدماء، ومحاولة الاستيلاء على السلطة.

وإذا لم يكن علي خليفة شرعياً فهو مجرم في حربه، والزبير وطلحة وعائشة

مجرمون في حروبهم له، ومعاوية مجرم في حربه، سيتحولون جميعاً إلى حفنة

من المجرمين.

أما القول بشرعية خلافته، فيقتضي أن من قاتله إنما هم بغاة، والعلماء على

أنهم اجتهدوا وتأولوا، وأخطأوا في بغيتهم، ففرق بين القول بخطئهم والقول

بإجرامهم.

لا يوجد تردد في الأمر، فعلي إما خليفة شرعي وإما غير خليفة، والقول أنه

غير خليفة يقتضي أن ذلك الزمان مكث المسلمون بلا خليفة! ويقتضي أنهم دخلوا

في حرب أهلية! ويقتضي أنهم مفسدون مجرمون جميعاً!

وإذا لم يكن علي خليفة شرعياً، فلماذا يطالبه معاوية بالقصاص من قتلة

عثمان؟!

مجرد مطالبته بالقصاص هو اعتراف بشرعية خلافته.

إن الخلاف حول خلافة علي لا يعتد به بين العلماء، كما ذكرت ذلك قبل

قليل.

* تعقيب بشأن حديث "غدير خم":

حين عاد الرسول ﷺ من حجة الوداع، وصل إلى منطقة تسمى "غدير خم"، فخطب النبي ﷺ فيه، فقال: "أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، والحديث في صحيح مسلم^(١).

وكان سبب الوقوف في غدير خم تبرئة الرسول لعلي من التهمة التي اتهمه بها بعضهم في قسمة الغنائم، كما في حديث بريدة: "لا تبغض عليا"، وقال: "إن له في الخمس أكثر من ذلك"^(٢)، فعلي رجع من اليمن على حجة النبي، ولأن هذا أمرا خاصا بعلي ومن كان أميرا لهم على السرية، فقد أصر الرسول الموضوع حتى عادوا من الحج، وتحدث معهم بشأن الأمر في عودته إلى المدينة.

وحين يستدل به بعض الشيعة على ولاية علي، فإننا نقول: حديث الغدير، فيه أمر صحيح وأمر باطل.

أما الأمر الصحيح، فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي وقف بغدير خم، وخطب من كان معه، وذكرهم بأهل بيته، وصح أنه قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه"^(٣).

(١) (٢٤٠٨).

(٢) صحيح البخاري (٤٣٥٠).

(٣) أحمد (٩٥٠)، والترمذي (٣٧١٣)، وابن ماجه (١٢١)، وغيرهم. وصححه الشيخ شاكراً، والألباني، والأرنؤوط.

وأما الأمر الباطل، فالاستشهاد بالحديث على الوصية بالإمامة، فلا دليل فيه، فهو جاء لسبب خاص، كما بينته.

ثم إن كون علي مولى كل مؤمن، فكذلك المؤمنون كلهم بعضهم أولياء بعض، كما في القرآن الكريم، فالولاية هي ولاية المحبة والنصرة.

فليس في الحديث دلالة على الإمامة.

ولو كان في الحديث دلالة على الإمامة، لاحتج به علي على أبي بكر؛ لأنه أمر نبوي واجب تنفيذه، ولنفذه أبو بكر قبل أن يطالب به علي، لأن له السبق والفضل في الإسلام وأفضل البشر بعد النبي فكيف نتوقع منه أن يرتكب مثل هذه المخالفة والخطيئة؟ القول بهذا طعن في طاعة أبي بكر وعمر والمبشرين بالجنة وكبار الصحابة في طاعتهم لله، لأن طاعة الرسول من طاعة الله.

ولو كان فيه دلالة على الإمامة لاحتج به علي على أحقيته بالخلافة من بين أهل الشورى.

ولو كان فيه دلالة على الإمامة لاحتج به علي معاوية وغيره.

ولو كان فيه دلالة على الإمامة لما بايع الحسن بن علي معاوية.

فعلي لم يرد عنه أنه احتج بنص ديني على خلافته.

بل إن عليا حين سأله عمه العباس أن يسأل النبي أن يجعل له الأمر من بعده، رفض، وفسر مروان الرفض بأن عليا هامشي، وأخطأ مروان؛ لأن هذا حجة بينة على أن عليا يعلم أن خلافة الناس باختيار الناس، وليس بالنص الديني، [وسأتناول هذه الحادثة في موضوع: مؤسسة فاسدة أم خلافة راشدة؟].

* تعقيب بشأن الفتوحات في خلافة علي:

يطعن بعضهم في أن خلافة علي لم يسل السيف فيها إلا ضد المسلمين، ولم تكن فيها فتوحات، ولا جهاد.

وهذه الدعوى مردودة لعدة أمور:

الأول: أن صحة الخلافة وشرعيتها لا تتوقف على التوسع في الفتوحات، وقتال غير المسلمين، بل تتوقف على تحقيقها واختيار أهل الحل والعقد، وهذا ما تم فعلا في خلافة علي.

الثاني: ليس المهم السؤال عما إذا حدث غزو في عهده أو لا، بل الأهم ماذا عمل الخليفة لأداء الواجب؟

فالخليفة الراشد قد انشغل بما هو أهم من الفتوحات والغزو، وهو الانشاق داخل الدولة الإسلامية، وواجب الخليفة الدستوري هو الحفاظ على الدولة قبل التفكير في توسع الدولة، والخليفة حين يقوم بواجبه تجاه البغاة فهو مجاهد، ولذلك يدرس الفقهاء أحكام قتال أهل البغي ضمن أبواب الجهاد.

وهذا عدا عن انشغال الخليفة بما أقدم عليه معاوية من محاولات اقتطاع ولايات الدولة من خليفته الشرعي، كاليمن ومكة والمدينة، مما اضطر عليا إلى رد تلك الهجمات على الدولة.

ولذلك فقتال الخليفة للبغاة والخوارج هو من الجهاد، والجهاد لفظ عام، يشمل غزو غير المسلمين، كما يشمل مقاتلة البغاة من المسلمين.

الثالث: ثمة أحداث قام فيها الخليفة وجيشه بالأخذ على أيدي الناهبين والطامعين والمرتدين:

روى خليفة بن خياط في تاريخه^(١) خروج (حسكة بن عتاب الحبطي وعمران بن الفضيل البرجمي في صعاليك من العرب عند انقضاء الجمل فأتوا زالق فأصابوا نساء وغنائم فصالحهم صاحب زرنج فدخلوها فبعث علي عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتله حسكة فكتب علي إلى ابن عباس أن وجه رجلا إلى سجستان فوجه ربعي بن كأس العنبري فظهر على حسكة وعمران وأقام حتى قتل علي وبوبع معاوية).

ذكر الطبري^(٢) في أحداث (٣٨هـ) ارتداد بني ناجية إلى النصرانية مع الخريت بن راشد إلى دين النصرانية، ومنعهم الزكاة، وبعث علي لمعقل بن قيس الرياحي إليهم حين ارتدوا فقاتلهم، وكان مع الخريت غير المرتدين مجموعة من النصارى.

الرابع: ثم إن المؤرخين ذكروا مجموعة من الفتوحات ومقاتلة غير المسلمين، ومن ذلك:

غزو مكران:

في تاريخ خليفة بن خياط^(٣)، في سنة ٣٦هـ، قال: (غزو الهند وفيها ندب

(١) ١٩٩.

(٢) تاريخ الطبري، ١١٣/٥ - وما بعدها. وانظر البلدان لابن الفقيه الهمداني، ٢٤٤. وانظر مصنف ابن أبي شيبة، ٥/٥٦٤.

(٣) ١٩١.

الحارث بن مرة العبدي الناس إلى غزو الهند فجاوز مكران إلى بلاد قندايل ووغل في جبال القيقان)، وقال: (جمع الحارث بن مرة العبدي جمعا أيام علي وسار إلى بلاد مكران فظفر وغنم وأتاه الناس من كل وجه).

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان^(١): (وأول ما غزيت في أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

غزو الديلم:

في البلدان لابن الفقيه الهمداني^(٢): أن الربيع بن خثيم بعثه علي إلى الديلم، قبل صفين، فخرج في أربعة آلاف.

وفي الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري^(٣): (فولاهم ثغر قزوین والري، وولى عليهم الربيع بن خثيم، وعقد له لواء، وكان أول لواء عقد في الكوفة).

حصار أهل نيسابور وأهل مرو:

وذكر الطبري في تاريخه في أحداث (٣٦هـ)^(٤): (بعث علي جعدة بن هبيرة إلى خراسان)، وفيه: (بعث علي بعد ما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان، فأنتهى إلى أبرشهر، وقد كفروا وامتنعوا، فقدم على علي فبعث خلد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه، وصالحه أهل مرو).

(١) ١٨٠/٥.

(٢) ٥٦٢.

(٣) ١٦٥.

(٤) ٦٤/٥.

الخامس: هل الانشغال بالمشاكل الداخلية هو الذي جعل الخليفة الراشد ينصرف عن الفتوحات؟ أو أن للخليفة الرابع رأياً في ذلك؟

الفتوحات اتسعت، والدولة الإسلامية ترامت أطرافها، وذلك في غضون سنوات قليلة، وبقدر ما أن هذا يمثل عنصر قوة لهذه الدولة، فإنه يمثل عامل ضعف أيضاً، ولذلك ظهرت جوانب الضعف في آخر خلافة عثمان، حين ازدادت رفاهية المجتمع، وكان أغلب المسلمين الجدد ما زالوا متشربين بالقيم الجاهلية، ولم يأخذوا حظهم من التربية، وبعضهم اتخذوا الفتوح مغنماً لا دعوة، فكان ضررهم كبيراً، حتى إن بعضهم لم يتورع عن قتل الخليفة الثالث.

كل هذه العوامل، ربما جعلت علياً يترئس في أمر الفتوحات، ويعطي الجانب التربوي والتعليمي والإيماني، وإعادة صياغة المجتمع بالقيم الإسلامية، أولوية قصوى، فالحفاظ على المسلمين وتربيتهم أهم من التوسع في دعوة غير المسلمين.

وربما لو امتد الأمر بعمر لتوقف عن الفتوحات، لا سيما أنه ورد عنه إيقاف عمرو بن العاص في التوسع في أفريقية، وقال: (لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيني الماء)^(١).

وهذا هو ما فعله الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز^(٢)، فقد كان له رأي في الفتوحات، حيث أوقف التوسع في الفتوحات، وسحب القوات من

(١) طبقات علماء أفريقية، ٢١٦.

(٢) انظر مثلاً: طبقات ابن سعد، ٣٠٩/٥، وتاريخ الطبري، ٦/٥٥٣، ٥٦٨.

مناطق القتال، فأمر مسلمة بالقفول من حصار القسطنطينية، وأمر عبد الرحمن بن نعيم بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذرايرهم، واتجه عمر إلى التركيز على البناء الداخلي، ونشر العلم والتعليم، وفتح الباب للدعاة لغرس القيم الإيمانية والتربوية.

سردية الجمل وصفين والنهروان

- ١- حق الحاكم في حماية الدولة من التفكك والتمرد.
 - ٢- يحاسب الحاكم على مسؤوليته، بحسب استطاعته.
 - ٣- بمنطق مروان فإنه يبرر للتمرد على الدولة، لإدانتها الحاكم حين يواجه البغاة.
 - ٤- خلاصة معركة الجمل، وبيان السبب فيها، ومحاولة علي تفاديها، ووصول الطرفين إلى الصلح، ووجود مفسدين أسهموا في إشعال الحرب.
 - ٥- دوافع الزبير وطلحة في خروجهم على علي.
 - ٦- خلاصة معركة صفين، ودور علي في حقن الدماء، ورضاه بالتحكيم، وتنازله عن لقب أمير المؤمنين؛ حرصاً منه على إتمام الصلح.
 - ٧- خلاصة معركة النهروان مع الخوارج، ومحاولة علي لتجنب الحرب، ولم يقاتلهم حتى سفكوا الدماء وقطعوا السبيل.
- في الموضوع السابق أوضحت الأدلة القاطعة من الروايات التاريخية، وإجماع العلماء، والأحاديث الصحيحة، على شرعية خلافة علي (عليه السلام)، وكان مقتضى ذلك خضوع الولايات كلها لخلافته، إلا أن الذي حدث رفض معاوية للبيعة؛ بحجة دم عثمان، ثم خروج طلحة والزبير إلى البصرة، ثم خروج الحرورية من جيش علي؛ اعتراضاً على قبول التحكيم.

ولأهمية نقاش هذه المسائل بطريقة علمية ناقدة، وخطورة هذه القضية،

وكثرة التشنيع والتضليل والجهل بها، فقد اضطرت إلى إطالة الموضوع قليلا.

وسأتناول هذه المسألة في جزئين، أتناول في الأول سرديّة الموقف في الجمل وصفين والنهروان، وفي الجزء الثاني أتناول بقية المسائل: إنصاف علي للخارجين عليه وتعامله معهم، وعدد الصحابة المشاركين مع علي، وعدد القتلى في المعارك، ومناقشة بعض الاتهامات ذات العلاقة، ومجموعة أحاديث صحيحة تتحدث عن المعارك الثلاث.

ادعى الغفوري أن عليا "طاغية"، تسبب عطشه للسلطة في "مقتل زهاء ربع مليون مسلم خلال عامين"، وقاد "قطاع الطرق والعصابات والمرتزة"، وكان "يتحرك على موج من الناس يقتل بعضهم بعضاً، كما لو أنه ملك للجحيم"، ويضيف: "سيمضي علي في تلاعبه بالإرهاب والتمرد ظناً أن تلك السيوف ستمنحه عرش الإمبراطورية"... إلخ.

هكذا التزوير يجعل الحاكم الشرعي متمرداً، والمتمردين شرعيين!

في هذا المدخل نضع مقولة الدكتور مروان على المحك العلمي.

* حق الحاكم في ضبط النظام:

علي بن أبي طالب قضى خلافته في ترسيخ نظام الحكم، وإدارة دولة كبيرة تحت سلطته، وكسر شوكة المتمردين، وهذا حقه بوصفه خليفة المسلمين.

لم يكن علي رضي الله عنه يضع رجلا على رجل، ثم يفتح حسابه في فيسبوك، ويتصفح المتابعين الذين يتفاعلون مع صفحته بالإعجاب والردود الموافقة؛ فيمتلئ بالزهو، أما من خالفه أو عارض رأيه فيقوم بحذفهم، ويعلن على الملأ،

وكانه يبحث عن مبرر، أو يعلن للآخرين إما تظلوا أعماركم تابعين لي أو اذهبوا عني، فإذا كان المثقف الذي يدعي التسامح، لا يتقبل عدم تأييده بصوت مرفوع، فإما تمنحني تأييدك أو سألغي صداقتك، فما بالك بتقبله من يخالفه في الرأي؟! وكيف يكون مثله لو تولى منصبا؟! هذه النفسية المصابة بجنون العظمة يشرحها ويسقطها في تحليل تاريخ صحابة رسول الله ﷺ.

لم يكن علي ناشطا، ولم يكن يرتاد الفنادق، ولم يكن يبيع دينه ومبادئه للمنظمات، ولم يكن يتسول الجوائز، بل ظل يمارس الحكم وشؤونه حتى استشهاده ﷺ، فاستمرت شؤون الدولة الإدارية، واستمرت شؤونها المالية، واستمرت شؤونها السياسية، واستمرت شؤونها الاجتماعية، واستمرت شؤونها القضائية، واستمرت شؤونها التجارية، واستمرت شؤونها العلمية.

ولقد واجه الفتن بقلب شجاع، وفقه عميق، حتى قال الفقهاء (لولا علي ﷺ ما درينا القتال مع أهل القبلة)^(١)، فقد أرسى منهجا في فقه البغاة بتطبيقه وممارسته ﷺ^(٢).

كان الحفاظ على وحدة الدولة إحدى مهامه، ضمن ما يقوم به من مسؤولية إدارة الدولة بأكملها، ومن أراد معرفة سياسة الدولة وإدارة مؤسساتها، والاطلاع على الروايات التاريخية، وشهادات العلماء، فليرجع إلى كتاب "علي بن أبي طالب ﷺ أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين"^(٣)، وهذا سنتناوله في موضوع قادم.

(١) انظر البناية شرح الهداية (٧/ ٢٩٨)، والدر المختار (٤/ ٢٦١).

(٢) انظر أمثلة لهذا الفقه مجمعة في كتاب د/ الصلابي عن علي بن أبي طالب، ج ٢/ ٧٣٨-٧٤٣.

(٣) ص ٣٣٥-٥٠٠.

* الحاكم يحاسب على مسؤوليته بحسب استطاعته:

حين يحاكم مروان عليا على قتاله الخارجين، ويصفه بـ "الحاكم الضعيف"، مروان يخبرنا ببساطة أنه يجهل الفرق بين المسؤولية والقدرة!

حين يأتيك مريض لتعالجه، فمسؤوليتك تحتم عليك أداء الواجب، والقيام بمعالجته، ولو قصرت في واجب فقد تخليت عن مسؤوليتك، ولكن ليس من قدرتك أن المريض ينال الشفاء، أو تحول بينه وبين الموت.

مسؤولية الحاكم ضبط النظام، وعدم التماؤ مع الخارجين، وبذل جهده في القضاء على تمردهم، فهو حين يقصر في هذه المسؤولية يحاسبه الناس الذين ائتمنوه، أما مجرد العجز والضعف عن القضاء على التمرد، فليس عيبا في الحاكم، والحاكم متى أدى واجبه، فقد أوفى بما عليه، حتى لو قُتل، حتى لو كان يعلم أنه سيُغتال نتيجة ذلك.

وهذا ما فقهه عثمان من قبله، الذي رفض التنازل عن المسؤولية، واستمر حتى قُتل، ولم يعبه ذلك، ولم يعبه العجز والضعف الذي كان عليه مقابل المتمردين المنقلبين على الدولة، وعلي حين حمله الناس الأمانة، وبايعوه، فتحمل مسؤولية ذلك كان عليه الاستمرار في أداء المهمة حتى آخر نفس.

وعبر التاريخ، كثير من القادة قاتلوا حتى قتلوا، لم يستسلموا ولم يجنبوا أو يهنوا لمجرد أنهم أضعف من خصومهم.

فلو كان معيار "الضعف عن الخصم" فاعلا، فلماذا إذن لم تُسلم الحكومات الشرعية، بما يفرضه الخارجون من سلطة الأمر الواقع!

لماذا إذن لا تخبرهم أنهم ضعفاء، وأن عليهم الاستسلام، والخضوع لقوة المتمردين، والا فائدة من المقاومة؟!

* هل مروان يبرر للجماعات الإرهابية التمرد على الدولة؟

ومن تناقضات مروان أنه يبرر لأي جماعة تتمرد على الدولة، وهذا في أكثر من مقال، وأكتفي بمقاله عن "علي والأشتر"، مناقشة، يقول مروان: "قام وجمع جيشه وزحف إلى العراق ثم الشام ليخوض حربين ضد جيشين يقودهما كبار الصحابة وزوجة النبي، متسببا في شرخ الإسلام إلى فلتتين متقاتلتين حتى الآن". كون هذا الكلام مخالفا للروايات التاريخية، فستجاوز نقاشه الآن، لمناقشة تناقض مروان.

فحين يزور مروان التاريخ ويصور الخليفة الشرعي أنه أخطأ في مواجهة الخارجين، وأنه سبب شرخا للدولة، وأنه هو المتمرّد!، فهذا المنطق أيضا: ألم تخطئ "الحكومات الشرعية" في العالم العربي في مواجهة المتمردين والخارجين؟! ألم تخطئ مختلف الدول في مواجهة المتمردين؟ إن الدولة بمنطق مروان، هي المتسببة في الفوضى والدمار لا المتمردين، الحكومة الشرعية - بمنطق مروان - هي المتسببة في دمار البلاد والفوضى التي فيها، وليس المتمرّدون، هي شهادة ودعاية يفرح بها كل متمرّد، يقدمها مروان مجانا، دون أخذ مقابل.

بهذا المنطق يتناول مروان خلافة علي عليه السلام، وإذا عرفنا المنطلق فما بعده مجرد تفاصيل، الرسول ﷺ، والحديث في صحيح البخاري ومسلم، يقول لعمار (تقتلك الفئة الباغية)، ومنطق المستغربين يقول: أنت يا رسول الله لا تفهم، بل علي هو الفئة الباغية المتمردة!

الصحابه بايعوا علياً عليه السلام، ويكفيك الرجوع إلى كتاب ابن تيمية (منهاج السنة)، لبيان من الحاكم الشرعي ومن الفئة الباغية المتمردة!، (وقد تناولناه في الموضوع السابق).

* علي الخليفة يحاول لملمة الصفوف (سردية معركة الجمل):

لمن أراد الفائدة فليقرأ قصة معركة الجمل في فتح الباري^(١)، قال ابن ناقدًا للروايات: "وقد جمع عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة قصة الجمل مطولة وها أنا أخصها وأقتصر على ما أورده بسند صحيح أو حسن وأبين ما عداه".

حين ولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... الخلافة، وأصبح الخليفة الشرعي، كتب إلى الولاة يأمرهم بالطاعة، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، ولكن معاوية رفض، بحجة "القصاص من قتلة عثمان"، وطالت المراسلات، فكان لا بد للخليفة من إنهاء شق عصا جماعة المسلمين، فتوجه علي إلى الشام، وفي أثناء الطريق بلغه خروج الزبير وطلحة وعائشة عليهن السلام إلى البصرة، وهناك استولوا عليها، وعلى بيت مالها^(٢).

والسؤال: لماذا خرجوا إلى البصرة؟ لا يهمنا كثيرا معرفة الدوافع التي دفعتهم إلى الخروج، بقدر ما يهمنا الحدث نفسه: هل هو صواب أو خطأ؟ وما الواجب على الخليفة فعله؟

(١) ٥٤/١٣ - وما بعدها.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ٥٤٣/٧.

لو أن كل جماعة في الدولة أرادت أن تتحرك من تلقاء نفسها بعيدا عن سلطة الرئيس، لتحولت الدولة إلى فوضى، وتمزقت إلى دويلات، واليمن اليوم مثال حي على ذلك! ولو أن الخليفة ترك كل فئة تفعل ما تريد لباء بلعنة التاريخ.

أفيقف علي، وهو الخليفة الشرعي، مكتوف اليدين تجاه تفكك الدولة، وتفرق الجماعة؟!

على أي حال، اتجه الخليفة الراشد إلى الزبير وطلحة وعائشة في محاولة منه لإنهاء أي نزاع بدأ في الأفق.

ما كان موقف علي رضي الله عنه؟

لا نعتقد أن أحداً من هؤلاء الصحابة [الذين في الجمل] يريد قتال الآخر، ولكن كان أولى بالجميع اتباع الخليفة الشرعي، وعدم ترك الفرصة للغوغاء باستغلال هذا الخلاف، حتى وصل الأمر إلى ما لم يستطع أحد منهم رده، ومهما يكن من أمر، فإن الخليفة الشرعي من مسؤوليته وواجبه منع شق العصا، ولا يمكن لأحد إدانته حين يفعل ذلك.

اتجه الخليفة حتى نزل بذي قار، وبقي فيها أياما، وهناك كلف القعقاع بالذهاب إلى الزبير وطلحة وعائشة، لمحاولة ثنيهم عن النزاع، وإنهاء الفرقة التي سببها بين المسلمين، كما في الطبري^(١)، وقد نجح القعقاع في مهمته، وأقنعهم، وكاد الصلح يحدث، فلما رجع القعقاع وأخبر عليا، استبشر علي، وقرر التوجه إلى البصرة لملاقاة الزبير وطلحة؛ فرحا بالصلح المنجز، وتأسيسا لاتفاق يعود

(١) ٤٨٨/٤.

بالنفع على الأمة، ولكنه أراد التأكد من الاتفاق؛ حتى لا يلتقي الجيشان على حرب، فأرسل رجلين يستوثقان أنهما على صلح القعقاع، فلما تأكد من ذلك دعا أصحابه لدخول البصرة، وقال حينئذ^(١): "ألا وإني راحل غدا فارتحلوا [أي إلى البصرة]، ألا ولا يرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم".

فلما سمع مقولته أهل الفتنة، استشعروا بالخطر القادم، فقرروا إشعال الحرب حين يلتقي علي بالزبير وطلحة، دون علم أحد منهم.

في تاريخ الطبري^(٢): "لما أراد علي الخروج من الربرة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهما الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً".

فموقف علي واضح: دعوة الخارجين إلى العودة إلى رشدتهم، فإن لم يجيبوا يتركهم وشأنهم ويصبر، فإن لم يرضوا يتركهم بشرط ألا يبدأوا القتال، فإن قاتلوا فلا بد من مدافعتهم، أي منهج سياسي يرسمه الخليفة الشرعي بحكمة، وهو يتعامل مع الخارجين على الدولة؟!، منهج كله فقه وحكمة ومسؤولية، نحتاج اليوم أن نتعلم منه، وندرسه بتفاصيله.

وروي أن عليا وطلحة والزبير اتفقوا^(٣).

(١) ٤٩٣/٤.

(٢) ٤٧٩/٤.

(٣) كابن أبي شيبة في مصنفه، ٥٣٧/٧.

ولكن على أي حال، حين التقى أهل الكوفة وأهل البصرة، كل قبيلة بجوار أختها، والناس منتظرة إتمام الصلح، سعى المفسدون إلى التحريش بين الطرفين، فاعتقد كل منهم أن الآخر خدعه وأشعل المعركة.

كيف نشب القتال إذن؟

جاء في مصنف ابن أبي شيبة^(١)، عن زيد بن وهب يحدث عن علي رضي الله عنه: "فَكَفَّ [أي علي] عن طلحة والزبير وأصحابهما، ودعاهم حتى بدءوه فقاتلهم بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عين تطرف ممن كان يذب عنه، فقال علي: لا تتموا جريحا ولا تقتلوا مدبرا ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن؛ فلم يكن قتالهم إلا تلك العشية وحدها" [قال ابن حجر: سند صحيح^(٢)].

وفي سنن البيهقي^(٣) أن عليا قال لأصحابه يوم الجمل، حين صفهم: "لا يرمين رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدؤا القوم بالقتال، وكلموهم بالطف الكلام".

في الحديث بيان واضح أن عليا حاول اجتناب القتال، ولم يبدأ القتال حتى بدأوه، وهذه الروايات تبين أن الذي بدأوا كانوا في جيش الزبير وطلحة، ولا نشك أنهم من المفسدين، وإلا فقد كان اتفاق علي والزبير على الصلح.

وحتى أثناء القتال، كما في الطبري، كان منادي علي يصيح: "ألا كُفُوا، ألا كُفُوا"^(٤)، وجاء في الطبري أن الناس وقت المعركة، من الفريقين، تنادوا:

(١) ٥٤٥/٧.

(٢) فتح الباري، ١٣/٥٧.

(٣) ٣١٣/٨.

(٤) البداية والنهاية، ١٠/٤٥٥.

"طَرَفُوا"^(١)، أي اجتنبوا القتل، واقطعوا الأيدي إذا لزم الأمر؛ تجنبنا لسفك الدماء.

وحين بدأت المعركة، أمر علي أصحابه بعقر جمل عائشة؛ لإيقاف المعركة، وقال، كما في الطبري^(٢): "اعقروا الجمل، فإنه إن عُقِرَ تفرقوا"، فعقروه فوقفت المعركة، قال ابن حجر في فتح الباري^(٣): "وأخرج بن أبي شيبة بسند جيد عن عبد الرحمن بن أبزى قال: انتهى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة يوم الجمل وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنين أتعلمين أني أتيتك عندما قتل عثمان، فقلت: ما تأمريني؟ فقلت: الزم علياً، فسكتت، فقال: اعقروا الجمل، فعقروه، فنزلت أنا وأخوها محمد، فاحتملنا هودجها، فوضعناه بين يدي علي، فأمر بها فأدخلت بيتاً".

وتوجيه علي بعقر الجمل فيه دلالة على الذكاء العسكري المتقدم؛ فقد أدرك الصنبور الذي بإيقافه تتوقف المعركة كلها، وبقائه تزداد المعركة اضطراباً، والناس هلاكاً؛ فوجود أم المؤمنين سيزيد من حماسة أصحاب الجمل، وتستمر المعركة متقدمة، وقد توقفت المعركة فعلاً بمجرد عقر الجمل، وبذلك كان عقر الجمل من أحسن الخطط العسكرية التاريخية في سرعة إنهاء الحرب، وإيقاف نزيف الدماء.

وقد أكرم علي عائشة، وحملها معززة مكرمة، وردها إلى المدينة، مع وفد خاص، منهم أخوها محمد بن أبي بكر.

(١) ٥١٥/٤.

(٢) ٥١٩/٤.

(٣) ٥٧/١٣.

كما أن علياً أكرم ولدي طلحة بن عبيد الله، فبايعاه، وبايعه أهل البصرة.

جاء في سنن سعيد بن منصور^(١)، قال مروان بن الحكم، وهو أمير بالمدينة، لعلي بن الحسين بن علي: ما رأيت أحداً أحسن غلبة من أبيك علي بن أبي طالب، ألا أحدثك، عن غلبته إيانا يوم الجمل؟ لما التقينا يوم الجمل توافقنا، ثم حمل بعضنا على بعض، فلم ينشب أهل البصرة أن انهزموا، فصرخ صارخ لعلي: لا يقتل مدبر، ولا يذفف على جريح، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن، ومن طرح السلاح آمن، قال مروان: وقد كنت دخلت دار فلان، ثم أرسلت إلى حسن وحسين ابني علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر فكلموه، قال: هو آمن فليتوجه حيث شاء، فقلت: لا والله ما تطيب نفسي حتى أبايعه فبايعته، ثم قال: اذهب حيث شئت).

وبعد المعركة بثلاثة أيام، بعث عليُّ المهلب بن أبي صفرة بالأمان للفارين من البصرة، وقال له: (اخرج في أثر أهل البصرة نحو الأهواز والبادية، فأمنهم وأخبرهم أن يرجعوا إلى منازلهم، في ذمة الله وذمة نبيه، فقد عفا الله عما سلف، ومن عاد فينتقم الله منه)، ونجح في مهمته، وتيامن الناس بلواء المهلب^(٢).

وبهذه السياسة الحكيمة مع الخصوم، تعامل علي، وكسب بيعتهم، وكانت الأمة ستجتمع عليه كلها، لولا معاوية.

ولقد جاءت الروايات العديدة عن ندم الصحابة الذين شاركوا في الجمل:

(١) ٣٣٧/٢.

(٢) الأنساب لسلمة الصحاري، ٦٢٩. وبالمناسبة نقل ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٠٥/٦، أن المهلب (أول من عقد له لواء علي بن أبي طالب حين انهزممت الأزدي يوم الجمل).

علي، وعائشة، وطلحة، والحسن، وغيرهم رضي الله عنهم ^(١)، وهذا دليل على كراهيتهم لسفك الدماء، وأن القتال لم يكن بقصد أحد منهم إليه، وأنهم تمنوا عدم حدوث ما حدث، ولكنها فتنة لم يكن بيد أحدهم تفاديها.

هؤلاء الصحابة لهم من الفضائل والمزايا ما يوجب علينا النظر في تاريخهم بحسن الظن، وعدم التحامل والتطاول عليهم، وفضائلهم تمتلئ بها كتب الحديث، وثمة روايات صحيحة عن علي في ذكر فضائل الزبير، وغضبه على مقتله ومقتل طلحة.

وهنا أسجل أنني كنت أتمنى عدم الخوض في هذه الأحاديث، وعدم إثارتها، وحسبي القول مع عمر بن عبد العزيز حين سئل عن قتلى صفين ^(٢): «تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني فيها»، ولكن واجب البيان، ومسؤولية الدفاع عن الحق الذي انبرى له من أراد تزييفه، وجعله باطلا، وتضليل الناس بذلك، والله المستعان.

ولقد أنكر بعض العلماء وقوع معركة الجمل؛ وذلك لأنهم لم يصدقوا أنه يحصل بين خير الناس اقتتال، قال ابن حجر ^(٣): (وقد حكى عياض، عن هشام وعباد أنهما أنكرا واقعة الجمل أصلا ورأسا، وكذا أشار إلى إنكارها أبو بكر بن

(١) انظر مصنف ابن أبي شيبة، ٥٣٩/٧، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦. وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٩١٠/٣ [قالت عائشة لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلا قد غلب عليك، وظننت أنك لا تخالفينه - يعني ابن الزبير. قالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت].

(٢) حلية الأولياء، ٩/١١٤.

(٣) التلخيص الحبير، ٨٤/٤.

العربي في العواصم، وابن حزم، ولم ينكرها هذان أصلاً ورأساً، وإنما أنكرا وقوع الحرب فيها على كيفية مخصوصة، وعلى كل حال فهو مردود؛ لأنه مكابرة لما ثبت بالتواتر المقطوع به)، والصحابة بشر يصيبون ويخطؤون، ووقوع القتال بينهم خطأ بلا شك، ولكنه لا يهدم مكانتهم وسابقتهم وفضلهم؛ فحسابهم على ربهم.

* دوافع الزبير وطلحة في خروجهم على علي:

زعم فلهوزن أن عائشة خرجت للثأر لعثمان من الخليفة الجديد، والتف حولها قادة الحرب، وأنها مع الزبير وطلحة كانوا قواد الثورة ضد علي^(١).

وهذه الفرية التي تجد صداها في كتابات مروان، لا تستند إلى حقائق التاريخ، هذه الفرية مجرد إساءة للصحابة دون برهان من النقل، ودون منطق من العقل.

وإذا بحثنا عن دوافع الزبير وطلحة وعائشة في خروجهم، سنجد مقولات عديدة تفسر دوافع خروجهم، وكلها تفتقر إلى صحة النقل أو سلامة العقل، ومن تلكم الدوافع: خلع علي، الثأر لعثمان، الإصلاح بين الناس.

ترك ابن العربي يفند الأوليين، فيقول^(٢):

"أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه، ولكن لأي شيء خرجوا؟ لم يصح فيه نقل، ولا يوثق فيه بأحد لأن الثقة لم ينقله، وكلام المتعصب لا يسمع، وقد دخل على المتعصب من يريد الطعن في الإسلام واستنفاص الصحابة.

(١) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص ٥٢.

(٢) ص ١٥٠ - وما بعدها.

فيحتمل أنهم خرجوا خلعةً لعلّي لأمر ظهر لهم، وهو أنهم بايعوا لتسكين الشائرة، وقاموا يطلبون الحق، ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان، ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين، وضم نشرهم، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا، وهذا هو الصحيح، لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار.

فأما الأقسام الأولى فكلها باطلة وضعيفة: أما بيعتهم كرهاً فباطل قد بيناه، وأما خلعهم فباطل؛ لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان، وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة، ويمكن أن يجتمع الأمران.

ويروى أن في تغييهم قطع الشغب بين الناس، فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهن رجاء أن يرجع الناس إلي أمهم فيرعوا حرمة نبيهم، واحتجوا عليها بقول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح وأرسل فيه، فرجت المثوبة، واغتنمت القصة، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها" اهـ.

ثم إن الزعم أن عائشة أو الزبير أو طلحة خرجوا للثأر لعثمان من علي، ينقضه عدة أمور، منها^(١):

الأول: أن الروايات الواهية تتهم هؤلاء جميعاً بمقتل عثمان، فمن يثأر

ممن؟!

(١) موقف المستشرقين من الصحابة، ٤٨ - وما بعدها.

الثاني: هل يعقل أن البصرة التي تقول الروايات أن مجموعة من أبنائها شاركوا في قتل عثمان، ثم يذهب الزبير وصحبه للقصاص من قتلة عثمان في عقر دارهم؟!

الثالث: من فوض الصحابة في المطالبة بدم عثمان؟ أولياء الدم أو الخليفة؟ فإن كانوا أولياء الدم فلا بد من التقدم للخليفة لطلب القصاص من القتلة، وإن كان الإمام فلماذا يقاتلهم؟! وإن كانوا من أنفسهم فقد خرجوا على سلطة الخليفة، وله مقاتلتهم.

الرابع: لماذا يخرجون من مكة إلى البصرة لقتال علي، في حين أن عليا كان في المدينة، قريب من مكة! وإن قيل يبحثون عن الرجال، فقد كانوا في موسم الحج، ومكة غاصة بالمسلمين من كل مكان، وكانوا قادرين بهم على محاصرة قتلة عثمان في المدينة!

الخامس: لماذا لم يذهبوا إلى الشام ويعقدوا اتفاقية مع معاوية للمطالبة بدم عثمان، ثم يخرجون سويا؟!

السادس: وإذا لم يكونوا يريدون عليا، فلماذا لم يتفقوا مع معاوية وكبار الصحابة ويقوموا بخلع علي وتعيين طلحة أو الزبير؟!

ويضاف إلى ذلك، ما احتج به القعقاع عليهم، حين قال له الزبير وطلحة أنهم خرجوا لمقتل عثمان، فقال^(١): فذكر لهم أنهم لم يتمكنوا من قتل حرقوص بن زهير، المتهم بقتل عثمان، وهو في البصرة؛ إذ منعه ستة آلاف رجل، فلو دعوا لقتل عثمان؛ فليبدأوا به ومن منعه من أهل البصرة، ممن هم تحت سلطتهم.

(١) تاريخ الطبري، ٤/ ٤٨٨.

وأما مقولة أنهم خرجوا للإصلاح بين الناس، فهي مقولة واهية أيضا، ذلك أننا نتساءل: ما النزاع الذي أرادوا حسمه، والإصلاح فيه؟

حين بويع علي، بايعته الأمصار، ولم يتخلف سوى معاوية وأهل الشام، فلو كانوا يريدون الإصلاح بين الناس، لذهبوا إلى معاوية لإقناعه، وقاموا بالصلح بينه وبين علي، لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل ذهبوا إلى البصرة، والبصرة كان أمرها مستقرا، وواليتها سهل بن حنيف الذي عينه علي.

ثم إن ذهابهم إلى البصرة أحدث النزاع بين الناس، وحدثت مقتلة داخل البصرة، فكيف أرادوا الإصلاح؟

هذا لا يعني التشكيك في دوافعهم، ولكنني أناقش مقولة أنهم خرجوا للإصلاح بين الناس، فلا النقل ولا العقل يسند هذه الدعوى.

إذا كانت دوافع معاوية واضحة للعيان في رفضه للبيعة، بالرغم من احتجاجه بدم عثمان، فإن دوافع الزبير وطلحة وعائشة مبهمة وشديدة الغموض، والنصوص التي بين أيدينا لا نستطيع منها الوصول إلى جلاء دوافعهم في هذا الخروج.

وقد ورد عنهما في رواية صحيحة^(١) أنهما خرجا على علي وهم لم يروا فيه ظلما أو استئثارا بمال أو سلطة، قال ابن عباس: أرسلني علي إلى طلحة والزبير

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٢/٦)، وفضائل الصحابة، ٥٩٦/٢. وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح. وزاد ابن عساكر في تاريخ دمشق: (قال ابن عباس: فأتيته عليا فأخبرته بما قال الزبير، فدعا علي بالبعلة فركبها، وركبت معه، ودنا حتى اختلفت أعناق دوابهما، ووقفت حتى أسمع كلامهما، فسمعت علي يقول: أناشدك بالله هل تعلم يا زبير أني كنت أنا وأنت في سقيفة بني فلان، تعالجنني وأعالجك، فمر بي رسول الله ﷺ) فقال: "كأنك تحبه"؟ قلت: وما يمنعني؟ قال: "أما ليقاتلنك وهو الظالم" قال الزبير: اللهم ذكرني ما قد نسيت. قال: فولي رجعا).

يوم الجمل ، قال: فقلت لهما: إن أخاكما يقرئكما السلام ويقول لكما: هل وجدتما علي في حيف أو في استئثار في فيء أو في كذا؟ قال: فقال الزبير: «لا، ولا في واحدة منهما ، ولكن مع الخوف شدة المطامع».

ولذلك، كما بينا من قبل أن مجرد خروجهم لأي سبب كان، لا يصح؛ مع وجود خليفة شرعي، لم يكن ينبغي التحرك بدون أمره، ولذلك فبغض النظر عن دوافعهم، فإن وصف موقفهم يصدق عليه: البغي، وهو الوصف الذي استخدمه أمير المؤمنين علي، قائلاً عنهم: إخواننا بغوا علينا^(١).

* حقيقة موقف علي في معركة صفين:

ذكرت سابقا رفض معاوية بيعه علي، بحجة القصاص من قتلة عثمان، [وسنناقش هذه الحجة في نهاية هذا الجزء]، روى ابن أبي شيبة بسنده عن معاوية^(٢): "ما قاتلت عليا إلا في أمر عثمان"، ومع تمرد أهل الشام، ورفضهم الخضوع للخليفة الشرعي، وكانت بينهم مراسلات، وممن أرسلهم علي إلى معاوية: جرير بن عبد الله البجلي، ولكن معاوية رفض، وأعلن الحرب بتمرده على الخليفة؛ فقرر علي التوجه إلى الشام؛ لإخضاعها، فخرج معاوية للقتال، فالتقوا بصفين، وقد كانت بين الطرفين مراسلات كثيرة؛ لمحاولة تجنب الحرب وسفك الدماء.

معظم الروايات في معركة صفين، روايات مطعون فيها؛ فهي قائمة على رواية أبي مخنف والواقدي وغيرهم من المتروكين والضعفاء، وأبو مخنف أجمع

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٣٥ / ٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٠ / ٨)، وغيرهم.

(٢) ١٨٧ / ٦.

النقاد على تركه وضعفه^(١)، قال عنه أبو حاتم في الجرح والتعديل "مترك الحديث"، وقال ابن معين في تاريخه "ليس بشيء"، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: "إخباري تالف لا يوثق به"... إلخ، ويقول اليعقوبي في كتابه: (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة - دراسة نقدية) بعد دراسة تلك الروايات: (جميع أسانيد أبي مخنف ضعيفة، ولا تقتصر علتها على كونه ضعيفا، إذ لا يخلو سند منها من إرسال، أو انقطاع، أو عضل، أو تدليس، أو ضعف في الرواة ممن فوقه)^(٢).

ولا يقف الشك في قصص صفين على ضعف الأسانيد والشك في الرواة الذين نقلوا تلك الأحداث، بل إن النقد التاريخي لتلك الأحداث يجعلها في مهب الريح، كل ما تبقى لنا من قصة صفين هو حدوثها، أما تفاصيل الأحداث فلا نكاد نمسك بشيء منه.

يقول اليعقوبي^(٣): جميع روايات صفين عند الطبري، التي تلقاها عنه المؤرخون والكتاب المعاصرون، كلها عن طريق أبي مخنف، سوى سبع روايات جاءت من طرق أخرى، وهي بمجموعها لا تعادل رواية مطولة من روايات أبي مخنف.

يقول اليعقوبي أيضا^(٤): قضية التحكيم بين علي ومعاوية بعد جمع طرقها ودراسة أسانيدها ومتونها ثبت بطلانها من وجوه كثيرة... إلخ.

(١) راجع هذه النقولات موثقة في كتاب مرويات أبي مخنف، اليعقوبي، ص ٤٣.

(٢) ص ٤٨٨.

(٣) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٤٨٨.

(٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٤٨٩.

إذن لنناقش المسؤولية في الحرب.

قال ابن تيمية في منهاج السنة^(١)، وهو يبرئ عليا من مسؤولية القتال في صفين، ويحمل الطرف الآخر:

"وأما قول القائل: (إن عليا بدأهم بالقتال).

قيل له: وهم أولا امتنعوا من طاعته ومبايعته، وجعلوه ظالما مشاركا في دم عثمان، وقبلوا عليه شهادة الزور، ونسبوه إلى ما هو بريء منه.

وإذا قيل: هذا وحده لم يبح له قتالهم.

قيل: ولا كان قتاله مباحا لكونه عاجزا عن قتل قتلة عثمان، بل لو كان قادرا على قتل قتلة عثمان وقدر أنه ترك هذا الواجب: إما متأولا وإما مذنبا، لم يكن ذلك موجبا لتفريق الجماعة، والامتناع عن مبايعته، ولمقاتلته، بل كانت مبايعته على كل حال أصح في الدين، وأنفع للمسلمين، وأطوع لله ولرسوله من ترك مبايعته" اهـ.

وقول ابن تيمية أن عليا بدأهم بالقتال، يرد عليه ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل^(٢): (وأما أمر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي الله عنه لا امتناعه من بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره، لكن قاتله لا امتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهو الإمام الواجبة طاعته؛ فعلي المصيب في هذا).

(١) ٤١٠/٤.

(٢) ١٢٤/٤.

فمعاوية هو الذي أعلن الحرب؛ برفضه إنفاذ أمر الخليفة.

ومعاوية لم تعد له صفة قانونية في الدولة، فقد كان واليا على الشام، فلما عزله الخليفة لم يعد واليا، بل أصبح متغلبا، ويتحمل معاوية مسؤولية الدماء المراقبة في صفين، وبذلك يتضح أن معاوية جمع بين التمرد والبغي والتغلب، فتمرده لعصيانه أمر الخليفة، وبغيه بإعلانه الحرب وقتاله الخليفة، والتغلب لاستخدامه قوة الشام [وهي قوة تتبع الدولة]، استخدمها في قتال الخليفة، وتهديد الدولة.

ثم إن عليا؛ حرصا منه على حقن الدماء رضي بالتحكيم، ورضي بكتابة اسمه مجردا عن "أمير المؤمنين"؛ حتى يتم التحكيم.

ففي مسند أحمد^(١)، أن عليا رضي الله عنه قال، حين دُعي إلى التحكيم: "أنا أولى بذلك"، وهذا يدل على موقفه من الفرع بحقن الدماء، والسعي في ذلك، بالرغم من حقه الشرعي في إنهاء التمرد بأي وسيلة.

وتذكر كتب التاريخ^(٢) أن عليا أثناء التحكيم، حين رفض عمرو بن العاص كتابة "علي أمير المؤمنين"، وقال: هو أميركم وليس أميرنا، فقال علي: امح أمير المؤمنين، واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب، وقصة الحديث مروية عند النسائي وغيره.

* علي والخوارج:

يقول مروان: "بعد عام سيفتك علي بالآلاف من رجاله السابقين في معركة النهروان ممن اعترضوا على إدارته العسكرية والسياسية".

(١) (١٥٩٧٥)، بسند صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر البداية والنهاية، ١٠/ ٥٥٥.

من الافتراء الزعم أن علياً قاتل الخوارج (أو بتعبير مروان: يفتك بهم)؛ لمجرد معارضتهم له، والنصوص تقول أنه قاتلهم بعد أن سفكوا الدماء، وقطعوا السبيل، ولم يقاتلهم حتى أقام الحجة عليهم، ناظرهم بنفسه، وبعث ابن عباس لمناظرتهم، وخرج بنفسه إليهم ليردهم إلى الجماعة، أيفعل هذا من يرغب في سفك الدماء؟! وحين كانوا في الكوفة لم يزج بهم في السجون، بل ترك لهم حريتهم، يتصرفون كما شاءوا، شريطة ألا يعتدوا.

وقصص المناظرات تمتلئ بها كتب التاريخ، ومن قصص مناظرات علي ما أخرجه أحمد^(١)، وهو حديث طويل فيه حوار علي للخوارج، ودعوتهم إلى الحق، وفي الحديث بيان لما نقمه الخوارج على علي، [نقموا عليه: قبول التحكيم، وحذف لقب أمير المؤمنين من اسمه، وحمايته لعائشة]، وكلها فضائل دينية وسياسية، أراد بها علي جمع كلمة المسلمين والتأليف بينهم واجتناب سفك الدماء، ثم قال لهم: "بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلًا أو تظلموا ذمّةً، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين".

قال عبد الله بن شداد، وكان يروي الحديث لعائشة، بعد انتهاء القصة: فقالت له عائشة: يا ابن شداد، فقد قتلهم؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة، فقالت: الله؟ قال: الله الذي لا إله إلا هو لقد كان، قالت: في شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون: ذو الشديّ وذو الشديّ؟ قال: قد رأيته وقمت مع عليّ عليه في القتلى، فدعا الناس، فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيت

(١) (حديث رقم ٦٥٦)، وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

في مسجد بنى فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك، قالت: فما قول على حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟، قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟، قال: اللهم لا، قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً، إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث"، أ، هـ.

في هذا الحديث بيان واضح لسبب القتال، ومتى بدأ القتال مع الخوارج، وقرأ تاريخ الطبري^(١)، وغيره من كتب التاريخ لتعرف ما عمله الخوارج من سفك الدماء بلا سبب، وقطع الطرق، وقتلوا عبد الله بن خباب وبقروا بطن جاريته، ورغم ذلك لم يقاتلهم، بل بعث إليهم أن يسلموه القتلة، فقالوا باستكبار: كلنا قتله.

وحين خرج علي لقاتلهم، وعظهم وحذرهم قبل القتال، ونقل خطبته تاريخ الطبري^(٢).

ثم إن علياً قبل المعركة، كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية^(٣): "أمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا في دمائكم، إلا في من قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا في أربعة آلاف فلم يبق منهم إلا ألف - أو أقل".

بهذا يتضح لكل ذي عينين أن علياً حاول اجتناب القتال في كل معاركه

(١) ٨١/٥ - وما بعدها.

(٢) ٨٤/٥

(٣) ٥٨٧/١٠.

الثلاث، وسعى في حقن الدماء، والنصوص الصريحة الصحيحة المنقولة من كتب السنة، قبل كتب التاريخ دليل بين علي ذلك.

ولكن ما لا يقوله مروان عن حقيقة نشوء الخوارج، فهو يزعم أن عليا هو المؤسس الفعلي للخوارج، ويزعم أن الخوارج خرجوا معترضين على سياسة علي! فهاتان المقولتان متناقضتان: أهو الذي أسسهم؟ أم هم خرجوا معترضين عليه؟

ما ينبغي أن يقال هنا، أن سياسة علي المتزنة في قتال البغاة، المتمثلة في معاملتهم كبغاة، وليسوا مرتدين أو مشركين، فلم يكن علي يجهز على جريح، ولا يتبع مدبرا، ولا يقتل أسيرا، ومنع السبي، ومنع السلب، بل رد الأموال إلى جيش البصرة، وفي صفين حين رضي بالتحكيم، رغبة في حقن الدماء، هذه السياسة الحكيمة هي التي أدت إلى اعتراض الخوارج عليه، وقالوا: كيف تحل دماءهم؟ ولا تحل أموالهم ونساءهم؟ فقال علي^(١): (كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوها على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم)، وبهذه الحجة أسكتهم علي، ولم يترك لهم مجالا للقول، وعرف علي كيف يحسم الأمر بطريقة سريعة.

ولقد كان ذلك جهل من الخوارج بالفرق الشرعي بين الباغي وقتاله، والكافر وقتاله، نتيجة الفهم الظاهري الحرفي للدين، ولذلك مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، أما علي الذي رباه رسول الله ﷺ، فقد شرع للناس أحكام قتال البغاة، بفقهِه دقيق، وسياسة حكيمة.

** ** **

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ٧ / ٥٣٧.

على ضفاف الجمل وصفين والنهروان

- ١- إنصاف علي للبغاة، وتعامله بمسؤولية الحاكم للجميع، فكان يثني عليهم، ويصلي على القتلى من الطرفين، ولا يمنعهم حقوقهم.
 - ٢- تبرئة علي من الافتراء عليه أنه كان يعد المقاتلين بالمغنم من تلك الحروب.
 - ٣- الصحابة المشاركون مع علي في الجمل نحو ١٢٠٠ صحابي، وفي صفين ٨٠٠ من أهل بيعة الرضوان فقط.
 - ٤- حروب علي لم تكن حروب فتنة.
 - ٥- من الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة؟
 - ٦- نقد لفرية القائل أن عليا تحالف مع المرتزقة، وبيان قوام جيش علي، وقادة جيوشه.
 - ٧- عدد أيام كل المعارك التي خاضها علي لا يتجاوز خمسة أيام، فكم سيكون عدد القتلى (عرض لاضطرابات المؤرخين في تقدير الأعداد)؟
 - ٨- اتهام علي بقتل الزبير وطلحة.
 - ٩- اتهام علي بسفك الدماء والرغبة في القتال.
 - ١٠- نبوات الرسول ﷺ الصحيحة عن المعارك الثلاث.
- في الموضوع السابق بينت سردية المعارك الثلاث: الجمل، وصفين،

والنهروان، وفقا لأصح الروايات التاريخية، ونستكمل هنا الحديث عن بقية هذا الموضوع.

* كيف أنصف علي المتمردين عليه، قولا وفعلا؟

وإذينا، براءة علي عليه السلام مما نسب إليه زورا (من أنه مغامر، باحث عن الحروب على الجماجم)، فلننظر في إنصاف الخليفة الراشد تجاه من خرج عليه، وكيف تعامل معهم، بالرغم من بغيتهم، فقد كان هو الحاكم المسؤول الذي لا يظلمهم حقا، ولا يغمطهم فضلا، وهذه نصوص موجزة، من عشرات النصوص غيرها:

حين سأله أصحابه عن أهل الجمل: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، ف قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل: فما هم، قال: إخواننا بغوا علينا^(١).

هذا الوصف ثابت لكل من خرج على علي عليه السلام، وهو البغي، وهذا ما درج عليه الفقهاء والعلماء عبر التاريخ، إلا من شذ محاولا الالتفاف على هذا المصطلح بالزعم أنها حروب فتنة، نعم هي فتنة، ولكن الوصف ثابت تجاه من خرج على الحاكم، بغض النظر عن النوايا، قال الرافعي: (ثبت أن أهل الجمل وصفين والنهروان بغاة)، وعقب ابن حجر بقوله: (هو كما قال)^(٢).

ووصف علي بأنهم بغاة، هو وصف سياسي سليم، وتصوير للحرب على أنها حرب سياسية، وليست حربا عقدية، وبذلك لم يتورط علي في تكفير خصومهم، فنأى بالجانب الديني عن المعركة وتوصيفها أنها معركة كفر وإسلام،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٣٥ / ٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٠ / ٨)، وغيرهم.

(٢) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ٨٤ / ٤.

بل هي معركة عدل وبغي.

يقول ابن تيمية في منهاج السنة^(١): "وشر من قاتلهم علي هم الخوارج، ومع هذا فلم يحكم فيهم بحكم الكفار، بل حرم أموالهم وسبيهم، وكان يقول لهم قبل قتالهم: إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا، ولا حقكم من فيئنا، ولما قتله ابن ملجم قال: إن عشت فأنا ولي دمي، ولم يجعله مرتدا بقتله، وكذلك أهل صفين كان يصلي على قتلاهم، ويقول: إخواننا بغوا علينا طهرهم السيف، ولو كانوا عنده كفارا لما صلى عليهم، ولا جعلهم إخوانه، ولا جعل السيف طهرا لهم".

نص يبين بوضوح حقيقة الخليفة الراشد المنصف حتى في تعامله مع المتمردين عليه، منصف في القول والفعل.

وأما الحديث المنسوب إلى علي أنه قال: "عهد إلي النبي ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين"، فضعفه العلماء، وقال عنه الذهبي: لم يصح، وقال الشوكاني: فيه متروكان^(٢).

وبعد صفين، مر علي هو متكئ على الأشر، على قتلى صفين، فرأى الأشر رجلا اسمه "حابس اليماني"، وكان من أهل العبادة والاجتهاد، فقال الأشر: أما والله لقد عهدته مؤمنا، فقال علي: «والآن هو مؤمن»^(٣)، وهذا كان موقف أصحاب علي عامة، فقد سمع عمار بن ياسر رجلا يقول: كفر والله أهل الشام، فقال عمار: «لا تقل ذلك قبلتنا واحدة، ونبينا واحد، ولكنهم قوم مفتونون فحق علينا قتالهم

(١) ٤٠٥/٧.

(٢) انظر مثلاً: المستدرک للحاکم (٤٦٧٤)، والفوائد المجموعة (٣٨٣).

(٣) کتاب تعظیم قدر الصلاة، للإمام محمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤ هـ)، ٥٤٥/٢.

حتى يرجعوا إلى الحق»^(١).

وبعد معركة الجمل، كما في الطبري، قام علي وصلى على قتلى الفريقين، قال الطبري، وهو يصف مرور علي بالقتلى، ويشني على أهل الخير فيهم: "فلما أتى بكعب بن سور، قال: زعمتم أنما خرج معهم السفهاء، وهذا الحبر قد ترون، وأتى على عبد الرحمن بن عتاب، فقال: هذا يعسوب القوم [يعني أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه، ورضوا به لصلاتهم]، وجعل علي كلما مر برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء، هذا العابد المجتهد"^(٢).

علي (عليه السلام)، لم يلعن أحدا من خصومه، ولم يذمهم، بل كان يشني عليهم، والآثار في ذلك تصل إلى المئات، مما روتها كتب الحديث، والتاريخ، والتراجم. وحين سئل علي عن قتلى صفين، قال: قتلنا وقتلهم في الجنة، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية"^(٣).

وقبل الجمل سأله أحد أصحابه^(٤): أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك، فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا، قال: فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غدا؟ قال: إني لأرجو ألا يقتل أحد نقي قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة.

(١) كتاب تعظيم قدر الصلاة، للإمام محمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤ هـ)، ٥٤٦/٢.

(٢) ٥٣٨/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٥٢/٧).

(٤) تاريخ الطبري، ٤٩٦/٤.

ومما يبين سلامة صدره من الغل والحقّد تجاه أصحابه رضوان الله عليهم جميعاً، قوله^(١): (إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير ممن قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]).

وكانت توجيهاته لأصحابه واضحة، سواء في معركة الجمل أو صفين: "لا تتموا جريحا ولا تقتلوا مدبرا ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن"^(٢)، وقال أبو أمامة^(٣): «شهدت صفين فكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليا، ولا يسلبون قتيلًا».

وفي المبسوط للسرخسي، نقلا عن "الكافي للحاكم المروزي"^(٤): (وبلغنا عن علي رضي الله عنه أنه ألقى ما أصاب من عسكر أهل النهروان في الرحبة فمن عرف شيئا أخذه حتى كان آخر من عرف شيئا لإنسان قدر حديد فأخذها).

وكان - يوم صفين - إذا أتى بأسير^(٥) قال: لن أقتلك صبرا، إني أخاف الله رب العالمين، وكان يأخذ سلاحه ويحلفه: لا يقاتله، ويعطيه أربعة دراهم.

* فرية تعاقد علي مع "المرتزقة" مقابل المال:

وحين يقول مروان: "قال لهم" لا نمنعكم الفيء ما دامت أياديكم إلى أيادينا" [تاريخ الطبري، ج، ٥ / ٦٤]، كان علي يعلم نوايا رجاله: الفيء، وقد

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ٦١٨/٢. وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(٢) قال ابن حجر: "سند صحيح". انظر: فتح الباري، ٥٧/١٣.

(٣) أخرجه الحاكم (٢٦٦٠)، وصححه الذهبي.

(٤) ١٢٧/١٠.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، ٥٤٩/٧.

وعدهم به لقاء أن يكملوا مشوارهم كرفاق سلاح، وأنه سيغض الطرف عن أفعالهم ما دامت سيوفهم إلى جوار سيفه"، اهـ.

سنغض الطرف عما في الفقرة من التجريح والتسفيه واللمز، ولننظر في قيمتها.

ما ينقله مروان عن علي أنه يقول للمتمردين: لن أمنعكم حقكم في المال، هذه مزية لعلي وليست عيباً أو منقصة، أترى الحاكم وهو يتعامل بإنصاف مع المتمردين، ولا يمنع عنهم المرتبات، ولا حقوقهم المالية، ولا يلوي بها ذراعهم، ولا يستخدمها سلاحاً حريياً.

إذا محاسني اللاتي أدلُّ بها كانت ذنوبي، فقل لي: كيف أعذر؟!

هذا أولاً، وثانياً، فمروان، كعاداته في التزوير، ينقل ما يريد، ويأكل من النصوص ما يريد، فعلي قال للخوارج: "الآن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا، لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئاً ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا"^(١).

الدولة المسلمة تقوم في علاقتها مع أفرادها على احترام أشخاصهم، مهما كان الخلاف مع الدولة، ولذلك تلتزم الدولة بالحفاظ على الحقوق الدينية والمدنية (المالية والشخصية)، حق الدين، وحق المال، وحق النفس، وحق العرض، هذه أصول تقوم عليها العلاقات، علي عليه السلام يفقه ما يقول.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٦٢/٧)، والبيهقي في سننه (٣١٩/٨)، عدا من روى ذلك من المؤرخين كالطبري (٧٣/٥)، وابن الأثير (٦٨٥/٢)، وابن كثير (٥٧٠/١٠). إضافة إلى كتب الفقه، وأولهم الشافعي في الأم (٢٣٠/٤)، وغيرهم.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام^(١): (أفلا ترى أن علياً رأى للخوارج في الفياء حقاً، ما لم يظهروا الخروج على الناس، وهو مع هذا يعلم أنهم يسبونهم ويبلغون منه أكثر من السب، إلا أنهم كانوا مع المسلمين في أمورهم ومحاضرتهم، حتى صاروا إلى الخروج بعد).

دعوى مروان التي كررها في أكثر من مقال، أن علياً دخل في تعاقد مع المرتزقة، المال والسلطة مقابل سيوفهم! وأن ذهابه للقتال في صفين من أجل "السلب للرجال، والعرش له"، اهـ.

هذه الفرية - التي لا أساس لها - منقوضة بما يلي:

أولاً: النصوص التاريخية الصحيحة كانت واضحة في أن علياً رضي الله عنه، نهى عن الإجهاز على جريح، أو سلب قتيل، أو اللحاق بمدير، وأمن من ألقى سلاحه، وحرّم أموالهم وحرّم سبي نسائهم، وليس فقط سبي عائشة، كما يصور بعضهم، بل منع أي سبي، [ونقلنا النصوص آنفاً].

ثانياً: في معركة الجمل، باعتراف مروان، منع علي أصحابه من اتخاذها مغنماً، ومعركة النهروان مع خوارج خرجوا من أموالهم وأهليهم، فما الذي عساهم أن يسلبوا منهم؟! ومعركة صفين لم تكن في الشام، بل خرج أهل الشام، تاركين وراءهم أموالهم، فما الذي سوف يسلبونه منهم؟ وحين دخل علي البصرة بعد معركة الجمل لم يترك أصحابه ينهبون أموال من قاتلوهم.

ثالثاً: بعد معركة الجمل، نادى علي في أهل البصرة أن يستردوا ما أخذه

(١) الأموال، ٢٩٦.

منهم جيشه، وقال: "من عرف شيئاً فليأخذه"، قال: (فرد ما كان في العسكر وغيره)^(١)، وقد نقم عليه الخوارج ذلك؛ لجهلهم.

رابعاً: حتى الخوارج الذين خرجوا عليه، لم يمنعمهم أعطياتهم، وقال لهم: "ولا نمنعكم شيئاً ما كانت أيديكم مع أيدينا"، كما أوضحته آنفاً، وبعد النهر وان رد ما سلبه الخوارج لأهله، كما في المبسوط للسرخسي^(٢).

خامساً: كانت موازنة الدولة قائمة ومستمرة، والولايات تصرف نفقاتها، كما كانت من قبل، وتوجيهات علي للدولة أن كل ولاية تضع نفقتها في ولايتها، وحاجاتها، وتسيير شؤونها، والإنفاق على العاملين، ولم يقل لهم: ابعثوها إلى الكوفة.

سادساً: كانت أموال الدولة تأتي من الزكاة والخراج والجزية، ولم يكونوا بحاجة إلى أموال الغنائم، التي هي أساساً تأتي من حروب مع غير المسلمين، أما حروب المسلمين فقد نقلنا موقف علي منها بمنع السلب، ونقلنا قول ابن تيمية في منهاج السنة^(٣): "وشر من قاتلهم علي هم الخوارج، ومع هذا فلم يحكم فيهم بحكم الكفار، بل حرم أموالهم وسبيهم".

سابعاً: كان الخراج السنوي في عهد عمر من سواد الكوفة فقط (عشرون ومائة ألف درهم)^(٤)، أي [مائة وعشرون مليون درهم]، فهذا مورد واحد من

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥٤٥/٧)، بسند صحيح.

(٢) ١٢٧/١٠.

(٣) ٤٠٥/٧.

(٤) الأموال لابن زنجويه، ٢١٢.

سواد الكوفة فقط، ومصر كان خراجها السنوي في عهد عثمان ٤ مليون دينار^(١)، فعلي حين تولى كانت موارد الدولة كافية وغنية ووافرة، فما الحاجة إلى البحث عن المال في الحروب؟!

ثامناً: ثم لو كان الهدف الأموال، فإن الغنائم ستكون مطلباً لهم، والغنائم إنما تؤخذ من قتال غير المسلمين، فكان أولى بهم أن يتجهوا لقتال غير المسلمين حتى ينالوا الأموال!

تاسعاً: يقول الذهبي^(٢): "ثم كانت سيرته [أي أبو بكر] ومذهبه التسوية في قسم الفيء، وكذلك سيرة علي؛ فلو بايعوا علياً أعطاهم كعطاء أبي بكر، مع كون قبيلته أشرف من بني تميم، وله عشيرة وبنو عم هم أشرف الصحابة من حيث النسب، كالعباس وأبي سفيان والزبير وعثمان ابني عمته وأمثالهم، وقد كلم أبو سفيان علياً في ذلك ومّتّ بشرفه فلم يجبه علي لعلمه ودينه".

فعلي سار كسيرة أبي بكر فسوى في العطاء، على خلاف عمر الذي كان يقدم أهل الفضل وأصحاب السوابق، ويفاضل بينهم، ولكل منهم اجتهاده، رضي الله عنهم أجمعين، فكيف يكون هذا سلوك من يتعاقد مع المرتزقة؟!

عاشراً: ثم إنه من المعلوم أن علياً أشار على عمر ألا يقسم السواد على الناس، بل يجعله مورداً للدولة، يستفيد منه عامة الناس، فهذا منهجه في الأموال المستفادة من غير المسلمين، فكيف بأموال المسلمين؟!

(١) الخراج لقدامة بن جعفر، ٣٣٩.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، ٦٩.

وحين ولي الخلافة، كان بإمكانه قسمة سواد العراق بين أصحابه، فذلك كاف لهم، دون الحاجة إلى أي أموال أخرى!

حادي عشر: ولو انجررنا وراء الروايات التاريخية بغثها وسمينها، ففي تاريخ الطبري^(١) تصوير لطلحة والزبير أنهما باحثان عن مال، وأن دخولهما البصرة لجمع الدراهم، وقول الزبير: "بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم بها"، وأن جيشهم هجموا على بيت المال ونهبوه... إلخ، فالذي يكتب متبعاً الأحكام المسبقة يستطيع الاستشهاد بما يريد على ما يريد!

* الصحابة المشاركون مع علي في حروبه:

يقول مروان، متحدثاً عن معركة الجمل: "دعا إلى النفير العام في المدينة المنورة فاستجاب له أربعة من كبار الصحابة، ويقال ثلاثة [انظر: الشعبي، والطبري]، هذه الصدمة المبكرة ستفقده الإحساس بالأمن وستدفعه إلى أحضان قطاع الطرق، كما سنبين أدناه، وتجعل منه أول زعيم للمرتزقة في التاريخ الإسلامي"، ويقول مروان: "فلم يكن في جيشه من المدينة سوى بضع مئات من الرجال [بخلاف الصحابة الأربعة]، و ١٢ ألف مقاتل كوفي [ابن قتيبة، الإمامة والسياسة]، على النقيض منه كان جيش عائشة خليطاً من المكيين والمدنيين" اهـ.

هذا ما يقوله مروان، [وقد أشرت من قبل لسبب استخدامه هنا وصف "التاريخ الإسلامي"، ولم يقل "التاريخ العربي"]، فماذا تقول الروايات التاريخية؟

(١) ٤٧٠/٤.

في تاريخ خليفة بن خياط بسنده^(١)، وهو يتحدث عن معركة الجمل: "كنا مع علي أربعة آلاف من أهل المدينة"، وفيه عن سعيد بن جبير: "كان مع علي يوم الجمل ثمان مائة من الأنصار، وأربع مائة ممن شهد بيعة الرضوان"، [هؤلاء ١٢٠٠ صحابي، وليسوا أربعة أو ثلاثة].

ألم تقرأ هذه الروايات؛ فتتجنب وقوعك في هذه الأخطاء، عدا عن تقليلك من شأن الذين يقفون بجوار علي رضي الله عنه!

وأما معركة صفين، ففي تاريخ خليفة بن خياط بسند رجاله ثقات^(٢): عن عبد الرحمن بن أبيزي، قال: شهدنا مع علي ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان، قُتل منا ثلاثة وستون، منهم عمار بن ياسر"، فهل ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان هم من المرتزقة والصوص وقطاع الطرق؟!

إذا كان الطبري ذكر في تاريخه^(٣) أن عدد الصحابة الذين شهدوا معركة اليرموك ألف صحابي، فسندرك أن الصحابة الذين شهدوا مع علي ليس بالعدد الهين.

وقال النووي^(٤): "وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام: يجب نصر المحق في الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين، كما قال تعالى ﴿فَقَاتِلُوا آلَ ابْنِ مَرْجِيٍّ﴾ الآية، وهذا هو الصحيح".

(١) ١٨٤.

(٢) ١٩٦.

(٣) ٣٩٧/٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، ١٨/١٠.

قال ابن حجر مبينا موقف عامة الصحابة^(١): "ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددا من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله".

وهذا يدل على أن عامة الصحابة شاركوا عليا، وهو الخليفة الشرعي، في حروبه ضد البغاة.

بل إنه ورد عن بعض الصحابة الذين لم يشاركوا مع علي في حروبه ندمهم، كابن عمر الذي قال في مرضه الذي مات فيه: (ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أنني لم أقاتل الفئة الباغية)، وبلفظ (،) لم أقاتل الفئة الباغية مع علي^(٢)، وهذا النص يبين إلى أي مدى كان هذا الأمر يؤثر في ابن عمر، ويشعره بالندم طوال حياته من موقفه المحايد، حتى لحظة وفاته، ويعلن أنه لم يأس على شيء مثل هذا الأمر.

وكذلك قال الشعبي: (ما مات مسروق حتى تاب إلى الله عن تخلفه عن القتال مع علي)^(٣).

* حروب علي لم تكن حروب فتنة:

شاع بين بعض العلماء والباحثين القول إن حروب علي حروب فتنة، ومن ثم يستدلون بحديث (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من

(١) ٣٤/١٣.

(٢) الطبقات لابن سعد، ١٤١/٤. واللفظ الآخر في معجم الطبراني. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٤٢/٧: (رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١١١٧/٣.

الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به^(١)، ونحوه من الأحاديث.

إلا أن أهل العلم والتحقيق يفرقون بين الفتنة والبغي.

نقل ابن بطال (ت: ٤٤٩ هـ) في شرحه لصحيح البخاري^(٢)، على حديث: (سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ)، كلاماً مطولاً عن الطبري، يزيل فيه وجه الاعتراض بين هذا الحديث، وبين وجوب المشاركة في قتال البغاة، ثم حرر معنى الفتنة، قائلاً: (والفتنة: الاختلاف الذي يكون بين أهل الإسلام ولا إمام لهم مجتمع على الرضا بإمامته)، وقال (كل قتال وقع بين المسلمين ولا إمام لجماعتهم يأخذ للمظلوم من الظالم، فذلك القتال هو الفتنة التي أمر رسول الله بالاختفاء في البيوت فيها وكسر السيوف).

ثم قال: (وكان حقاً على المسلمين إقامة الحق ونصرة أهله، وإنكار المنكر والأخذ على أيدي أهله)، ثم صوب من أعان فريق الحق: (من أعان في الفتنة فريق الحق على فريق الباطل فهو مصيب أمر الله تعالى).

ثم ناقش من أنكر قتال البغاة، مبيناً أن في ذلك تخلياً عن ترك إنكار المنكر، كما لو أن رجلاً غصب امرأة نفسها للفجور بها على أعين الناس وهم على منعه قادرون، فتخلوا عن ترك المنكر، فذلك مثل من رآه يريد قتل رجل ظلمًا وعدوانًا، فتخلي عن إيقاف ظلمه.

(١) صحيح البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٢) ١٠/٢ - وما بعدها.

كما بين أن عدم معونة المسلمين للفئة المحقة على الباغية، ترك لهم يسعون في الأرض فسادا، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣].

وبين أنه يستحيل عقلا وواقعا أن تكون كلا الفئتين محقتين، ومن زعم ذلك فهو مثل من يدعي (أن يكون الشيء الواحد بحكم الله حلالا وحراما في حالة واحدة وشخص واحد، وهذا ما لا يجوز أن يوصف به تعالى).

فإن قيل إنهما اجتهدا فتأولا، وكل مجتهد مصيب، فأجاب بالتفريق بين القول إن كل مجتهد معذور ولو أخطأ، والقول: كل مجتهد مصيب، فالمجتهد المخطئ معذور، ولكنه غير مصيب، كمن صلى في يوم غيم في الفلاة إلى غير القبلة بعد اجتهاده في التماسها، فهو معذور ولكنه مخطئ، ولذلك لا يصح الاحتجاج باختلاف الصحابة فيما لا نص فيه؛ (فإن أصحاب النبي ﷺ لم ينكروا فيما قالوا فيه من الاجتهاد والاستنباط أن يكون فيهم مصيب ومخطئ، فلا حجة لمحتج باختلافهم).

فإذا ثبت استحالة أن تكون كلا الفئتين على حق، تبين أن حديث (تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم)، غير معنى به القتال الذي هو معونة المسلمين للمحق والقتال الذي يكون من المسلمين لأهل السُّفْه والفسق للأخذ على أيديهم ومنعهم من السعي في الأرض بالفساد.

وأما حديث (تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم)، فيكون في ثلاث حالات، الأولى: أن يكون الفريقان المقتتلان كلاهما على باطل، والثانية: أن

يكون أحدهما على حق والآخر على باطل، ولكن أمرهما مشكل على كثير من الناس، فمن أشكل عليه أمرهما وجب عليه اعتزالهما؛ حتى يتضح له الحق، فعندئذ يلزمه معونة أهل الحق، والحالة الثالثة: أن يكون الخطاب من الرسول خاصا لبعض الناس، كما روي عن عمار بن ياسر أنه قال لأبي موسى حين روى عن النبي أنه قال: (إذا وقعت الفتنة فاضربوا سيوفكم بالحجارة) الحديث، فقال له عمار: أنشدك الله يا أبا موسى قال هذا رسول الله لك أنت خاصة؟ قال: نعم.

ثم قال رحمه الله: (ولو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف؛ لما أقيم لله تعالى حق، ولا أبطل باطل، ولو وجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين ونسائهم، وسفك دمائهم؛ بأن يتحزبوا عليهم، وكيف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها، وذلك مخالفة لقوله ﷺ: "خذوا على أيدي سفهائكم").

هذا نقاش مطول حرصت على نقل مختصره؛ حتى يتبين للقراء خطئ مقولة أن حروب أهل البغي حروب فتنة، وعلى ذلك سار علماء الأمة من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمؤرخين، وغيرهم، وسأورد مجموعة من النصوص الأخرى في الملحق.

وأكتفي بنقل ما قاله البيهقي في مناقب الشافعي: معقبا على مقولة عمر بن عبد العزيز (تلك دماء لم نخضب فيها أيدينا)، فقال^(١): (قلت: وهذا رأي حسن

(١) ٤٤٩/١.

جميل من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في السكوت عما لا يعنيه إذا لم يحتج إلى القول فيه، فأما إذا احتاج إلى تعلّم السيرة في قتال الفئة الباغية، فلا بد له من متابعة علي بن أبي طالب في سيرته في قتالهم.

ثم ولا بد من أن يعتقد كونه محققاً في قتالهم، وإذا كان هو محققاً في قتالهم كان خصمه مخطئاً في قتاله والخروج عليه، غير أنه لم يخرج ببغيه عن الإسلام، كما حكينا عن الشافعي، رحمة الله عليه، في متابعته علياً في سيرته في قتالهم، وتسمية الطائفتين جميعاً مسلمتين)، اهـ.

قال سفيان بن عيينة^(١): (السيوف أربعة نزل بها القرآن ومضت بها السنة وأجمعت عليها الأمة: سيف لمشركي العرب على يدي رسول الله ﷺ، وهو قول الله تعالى ﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾، وسيف لأهل الردة على يدي أبي بكر رحمه الله، وهو قوله: ﴿تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يَسْلُمُونَ﴾، وسيف لأهل الكتاب على يدي عمر رضي الله عنه ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وسيف في أهل الصلاة على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ الآية، ولولا علي ما عرف قتال أهل القبلة).

وأختم بهذا الحديث^(٢)، الذي يبين أن قتال علي لم يكن قتال فتنة، بل كان

(١) الإبانة لابن بطة، ٤/٤٢٨.

(٢) الحاكم في المستدرک (٤٦٢١)، وصححه الذهبي. والحديث مخرج في مسند أحمد (١١٢٥٨)، وصححه الأرناؤوط. ومسند أبي يعلى (١٠٨٦)، وصححه الشيخ حسين سليم، محقق الكتاب. وصحيح ابن حبان (٦٩٧٣)، وصححه محققه. وغيرهم. وانظر تصحيح الهيثمي في مجمع الزوائد، ٥/١٨٦، وتصحيح الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٨٧). وانظر بقية من أخرجه في تحقيق الغبانه لابن بطة، ٤/٢٢١.

قتالا لقوم أخطأوا تأويل القرآن، قال أبو سعيد الخدري: كنا مع رسول الله ﷺ، فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلا ثم قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال أبو بكر: أنا هو، قال: «لا» قال عمر: أنا هو، قال: «لا، ولكن خاصف النعل» - يعني عليا - فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ.

فالحديث فيه ثلاث دلائل:

الأولى: فيه مزية وفضل لعلي أنه سيقاتل قوما يخرجون بغيا وظلما على الخليفة متحججين بحجج من القرآن، يؤولونها خطأ، وأن الحق مع علي في قتالهم.

الثانية: إخبار غيبي بأن هذا القتال لن يكون في عهد أبي بكر ولا عمر، بل في عهد علي رضي الله عنه.

الثالثة: فهم الصحابة أن قتال الناس على تأويل القرآن منتقبة وفضل، لذلك استشرف لها أبو بكر وعمر، وهذا يدل أنه لو كان أبو بكر أو عمر هم الخلفاء بدل علي، لفعلوا مثل ما فعل.

*** من الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة؟**

يحاول بعضهم تضخيم دور من يسمونهم "الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة"، وتصوير أن معظم الصحابة اعتزلوا، وأنه لم يشارك سوى عدد محدود، والرد على هذا من أوجه:

الأول: من الخطأ تسمية حروب البغي أنها "فتنة"، وقد ناقشنا هذه المقولة آنفاً، ولذلك فأقصى ما يقال عن الصحابة الذين اعتزلوا، أنه أشكل عليهم الحق؛ فلم يتبينوه.

الثاني: لا يصح القول أن من شارك في تلك الحروب أنهم وقعوا في الفتنة، بل المشاركون فريقان، الأول: أهل العدل والحق، وهم الذين قاتلوا مع الخليفة الشرعي، والثاني: أهل البغي، وهم الذين قاتلوا الخليفة الشرعي.

الثالث: دعاوى العموم والأكثرية دعاوى فقيرة من البرهان، إذا سألنا هؤلاء: سموا الصحابة الذين اعتزلوا، لم يستطيعوا أن يتجاوزوا ٣٠ صحابياً، هم الذين سجلوا مواقف الاعتزال، فكيف أصبح معظم الصحابة معتزلين إذن؟!

الرابع: من الخطأ الخلط بين عدم المشاركين والمعتزلين، فالمعتزل لا يطلق إلا على من اتخذ موقفاً معلناً، أما من لم يشارك ولم يعلن موقفاً فلا يسمى معتزلاً، فإذا كان عامة الصحابة لم يشاركوا في القتال فلا يسمون معتزلين، فعادة لا يقاتل إلا قليل من الناس، فمعركة اليرموك مثلاً، ذكر الطبري أن عدد الصحابة الذين قاتلوا فيها ألف، فهل معنى هذا أن عشرات الآلاف من الصحابة اعتزلوا؟!

الخامس: القول أنه لم يشارك من الصحابة في الجمل سوى أربعة، قول مرفوض؛ فكل من بايع علياً عليه السلام هو مشارك مع علي، ما لم يعلن غير ذلك، ولو أن علياً أمر من بايعه أمراً للزومه الطاعة، وإلا كان عاصياً لإمامه، ولكن علياً عذر من اجتهد فاعتزل، وحين حدثت وقعة الجمل كان الذين بايعوا علياً متفرقين في الأمصار، وليس من المنطق أن يتركوا مدنها ليأتوا إلى المعركة، فما قام به بعضهم سقط عن الباقيين.

السادس: الزعم أن الذين شاركوا في القتال في الجمل هم أربعة، قول لا مستند له، فمجرد إحصاء سريع لمن ذكر ابن حجر في "الإصابة في تمييز الصحابة" أنهم شهدوا الجمل، بلغ عددهم نحو ٨١ صحابيا، وهو لا يذكر ذلك دائما، فمثلا في ترجمة الحسن بن علي لم يذكر أنه شهد الجمل، وكذلك ابن عباس، وبإحصاء مقارن لمن ذكرهم أنهم شهدوا معركة اليرموك لم يتجاوزا الـ ١٠٠ صحابي، في حين أن اليرموك شهدها نحو ١٠٠٠ صحابي، فكتب التاريخ والسير لا تقدم كشوفات مفصلة عن الذين شهدوا والذين لم يشهدوا، بل لا تكاد تذكر إلا النزر اليسير.

وأخيرا: وعليه، فالقول الصحيح أن الذين اعتزلوا الفتنة، هم الذين قاموا بالواجب، وهو نصره الخليفة الشرعي في قتال البغاة، وعدم ترك البغاة يعبثون بالدولة، فهؤلاء لم يشاركوا في الفتنة، بل اعتزلوها، أما البغاة فقد شاركوا في الفتنة بشكل مباشر، وأما المعتزلون فقد شاركوا في الفتنة بشكل غير مباشر؛ لأنهم تركوا البغاة دون أن يردعوهم، والرسول يقول: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)، قالوا: يا رسول الله، هذا نصره مظلوما، فكيف نصره ظالما؟ قال: «تأخذ فوق يديه»^(١)، فالذين لم يأخذوا على يد الظالم الباغي تخلوا عن واجبهم.

وفي الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال^(٢): "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا

(١) صحيح البخاري (٢٤٤٤)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٩٣).

على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا".

فترك البغاة وبغيهم هو وقوع في الفتنة.

*** اتهام علي أنه تحالف مع قتلة عثمان:**

وحين يدعي مروان أن عليا إنما تحالف مع قتلة عثمان، أو كما يقول في مقاله "تحالف مع الشيطان"، ويعني به الأشتر، وكذلك بقية زعماء الفتنة.

فهل تصمد هذه الفرية أمام الروايات التاريخية؟

أولاً: ذكرت أنفا عدد الصحابة الذين شهدوا مع علي الجمل، وشكلوا أساس جيشه، "وليس من وصفهم مروان بالمرتزقة"، وفي ذلك دحض للفرية من جذورها.

ثانياً: في تاريخ الطبري^(١) أن عليا استنفر أهل الكوفة للخروج معه في الجمل، فخرج نحو (تسعة آلاف رجل)، ونقل ابن حجر رواية حسن إسنادها أن عدد من خرج من الكوفة (١٢ ألفاً)^(٢)، واختلفت تقديرات المؤرخين في عدد الذين خرجوا مع علي من البصرة ومن غيرهم من القبائل، فالشاهد أن أغلب جيش علي نفر من مواطن إقامتهم.

وقد اختلف المؤرخون في عدد المتمردين على عثمان، فبعض المؤرخين لم يجاوز بهم ألفي مقاتل، وفي تاريخ الطبري أنهم ٣ آلاف مقاتل: ألف من مصر،

(١) ٤٨٥/٤.

(٢) ٥٨/١٣.

وألف من الكوفة، وألف من البصرة، وذكر الطبري^(١) (فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون عليا، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير)، فلم يكن هواهم كلهم مع علي عليه السلام، وفق رواية الطبري.

فعلى فرض أنهم كانوا في جيش علي، فهل أعدادهم تشكل نواة جيش علي؟

ثالثاً: في تاريخ خليفة بن خياط، ذكر قادة جيش علي في الجمل، فقال^(٢):
"فأمر على مقدمته عبد الله بن عباس، ثم أمر الأمراء وعقد الألوية ودفع اللواء إلى ابنه محمد بن علي، قال أبو اليقظان كانت راية علي مع ابنه محمد بن علي، قال أبو عبيدة: على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجال محمد بن أبي بكر، وعلى الميمنة وهم ربيعة البصرة والكوفة علباء بن الهيثم السدوسي، ويقال: عبد الله بن جعفر، وعلى الميسرة وهم مضر البصرة ومضر الكوفة الحسن بن علي، قال ويقال: على الميمنة الحسن، وعلى الميسرة الحسين بن علي".

فمن من هؤلاء القادة من رؤوس الفتنة؟ [وقد دحضت الافتراءات بحق محمد بن أبي بكر]، وثمة موضوع قادم أخصصه لولادة علي عليه السلام.

وفي معركة صفين، جاء تسمية قادة علي في تاريخ خليفة بن خياط^(٣):
"ولواء علي مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وفي ميسرة علي ربيعة وعليهم ابن عباس، وفي ميمنة علي أهل اليمن عليهم الأشعث بن قيس، وعلي في القلب في مضر البصرة والكوفة".

(١) ٣٤٩/٤.

(٢) ١٨٤.

(٣) ١٩٣.

فمن من هؤلاء من رؤوس الفتنة؟!

يضخم مروان، تضخيماً بالغ السذاجة، دور الأشتر في خلافة علي، الذي لا نجده من قادة الجمل، أو قادة ألوية صفين [ونجد له دوراً ثانوياً في قيادة مذبح في صفين، ضمن ٣١ قائداً من قادة الصف الثاني، ذكرهم خليفة بن خياط في تاريخه^(١)]، وسأتحدث عن الأشتر النخعي في موضوع قادم.

فهل علي، إذن، زعيم للمرتزقة؟! وهل هذا الوصف يعد من الكتابة العلمية؟ أو من الكتابة التاريخية! أو هو إلى الكتابة النفسية أقرب؟

رابعاً: ثم إن من يزعم أن جيش علي كان يضم قتلة عثمان، نقول له: أولاً: أخبرنا من هم قتلة عثمان؟ بروايات وأدلة صحيحة، وليس مجرد روايات تاريخية.

فإذا فعلت ذلك، فسوف نتقل للبحث عن: أين ذهب قتلة عثمان؟ وهل كانوا في جيش علي أو لا.

أما تلفيق التهمة بأي شخص، لمجرد تسجيل الجريمة ضد المتهم، فهو عمل مدان.

فلو سألتك: هل قاتل الحمدي حكم اليمن؟

فستقول لي: مَنْ قاتل الحمدي؟

فأقول لك: لا أدري، المهم هل حكم اليمن أو لا؟

ماذا ستقول لي؟

إذا ظللتَ تدور في هذه الدائرة فلن تصل للنتيجة.

حين تحقق الشرطة في جناية، يبحثون أولاً عن الجاني، تخيل لو ذهبوا يصدرون الحكم ويأخذون أي إنسان لتطبيق الحكم عليه!

ومن ثم فلا بد أولاً أن تأتي برواية صحيحة نخبرنا من القاتل.

بعد ذلك نبحث، برواية صحيحة: هل شارك هذا القاتل في جيش علي، أو غيره، أو لم يشارك.

* عدد القتلى ولعبة الأرقام:

يقول مروان إن عدد القتلى "ربع مليون مسلم خلال عامين".

هناك نقاش علمي ناقد للروايات التي ذكرت عدد القتلى، لمن أراد معرفة النقد العلمي، دون مبالغات سمجة، فليرجع إلى كتاب: "علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين" (١).

وبالنظر في عدد أيام القتال التي خاضها علي بنفسه، وهي الأهم، عدا عن المناوشات التي حدثت هنا وهناك، سأورد هذه الآثار:

الأول: مدة معركة الجمل كانت نصف نهار فقط، وقد نقلت الحديث الذي في مصنف ابن أبي شيبة، وصححه ابن حجر، وفيه: "فقاتلهم بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عين تطرف، فلم يكن قتالهم إلا تلك العشية

(١) ص ٥٨٥-وما بعدها، وص ٧٠٤-وما بعدها.

وحدها" (١).

الثاني: مدة معركة صفين، ثلاثة أيام فقط، في تاريخ خليفة بن خياط (٢)، شيخ البخاري، بسند صحيح: قال عبد الرحمن بن أبزي: "شهدنا مع علي ثمان مائة، فاقتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم رفعت المصاحف ودعوا إلى الصلح".

ودع عنك الخرافات والأساطير المروية في أحداث هذه المعركة، التي حلق فيها خيال الأخباريين القدامى كل تحليق! ولم نكن نعتقد أن هذه الأساطير والمبالغ تستهوي مثقفين معاصرين أيضاً!

الثالث: مدة معركة النهروان يوم واحد [بل كما في تاريخ الطبري (٣): "فأهمدوا في الساعة"]، ولم يتجاوز جيش الخوارج ألفاً، وبعضهم يقدره بألفين. فمجمال أيام القتال، في المعارك الثلاث، خمسة أيام، فمن أين للمفترين تضخيم عدد القتلى بمئات الآلاف في خمسة أيام؟! لو كانت طائرات تقصف مدنيين لأشهر لما بلغ هذا العدد، هل يصل القتلى إلى ربع مليون، وهم يتقاتلون بالسيوف والحراب والنبال؟ أي سذاجة بعد هذا القول! لماذا نغلق عقولنا حين نجد أخباراً تستهويها قلوبنا، دون نظر وتمحيص في ما نقرأ؟!

صدر تقرير عن قتلى الحرب السورية في ٢٠٢٠م (٤)، بلغ عدد القتلى خلال

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٥)، وفتح الباري، ١٣/ ٥٧.

(٢) ١٩٤.

(٣) ٨٦/٥.

(٤) التقرير منشور على موقع المرصد السوري، بتاريخ ٤ يناير ٢٠٢٠م، بعنوان: المرصد السوري لحقوق الإنسان: ٣٨٠ ألف قتيل حصيلة سنوات الحرب في سوريا.

تسع سنوات: ٣٨٠ ألف شخص، بينهم ١١٥ ألف مدني، بمعنى آخر أن قتلى المواجهات العسكرية نحو "ربع مليون"، فإذا كانت هذه الحصيلة في سوريا التي تعد ضراوة القتل فيها من أشد الحروب الأهلية المعاصرة، والأطراف المتقاتلة فصائل داخلية، وقوى إقليمية، وقوى دولية، كلها تتواجه داخل الأرض السورية، باستخدام أعنف الأسلحة البرية والجوية، والصواريخ وقصف الطائرات... إلخ، وبلغ عدد القتلى ربع مليون عسكري، خلال تسع سنوات، فكيف يصح القول أن قتلى سنتين بوسائل بدائية - لا يقتل بها إلا المحاربون، دون المدنيين - بلغوا ربع مليون؟!

حين يستيقظ الدكتور مروان يقول وهو يناقش المزاعم باغتيال معاوية للأشتر: (لنأخذ كل هذا الهراء التاريخي داخل صورة ذلك الزمان: أمصار متباعدة، لا وسائل اتصال، وأجواء حرب، وشك)، حسنا فعل بذلك، حين قرأ الرواية في سياقها الزماني، فما بال الدكتور يتناسى الهراءات التاريخية الأخرى، ويخرجها من (ذلك الزمان)؟! أم هو هواية اللعب العاطفي، الذي يجعل المثقف المعاصر يدخل ما يرغب داخل صورة ذلك الزمان، ويخرج ما لا يرغب فيه!

إذا كان تقدير المؤرخين كالطبري، أن معركة اليرموك استشهد فيها ثلاثة آلاف، وهي معركة من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم، فكيف بمعارك الجمل وصفين؟!

إنه التأثير النفسي الذي يعمي فيجعل الإنسان أضحوكة في افتراضاته، (كان على المثقف الهاوي للأساطير أيضا إيراد قصص المسعودي أن عليا قتل بيده العاريتين في يوم واحد ٥٢٣ رجلا!)، أو مجازفة المسعودي حين ذكر أن جيش

الشام في صفين ٨٥ ألفاً، وأن عدد القتلى من جيش الشام ٩٠ ألفاً!)^(١).

ولا أكثر اضطراباً في كتب التاريخ من الأعداد التي يوردونها، سواء أعداد المشاركين في الحرب، أو أعداد القتلى، فالأعداد لم تكن منضبطة بكشوفات أثناء المعارك نفسها، فما بالك حين تكون بتقدير المشاركين في الحرب، أو تقدير المؤرخين بعد ذلك!

في الطبري مثلاً، اضطراب في عدد جيش علي، فذكر أنهم نحو ٩ آلاف، وذكر أنهم ١٢ ألفاً، وذكر أنهم ٢٠ ألفاً، وفي تاريخ خليفة أنهم عشرة آلاف.

وذكر الطبري أن قتلى الجمل ١٠ آلاف، من جيش علي خمسة آلاف، ومثلهم من جيش البصرة، وفي موضع آخر ذكر أن قتلى الجمل يزيدون على ستة آلاف، وفي رواية أنهم ٢٥٠٠، هذه في الطبري، أما في تاريخ خليفة بن خياط فعدد قتلى الجمل ٢٠ ألفاً، وقيل: ٧ آلاف، وقيل: ١٣ ألفاً، وذكر أن قتلى جيش علي ٥٠٠ فقط.

أما في صفين، فتقدير المؤرخين لجيش علي يبدأ من ٥٠ ألفاً إلى ١٥٠ ألفاً، وتقديرات جيش معاوية تبدأ من ٦٠ ألفاً إلى ١٢٠ ألفاً! وتقديرات القتلى تبدأ من ٦٠ ألفاً إلى ١٢٠ ألفاً!

فكيف تختفي هذه الاضطرابات لتصل عند مثقف معاصر إلى رقم نهائي (مضروب في اثنين على أعلى تقديرات المؤرخين المضطربة)! أم أن إضافة الرقم إلى المليون له تأثير نفسي على القراء مختلف عن إلقائه برتبة الآلاف!

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي، ٢/٢٩٢، ٣٠٣، ٣٠٦.

وإذا نظرنا إلى أشهر معركتين في تاريخ الصحابة، وهما: اليرموك مع الروم، والقادسية مع الفرس، لنرى إلى أي مدى تتضارب روايات الأعداد، حتى في الكتاب الواحد.

في تاريخ خليفة بن خياط أن عدد المسلمين في القادسية ستة آلاف، وقيل ٧- ٨ ألف، والفرس في ستين ألفا، وقيل أربعون ألفا، واستمر القتال فيها ٣ أيام، وفي الطبري أن عدد المسلمين في القادسية مختلف فيه، يبدأ من ٤ ألف إلى ١٢ ألفا، وفي الطبري أن قتلى الفرس بلغوا أكثر من ٣٠ ألفا، وقتلى المسلمين بلغوا ٦ آلاف! تقديرات المؤرخين لجيش الروم في اليرموك تبدأ من ١٠٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف! ويقولون أن القتلى من الروم سبعون ألفا!

وإذا أخذنا المسألة من زاوية أخرى، لننقدها من منظور "الجغرافيا السكانية"، فالبصرة^(١) في ولاية خالد القسري (بعد عام ١٠٥هـ) كانت مساحتها فرسخين في فرسخين (الفرسخ أقل من ٥ كم)، فمساحة البصرة أقل من ١٠٠ كم مربع، وأقدم الإحصاءات السكانية لها تقريبا عام ١٩٣٥م^(٢)، بلغ سكان مدينة البصرة ٥٦ ألفا، ومساحتها الحالية (١٩٤ كم مربع)، فالكثافة السكانية تبلغ (٢٨٩ نسمة لكل كيلو متر مربع)، وعليه فتقدير سكانها في عام ١٠٠ هـ لا يتجاوز الـ ٣٠ ألف نسمة (من رجال ونساء وأطفال).

خذ هذه النتيجة مع قول المؤرخين أن جيش الزبير من البصرة كانوا ٣٠ ألفا!

(١) معجم البلدان، ١/ ٤٣٤.

(٢) نقلا عن كتاب التطور الاقتصادي في العراق، ص ٤٧.

ما سبق يجعلنا نساءل: هل قرأ الدكتور مروان رقما وحفظه ووضع في مقالاته، واستخدمه لتشويه صورة الخليفة الراشد، هل كان يعي هذه الأبعاد، وهل يدرك التناقضات الإحصائية وفق المنطق والواقع؟ وهل رجع إلى المراجع التي بالغت، ولم تصل لنصف هذا الرقم؟! لو أن الدكتور مروان استخدم الفهم قليلا، واستخدم المنطق الرياضي إلى حد ما، واستخدم المنطق الاجتماعي بأدنى حدوده، لكان في غنى عن الوقوع في مثل هذه السقطة، التي بينت أنه يكتب ما لا يفهم.

ثم يذهب الدكتور مروان ليتهم خصومه أنهم يحفظون ولا يفهمون!

ثم، أيا كان العدد، فمن المسؤول عن القتل؟ هل هو الحاكم الشرعي، أم البغاة الذين بغوا عليه، وشقوا الجماعة؟! [هذا إذا اتبعنا المنطق]، إلا أننا نقول: إن تلك الدماء والأحداث أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، وإثارة الجدل بشأنها اليوم إنما هو من فتنة الشيطان.

قال ابن حجر في فتح الباري^(١): "وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغيين، وحمل هؤلاء الأحاديث الواردة في ذلك على من ضعف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق، واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحقق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد".

* اتهام علي بقتل الزبير وطلحة:

يتهم د/ مروان أن عليا "اشترك بصورة مباشرة في قتل الزبير وطلحة"،

(١) ٣٤/١٣.

ويزعم بعضهم أن عليا على الأقل لم يقم الحد على من قتلهم.

والجواب:

القول أن عليا اشترك في قتل الزبير وطلحة فرية لم يكن جديرا بمثل مروان أن يقولها لعدة أسباب.

قدمنا من قبل حرص علي على تجنب القتال، وتوصله مع الزبير وطلحة إلى ذلك، ولكن المفسدين أشعلوا المعركة، ولذلك لا يصح القول: علي قتل الزبير وطلحة.

هناك فرق بين القتل والقتال، وما ينشأ عن حوادث في القتال لا يسمى قتلا جنائيا.

لندرك الفرق، ثمة سؤالان:

١/ ما حكم القاتل في الإسلام؟ (سواء قتل عمد أو قتل خطأ).

٢/ ما حكم القاتل في قتال البغي (سواء كان باغيا أو مبغيا عليه)؟

أما أحكام قتال البغاة، فمستمدة من (سورة الحجرات: ٩)، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي بَغَتْ حَتَّىٰ تَقِيَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

لذلك قتال البغاة مشروع، ومعناه: مدافعتهم عن بغيهم، ولو استلزم الأمر القتال.

أما القتل، فيطلق على القتل الجنائي، وهو إزهاق النفس، فإن كان القتل عدوانا فهو قتل محرم في الإسلام، وإن كان قصاصا فهو قتل مشروع.

فحين أقول: فلان قتل، يختلف عن: فلان قاتل.

القتال قد لا يترتب عليه قتل.

أحكام القتل يتناولها الفقهاء في باب الحدود، أما أحكام قتال البغاة، فيتناولونها في قتال البغاة، أو الجهاد، أو السياسة الشرعية.

فالزبير وطلحة قتلوا في "قتال بغاة"، ولذلك لا يقيم الحاكم الحد على القاتل؛ لأن القتل في هذه الحالة ليس قتلا جنائيا.

وبالرغم من ذلك فعلي حين جاءه قاتل الزبير، كما في مسند أحمد^(١) قال زر بن حبیش: استأذن ابن جُرْمُوز على علي وأنا عنده، فقال علي: بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَةِ بِالنَّارِ، ثم قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن لكل نبي حواريا، وحواريي الزبير".

وأما طلحة فقد جاء عند الحاكم^(٢) أن الذي قتله أحد أفراد جيشه، وهو مروان بن الحكم: (عن قيس بن أبي حازم، قال: «رأيت مروان بن الحكم حين رمي طلحة بن عبيد الله يومئذ فوقع في ركبته، فما زال يسبح إلى أن مات»).

وقد يقول قائل: لماذا لم يقم علي حد القصاص على قاتل الزبير؟

فالجواب ما تقدم، أن قتل الزبير لم يكن قتلا جنائيا، بل كان قتلا في (قتال

(١) (٦٨١)، بسند صححه الشيخ شاکر.

(٢) المستدرک (٥٥٩١)، وصححه الذهبي. وصححه الهيثمي من رواية الطبراني (مجمع الزوائد،

٩/ ١٥٠)، وصححه ابن حجر من عدة روايات، في الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٤٣٢

وانظر: الطبقات الكبرى، ٣/ ١٦٧، وتاريخ خليفة بن خياط، ١٨١.

بغى)، وسواء كان القاتل باغيا أو مبغيا عليه، فقتال البغى له أحكامه المختلفة عن القتل الجنائي، كما قررها الفقهاء.

ولذلك، فإن عليا لم يقيم حد القصاص على أحد في معركة الجمل، حتى أولئك من أهل البصرة الذين قتلوا أصحابه، ثم ظفر بهم، لم يقيم عليهم حد القصاص، لأن القصاص يكون في القتل الجنائي.

قال ابن شهاب الزهري^(١): (هاجت الفتنة الأولى فرأى جماعة من البدرين إسقاط القصاص والحدود عمن قاتل في تأويل القرآن فقتل).

وقال الإمام البغوي^(٢): (وما أتلفت إحدى الطائفتين على الأخرى في القتال من نفس أو مال، فلا ضمان فيه على قول الأكثرين، وهو قول الشافعي في الجديد، ومذهب أصحاب الرأي).

* اتهام علي بسفك الدماء والرغبة في القتال:

يتهم د/ مروان عليا بسفك الدماء، وقد رددنا على هذه الفرية من قبل، وبيننا عدة أدلة على حرص علي بن أبي طالب عليه السلام على حقن الدماء، ونلخصها فيما يلي:

- في معركة الجمل، سعى أولا لإنهاء النزاع بطريقة ودية، وهو ما كاد يتم لولا إيقاد المفسدين للمعركة، ثم إنه أمر قاداته بعقر الجمل حتى تتوقف الحرب، وهو ما تم، ولذلك لم تستمر المعركة سوى نصف نهار، ثم إنه أمر أصحابه ألا يتبعوا مدبرا، ولا يقتلوا جريحا، وقام برد الأموال المنهوبة إلى أهل البصرة.

(١) انظر المدونة للإمام مالك بن أنس، ١ / ٥٣١، وانظر أيضا: التهذيب في اختصار لمدونة، لخلف

القيرواني المالكي، ٧٨ / ٢.

(٢) شرح السنة، ١٠ / ٢٣٥.

- في معركة صفين، حاول اجتناب الحرب من خلال مراسلات طويلة مع معاوية، ثم إنه رضي بالتحكيم، وفرح به، وقال "أنا أولى بذلك"، بالرغم من رفض أصحابه، ورضي بكتابة اسمه مجردا عن "أمير المؤمنين"؛ حتى يتم التحكيم.

- مع الخوارج، حاول معهم إنهاء خروجهم، وناظرهم بنفسه، وأرسل ابن عباس لمناظرتهم، وخرج بنفسه إليهم ليردهم إلى الجماعة، ثم ترك لهم الحرية في التصرف شريطة ألا يسفكوا دما وألا يعتدوا، وحين خرج لقتالهم حذرهم ووعظهم، وطلب منهم تسليم القاتل، فلما رفضوا أمر أبا أيوب أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا في دمائكم، إلا في من قتل إخواننا.

- وإن منهجه مع الخوارج لهو دليل على حكمته السياسية، فقد كان عدد الخارجين عليه في أول الأمر (على اختلاف بين الروايات، أغلبها تقول ١٢ ألفا)، فدخل معهم في مناظرات وحوارات، وحاول استمالتهم بطرق شتى، فلم يبق أثناء قتالهم سوى ألف رجل منهم، فكونه استطاع تفكيك هذه القوة دون حرب، ولم يلجأ للحرب إلا بعد أن استنفد كافة السبل، فهذا يدل على منهجه في اجتناب الدماء، وعدم غلبة التفكير العسكري عليه، بل هو آخر ما يفكر به.

- ومما يدل على حرصه على عدم القتال، ما ذكره الطبري في تاريخه^(١)، قال: "نزل علي بالزاوية فأرسل إليه الأحنف إن شئت أتيتك وإن شئت كففت

عنك أربعة آلاف سيف فأرسل إليه كف من قدرت على كفه"، فلو كان حريصا على القتال لما قال ذلك للأحفف، بل طلب منه أن يمدّه بالمقاتلين.

- ومما يدل على تأنيه وعدم تعجله في القتال، ما أورده الإمام مالك بن أنس في المدونة أن عليا لم يكن يقاتل أحدا من العدو حتى يدعوه ثلاث مرات^(١).

* الفتنة في نبوءة الرسول ﷺ، مؤيدة لموقف الخليفة علي :

- حديث "ماء الحوآب"، وقول الرسول لزوجاته: "كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوآب"، وحين نبحت الكلاب بعائشة، وهي متجهة إلى البصرة، همت بالرجوع وقالت: "ما أظنني إلا راجعة"^(٢).

- حديثه للزبير، جاء في المستدرک للحاكم^(٣): عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، قال: شهدت الزبير خرج يريد عليا، فقال له علي أنشدك الله: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتله وأنت له ظالم» فقال: لم أذكر، ثم مضى الزبير منصرفا.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٢٥٤)، وابن حبان (٦٧٣٢)، والحاكم (٤٦١٣). والحديث صحيحه ابن حجر (فتح الباري، ١/٤٩٧)، والأرناؤوط وغيرهم، انظر تخريج الحديث في سلسلة الصحيحة للألباني (٤٧٤).

(٢) فتح الباري، ١٣/٥٥، وقال: (وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح). و"الحوآب" اسم موضع في طريق البصرة، اشتهر بمائه. فحين مرت عائشة بهذا الموضع سمعت نباح الكلاب، فسألت عن الموضع، فقيل لها: الحوآب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة.

(٣) (٥٥٧٤)، وقال الذهبي: صحيح. في حين تعقبه الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه لسير اعلام النبلاء، وضعفه (٥٨/١).

- حديثه لعمار، وهو في الصحيحين: "ويح عمار، تقتله الفئة الباغية"^(١)، وقد قتله جيش معاوية في صفين، وهي شهادة من رسول الله ﷺ لعلني أنه على حق في قتاله لمعاوية.

- أحاديث قتل الخوارج، وأنهم تقتلهم أولى الطائفتين بالحق، تمتلئ بها كتب الصحيحين، فضلا عن غيرها من كتب السنة، ورواها نحو ٢٥ صحابيا، وفي الصحيحين^(٢) أن الرسول ﷺ قال: "آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة"، قال أبو سعيد الخدري، راوي الحديث: "فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعتة".



(١) صحيح البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٦). هذا الحديث يكاد يبلغ مبلغ التواتر، أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد، ومسلم أيضا من حديث أم سلمة. ورواه أهل السنن عن جمع من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعمر بن العاص، وعبد الله بن عمرو، وحذيفة بن اليمان، وعثمان بن عفان، وعد السيوطي ٢٦ صحابيا رَوَوْا هذا الحديث. وذكر ابن تيمية في منهاج السنة مجموعة أيضا. فإن كان ابن حجر تكلم عن حديث أبي سعيد في البخاري، وهي ثابتة. فهناك حديث أم سلمة في صحيح مسلم (تقتلك الفئة الباغية). وكذلك بقية الروايات. حتى ابن تيمية نفسه، بالرغم من مواقفه تجاه أحاديث عديدة في فضل علي، فقد صرح في منهاج السنة قائلا: (ولكن لا يختلف أهل العلم بالحديث أن هذه الزيادة هي في الحديث [٤/٤١٥]. وقال: (والحديث ثابت صحيح عن النبي ﷺ - عند أهل العلم بالحديث، والذين قتلوه هم الذين باشروا قتله) [٤/٤١٨].

(٢) البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

البحث عن الشيطان، من قتل عثمان؟

١ - لا توجد مروية صحيحة تتهم أحدا من الصحابة أنه شارك في قتل عثمان، أو حرض على ذلك، أو تواطأ مع القتلة، والروايات الصحيحة تبرئ عليا من دم عثمان، وتشهد لموقف أولاده في الدفاع عن عثمان، والروايات الصحيحة تبرئ محمد بن أبي بكر من دم عثمان.

٢ - تدليس مروان على ابن كثير في أنه لمح إلى دور علي في مقتل عثمان.

٣ - اختفاء عبد الله بن سبأ، وإحلال علي بن أبي طالب محله.

٤ - العلماء على أن من باشر قتل عثمان غير معروف بعينه، وعلي بسند صحيح يحلف أنه لا يعلم قاتله.

٥ - هل أهل العراق هم من قتل عثمان؟ [ماذا تقول الروايات الصحيحة والضعيفة؟]

٦ - هل أهل مصر هم من قتل عثمان؟ [ماذا تقول الروايات الصحيحة؟ ولماذا اختفى أهل مصر من مقالات مروان؟]

٧ - ماذا تقول الروايات الصحيحة عن دور الأشر في مقتل عثمان!

٨ - لماذا قدم أهل العراق إلى المدينة وقت فتنه مقتل عثمان؟

٩ - الذين بايعوا عليا هم كبار الصحابة، ولم يكن لقتلة عثمان دور في ذلك.

١٠ - هل صحيح أن علياً آخر القصاص؛ لعدم استطاعته؟! [ماذا تقول

الروايات الصحيحة؟]

١١ - معاوية وأهل الشام هم الذين عرقلوا تنفيذ القصاص.

١٢ - تبرئة الصحابة من السلبية تجاه مقتل عثمان.

١٣ - أخيراً، دعوى أن علياً، حين ولي الخلافة، أسرع في طلب عبيد الله بن

عمر بن الخطاب... إلخ - قصة مكذوبة!

في مقاله "علي والاشتر، التعاقد مع الشيطان" ظهر أن مروان وجد الشيطان، لكنني اليوم سأعيد فتح الملف، وأساعد مروان في بحثه عن الشيطان، حتى لا نرجم أحداً ونحن نعتقد أننا رجمنا الشيطان، في حين يظل الشيطان ضاحكاً بنا، ساخرًا منا، بعيداً عن رجمنا.

* من الشيطان عند مروان؟

وصف مروان الأشتر بالشيطان، وأن علياً تعاقد معه، ويقول: "انتقل الأشتر من العراق إلى المدينة ضمن حشد من المتمردين، وفي سياق تاريخي معقد تمكن ومن معه من قتل الحاكم والتمثيل بجثته، ثم انطلق ومن معه من المقاتلين ليشوا الرعب في المدينة وما حولها وكان من نتيجة ذلك أن أعطى الناس بيعتهم لعلي بن أبي طالب، كانوا يبايعونه وقتله عثمان يرمقونهم والشرر في أعينهم، وكان ابن الأشتر سيفاً على الرقاب، كانت مسرحية مفضوحة بين علي والشيطان، سكت الناس عنها دهراً طويلاً" اهـ.

مروان، إذن يتهم الأشتر بحشد المتمردين من العراق إلى المدينة لقتل

عثمان، ثم فرض بيعة علي على الناس، واصفاً ذلك أنه مسرحية مفضوحة من علي، واتهم علياً "بالتحالف مع قطاع الطرق للإطاحة بنظام عثمان"، بل، يقول مروان: إن علياً كافأ محمداً لقتل عثمان؛ لأنه سرع انتقال السلطة إليه، [وفي مقاله "ربع قرن بلا معركة" اتهم علياً بقتل عثمان بصورة غير مباشرة]، كما اتهم محمد بن أبي بكر بالمشاركة في قتله، وقال مروان زوراً: "ويكاد المؤرخون يجمعون على أن ربيب علي بن أبي طالب هو من طعن الخليفة في صدغه وأذنيه"، وفند مروان دفاع أبناء علي عن الخليفة عثمان (تفنيده مجرد رأي بلا دليل).

وبالمناسبة، فالشيطان عند فولهوزن [بحسب الروايات الشيعية] كان معاوية، يقول^(١): (ذلك أن علياً إن طوعاً وإن كرهاً قد عقد ميثاقاً مع الشيطان (أعني مع معاوية)، مروان أعاد قراءتها فجعل الشيطان الأشر، وجعل علياً متحالفاً مع الشيطان.

والآن دعونا نقرأ الروايات التاريخية الصحيحة؛ لنرى مدى دقة هذا الكلام!

* هؤلاء بريئون من دم عثمان:

هناك عشرات الروايات الصحيحة التي تثبت براءة الصحابة من دم عثمان، وفي المقابل كل الروايات التي تشير إلى أحد منهم روايات واهية ضعيفة، ومن ادعى خلاف ذلك فعليه الدليل، [ومن أراد كتاباً يجمع الروايات التي تحقق موقف الصحابة من مقتل عثمان، فليقرأ كتاب الدكتور الصلابي: سيرة عثمان بن عفان^(٢)].

(١) الخوارج والشيعية، ص ٢٨.

(٢) ص ٤٠٣-٤٢٠.

وثمة روايات صحيحة تشير إلى دفاع علي عن عثمان، وبرأته من دم عثمان، وتثبت دفاع أولاد علي عن عثمان (والروايات في كتب السنة والتاريخ والتراجم، ومنها: فضائل الصحابة لأحمد، ومصنف ابن أبي شيبة، والرياض النضرة، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، وتاريخ ابن عساكر، وتاريخ المدينة المنورة، وغيرها من الكتب)^(١).

في الاستيعاب بسند حسن^(٢)، أن الحسن بن علي حمل جريحا يوم الدار، وهو يدافع عن عثمان، قال ابن سيرين^(٣): انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان كلهم شاكي السلاح حتى دخلوا الدار، وفي تاريخ خليفة بسند صحيح^(٤) أن الحسن بن علي كان آخر من خرج من عند عثمان.

وبسند قواه الذهبي^(٥)، يروي شهادة مروان بن الحكم عن دفاع علي، حيث قال لعلي بن الحسين: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني عليا - عن عثمان، قال علي: فقلت: ما بالكم تسبون علي المنابر! قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك، وفي تاريخ المدينة لابن شبة^(٦) أن عليا أرسل إلى عثمان: إن معي خمسمائة دارع فأذن لي فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئا بعد التوبة يستحل

(١) أقرأ كثيرا من تلك الروايات في كتاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص ٣٦٦-٣٧٠.

(٢) ١٠٤٦/٣.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ١٧٤.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ١٧٤. وانظر تقوية السند في: فتنة مقتل عثمان، ١/٣٥٧.

(٥) الرواية في تاريخ ابن أبي خيثمة، ٢/٩١٧، وذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام، ٢/٢٥٢، وقوى إسناده.

(٦) ١١٤٩/٤.

بها دمك، فقال: «جزيت خيرا، ما أحب أن يهراق دم بسبيي»، قال: وأرسل إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه بمثلها، فقال: «ما أحب أن يهراق دم في سبيي»، ولما جاء الخبر إلى الصحابة بمقتله ذهلوا، فلم يكونوا يتوقعون ذلك، وقال لابنيه^(١): كيف قتل وأنتما على الباب؟ ولطم الحسن وضرب الحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير.

ومن أراد الإنصاف، فكتاب "فتنة مقتل عثمان" للدكتور/ محمد الصبحي، الصادر في مجلدين، جمع فيه مرويات الفتنة في مختلف المصادر الحديثية والتاريخية [٣٩٨ مروية]، ودرس أسانيدها، ونقدها نقدا علميا وفق منهج المحدثين، وبين الروايات الصحيحة من الضعيفة.

ومن الزور اتهام محمد بن أبي بكر، [حين يزعم مرون إما جهلا وإما رغبة في الافتراء، أن المؤرخين يكادون يجمعون على (أن ربيب علي بن أبي طالب هو من طعن الخليفة في صدغه وأذنيه، أي نحره وأخرج مخ رأسه)]، لاحظ كيف يختار ألفاظه بعناية، فمحمد هنا هو ربيب علي بن أبي طالب؛ لا بد من ذكر اسم علي كاملا في هذا الموطن؛ ليلتصق بذهن القارئ "القاتل المعلم الكبير"، وليس "القاتل الصغير"، ثم الوصف التشريحي الطبي أنه "أخرج مخ رأسه"، يا للمجرم الكبير الذي يخرج مخ رأس الخليفة!

لقد تجاهل الدكتور/ مروان المصادر التاريخية التي تبرئ محمدا من دم عثمان (كابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وقال: "وقد نفى

(١) تاريخ المدينة لابن شبة، ٤/ ١٣٠٥.

جماعة من أهل العلم والخبر أنه شارك في دمه"^(١)، وكان كثير في البداية والنهاية)^(٢)، أو التي أوردت القصة بصيغة التضعيف، وتعدد الاحتمالات (كابن تيمية في منهاج السنة)^(٣)، فضلا عن المؤرخين، كالطبري وغيره، الذين يوردون الروايات المتضاربة، كل ذلك يصبح إجماعا عند الدكتور/ مروان.

وقبل ذلك فإن تهمة محمد بن أبي بكر تفتقر إلى أي رواية صحيحة، بل الروايات الصحيحة تبرئه.

يقول الدكتور الصبحي في كتابه المحقق المُنْخَرَج (فتنة مقتل عثمان)^(٤):
"وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر فإنه يضاف إلى ما تقدم [أي عدم صحة اتهامه] أنه قد وردت رواية صحيحة الإسناد تبرئه من هذه التهمة، وتكشف عن سبب اتهامه بها [وهو دخوله على عثمان قبل القتل]؛ يرويها لنا شاهد عيان، - حضر يوم الدار ورأى القاتل، [ثم أورد الروایتين]".

لقد استشهد مروان بروايات أبي مخنف وغيره من الضعفاء، وهذه الروايات لم تتهم عليا^(٥)، بل اتهمت طلحة والزبير وعمرو بن العاص وعائشة، وقوما من المهاجرين اشتركوا في دم عثمان بطريقة غير مباشرة، بل إن الصحابة بمجملهم نعموا على عثمان [وهذه الروايات الواهية كلها في تاريخ الطبري].

(١) ١٣٦٧ / ٣.

(٢) ٣٠٨ / ١٠.

(٣) ٣٧٥ / ٤.

(٤) ٢٥٦ / ١.

(٥) أما علي فلم يتهم حتى بوبع، كما روى ذلك ابن أبي شيبة عن ابن سيرين بسند جيد، ٥٢٥ / ٧.

لكن مروان أخذ رواياته في اتهام محمد بن أبي بكر والأشتر بطريقة مباشرة، وفي علي، بطريقة غير مباشرة، وأخفى الروايات الباقية؛ حتى يستطيع أن يطعن في علي ويتهمه أنه وقف ضد عائشة [السيدة الأولى، بتعبيره!]، وأخفى الروايات التي تتهم الزبير وطلحة بشكل أكثر صراحة؛ لأنه سوف يسوق تهمة ضد نفسه، فكيف شاركوا في قتله ثم صاروا ضد علي يطالبون بالقصاص، بالقصاص من أنفسهم؟!

يقول مروان: "حتى إن ابن كثير وهو يسرد مقتل عثمان ختم القصة قائلاً "وكان قدرا مقدورا" لئلا ينزلق إلى تساؤلات حول دور علي قد تضعه في درجة المنافق "لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق"، قال علي عن نفسه".

مروان هنا لم يكتف باستدعاء ابن كثير والاستشهاد به، بل أنطقه زورا وافتراء، فاتهم مروان ابن كثير أنه تحاشى الإفصاح عن دور علي في مقتل عثمان!

الرواية الصحيحة الواردة أن محمد بن أبي بكر "دخل على عثمان، فقال له عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، وكلمه بكلام فخرج ولم يند من دمه بشيء"^(١)، وليس فيها أنه أخذ بلحيته ثم استحيا، فهذا باطل، محمد الصديق كان غاضبا من سياسة عثمان، وكان مع أهل مصر، وحين دخل على عثمان، لا ندري ما نيته من ذلك، ولكن لنفترض أنه دخل بنية قتله، فكلمه عثمان، فراجع محمد عن القتل، وهذا في الحقيقة منقبة لمحمد؛ في خوفه من الإقدام على الجريمة، بالرغم من تهيو أسبابها، لكنه خاف من الله، ولم يند من دمه بشيء، بل رجع فدافع عنه.

وإذا رجعنا إلى ابن كثير في البداية والنهاية، فيقول (١٠/ ٣٠٨، طبعة

(١) انظر تخريجات الرواية في فتنه مقتل عثمان ١/ ٤٨٥ - وما بعدها.

هجر): "ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت حلقه، والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحيى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها، فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وجاحف دونه فلم يفد، وكان أمر الله قدرا مقدورا وكان ذلك في الكتاب مسطوراً"^(١).

أرأيتم؟! لا يريد مروان لقائه أن يقرأوا الفقرة كاملة؛ لأنها تبرئ محمد بن أبي بكر بلسان ابن كثير، بل ابن كثير أثبت أن محمداً دافع عن عثمان ولكن ذلك لم يفد، ثم إن مروان، لا يكتفي باقتطاع نص من كلام ابن كثير، بل يقول ابن كثير ما لم يقل!

أما ابن كثير فيقول في البداية والنهاية: "وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه بل كلهم كرهه، ومقتته، وسب من فعله".

وفي فقرة مروان افتراء آخر عن علي بأنه وضاع للحديث، وقد ناقشتها من قبل.

وأعقب على ما أورده ابن كثير أن عثمان قال لمحمد "لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها"، فلم يرد ذلك في رواية صحيحة، بل الرواية الصحيحة ما سبق أن ذكرته، وليس فيها أنه أخذ بلحيته.

* البحث عن ابن سبأ!

في مقالات مروان التسعة لا أثر لابن سبأ، لماذا؟ لأنه انشغل بإحلال علي

ومن معه من الصحابة محل ابن سبأ، وهذا عائد إلى ما ذكرته من قبل عن المنهجية الاختزالية التبسيطية للدكتور مروان.

بالرغم من أن كتب السنة والشيعية متفقة على وجوده، وليس كما زعم المستشرقون أنه شخصية خيالية^(١).

وكلامنا عن شخصية ابن سبأ لا يعني أننا نتكلم في ثبوته من عدمه، ولا يعني أننا نحمله البطولة الشيطانية في مقتل عثمان وما حدث بعد ذلك، فهو كان أحد العوامل التي استفادت من الأسباب والظروف الداخلية، هو مثل وسائل الإعلام التي تستفيد من الحوادث، وتعيد سرديتها، وتبحث عن مواطن الزيت فيها لتسريع إشعالها.

(١) بالنظر في الروايات، فلدينا رواية الشعبي (ولد نحو ٢٠ هـ، وتوفي نحو ١٠٤ هـ)، يقول: "أول من كذب، عبد الله بن سبأ"، والرواية في تاريخ دمشق بإسناد قوي. وذكر ابن حجر مجموعة من الروايات في ترجمته في لسان الميزان [٤/٤٨٤]. ومن أراد الاطلاع على الروايات الصحيحة والضعيفة، وتخريجاتها، فليقرأ: فتنة مقتل عثمان [٢/٨٨٣-٩٠٠].

أما كتب التاريخ (كالطبري وتاريخ دمشق) فهي غاصة بالروايات التي تثبت دور ابن سبأ وجماعته في التحريض على الفتنة وقتل عثمان، ومحاولاتهم إفساد العقيدة. ومن أراد الاستقصاء، فليقرأ كتاب محمد أمحزون (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين) [ص ٢١٣ - وما بعدها].

وأكتفي بنقل نص واحد لابن تيمية في مجموع الفتاوى [٣٥/١٨٤]، يقول: "فأول من ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا يقال له "عبد الله بن سبأ"، فأراد بذلك إفساد دين المسلمين كما فعل "بولص" صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعا أفسد بها دينهم وكان يهوديا فأظهر النصرانية نفاقا فقصد إفسادها، وكذلك كان "ابن سبأ" يهوديا فقصد ذلك وسعى في الفتنة لقصد إفساد الملة فلم يتمكن من ذلك؛ لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة قتل فيها عثمان رضي الله عنه وجرى ما جرى من الفتنة".

لا شك أن ثمة عوامل عديدة أدت إلى مقتل عثمان، تتلخص في نقمة الخارجين عليه بسبب ولاته، وبسبب سياسته اللينة، وبسبب التغيرات الاجتماعية التي حدثت في المجتمع، وعودة المقاتلين إلى الدعة والراحة، كل هذه العوامل وجد فيها ابن سبأ وغير ابن سبأ بيئة خصبة لتحركاته وانطلاقه بالإفساد.

ولكن حديثي عن ابن سبأ في هذا السياق، إنما هو لبيان ما الذي أراد مروان فعله، وهو أن يأتي بعلي وأولاده فيحلهم محل ابن سبأ، ويختزل كل المشاكل والعوامل في علي!

* الجهل بقاتل عثمان على التحديد:

قال السفاريني في كتابه "لوامع الأنوار البهية": "واختلف فيمن باشر قتله فقال كثيرٌ إنه لا يُعرف قاتله"، ثم أورد مجموعة من المتهمين بصيغة: "قيل".

هذا الحكم الذي قاله كثير من العلماء: لا يعرف قاتله، يتلشى عند مثقفين معاصرين، وتشير أيديهم إلى قاتل معين!

وأهل المدينة أنفسهم لم يكونوا يعلمون من قاتل عثمان، ولم ترد رواية صحيحة عنهم تحدد قاتله، سوى رواية [سأوردها بعد قليل].

فكيف يتهمون عليا بحماية قتلة عثمان، والاستعانة بهم؟

جاء في سنن سعيد بن منصور بسند صحيح عن علي^(١): "والله لوددت أن بني أمية رضوا لنفلناهم خمسين رجلا من بني هاشم يحلفون: ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلا"، فعلي يحلف أنه لا يعلم قاتله.

وفي تاريخ المدينة لابن شبة، بسند صحيح، أنه ذكر لعبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، قول علي: "اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان"، فقال عبد الملك: "ما أرى له ذنبا".

وبهذا يظهر ضعف اتهام شخص بعينه بمقتل عثمان، وكل ما تبقى لدينا روايات ضعيفة ومنكرة وواهية، لا ينبغي استخدامها في إصدار أحكام واتهامات تمس دماء الناس وأعراضهم، قد نستخدم مثل تلك الروايات الضعيفة في قصص تاريخية عامة، ولكن أن نستخدمها في أحكام جنائية لهو الجريمة بعينها!

لقد كان الخارجون على عثمان يريدون خلعه، كما نصت عليه الروايات (انظر الطبقات، والطبري)^(١)، ولكن عثمان رفض، وهو الفعل الصحيح منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد حمى نظام الدولة، والخروج على الحاكم الشرعي جريمة، أيا كانت نتائجها، ولكن جنائيا هل يتم تلفيق التهم بروايات ضعيفة واهية؟!

واليوم، ثمة اغتيالات لقادة سياسيين، في ظروف غوغائية، لا يدري الناس من القاتل، وتسجل الجريمة ضد مجهول، بالرغم من التقنية التي وصلنا إليها في هذا العصر، وبالرغم من الكاميرات، ودراسة البصمات، وتحليلات الحمض النووي... إلخ، فما بالنا بذلك العصر، أم أن لقطات مروان الجوية التقطت المشهد بوضوح؟!

*** هل أهل العراق هم من قتل عثمان؟**

يقول الدكتور الصبحي في كتابه المحقق المخرج (فتنة مقتل عثمان)،

(١) الطبقات، ٤٨/٣.

وكما ذكرت من قبل أنه حقق فيه كل أحاديث وروايات فتنة مقتل عثمان، وأصدره في مجلدين، يقول^(١):

يقول: "ولا صحة لاتهام كنانة بن بشر التجيبي الكندي، ورجل بن بني عبد الدار يسمى نهران الأصبحي، وأبي عمرو بن بديل الخزاعي، وسودان بن رومان المرادي، ورجل من بني أسد بن خزيمة يسمى رومان، وسودان بن حمران، ومحمد بن أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، بقتل عثمان رضي الله عنه، فكل ذلك رُوي بأسانيد ضعيفة، بينت عللها في قسم دراسة الأسانيد، كما أن متونها شاذة؛ لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري يقال له: جبلة؛ لسواد بشرته".

فلا توجد رواية واحدة صحيحة تتهم أحدا من أهل العراق بمقتل عثمان.

* هل أهل مصر هم من قتل عثمان؟

يقول الدكتور الصبحي: "لقد اتهم في مباشرة قتل عثمان رضي الله عنه عدة أشخاص، جاء ذلك في روايات كثيرة، منها المقبول، وأكثرها ضعيف مردود، وفي الروايات الصحيحة أنه رجل أسود من أهل مصر، ولكنها تختلف في تعيينه"، ثم ذكر ثلاث روايات، ثم قال: "أجمعت الروايات الثلاث على أن القاتل من أهل مصر"، ثم يقول: "والخلاصة: أن قاتل عثمان رضي الله عنه رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه".

وفي أخبار مكة للفاكهي (٢/ ٣٦٠) وصححه محقق الكتاب

"د. عبد الملك دهيش" أن ابن الزبير حين قدم عليه جيش الشام لقتله، فقال: "أين أهل مصر؟ أين قتلة عثمان؟" وهو دليل واضح أن ابن الزبير، وهو كان في دار عثمان حين قتله، يتهم أهل مصر بقتل عثمان، وفيه دليل أيضا أن قتلة عثمان كانوا في جيش الشام، وليسوا في جيش العراق!

وفي تاريخ خليفة بن خياط^(١) أن الحسن البصري سُئل: "أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجا من أهل مصر".

وفي مصنف ابن أبي شيبة^(٢): "عن جندب الخير، قال: أتينا حذيفة حين سار المصريون إلى عثمان فقلنا: إن هؤلاء قد ساروا إلى هذا الرجل فما تقول؟ قال: «يقتلونه والله».

في مصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح^(٣)، وفيه قصة بداية التمرد، وأنه كان بقدوم وفد أهل مصر إلى المدينة، ثم حاورهم عثمان خارج المدينة، ووصلوا إلى اتفاق، فرجعوا إلى مصر، وفي طريقهم حدثت حادثة جعلتهم يرجعون إلى المدينة مرة أخرى، والحادثة خلاصتها أن راكبا اعترضهم في طريقهم، وهو يحمل كتابا بختم عثمان، فيه أمر لوالي مصر بقتلهم، فعاد وفد مصر إلى المدينة، وقالوا لعثمان: "قد والله أحل الله دمك، ونقض العهد والميثاق، قال: فحصره في القصر"، فوعظهم، ولكنهم استمروا حتى دخلوا عليه فقتلوه.

الوفد وفد أهل مصر، والراكب تعرض لوفد أهل مصر، والذين قالوا لعثمان

(١) ١٧٦. والحديث صحيح بشواهده، كما في كتاب فتنة مقتل عثمان، ١/ ٥٣١.

(٢) ٥١٦/٧. وسنده صحيحه د/ الصبحي في كتاب فتنة مقتل عثمان، ١/ ٥٣٢.

(٣) ٥٢٠/٧.

"أحل الله دمك" هم أهل مصر، والذين حاصروا الدار هم أهل مصر، والذين قتلوه هم أهل مصر، فكيف أصبح المتهم به أهل العراق؟!

قال النووي في شرح مسلم^(١)، وهي مقولة متسقة مع الروايات الصحيحة: "ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال، تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحاصروه حتى قتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ".

الروايات الصحيحة الواردة في قتل عثمان، إذن، تشير إلى أن القتلة هم أهل مصر، فلماذا اتجهت السهام إذن، إلى أهل العراق، واختفى أهل مصر؟!

جاء في مصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح إلى ابن سيرين^(٢): "ما علمت أن عليا اتهم في قتل عثمان حتى بويع، فلما بويع اتهمه الناس"، [بمعنى أنه أثناء الفتنة لم يكن أحد يتهم عليا أنه محرض أو متواطئ أو متحالف مع القتلة].

لقد كانت هناك آلة إعلامية سبئية كبيرة تسعى لهدم الخلافة، والانتقام من الدولة الإسلامية، بتوجيه الاتهام المباشر إلى الخليفة، ومن حوله؛ حتى يتمكنوا من تفريق الجماعة، وشق العصا، وإثارة عواطف الناس ضد الخليفة الراشد، وهكذا اختفى أهل مصر من المشهد، وظهر أهل العراق!

ولم يكتف الملقون باتهام علي، بل أصبح القتلة عندهم هم أهل العراق [بدلاً من القتلة الحقيقيين: أهل مصر]، واتهموا من ناصر عليا منهم، كالأشتر، وغيره، أين الدليل الصحيح على هذه التهم؟ لا دليل.

(١) ١٤٨/١٥.

(٢) ٥٢٥/٧.

اللافت للنظر أن مروان لم يشير إطلاقاً إلى أهل مصر، بل وجه أصابع الاتهام إلى أهل العراق، وإلى الأشر، وكما اختفى ابن سبأ من سرديّة مروان، فكذلك اختفى أهل مصر، فلمصلحة من يُخفَى القاتل الحقيقي؟! ولمصلحة من يُتهم آخرون بالقتل؟!

وإذا كانت القوى الهدامة في ذلك العصر تتلاعب بالحقيقة، وتخفي القاتل، فهل عادت تلك القوى بأقلام الحداثيين، الذين يكتبون ما يُملَى عليهم، هم فقط آلات تطبع وتشر، ويوقعون أسماءهم!

ومن حقنا أن نتساءل: لماذا اختفى أهل مصر من روايات د/ مروان؟ ولم يشير إليهم حتى إشارة خفية، بالرغم من أنهم يتصدرون المشهد في المرويات!

مثل هذا الأمر، إما أن يكون الإخفاء متعمداً، وبذلك فمصادقية الكاتب محل شك، ولا ندري أيستغفل القراء ويستخف بثقافتهم، أو أنه يعتقد لو تحدث عن أهل مصر أنه يسيء إلى البلد الذي درس فيه، بالرغم من أنه لا علاقة بين الأمرين.

وإما أن يكون الإخفاء عن جهل؛ وبذلك فثقافة الكاتب حول التاريخ الإسلامي محل شك، وسلامة الحس العلمي محل شك، وسلامة أدوات البحث محل شك، أهو قرأها أم لم يقرأها؟ وإن قرأها ما الذي فهمه منها؟

*** ماذا تقول الروايات الصحيحة عن دور الأشر؟**

مجرد الحكّي يمكنه أن يجعل الشيطان ملاكاً، والملاك شيطانا، ونحن لا نغير ذلك انتباهاً، لنبحث عن الروايات الصحيحة، ونستكشف دور الأشر في فتنة مقتل عثمان.

أولاً: نصح الأشر أهل مصر بالكف عن عثمان والرجوع إلى مصر، وبين لهم أن ثمة مكيدة أوقعت بين وفد أهل مصر وبين عثمان.

روى ابن أبي شبة في مصنفه^(١)، قصة حصار أهل مصر لعثمان، ثم ذكر قصة إشراف عثمان على المحاصرين ووعظهم، ثم قال: "وقام الأشر - قال: ولا أدري يومئذ أو في يوم آخر - فقال: لعله قد مكر به وبكم! قال: فوطئه الناس، حتى لقي كذا وكذا"، فالأشر ينصح أهل مصر، ويخبرهم أن ثمة من مكر بهم وحاول إيقاع المكيدة بينهم وبين الخليفة، ولكنهم وطموا الأشر حين نصحهم.

هذا الحديث أخرجه أيضاً الطبري في تاريخه^(٢)، وابن شبة في تاريخ المدينة^(٣)، وفي إتحاف الخيرة المهرة، وقال مؤلفه الحافظ شهاب الدين الكناني^(٤): "رواه إسحاق بن راهويه، ورواته ثقات سمع بعضهم عن بعض"، وقال ابن حجر في كتابه المطالب العالية^(٥): "رجاله ثقات، سمع بعضهم عن بعض".

ثانياً: أنكر الأشر على أهل مصر تهجمهم على صحابة رسول الله ﷺ:

أورد ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة^(٦) قصة القدوم الثاني لوفد أهل مصر، فلما كلمهم عثمان وأقسم لهم أنه ما كتب الكتاب، وقال: «ويلكم لا تهلكوا أنفسكم وتهلكوا أمتكم، والله إن كتبها ولا أمليتها» [أي: والله ما كتبها]،

(١) ٥٢٠/٧.

(٢) ٣٨٣/٤.

(٣) تاريخ المدينة (٤/ ١١٩١).

(٤) ١٠/٨.

(٥) ٤٢/١٨. وانظر بقية تخريجه في هامش تحقيق المطالب العالية.

(٦) ١١٢٨/٣.

فقال الأشر: إني والله أسمع حلف رجل ما أراه إلا قد مُكِر به ومكر بكم قال: فوثبوا عليه فوطئوه حتى ثقل ثقلاً، قال: فوقف عليهم سعد بن مالك [أي سعد بن أبي وقاص]، فقال: أفيم قتلكم!، [هنا سقط في الكتاب]، قال: فجعلوا يقرعون بالرمح حتى سقط لجنبه، وجعل يقول [أي سعد]: هلم فاقتلوني فلقد أصابت أُمي اسمي إذن إذ سمعتني سعداً، وأقبل الأشر فنهاهم، وقال: يا عباد الله اتخذتم أصحاب محمد بُدناً؟ وخرج سعد يدعو ويقول: «اللهم إني فررت بديني من مكة إلى المدينة، وأنا أفر من المدينة إلى مكة».

هذه الرواية تؤكد موقف الأشر حين نهى أهل مصر وأخبرهم بالمدينة، فوطئوه، وفيها أيضاً أنهم ضربوا سعد بن أبي وقاص حتى طرحوه أرضاً، فنهاهم الأشر، وقال لهم مقرعاً: (كيف تضربون أصحاب رسول الله، كأنما تضربون الإبل؟!)

ثالثاً: حاول الأشر التوسط بين عثمان وبين المحاصرين، وبلغه بمطالبهم، فلم يستجب عثمان لها، فانطلق الأشر خارجاً [والقصة في مصنف ابن أبي شيبة، بسند صحيح^(١)].

رابعاً: جاءت روايات صحيحة عن كراهية الأشر لمقتل عثمان.

ففي الطبري رواية فيها كراهية الأشر لمقتل عثمان^(٢): "قال علقمة: قلت للأشر: قد كنتَ كارهاً لقتل عثمان فكيف قاتلت يوم الجمل"، وقال ابن حجر في الفتح عن هذه الرواية^(٣): "سند صحيح".

(١) ٥١٤/٧.

(٢) ٥٢٠/٤.

(٣) ٥٧/١٣.

وفي مصنف ابن أبي شيبة وتاريخ المدينة لابن شبة^(١): "قال علقمة: قلت للأشتر: لقد كنتَ كارها ليوم الدار، فكيف رجعت عن رأيك؟ فقال: أجل والله لقد كنت كارها ليوم الدار، ولقد جئتُ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأنا أريد أن أخرج عثمان في هودجها، فأبوا أن يدعوني لأدخل الدار، وقالوا: ما لنا وما لك يا أشتر".

خامسًا: لا توجد رواية صحيحة أو ضعيفة تتهم الأشتر بمقتل عثمان، وفي كتاب "فتنة مقتل عثمان" للدكتور/ محمد الصبحي، خصص مبحثًا لمناقشة الروايات المتعلقة بقاتله، وصحح أن قاتله رجل من مصر، وأشار إلى الروايات الأخرى وضعفها، ولم يذكر الأشتر ضمنها^(٢).

سادسًا: وبعد ذلك، فالأشتر، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة، وفي الثقات للعجلي^(٣): "مالك بن الأشتر النخعي كوفي تابعي ثقة"، وذكره ابن حبان في الثقات^(٤)، وترجم له المزي في "تهذيب الكمال"^(٥)، وذكر من وثقه من العلماء، وذكر من روى عنه من الأحاديث، بل إن ابن حجر ترجم له في الإصابة في تمييز الصحابة، وقال^(٦): "له إدراك".

وهذا أحمد^(٧) أخرج للأشتر حديثًا صححه المحققون ولم يضعفوه،

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٢٤)، وتاريخ المدينة (٤/ ١٣١٣).

(٢) ٢٥١/١ - وما بعدها.

(٣) ٢٥٩/٢.

(٤) ٣٨٩/٥.

(٥) ١٢٦/٢٧.

(٦) ٢١٢/٦.

(٧) انظر حديث رقم ١٦٨٢١.

بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، وجاء في التعليق: "حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عبد الرحمن - وهو ابن يزيد النخعي -، والأشتر: وهو مالك بن الحارث فقد روى له النسائي، وكان قد شهد اليرموك، وقد روى عنه جمع، ووثقه العجلي وابن حبان".

هذا الأشتر عند المحدثين، وعند علماء الجرح والتعديل، وعند العلماء المحققين، وبعد ما قدمت، فإذا كنا نحفل بتوثيق أحد العلماء له، فمن باب أولى أن توثيق الصحابة له هو أعظم وأشرف، ويكفيه ثقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإن كره الكارهون، ولو كان علي يعلم أنه شارك في قتل عثمان لما اعتمد عليه في أي أمر من أموره، كيف وهو قال في الجمل^(١): "ألا وإني راحل غدا فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم".

وعودة إلى ما كتبه د/ مروان: (وفي سياق تاريخي معقد تمكن ومن معه من قتل الحاكم والتمثيل بجثته، ثم انطلق ومن معه من المقاتلين ليشوا الرعب في المدينة وما حولها وكان من نتيجة ذلك أن أعطى الناس بيعتهم لعلي بن أبي طالب).

قول مروان "في سياق تاريخي معقد" إطار يحاول فرض سلطته الثقافية والمعرفية على القارئ، فهو يختصر للقارئ كتباً كثيرة اطلع عليها د/ مروان، ويحاول تبسيط ذلك السياق التاريخي المعقد.

(١) تاريخ الطبري، ٤/ ٤٩٣.

نحن الآن نستعد لخلاصة ذلك السياق المعقد، خلاصته أولاً: أن الأشر تمكّن من قتل الخليفة والتمثيل بجثته.

بالرغم من إيرادنا الروايات القوية التي تبين دور الأشر، فإننا نقول أن كتب التاريخ لا تتهم الأشر بقتل عثمان، هناك آخرون اتهموا، لكن الأشر لم يتهم، حتى في الروايات الضعيفة، وهذا تاريخ الطبري، مثلاً، لم يورد رواية تقول أن الأشر قتل عثمان، بل فيه أن الأشر حاول التوسط بين الخليفة والناشرين، وأنه اعتزل الناشرين، وقال^(١): (وقدم الأشر في أهل الكوفة، فتوافوا بالمدينة، فاعتزل الأشر، فاعتزل حكيم بن جبلة، وكان ابن عديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان) [وابن عديس رئيس أهل مصر].

وإذا كان يقصد بقتل عثمان التحريض على قتله، فتاريخ الطبري يجعل ابن سبأ، وزعماء مصر في المقدمة، بل نص الطبري على اعتزال الأشر أهل مصر حين حاصروا عثمان.

وأما القول أنه مثل بجثته، فهذه فرية أخرى، نفسية أكثر منها علمية.

وخلاصة السياق المرواني ثانياً: أن الأشر ومن معه نصبوا علياً خليفة، وبالرغم من أننا تحدثنا من قبل عن هذه الفرية، وفندناها بالروايات الصحيحة، فإننا نقول هنا: مروان أيضاً أساء قراءة التاريخ، يقرأ في كتب التاريخ "أهل مصر قتلوا عثمان" فيترجمها: "الأشر وأهل الكوفة قتلوا عثمان"، يقرأ: "أهل مصر بقيادة الغافقي" نشروا الرعب في المدينة وأجبروهم على اختيار خليفتهم، فيترجمها: "الأشر وأهل الكوفة فعلوا ذلك"، فلا أدري أي كتب التاريخ يقرأ مروان؟

(١) تاريخ الطبري، ٤/ ٣٧٨.

وهذا ديدنه باستمرار، "أريه السهى ويريني القمر!" فقلّم د/ مروان مبرمج على تحويل الأفعال الشريرة إلى علي ورجاله، بغض النظر عما تقوله الروايات التاريخية، ونحن نتكلم عن مطلق الروايات، وليس عن الروايات الصحيحة.

* لماذا قَدِمَ أهل العراق إذن المدينة؟

ثمة رواية صحيحة صريحة تبين سبب قدوم أهل العراق المدينة، أخرجها النسائي في السنن، وابن أبي شيبة في مصنفه، والدارقطني، وغيرهم، وصحح إسنادها ابن حجر^(١)، والألباني، قال الأحنف بن قيس: "خرجنا حجاجاً فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج، فبينما نحن في منازلنا نضع رحالنا، إذ أتانا آت فقال: إن الناس قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا"، فذكر قصة عثمان وهو يتحدث مع كبار الصحابة، مبرئاً نفسه من تهم المتمردين، إلى أن يقول الأحنف: "فانطلقت فأتيت طلحة والزبير، فقلت: ما تأمراني به وترضيانه لي، فإني ما أرى هذا إلا مقتولاً" يعني عثمان، قالوا: نأمرك بعلي... إلخ.

فأهل العراق كان قدومهم للحج، وكان ذلك في ذي القعدة، فمروا بالمدينة أولاً، وفي تلك الأثناء كان أهل مصر في المدينة محاصرين لعثمان، وحاول الأشر إيقاف أهل مصر وكفهم عن قتل عثمان، والتوسط بينهم، كما تقدمت الروايات الصحيحة، وكون أهل الكوفة والبصرة كانت لهم مطالبات من الخليفة، فذلك حادث حتى في خلافة عمر، كانوا يقدمون إليه ويرفعون إليه مطالباتهم، ومنها شكاوى ضد الولاة، فيستمع منهم، [كما حدث حين عزل عمر المغيرة بن

(١) النسائي (٣٦٠٦)، وابن أبي شيبة (٥٣٩/٧)، والدارقطني (٤٤٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة.

انظر تصحيح ابن حجر في فتح الباري (٣٤/١٣).

شعبة بعد كراهية أهل البحرين له]، وكانت وفود الولايات تستغل موسم الحج فتقدم إلى العاصمة "المدينة المنورة"، وهي في طريقها إلى الحج.

ولم يكن أهل العراق من المتمردين، أو الخارجين على عثمان، ومن يقول خلاف ذلك فعليه إثبات ما يقول بالمرويات الصحيحة، وليس بالروايات الواهية والمنقطعة الأسانيد، أو بأقوال مرسله دون أسانيد.

ومن لديه مروية صحيحة خلاف ما تقدم فسأتمسك بها، ولكن لا تأت وتسرد لي روايات أبي مخنف والواقدي وغيرهم من ذوي البضاعات التالفة، التي تجد لها رواجاً عند الباحثين عن إثارة الخبر، فقد لعبت بنا تلك الواهيات وقتاً طويلاً، ولا نريد أبا مخنف أو واقدياً آخر.

والمحفوظات والمعتقدات التي تعلمناها من صغرنا يجب أن نخضعها للتصحيح، وعدم الانسياق وراء التزوير مرة أخرى، فلا تصحح معتقداً زائفاً بما هو أكثر زيفاً، ولا تقل لي قال فلان وقال فلان، بينا الروايات المسندة الصحيحة، وما عدا ذلك فليس محله هنا.

وهل ذلك يعني أنه لا يوجد أحد من غير وفد أهل مصر شارك في فتنة

عثمان؟

أثناء الفتنة، وحصار أهل مصر لعثمان، قدمت وفود من الكوفة والبصرة للحج، فمروا بالمدينة، ومثل هذه الفتنة تستهوي غوغاء الناس، أي كانوا، والمنطق لا يستبعد مشاركة أفراد من العراقيين مع أهل مصر، الذين تولوا حصار عثمان وقتله، وبالرغم من ذلك فلا توجد رواية صحيحة واحدة تدين أحداً من أهل

العراق بالمشاركة في مقتل عثمان، وهذا لا ينفي ضلوعهم، ولكنني لا أثبت إلا بدليل صحيح.

* هل قتلة عثمان هم الذين بايعوا عليا وأكروهوا الناس؟

خصصنا موضوعا كاملا لمناقشة مسألة شرعية خلافة علي، وهنا نؤكد هذه المسألة، وهي أن الذين بادروا بالبيعة ليسوا قتلة عثمان، بل هم أصحاب رسول الله ﷺ، ومن يزعم أن الصحابة تخلوا عن واجبهم ويدعي أن قتلة عثمان هم من قاموا بأمر البيعة، فإنه يدعي أن قتلة عثمان أكثر غيرة على الدين وعلى أمر المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ.

وأكتفي برواية واحدة دالة على أن من بادر بالبيعة هم الصحابة، وليس قتلة عثمان.

في السنة لأبي بكر الخلال بسند صحيح^(١): عن محمد ابن الحنفية، قال: كنت مع علي حين قتل عثمان رضي الله عنه، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام، ولا نجد أحدا أحق بهذا الأمر منك، أقدم مشاهدا ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال علي: «لا تفعلوا، فإني وزير خير مني أن أكون أميرا»، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد؛ فإنه لا ينبغي بيعتي أن تكون خفيا، ولا تكون إلا لمن رضي من المسلمين"، فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن

(١) الحديث في فضائل الصحابة للإمام أحمد (٥٧٣/٢)، وفي السنة لأبي بكر الخلال (٤١٥/٢)، وحسن إسناده محقق الكتاب، وفي الإبانة لابن بطة (٣٠٣/٨)، وحسن إسناده محقق الكتاب.

يشغب عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس".

فالرواية تبين أن الصحابة ذهبوا مباشرة إلى علي يوم مقتل عثمان، لبيعته؛ حتى لا يصبح الناس بلا خليفة، ولو ليوم واحد.

*** لماذا إذن لم يقم علي بالقصاص من قتلة عثمان؟**

يقول مروان: "هكذا ستأتي قرارات علي لتقول الشيء الكثير، فهو لم يتلكأ عن محاكمة قتلة عثمان وحسب، بل صاروا جيشه الضارب، جيشه الوحيد"، ويقول مروان: "ماجت الجزيرة والأمصار بالخبر، وتتابع الوفود على "علي" من سائر البلاد يطلبون منه إحالة القتلة إلى القضاء، احتراماً لدين الله، ووأداً للفتنة، وهكذا كان رد علي بن أبي طالب: أصدر قراراً بتعيين الشاب المراهق محمد بي أبي بكر حاكماً لمصر، ما اعتبر مكافأة له على قتل الخليفة لتسريع انتقال السلطة إلى تاليه"، ويقول مروان: "الصدمة التي تعرض لها علي في المدينة جعلته يلقي بنفسه في أحضان المرتزقة" اهـ.

استخدم مروان لفظ "مرتزقة" في مقالاته نحو ١٢ مرة، غير وصفهم بقطاع الطرق، والشبيحة... إلخ.

أولاً: مروان، يصف رجال علي بالمرتزقة، متجاهلاً أن كثيراً منهم هم من أصحاب رسول الله ﷺ، فهل كان رسول الله قائد مرتزقة وقطاع طرق وشبيحة؟! وقد ناقشنا من قبل دعوى أن قتلة عثمان هم جيش علي، وبيننا بطلانها!

وكذلك ناقشنا زيف مقولة أن قتلة عثمان هم جيش علي الضارب، وناقشنا

زيف أن محمدا بن أبي بكر شارك في دم عثمان.

ثانياً: أما دعوى أن علياً تلاكاً عن محاكمة قتلة عثمان، فهي دعوى فقيرة من العلم، خالية من الفهم، في كتاب "تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، لمحمد أمحزون"^(١)، عقد فصلاً كاملاً، في ٤٠ صفحة، لدراسة الروايات التاريخية المختلفة حول القصاص من قتلة عثمان، ومواقف الصحابة من ذلك، وناقش المسألة نقاشاً مستفيضاً، بنقد علمي، وليس بمنهج حكائي، ومن أراد البيان فليرجع إليه.

وقال أمحزون^(٢): "من الملاحظ أن الصحابة متفقون على إقامة حد القصاص على قتلة عثمان، لكن الخلاف بينهم وقع في مسألة التقديم أو التأخير، فطلحة والزبير وعائشة ومعاوية كانوا يرون تعجيل أخذ القصاص، بينما رأى أمير المؤمنين علي ومن معه تأخيره؛ حتى يتوطد مركز الخلافة، ويتقدم أولياء عثمان بالدعوى عنده على معينين، فيحكم لهم بعد إقامة البينة عليهم؛ لأن الذين حاصروا عثمان من قبائل متفرقة، على أن استعجال تنفيذ القصاص في هذا الجمهور بدون إقامة الدعوى من أولياء المقتول عند الإمام، وحكمه على القاتل، يؤدي لا محالة إلى انتشار الفتنة بحرب طاحنة يذهب فيها كثير من الأبرياء، ولذلك كان رأي علي أسد وأصوب من رأي طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، كما نطقت بذلك النصوص الشرعية"، اهـ.

وأعقب على هذا النقل، بالإشارة إلى أننا قد ناقشنا من قبل بطلان مقولة أن خروج الزبير وطلحة وعائشة للثأر لعثمان.

(١) ص ٤٥٠-٤٩٠.

(٢) ص ٤٥٤.

ثالثاً: من الأخطاء التأويلية التي انطلت على كثير من ذوي العلم، قولهم إن علياً لم يستطع إقامة القصاص على قتلة عثمان؛ لأنهم كانوا قوة ضاربة، وكان عاجزاً عن إقامة القصاص، وخشي حدوث فتنة أكبر... إلخ، وهي تأويلات لا تستند إلى روايات صحيحة، بل الرواية الصحيحة تبين أن علياً دعا معاوية إلى الدخول في الطاعة، والتقدم إليه بطلب المحاكمة.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري^(١): "وقد ذكر يحيى بن سليمان الجعفي أحد شيوخ البخاري في كتاب صفين في تأليفه بسند جيد عن أبي مسلم الخولاني، أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا، وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان، فأتوه فكلّموه، فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي، فامتنع معاوية".

فعلي طلب أن تجري المحاكمة مجراها القانوني والشرعي، وألا يكون الأمر غوغائياً، خاضعاً للعواطف، التي أثرت في قلوب كثير من الناس بعد مقتل الخليفة، وهو حادث جلل، إلا أن الطريقة القانونية في إقامة القصاص هي التي تحول دون انزلاق في حرب أهلية طائفية.

قال القرطبي في تفسير قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(٢): "اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض، وإنما ذلك للسلطان أو من نصبه السلطان لذلك،

(١) ٨٦/١٣.

(٢) تفسير القرطبي، ٢/٢٥٦.

ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض".

وقال ابن العربي^(١):

فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البيعة، ويقع الحكم، فأما على الهجوم عليه بما كان من قول مطلق، أو فعل غير محقق، أو سماع كلام، فليس ذلك في دين الإسلام".

فهو نص محقق لأشهر قضاة المالكية في التاريخ الإسلام، في أنه لا يصح العودة إلى شرعة الجاهلية في الثأر من القاتل، بل لا بد في القصاص: أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى.

فإن قيل: كيف يؤجل علي دم عثمان ويستعجل على توحيد الدولة؟

فالجواب، إضافة لما سبق ذكره، أن علياً يريد إقامة الأمر بطريقة قانونية، إضافة إلى ذلك أقول:

هذا من فقه الصحابة السياسي، فأمر الأمة مقدم على أمر الشخص، ولو كان الخليفة، وتوحيد الدولة، وإنهاء التمرد مقدم على الثأر من قتل عثمان، والنبى ﷺ حين مات، بدأ الصحابة بالبيعة قبل دفنه.

رابعاً: ثم إن علياً لم يكن يعرف أعيان القتلة، وقد أوردنا قوله - كما في سنن سعيد بن منصور بسند صحيح عن علي^(٢): "والله لو ددت أن بني أمية رضوا

(١) العواصم من القواصم، ص ١٤٢ - ١٤٧.

(٢) ٣٨٨/٢.

لنفلناهم خمسين رجلا من بني هاشم يحلفون: ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلا".

فكيف يقيم القصاص على مجهول؟

فليست المسألة أن عليا يستخدم القصاص للابتزاز السياسي، بل القضية أن أولياء الدم يتقدمون للحاكم بتهام قاتل - أو قتلة معينين - ثم تأخذ المحكمة مجراها.

ثم إن معاوية عندما ولي الأمر، فهل قام بمحاكمة قتلة عثمان؟! إن معاوية تصرف بحكمة سياسية تجاه الأمر، فلماذا إذن ندين عليا؟! مع أن معاوية قد استتب له الأمر، وخضعت له الدولة الإسلامية كلها، وذلك ما لم يتحقق لعلي، فكان لمعاوية من عوامل القوة والاستقرار ما لم يكن لعلي [وهذا على تأويل من قال بعدم مقدرة علي على تنفيذ القصاص]، فهل ندين معاوية؟!

إن الكلام حين ينبع من الهوى، يجعل القلم الناقد، مجرد قلم حاقدا!

خامساً: وحتى لو لم يقيم علي بالقصاص، كما قال ابن تيمية في منهاج السنة^(١)، وهو فقيه السياسة الشرعية: "بل لو كان قادرا على قتل قتلة عثمان وقدر أنه ترك هذا الواجب: إما متأولا وإما مذنبا، لم يكن ذلك موجبا لتفريق الجماعة، والامتناع عن مبايعته، ولمقاتلته، بل كانت مبايعته على كل حال أصلح في الدين، وأنفع للمسلمين، وأطوع لله ولرسوله من ترك مبايعته".

سادساً: اليوم نتحدث عن "العدالة الانتقالية"، وبالأخص: "العدالة الجنائية"، حيث يتم التجاوز عن جرائم جماعية وانتهاكات عامة، "يتعذر معها

(١) ٤١١/٤.

تحقيق العدالة الجنائية باعتماد المقاربة والموارد الضئيلة نفسها المعتمدة في آليات العدالة العادية، حيث يتطلب ذلك ملاحظات استراتيجية، ومنهجيات تحقيق خاصة، وفي نهاية المطاف يجب أن تؤوّل هذه المبادرات إلى الاستجابة لمصلحة العدالة وحقوق الضحايا، والمساعدة على إعادة بناء نسيج المجتمع الاجتماعي والمؤسسي ودفع السلام المستدام قدمًا^(١).

وعلى افتراض أن عليا لم يستطع، وقدر أن القصاص سيؤدي إلى منكر أكبر، فإن فقه تغيير المنكر عند السلف يركز على ترك التغيير إذا كان سيؤدي ذلك إلى منكر أكبر منه.

* معاوية وأهل الشام هم الذين عرقلوا تنفيذ القصاص من قتلة عثمان:

يقول القاضي المالكي ابن العربي^(٢): (وأي كلام كان يكون لعلي - لما تمت له البيعة - لو حضر عنده ولي عثمان، وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول إلا: اثبت، وخذ، وفي يوم كان يثبت إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقًا للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدًا، وكان يكون الوقت أمكن للطالب، وأرفق في الحال، أيسر وصولًا إلى المطلوب، والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحدًا إلا بحكم، إلا من قتل في حرب بتأويل، أو دس عليه فيما يقال).

(١) نقلا عن موقع المركز الدولي للعدالة الانتقالية، بتصرف.

(٢) العواصم من القواصم، ١٦٨.

فابن العربي يلوم أهل الشام أنهم هم الذين تسببوا في نجاة قتلة عثمان، وعدم إقامة القصاص، وذلك بسوء تصرفهم، وعدم اتباعهم الإجراءات القانونية، ولولاهم لما أمكن أن يثبت الظلم على عثمان، وأمكن الخليفة من تحقيق العدالة. كما يستدل ابن العربي على ذلك بأن معاوية لم يقم القصاص حين استتب له الأمر.

ويقول ابن تيمية^(١):

(لم يكن علي مع تفرق الناس عليه متمكنا من قتل قتلة عثمان إلا بفتنة تزيد الأمر شرا وبلاء، ودفع أفسد الفاسدين بالتزام أذناهما أولى من العكس؛ لأنهم كانوا عسكرا، وكان لهم قبائل تغضب لهم).

فمعاوية هو أكبر أسباب تفرق الناس على علي؛ مما أدى إلى عدم تمكن علي من القصاص.

* اتهام الصحابة بالسلبية تجاه مقتل عثمان:

وأخيراً، ثمة اتهام للصحابة بالسلبية تجاه مقتل عثمان، وأنهم لم يقوموا بواجب الدفاع عنه، وهذه الشبهة بالرغم من قدمها فإن المستشرقين أعادوا إثارتها والبحث عن الأدلة الداعمة لها، ومنهم فلهوزن^(٢).

وقد تناول العلماء هذه الشبهة قديماً، ومنهم ابن العربي في "العواصم من القواصم"، وقال^(٣):

(١) منهاج السنة، ٤/ ٤٠٧.

(٢) انظر موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، د. سعد الماجد، ص ١٣٤.

(٣) ص ١٤٠.

"وقد انتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا: إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبا مؤلّبا، وبما جرى عليه راضيا، واخترعوا كتابا فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرحا إلى علي، وذلك كله مصنوع ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين"، ثم قال: "فالذي ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم، محجوج بغير حجة، وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم؛ لأنهم أتوا إرادته، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه"، وذكر مجموعة من الآثار التي فيها نهى عثمان لهم، ومنها: "قال سليط بن أبي سليط: نهانا عثمان عن قتالهم، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم عن أقطارها".

وقال أيضا^(١): "ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفا بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة" [ويقصد أنه اختار أهون الشرين].

وابن كثير في "البداية والنهاية"^(٢) وعقد فصلا بعنوان: "كيفية قتل عثمان بالمدينة وبها جماعة من كبار الصحابة"، وذكر ابن كثير عدة أجوبة، منها: أنهم لم يكونوا يظنون أن يبلغ الأمر حد القتل، ومنها أن الصحابة دافعوا عن عثمان، ولكن عثمان أصر عليهم أن يكفوا أيديهم، وبالرغم من ذلك فقد كان أولاد كبار الصحابة في دار عثمان يدافعون عنه، حتى جرح بعضهم.

وفي كتاب "التمهيد والبيان في مقتل عثمان"^(٣) للمالقي (ت ٧٤١هـ)، ذكر

(١) ص ١٣٦.

(٢) ٣٤٤/١٠.

(٣) ١٩٦ - وما بعدها.

عدة أجوبة للمسألة، منها: أنهم سمعوا لعثمان وأطاعوا حين نهاهم، وعثمان فعل ذلك لعلمه أنه سيقتل شهيدا مظلوما [بخبر النبي ﷺ له]، وكذلك إشفاقا منه أن يتلف عدد من الصحابة بسببه، وخوفا من أن يُقتل من لا يستحق القتل في تلك الفتنة.

* علي وعبيد الله بن عمر بن الخطاب:

وأختم هذا بما اتهم به بعضهم عليا أنه تلكأ عن دم عثمان، وأسرع في طلب عبيد الله بن عمر بن الخطاب^(١)، ليقتله بالهرمز، بالرغم من أن عثمان قد حكم في القضية.

والرد على هذه القضية بأربعة أمور:

أولاً: حديث أن عثمان لما استشار الصحابة في أمر عبيد الله، أشار عليه علي بن أبي طالب بقتله، حديث غير ثابت، قال الزيلعي في نصب الراية: "وأما أن عليا ممن أشار بقتله، فغير صحيح، لا يثبت"، وضعف الألباني في سلسلة الضعيفة حديث الاستشارة.

ثانياً: دعوى أن عليا لما ولي الخلافة طلبه دعوى لا تثبت، وللأسف أن مستند هذه الدعوى الباطلة تاريخ المسعودي المعروف بأكاذيبه وافتراءاته^(٢)، وقد كفانا مؤنة الرد عليها ابن تيمية في منهاج السنة، يقول^(٣):

(١) القصة باختصار أنه بعد مقتل عمر بن الخطاب، على يد أبي لؤلؤة المجوسي، ذهب عبيد الله بن عمر، فقتل ابنة لأبي لؤلؤة، وقتل الهرمز. والهرمز أحد قادة الفرس، ولكنه قد أسلم. فلما ولي عثمان الخلافة ذكرت الروايات التاريخية أنه استشار الصحابة، فاختلفت آراؤهم، ثم عفا عنه ولي الدم، وقيل بل الخليفة.

(٢) مروج الذهب، ٢/ ٢٩٥.

(٣) ٢٨٤/٦.

"وأما قوله: إن عليا كان يريد قتل عبيد الله بن عمر، فهذا لو صح كان قدحا في علي.

والرافضة لا عقول لهم، يمدحون بما هو إلى الذم أقرب؛ فإنها مسألة اجتهد، وقد حكم حاكم بعصمة الدم، فكيف يحل لعلي نقضه؟ وعلي ليس ولي المقتول، ولا طلب ولي المقتول القود، وإذا كان حقه لبيت المال، فللإمام أن يعفو عنه، وبكل حال فلم يكن بعد عفو عثمان وحكمه بحقن دمه [ما يبيح] قتله أصلا، وما أعلم في هذا نزاعا بين المسلمين، فكيف يجوز أن ينسب إلى علي مثل ذلك؟

ثم يقال: يا ليت شعري متى عزم [علي] على قتل عبيد الله؟ ومتى تمكن علي من قتل عبيد الله؟ أو متى تفرغ له حتى ينظر في أمره؟ وعبيد الله كان معه ألوف مؤلفة من المسلمين مع معاوية، وفيهم خير من عبيد الله بكثير، وعلي لم يمكنه عزل معاوية، وهو عزل مجرد، أفكان يمكنه قتل عبيد الله؟!

وعبيد الله بن عمر لحق معاوية بعد مقتل عثمان، كما لحقه غيره ممن كانوا يميلون إلى عثمان وينفرون عن علي... إلخ".

ثالثاً: ثم إن عشرات الروايات المروية عن علي، تبين احترامه لما كان يمضيه الخلفاء السابقون من قبل، وتصريحه بذلك، وأكتفي هنا برواية واحدة، حين قدم نصارى نجران على علي في خلافته، وطلبوا منه أن يعيدهم إلى نجران، وكان عمر أجلاهم منها، فقال لهم علي^(١): (إن الذي أخذ منكم عمر رضي الله عنه لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه لجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذ منكم خيراً مما أعطاكم، والله لا أرد شيئاً مما صنعه عمر رضي الله عنه، إن عمر رضي الله عنه كان رشيد الأمر).

(١) انظر سنن البيهقي، ١٠/ ٢٠٥.

وبذلك أصل قاعدة فقهية مهمة، وهي أنه لا يرد القاضي اجتهاد قضاء من قبله.

وقد عقد الإمام ابن بطة (ت: ٣٨٧ هـ)، في كتابه (الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) باباً كاملاً عنوانه^(١) (ذكر اتباع علي بن أبي طالب في أيام خلافته سنن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، واتباع بعضهم لبعض). ومما ذكره بشأن عثمان، متابعتة لعثمان في شأن جمع المصاحف، وإعلانه أنه فعل ذلك عن ملأ ومشورة، وقال: (لو وليت لفعلت الذي فعل عثمان في المصاحف)^(٢).

وقال ابن بطة أيضاً^(٣): (فإننا لا نعلم أحداً من المسلمين من أهل العلم روى أن علياً رضي الله عنه خالف أبا بكر، ولا عمر، ولا عثمان، في شيء مما حكموا به من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفه وسهم ذي القربى، ولا غير ذلك من قضايا عمر في أهل الذمة، وقيام شهر رمضان، ومصحف عثمان، ولقد دخل علي رضي الله عنه الجزيرة فأخرج إليه أهل الذمة بها كتاب العهد الذي كتبه لهم عمال عمر بن الخطاب - رحمه الله - والشرائط التي كان شرطها عليهم فيه فاستحسنه علي وقبله، وحكم به وأمضاه).

رابعاً: نقول لمن يشغبون بهذه الفرية: هل ذلك اعتقاد منكم بعدم جواز قتل المسلم بكافر [فأعلنوا عن موقفكم]، أو لمجرد لقيانكم مسألة تشغبون بها على علي رضي الله عنه!

(١) ٤ / ٣٦٣ - ٤٣٧.

(٢) ٤ / ٤٠٤.

(٣) ٤ / ٤١٥.

فقط الكوفة! أين الولايات المخطوفة؟

١ - عند استشهاد علي (عليه السلام)، كانت كل الولايات تحت سيطرته باستثناء الشام ومصر.

٢ - الكوفة المتهمة بتشويه الدين، هي المدينة التي يقرأ ملايين المسلمين اليوم القرآن برواية حفاظها.

٣ - هل قال مالك أن الكوفة هي دار الضرب؟

٤ - الكوفة في نظر المحدثين والفقهاء واحدة من أهم مراكز المدن الإسلامية، التي أنتجت الرواة والفقهاء.

٥ - هل الكوفة مدينة بلا تاريخ؟ ماذا يقول المحققون؟

٦ - الكوفة بلد الإشعاع الحضاري.

٧ - وأخيراً، لماذا صارت العاصمة الثانية للخلافة الراشدة؟

الولايات التي حكمها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان من بعده، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، ولايات مترامية الأطراف، واسعة الأرجاء، ومثلما أن الخليفة مؤتمن على هذه الولايات، فكذلك ولاية الولايات وأمرؤها وأهلها، كلهم مؤتمنون أيضاً.

حين تولى الخلافة علي، حدث ما لم يكن في الحسبان، رفض معاوية البيعة، وحدث أول انشقاق للخلافة الراشدة، لم يقف معاوية عند هذا الحد، بل

حاول السيطرة على ولايات الدولة، مستغلا القوة العسكرية لجيش الشام، الذي هو في الأصل جيش من جيوش الدولة.

هذا جزء من التاريخ، نقرأه ولا ننكره، نقرأه في ضوء الاجتهاد والممكن البشري، وليس في ضوء التهويل أو التهوين.

ينبذ مروان عليا، ويلقبه بـ "امبراطور الكوفة"، !

المسلمون كلهم يسمون الخلفاء الراشدين خليفة، أو أمير المؤمنين، لا يوجد امبراطور في ذلك العصر، والمؤرخ يستخدم مصطلحات العصر كما هي، واستخدام لفظ "امبراطور الكوفة" إنما هو رغبة في السخرية والاحتقار التي لا تلتقي مع المنهج العلمي الأمين، فالكوفة لا تحتاج إلى امبراطور، بل أمير، لكن مروان يريد التهكم بعلي بهذا الوصف، ويصوره بصورة المتهالك على الامبراطورية، حتى لو مجرد مدينة هامشية، كما يصفها مروان، لا قيمة لها في التاريخ.

وكأن مروان يتمنى أن يكون معاوية اختطف كل الولايات، ولذلك يقوم مروان باختطاف تلك الولايات في كتاباته، فيحقق بقلمه ما لم يتحقق في الواقع! استمرأ مروان اختطاف الولايات، وتقطيع الأوتار، حتى لم يعد علي عنده إلا "امبراطور الكوفة"، بل حتى تلك الكوفة ما هي إلا "مدينة بلا تاريخ"، وتركها علي "مدينة تحرف الدين"!

فهل هذه هي الحقيقة؟

* الولايات التي استشهد علي وهي تحت ولايته:

عندما تولى علي الخلافة لم تدخل الشام تحت ولايته منذ أول يوم،

ودخلت بقية ولايات العالم الإسلامي، وظلت معظمها تحت ولايته حتى استشهاده، [انظر تاريخ خليفة بن خياط^(١) وتاريخ الطبري، وأكتفي بمتقدمي المؤرخين].

- ليس الكوفة، فقط، بل البصرة بقيت معه حتى استشهاده،
- ولاية فارس وما وراءها من المشرق العربي، بقيت معه حتى استشهاده،
- خراسان بقيت تحت ولاية علي حتى استشهاده،
- سجستان، بقيت تحت ولاية علي حتى استشهاده.
- أذربيجان، وأرمينية أيضا بقيت حتى استشهاده،
- البحرين وعمان، أيضا بقيت تحت ولايته، حتى استشهاده.
- مكة بقيت تحت ولايته حتى استشهاده.
- المدينة بقيت تحت ولايته حتى استشهاده.

- اليمن بقيت تحت ولايته، حتى استشهاده، [وفي عام ٤٠ هـ، أرسل معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى المدينة ومكة واليمن، فسلبهن، وتجنب ولاية علي المواجهة؛ حقنا للدماء، قال الطبري: ثم أرسل علي جارية بن قدامة ووهب بن مسعود، فاستردوا اليمن، وهرب بسر إلى مكة، فلحقوه، فلما أدركوهم، كان علي قد استشهد، فقال لهم جارية: بايعونا، فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين، فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي، فثاقلوا، ثم بايعوا، ثم سار حتى أتى المدينة، ثم

(١) ص ١٩٨-٢٠٠.

قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي، فبايعوه وأقام يومه، ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة^(١).

- مصر بقيت معه حتى ٣٨ هـ، وهي الولاية الوحيدة التي استولى عليها معاوية، وبعث الأشتر لاستردادها، ولكنه مات في ظروف غامضة وهو في طريقه إليها.

- ولاية الجزيرة [ومن مدنها: الموصل ونصيبين]، وهي ولاية انتزعها علي من سيطرة معاوية، فقد كانت الجزيرة تابعة للشام في عهد عثمان، فانتزعها علي، وبقيت تحت ولايته.

فما خرج من ولايته إلا مصر، وأما الشام فمن أول الأمر مع معاوية، وأما اليمن ومكة والمدينة فسرعان ما استردهن، والجزيرة انتزعها من ولاية الشام.

أفهدا امبراطور الكوفة؟!

*** هل الكوفة شوهت الدين؟**

أولاً: حين يصلي المسلم، ويتلو آية من كتاب الله، يتذكر أن أحد الرواة الذين نقلوا إليه القرآن الكريم هو علي بن أبي طالب، إذا أمسك بالمصحف، يقرأ آخره: "كُتِبَ هذا المصحف الكريم، وضُبط على ما يوافق رواية بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي، عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، عن النبي ﷺ".

(١) تاريخ الطبري، في أحداث عام ٤٠ هـ: ٥ / ١٤٠. وانظر تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩٨.

هذا علي، وهؤلاء الرواة الكوفيون، تلك الكوفة التي قال مروان عنها زورا:
"وسيتحضر فقهاء الإسلام كثيرًا وهم يُرون الكوفة تحرّف شكل الدين كليًا تحت
إشراف حاكمها كرم الله وجهه!"

هذه افتراءات "مجرد حكي"، عدا عن النبز والسخرية، وكأنه يقول للناس:
لم نجد في علي إلا تحريف الدين، هذا عليكم يا مسلمون، ولست بصدد مناقشة
هذه المقولة، ولكن ثمة فرق بين من يناقشها علميا، ومن يستخدمها للسخرية
والاحتقار!

فهل رجل مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي قاتل مع رسول الله من أجل
هذا الدين، ومن أجل رسالة الإسلام، وضحى بحياته، وزكاه الله سبحانه وتعالى،
وأثنى عليه الرسول، وبين أنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأنه من
أهل الجنة، وقد قضى حياته في نشر الدين وتعليمه، هل هذا الرجل يسعى في
تحريف الدين وتشويهه؟!

علي الذي أشرف على نشر الدين، وتعليم القرآن، وتفقيه الدين، بإجماع
علماء الأمة عبر التاريخ، كيف يصبح عند مثقفنا مشرفا على تشويه الدين
وتحريفه؟!

علي الذي شهد له النبي بالإيمان ظاهرا وباطنا، وأنه يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله، وشهد له بسلامة دينه^(١)، وبتطهير الله له من الرجس، وبشره

(١) جاء في المستدرک للحاکم (٤٦٧٧)، وصححه الذهبي، من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ، قال
لعلي: «أما إنك ستلقى بعدي جهدا» قال: في سلامة من ديني؟ قال: «في سلامة من دينك».
وتأمل كيف أن عليا لم يهتم بما سيصيبه، بل اهتم بسلامة دينه، فخاف أن تؤثر البلايا في دينه، =

بالجنة، وشهد له بالشهادة في سبيله، أهو الذي يحرف الدين؟!

علي الذي تورع عن المال العام، وعاش زاهدا في الدنيا، وعاش متواضعا،
يلبس كما يلبس الخادم، ويخرج مع الناس وهو خليفة يتنزه مثلهم، لم تكن له
قصور خاصة به، ولا حدائق خاصة به، ولا محميات، أهو الذي يشوه الدين؟!

علي الذي كان يخرج قبل صلاة الفجر فيوقظ الناس لصلاة الفجر، وهو
الخليفة، لم يلهه عمله عن الصلاة وعن حث الناس على ذلك، حتى إن ابن ملجم
اختار هذا الوقت لقتله؛ لعلمه أنه لا يتخلف عن صلاة الفجر أبدا، أهو الذي يشوه
الدين؟!

علي الذي لم يوص أولاده وهو يحتضر بالدنيا وبالسلطة والمال، بل
أوصاهما فقال^(١): (أوصيكمما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا
على شيء زوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغثا الملهوف، واصنعا
للآخرة، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في الكتاب، ولا
تأخذ كما في الله لومة لائم)، أهو الذي يشوه الدين؟!

إذا كان علي يحرف الدين ويشوّهه، فمن الذي ينقل لنا الدين الصافي،
ويحافظ عليه؟ أهو الدكتور/ مروان الغفوري!

المثقف الذي يميع معتقده الديني [في صفحته] بما يظهر معه تساوي
المعتقدات، ويخجل أن يقول إن دينه الإسلام، أو يقول إن الإسلام يقوم على مبدأ

= فطمأنه الرسول لذلك.

(١) تاريخ الطبري، ١٤٧/٥.

(لا إكراه في الدين)، أهو الذي يحرص على حماية الدين؟!!

المثقف الذي يفرط في واجبه الديني، تجاه أطفاله، فضلاً عن غيرهم، أهو الذي يتهم الصحابة بتحريف الدين؟!!

الذي تعج مقالاته ومنشوراته بازدراء الدين، وازدراء علماء الأمة، ومفسريها وفقهائها، أهو المتصدر الآن للحفاظ على الدين؟!!

الذي يقول (إيماني بالإله مختلط بشك عميق)، ويرى أن الدين ليس إلا أخلاقاً [مجرداً عن الإيمان والعبادات]، وأن صيام رمضان مجرد عادة بقيت معه من الصغر، ويخبرنا أنه يقضي ليالي رمضان في متابعة المسلسلات [مقال: عن صديقي رمضان، بتاريخ ٢٤ يونيو ٢٠١٧م]، أهو الحريص على الدين؟! أهو الذي يحكم على الصحابة أنهم يشوهون الدين؟!!

الذي يعلم ابنته أن العبادات عادات، وأن رمضان حق الشفوت، أهو الذي يقف ليخبرنا أن الصحابة شوهوا الدين؟!!

الذي يخبرنا أنه التقى في صنعاء فتاة قادمة من الإمارات، فطلبت أن تتمشى معه في شوارع صنعاء، فتخرج لأنه ظن أن الناس تعرفه [حرجه خوفاً من الناس، لا خوفاً من الله]، ولكنها أقنعتة فاستجاب لها وتمشياً معها، أهذا هو الذي يعلمنا ديننا؟ ويتجرأ على وصف الصحابة أنهم شوهوا الدين؟! [مقاله: عن أشياء لا تهم أحداً، منشور على صفحته، بتاريخ ٢٠ مايو ٢٠١٧م].

"الشيخ" الذي يعلمنا أنه لا وجود لكفر وإيمان في القرآن الكريم، وأن الإنسان الكافر ليس ذلك الذي يشرك بالله، أو يقول: الله ثلاثة، أو يدعي أن الله

ولدا، أو ينكر وجود الله، بل هو الظالم، الذي قد يكون مؤمنا بالله، ضاربا عرض الحائط بآيات القرآن الكريم الصريحة في كفر النصارى واليهود، أهو الذي يعلمنا الدين النقي الصافي؟ [مقاله: كيف نفهم الله، منشور بتاريخ ١٤ مايو ٢٠٢٢م]

ألهذا السبب وجه الدكتور مروان سهامه إلى الصحابة، يتهمهم أنهم لم يفهموا القرآن، وأن فهمهم شوه الدين، وأن علماء الأمة لم يفهموا القرآن، حتى أتى الدكتور مروان يجدد لنا ديننا؟!

لا أجد مثلا لذلك إلا فرعون حين أظهر لقومه أنه يخاف على الدين، وأن موسى هو الذي يسعى في الفساد: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

ثم إن الدكتور مروان وجد المستشرقين يتهمون الإسلام بأنه المسؤول عن ما أصاب المسلمين من تخلف وركود عقلي، بل وانحراف أخلاقي، فأعاد صياغة هذه التهمة موجهها إياها لعلي، وزاعما أن عليا حرف الدين، وأنه المسؤول عن تشويهه!

ثانياً: ينقل مروان أن مالك بن أنس سمى تلك البقعة "أرض الضرب"^(١)، ويقتبسه من [الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، الثعالبي]، ومروان يقصد: "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي"، ومؤلفه معاصر توفي ١٣٧٦ هـ.

القاضي عياض، المالكي (ت: ٥٤٤ هـ) يقول^(٢): "قال مطرف: جاء رجل

(١) المقصود بالعبرة أنهم يضعون الأحاديث، ويخترعونها، كما يضربون السكة لإنتاج الدراهم والدنانير.

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ١٤١/٢. وقوله (فسمع عددها أحاديث)، يقصد أنه قضى نحو ستين يوما، وسمع فقط ستين حديثا.

من أهل الكوفة إلى مالك: فأقام نحو الستين أو السبعين يوماً، فسمع عددها أحاديث، فشكى ذلك إلى مالك وقال: نحن بالعراق نكتب من الحديث في ساعة أكثر من هذا، فقال له: يا ابن أخي، بالعراق عندكم دار الضرب، يضرب بالليل ويخرج بالنهار".

فمالك لم يتحدث عن الكوفة بل عن العراق، والكوفة ليست كل العراق! وإذا كان الدكتور/ مروان يعتقد أن مالك يقصد بالعراق الكوفة، فهذا مدح وثناء للكوفة، بمعنى: أنه إذا أطلق لفظ العراق تبادل الذهن إلى الكوفة؛ لأهميتها على ما سواها من مدن العراق، فكيف يزعم مروان أنها مدينة هامشية! ثم متى كان علماء الجرح والتعديل يأخذون بالأحكام العامة، ألم يدرسوا حالة كل رجل وبينوا حالته، وبينوا حالة مروياته، فثمة من وثقوه من الكوفة ومن المدينة ومن غيرها، وثمة من ضعفوه من مختلف أمصار دار الإسلام.

ولماذا مكث مروان طويلاً يناقش "أبا بلج الكوفي" وينقل تجريح العلماء له، كان يكفيه أن تقول: أبو بلج من أهل الكوفة، ومالك يقول عنهم أهل الضرب، فكل من بالكوفة إذن كاذب، والنتيجة أن أبا بلج كاذب، دون أن يتعب نفسه في نقل كلام العلماء فيه!

ثالثاً: افتح كتاب العلل لابن المديني^(١)، شيخ البخاري، واقرأ في أوله، وهو يتحدث عن عامة أسانيد كتب السنة: "نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة: (فلأهل المدينة): ابن شهاب الزهري، و(لأهل مكة): عمرو بن دينار، و(لأهل

البصرة): قتادة، ويحيى بن أبي كثير، و(لأهل الكوفة): أبو إسحاق السبيعي، وسليمان بن مهران"، أهذه المدينة التي حرفت الدين؟! وبظرة أخرى في هؤلاء تجد ثلثهم من أهل الكوفة.

رابعاً: ابن حبان في كتابه "مشاهير علماء الأمصار"، يذكر المشاهير بدءاً بالصحابة ثم التابعين ثم أتباعهم، ويبدأ في كلِّ بالمدينة، ثم مكة، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، ثم مصر، ثم اليمن، ثم خراسان، (وفي أتباع التابعين أضاف بغداد وواسط)، بلغ إجمالي ترجماته (١٦٠٢ علماً)، نصيب الكوفة منهم (٢٦٨ علماً)، أي نسبة (١٧٪) من الأعلام لأهل الكوفة.

خامساً: الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، ناقش شبهة (هل كان أبو حنيفة قليل البضاعة في الحديث)^(١)؟ وقد أوسع المسألة نقاشاً، مبيناً خطأ هذه الدعوى، وفي أثناء نقاشه يقول عن الكوفة:

(أما الكوفة فبعث إليهم عمر بن الخطاب ابن مسعود، لعظم مكانته العلمية، وقد تولى تفقيه أهل الكوفة بجد وعناية منذ بعثه عمر إلى أواخر خلافة عثمان، وتخرج عليه عدد عظيم جداً من القراء والفقهاء في الكوفة، حتى إن علي بن أبي طالب أعجب غاية الإعجاب بكثرة فقهاءها، فقال لابن مسعود، «ملأت هذه القرية علماً وفقها» بل بلغ تلاميذه وتلاميذ تلاميذه أربعة آلاف هم سرج تلك القرية.

وبعد انتقال علي وقراء الصحابة إلى الكوفة ازداد الاهتمام بتفقيه أهلها إلى أن أصبحت الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة فقهاءها ومحدثيها

(١) ص ٤٤٨ - ٤٥٤.

والقائمين بعلوم القرآن وعلوم اللغة العربية فيها من حيث سكن أفصح القبائل العربية حولها، وكثرة من نزل بها من كبار الصحابة، فكبار أصحاب علي وابن مسعود لو دونت تراجمهم في كتاب خاص لآتى كتابا ضخما، وأبلغ العجلي عدد الصحابة الذين سكنوا الكوفة فقط إلى ألف وخمسمائة صحابي فضلا عن باقي بلدان العراق)، اهـ.

سادساً: ثم هل علي وحده الذي كان بالكوفة؟ يقول أبو يعلى الخليلي (ت: ٤٤٦ هـ)^(١): "عن قتادة، قال: دخل الكوفة من أصحاب النبي ﷺ ألف وخمسون، منهم ثلاثون بدريون"، فهل هؤلاء كلهم تظاهروا على تحريف الدين؟
سابعاً: وابن تيمية بعد أن ذكر الوضع والكذب في الكوفة، قال^(٢): "ومع هذا أنه كان في الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير".

د/ أكرم العمري ناقش هذه المسألة نقاشاً مستفيضاً، ثم ختم بالقول^(٣): "إن ظهور مرويات العراقيين في كتب الصحاح، يدل على نجاح علماء العراق في تنقية السنة، وتمييز الصحيح من الموضوع، ومعرفة الرجال الثقات من المتهمين".

ثامناً: ثم أليس أصدقاؤنا من "العلمانيين" [منحوت من العلمانيين والمتدينين]، يشنون على الكوفة، ويهاجمون مكة والمدينة! بعبارة أخرى: يحملون أقلامهم للهجوم على مدرسة الحديث، المتمثلة في أهل المدينة، ثم مدرسة الشافعي الفقهية والأصولية، التي تقوم على احترام الحديث، ويشيدون بمدرسة

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ٢/ ٥٣٣.

(٢) منهاج السنة، ٢/ ٤٦٨.

(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٣٠.

أهل الكوفة، مدرسة الرأي، التي أسسها أبو حنيفة؟! فبأي معايير تمدحون الأمر هناك وتذمونه هنا؟ وبأي معايير يقبل الأمر الواحد حالة النقيضين؟ أم أنه الهوى!

تاسعاً: ثم إنه من المعلوم أن الحالة السياسية والاحتقان السياسي والاجتماعي في تلك المرحلة، له تأثير في الأحكام، والعلماء عبر التاريخ يراعون مثل ذلك، ليس على المستوى العام فحسب، بل على المستوى الشخصي، ولذلك اشتهرت مقولة "كلام الأقران يطوى ولا يُروى"، وعقد ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" باباً بعنوان: "باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض"، ولو قرأت سير أعلام النبلاء للذهبي، لوجدت عشرات الأمثلة التي يرسخ بها الذهبي هذا المنهج، ولذلك فحتى لو قال مالك مثل هذا الكلام، فهو يأتي في سياق تنافس تاريخي، لا يستطيع الناقد أن يتجاهله، ومن يتجاهل السياق التاريخي فإنه يحاول تأليه البشر، أو شيطنتهم، فالبشر أفعالهم وأقوالهم تأتي في زمان ما ومكان ما، مما يمنحها النسبية.

* هل الكوفة مدينة بلا تاريخ؟

ارتبطت نشأة الكوفة بالفتوحات، وإسقاط الامبراطورية الفارسية، واستقر بها الجيش الفاتح الذي انتصر في القادسية وجلولاء والمدائن، ولماذا تم اختيار موقع الكوفة بالذات؟ وما الأبعاد الثقافية والحضارية والاستراتيجية لذلك؟

في تاريخ الطبري^(١)، مجموعة من الروايات، يتضح لنا من خلالها بعض الأسباب، منها: كونها أفضل بقعة ملائمة للعرب الفاتحين، وقد جاءت لتكون حلاً

(١) ٤٠/٤ - وما بعدها.

من وخومة المناطق الأخرى، واتخذها سعد مقرا للقيادة، وكتب لعمر: "إني قد نزلت بكوفة، منزلا بين الحيرة والفرات، برياً بحرياً، يُنبِت الحلي والنَّصي".

في (كتاب: الكوفة - نشأة المدينة العربية الإسلامية، أ، د، هشام جعيط [مؤرخ تونسي، رحل في شوال ١٤٤٣ هـ عن ٨٦ عاماً]، طبعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي) مناقشة مستفيضة موسعة لنشأة الكوفة وتطورها ومعالمها، في بحث تاريخي متميز، وقد ذكر منشأتها مجموعة عوامل طبيعية، وسياسية، واستراتيجية، وثقافية، وأنقل من كلامه بتصرف^(١):

- اختيار الكوفة لملائمة مناخها الطبيعي الصحي للعرب، لهوائها النقي والموارد المائية الطيبة، وإحاطة مناظر جغرافية مختلفة بها: الصحراء والنهر والبطائح والبحيرة المالحة.

- كما أن الكوفة ارتبطت بالعمل العسكري، وصارت جزءاً من الجهاز العربي لاحتلال ومراقبة المشرق كافة، أي العالم الساساني، موجهة قدرتها العسكرية إلى التراب الإيراني، الذي كان أفقا للفتح امتد إلى ما لا نهاية.

- الطابع المدني للسكنى، ولم يكن الجيش المقيم فيها على شكل حامية، كما في الثغور، بل استقر دون إبداء نية في العودة، وبقيت القبائل مستقرة منضبطة متحضرة بصورة متزايدة.

- لقد حصلت الكوفة على خاصيات المصر الأساسية منذ أول انطلاق لها وفي مدة قصيرة، (المصر: أي مكان للإقامة الدائمة، متملك لنواة معمارية، ومنظم).

(١) ص ٩٣ - وما بعدها.

- ويقول^(١): "ستنمو الكوفة فعلا، وسيكون نموها موفقا، كان التخطيط الأول بمثابة النواة التي عملت على إملاء الاتجاه الذي سيكون عليه التطور المقبل، إلا أنها كانت نواة شديدة الهيكلية، أن تكون الكوفة نموذجا للأمصار فهذا مما لا يدخله الشك".

- ويرى أن البصرة يمكن أن يقال عنها "مدينة عفوية" بخلاف الكوفة، "فليست الكوفة معسكرا تحول ببطء إلى مدينة، بل مدينة مخططة مفصلة، تحسن بناؤها بمقتضى تصورها الأول".

وعقد بابا كاملا بعنوان: "الكوفة كنموذج للمدينة الإسلامية"، وتحدث فيه عن تأثير بغداد العمراني بالكوفة، وقال: "الكوفة نموذج، أو على الأقل، إن الكوفة لعبت دورا بارزا في توضيح التصور الحضري الإسلامي"^(٢).

ويقول^(٣): وهو يناقش تأثير بغداد بمدينة واسط، التي كانت عاصمة للحجاج الثقافي، ومن يليه: "الواقع أن واسط سمت كثيرا بالتصور المعماري الكوفي، كانت مدينة للحكم، ولحكم مهدد، كما أنه صار متعسفا، لكنها كانت مدينة مصطنعة أيضا، لا وجود فيها لمجموعة حقيقية من السكان، خلافا لما كان عليه الأمر في الكوفة".

* وهل أهمل الأمويون الكوفة؟

يقول د جعيط: [بتصرف]

(١) المرجع نفسه، ص ١٨٣.

(٢) ص ٤٢٥.

(٣) ص ٤٣١.

- أولى الأمويون اهتماما خاصا بتطوير الكوفة، التي كانت مدينة مركزية في ذلك العصر.

- "الأمر المؤكد أن زيادا أعطى الكوفة نواة معلمية، والمرجح أن الكوفة بدأت تشكل مركزا مدينيا حقيقيا ابتداء من المغيرة وزياد"، (ص ٢٨٩).

- والعرب أثناء الخلافة الراشدة، ظلوا وفقا لتوجيهات عمر، الذي بذل قصارى جهده للحفاظ على البساطة، وانتهى ذلك بمجيء العصر الأموي، وهذا يفسر استخدام الأجر في البنيان.

- وفي النصف الثاني من العصر الأموي، بدءا من ولاية العراق: ابن هبيرة، وخالد القسري، ويوسف بن عمرو، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فقد صار الوالي يقيم بالكوفة أو الحيرة، إذا لم يكن موجودا بواسط.

- وبالرغم من تفضيل الأمويين للبصرة، بسبب النزاع السياسي، إلا أن الكوفة استأنفت مهمة المركز، واعترفت السلطة بموقعها الاستراتيجي الممتاز، موقعها المتميز كملتقى للاتصالات.

- واستمرارية الإنشاءات والتطورات المدينية بالكوفة ظلت حتى آخر العصر الأموي.

- وظلت الكوفة بؤرة كبيرة لأهم الأحداث السياسية الداخلية في العصر الأموي [أربع ثورات هزت الخلافة الأموية].

- الكوفة هي المدينة التي شهدت أول بيعة للدولة العباسية، بعد انتهاء الدولة الأموية، وكانت أول الأمر عاصمة العباسيين.

* الكوفة بلد الإشعاع الحضاري:

وقد ظلت الكوفة ذات بعد وثقل استراتيجي في عصر الخلافة الراشدة، ومنطلقا للفتوحات، وقاعدة حربية، تطورت فيها الصناعة الحربية، وصناعة الأنسجة (ومنها نسمي غطاء الرأس: الكوفية)، والأواني^(١).

كما أن الكوفة كان لها وجه حضاري مشرق؛ ففيها نشأ علم النحو العربي، وبها نشأت المدرسة النحوية الكوفية على يد الكسائي، وفيها تطور الخط الكوفي [الذي هو أشهر الخطوط القديمة]، وفيها نشأت مدرسة الرأي الفقهية على يد أبي حنيفة، وقبل ذلك نشأت مدرسة ابن مسعود في التفسير.

وبرع فيها جابر بن حيان في الكيمياء، وبها ولد فيلسوف العرب أبو يوسف الكندي، وشاعر العربية المتنبي... إلخ.

* الكوفة العاصمة الثانية للدولة الإسلامية:

وأخيرا، فكون علي جعل الكوفة هي العاصمة، يظل هذا الأمر اجتهادا سياسيا من علي، وكان علي قد بدأ يمارس مهامه في المدينة، واتخاذها عاصمة، ففي الثقات لابن حبان^(٢)، أن أبا أيوب الأنصاري أشار على علي بالبقاء بالمدينة، وعدم الخروج منها، وأن يبعث بولائه، فإذا اضطر خرج، قال الراوي: "ثم أخذ بما أشار عليه أبو أيوب الأنصاري وعزم على المقام بالمدينة وبعث العمال على الأمصار".

(١) نقلا عن: تاريخ مدينة الكوفة وتأسيسها، منير جهاد.

(٢) ٢٧٢/٢.

ولما امتنع معاوية عن البيعة، وحدثت مراسلات عديدة معه، خرج علي من المدينة لمنع انقسام الدولة، ولذلك ظل في الكوفة؛ لأن الهدف ما زال مفتوحاً، ولم يتحقق بعد، ولا ندري لو أن الهدف تحقق أكان سيعود للمدينة أو لا؟!

وعلى كلٍّ، فاختيار الكوفة، قد يكون مرده إلى موقعها الجغرافي والاستراتيجي [الواقع في قلب الدولة الإسلامية]، وما فيها من عوامل الاستقرار البشري، وامتلائها بفقهاء الصحابة وتلاميذهم من التابعين، والبعد الحضاري في كون الكوفة هي أول مدينة عربية إسلامية نشأت بتخطيط وتنظيم - لهو اختيار يدل على حنكة وخبرة سياسية.

كما أن نقل عاصمة الدولة إلى منطقة متوسطة في الدولة الإسلامية، يجعل الإشراف القيادي والسياسي أكثر فاعلية، وسرعة، وأكبر مرونة في التعاطي مع الأحداث، والاستجابة للمتغيرات.

كما أنه بوجود التمرد في الشام، تكون المدينة بعيدة عن ولايات الدولة، مما يسهل اقتطاع أجزاء الدولة، بخلاف وجود الخليفة في منطقة متوسطة، يمكنه من الحفاظ على ولايات الدولة.

وقد لخص الخليفة كل ذلك حين هم بالذهاب إلى العراق^(١)، فاجتمع أشرف الأنصار، فاقبلوا حتى دخلوا على علي، فتكلم عقبة بن عامر، وكان بدرياً، فقال: يا أمير المؤمنين إن الذي يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والسعي بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق، فإن كنت إنما تسير لحرب

(١) الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، ١٤٣.

الشام، فقد أقام عمر فينا، وكفاه سعد زحف القادسية، وأبو موسى زحف الأهواز،
وليس من هؤلاء رجل إلا ومثله معك، والرجال أشباه، والأيام دول، فقال علي:
إن الأموال والرجال بالعراق، ولأهل الشام وثبه أحب أن أكون قريبا منها.

فهو يرى أن العراق هي المركز الاقتصادي والسياسي، بها الموارد المالية،
وبها الكوادر، لذلك اتخذها عاصمة من منظور سياسي اجتماعي، ثم علل أيضا،
بكونها قريبة من الشام، وهو يريد أن يكون هناك؛ حتى لا يأخذها معاوية؛ فتفقد
الدولة مركزا اقتصاديا وسياسيا مهما.

مؤسسة فاسدة! أم خلافة راشدة؟

- ١ - مناقشة دعوى أن عليا جعل الدولة مؤسسة عائلية، وتفنيدها بنحو ثمانية أوجه، منها: نسبة الولاة من أقاربه إلى بقية الولاة، وكفاءتهم، وعدم تولية أحد من أقاربه لولاية العهد، وكرهيته للخلافة أصلا، وحديث الشورى.
 - ٢ - لو تبصر المثقفون؛ فإن عليا حجة لهم لدحض الولاية الدينية!
 - ٣ - الرد على التشغيب بعزل ولاة عثمان، وضعف القصة المشهورة للمغيرة وابن عباس مع علي بشأن ولاة عثمان.
 - ٤ - نماذج من ولاة علي، تبين معيار الكفاءة في اختيار الولاة.
 - ٥ - وقفة عجلى مع الوالين: محمد بن أبي بكر والأشتر.
- في هذا الموضوع أتناول بعض الافتراءات التي تمس إدارة الدولة وقيادتها فيما يتعلق بالولاة، معرضا عن افتراءات أخرى، لا أريد الإطالة بتناولها.
- يقول مروان: "كانت رؤيته للدولة أنها مؤسسة هاشمية"، ويقول: "تلك القرارات الخطرة، عائلية الدولة الجديدة".

فماذا يقول الواقع التاريخي؟

*** هل هذه مؤسسة عائلية؟**

أولاً: بالنظر في قائمة الولاة في خلافة علي^(١)، نجد أن الولاة في خلافة

(١) تاريخ خليفة بن خياط، والطبري، وانظر عصر الخلافة الراشدة، دأكرم العمري، ص ١٣٩.

علي، واحد وأربعون واليا، ليس من بينهم أحد من أولاد علي أو إخوته!، والذين من أقاربه أربعة من أولاد العباس، أولهم عبد الله بن عباس، حبر هذه الأمة وفقهها، إضافة إلى محمد بن أبي بكر الصديق، أخو عائشة الصديقة.

ومن ولادة علي: زياد بن أبي سفيان الذي ولي فارس حتى استشهاد علي، وزيد أخو معاوية قائد الشام في صفين، [وزيد أشهر ولاية معاوية بعد ذلك].

أهذه هي المؤسسة العائلية؟!

ثانياً: في كتابه أيضاً، أورد العمري أن ولاية عثمان ٣٤ واليا، سبعة منهم تربطهم قرابة مع عثمان، فهل يتهم مروان عثمان أن رؤيته للدولة أنها "مؤسسة أموية"؟! لا، لن يفعل ذلك في هذا المقام على الأقل؛ حتى لا يكون ذلك انتقاصاً لعثمان، وفق سرديته أن انتقاص عثمان سيخدم علياً!

وهل يتهم أحد عمر بن الخطاب حين ولي ١٨ قرشياً من ٤٥ واليا، بأن رؤيته للدولة أنها مؤسسة قرشية!

رضي الله عن الصحابة وعن الخلفاء الراشدين أجمعين.

ثالثاً: بالنظر في الولاية الخمسة: أبناء العباس، ومحمد بن أبي بكر، [اعتماداً على تاريخ خليفة بن خياط]

- المدينة ولي عليها سهل بن حنيف الأنصاري، ثم عزله وولى تمام بن العباس، ثم عزله وولى أبا أيوب الأنصاري، بل إن كون تمام من ولاية علي فيه شك، وكتب التاريخ فيها اضطراب، فتاريخ خليفة يقول أن علياً عين سهل بن حنيف حين خرج من المدينة، ثم عزله بتمام، ثم عزله بأبي أيوب، وفي الطبري^(١)

أن عليا لما خرج من المدينة عين تمام ابن العباس، وفي أحداث ٣٧ هـ يقول:
"وعلى المدينة سهل بن حنيف الأنصاري، وقيل: كان عليها تمام ابن العباس"،
دون أن يذكر متى عين سهلا.

وهذه المشكلة تواجه من يقرأ التاريخ في أحداث عادية، بل مشهورة، مثل
والِ على المدينة، فما بالك بأحداث جنائية!

- مكة عين عليها أولا أبا قتادة الأنصاري، ثم عزله وعين قثم بن العباس،
وبقي حتى استشهاد علي، قال عنه ابن سعد في الطبقات^(١): "كان قثم ورعا
فاضلا" وفي خلافة معاوية ذهب قثم مع جيوش المسلمين مجاهدا واستشهد في
خراسان، ومن مواقفه التي تكشف عن عدالته، ما ذكره ابن سعد أن "قثم غزا
خراسان، وكان عليها سعيد بن عثمان، فقال له: اضرب لك بألف سهم، فقال: لا
بل أخمس، ثم أعطى الناس حقوقهم، ثم أعطني بعد ما شئت".

- مصر: ولى قيس بن سعد، ثم عزله عام ٣٧ هـ، وولى محمد بن أبي بكر،
حتى قتل عام ٣٨ هـ.

- البصرة: ولاها عثمان بن حنيف الأنصاري، وبعد الجمل ولى عبد الله بن
عباس.

- اليمن: ولى عبيد الله بن العباس، وظلت بيده، حتى استشهاد علي، وكان
تاجرا، مشهورا بالجوّد والسّخاء، يلقب بـ "تيار الفرات"^(٢)، قال الذهبي في

(١) ٢٦٠/٧.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٣٣١.

ترجمته^(١): "وكان أميراً، شريفاً، جواداً، ممدحاً".

يتبين أن منهم من عزله علي (تمام بن العباس)، وأكثرهم لم يولهم علي مباشرة، بل ولى قبلهم سواهم (المدينة، مكة، مصر، البصرة).

فهل هذا سلوك من يؤسس لمؤسسة عائلية؟ لم لم يبادر إلى تولية أقاربه؟ بل إن الولايات الكبرى لم يبادر بإعطائها لهم:

- الشام: عرض ولايتها على عبد الله بن عمر بن الخطاب، فاعتذر، فأرسل لولايتها سهل بن حنيف.

- مصر: أرسل إليها قيس بن سعد، مكة: أبا قتادة، البصرة: عثمان بن حنيف، باستثناء اليمن فقط التي أرسل إليها عبيد الله من أول الأمر.

رابعاً: إذا كان علي يؤسس لمؤسسة هاشمية، فلماذا لم يول أقاربه الولايات ذات الموارد المالية الكبيرة، بل ولى قثم مكة، وتمام المدينة، وهاتان الولايات مكانتهما دينية فحسب، ولم تكونا ذات موارد مالية، وأما مصر فهي ذات أهمية اقتصادية كبيرة، وقد ولاها قيس بن سعد، وبقي في ولايتها حتى ٣٧ هـ، فعلي لو كان يبحث عن مؤسسة هاشمية لأعطى هذه الولاية المهمة لأحد أقاربه، ولم يرسل محمداً إلا بعد عزل قيس.

وأما اليمن فقد عين مع عبيد الله بن عباس أحد أبناء اليمن، الذين يعرفون بلادهم، وهو: سعيد بن نمران الهمداني^(٢)، وهو أحد كتّاب علي وقضاته^(٣)، فكان

(١) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٥١٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٦/ ١٤٥.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ٢٠٠، ٢٦٩.

نائباً للوالي، وارتباطهما بالخليفة مباشرة، بعبارة أخرى أن النائب له صلاحية كف الوالي عن أي مخالفات، وكونه كاتباً وقاضياً يبين أنه متولي الشؤون المالية في اليمن، وبذلك حقق الفصل بين الشؤون الإدارية والمالية.

وأما البصرة، فقد ولى ابن عباس عليها، وبرغم أمانة ابن عباس وورعه ونزاهته، فإن علياً فصل بين الإدارة السياسية والمالية، فلم يجمعهما لابن عباس، بل عين زياد بن أبيه على الإدارة المالية (الخراج وبيت المال)، وربطه به مباشرة^(١)، فهل هذا سلوك من يترك أقاربه يعبثون في سلطات الدولة وأموالها؟!

كما أن علياً فتت ولاية البصرة، فقد كانت من قبل تتبعها ولايات الشرق (خراسان وما وراءها)، ولكن علياً أعاد تقسيمها، وفصل كثيراً من الولايات التي كانت تابعة للبصرة، وأصبحت مستقلة عنها، وتتبع الخليفة مباشرة.

فهل يفعل هذا من يؤسس لمؤسسة عائلية؟!

ولم يثبت في الروايات أن أحداً من أقارب علي قد اختلس أموالاً، أو ثبتت عدم أمانته؛ فعلياً كما هو معلوم عنه، لم يكن يتسامح مع أحد في هذا الجانب.

وإذا صحت الرواية^(٢) عن ابن عباس، أنه أخذ عشرة آلاف درهم من بيت مال البصرة، فإن الرواية نفسها تبين أن علياً أرسل إليه رسالة شديدة اللهجة، وأمره برد المال، فردّه، كما تبين ثناء علي على أبي الأسود الدؤلي حين بلغه بمخالفة ابن عباس، ولم يوبخه أو يتهمه.

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط، وانظر: الولاية على البلدان، ص ٣٦٥.

(٢) تاريخ الطبري، ١٤٢/٥، وهي من روايات أبي مخنف.

خامساً: إن الروايات الصحيحة أن علياً كره الخلافة، وحاول الامتناع عنها، وقال لهم: "لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير"^(١)، فأصروا عليه، فوافق حتى لا يستمر أمر المسلمين فوضى.

فهل هذا سلوك من يبحث عن تكوين دولة عائلية؟

سادساً: لو كان علي يريد مؤسسة هاشمية فلماذا لم يجعل من بعده أحد أولاده ولياً للعهد؟ بل ترك الأمر إلى الناس.

عن عبد الله بن سُبُع، قال: سمعت علياً يقول: لَتُخْصَبَنَّ هذه من هذا، فما يَتَظَرُّ بي الأشقي؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نُبَيْر عَتْرَتِهِ! قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي، قالوا: فاستخلف علينا، قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيتَه، وقال وكيع مرةً: إذا لقيته، قال: أقول: "اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم"^(٢).

وفي الحديث أيضاً نص واضح يبين نهي علي عن قتل أحد من أسرة قاتله.

سابعاً: في صحيح البخاري^(٣) حين عاتب علي أبا بكر، فقال علي: "إنا قد

(١) الحديث في فضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/٥٧٣)، وفي السنة لأبي بكر الخلال (٢/٤١٥)،

وحسن إسناده محقق الكتاب، وفي الإبانة لابن بطة (٨/٣٠٣)، وحسن إسناده محقق الكتاب.

(٢) مسند أحمد (١٠٧٨) بسند صححه الشيخ شاكر، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وأخرجه أبو

يعلى (٥٩٠)، وحسن إسناده محقق الكتاب الشيخ حسين سليم، وقال الهيثمي: رواه البزار بسند

حسن [مجمع الزوائد، ٩/١٣٧]. وفي فضائل الصحابة لأحمد ٢/٧٠٩، وقال محقق الكتاب:

إسناده صحيح.

(٣) (٤٢٤٠).

عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقربتنا من رسول الله ﷺ نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقربة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته، فقال علي لأبي بكر: موعذك العشية للبيعة".

لو كان علي يتحدث عن مؤسسة هاشمية، لذكر النص لأبي بكر، ولكنه قال: "وكنا نرى"، فهو اجتهد قابل للجدل، وليس نصا قاطعا.

ثم إن عليا قال: "لم ننفس عليك خيرا"، كلام واضح وصريح في رضاه باختيار الناس، قال ابن حجر في شرحه^(١): "أي لم نحسدك على الخلافة"، وقوله: "استبددت"، قال ابن حجر: "أي لم تشاورنا"، نقل ابن حجر عن المازري قوله: "ولعل عليا أشار إلى أن أبا بكر استبد عليه بأمور عظام، كان مثله عليه أن يحضره فيها ويشاوره، أو أنه أشار إلى أنه لم يستشره في عقد الخلافة له أولا، والعدر لأبي بكر أنه خشي من التأخر عن البيعة لما كان وقع من الأنصار".

ثم إن عليا لم يقل: "كنا أحق بهذا الأمر منك"، بل قال: "كنا نرى لنا نصيبا".

ثم إن الخلاف الأكبر بينهما لم يكن في مسألة الخلافة، بل في تقسيم الأموال، ولذلك كان رد أبي بكر واضحا: "وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال".

(١) ٤٩٤/٧. والنقول التالية في الصفحة نفسها.

ثم إن أبا بكر لم يرد على علي، ويقول له: أنا لم أستشرك؛ لأنك هامشي! بل ذهب إليه بنفسه، إلى بيته، وتحدث معه، واهتم بإنهاء النزاع.

ولم تؤثر هذه القضية في شيء، فعلي بايع، وأبو بكر كان يستشير ويعتمد عليه، وكذلك عمر وعثمان من بعده.

وأما تأخر علي عن بيعه أبي بكر، فهو ما يفيد قول عائشة في صحيح مسلم^(١)، بعد وفاة فاطمة: (فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر)، وإن كان ابن حجر ذكر في الفتح^(٢): "وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن عليا بايع أبا بكر في أول الأمر، وأما ما وقع في مسلم عن الزهري أن رجلا قال له: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة؟ قال: لا ولا أحد من بني هاشم، فقد ضعفه البيهقي بأن الزهري لم يسنده، وأن الرواية الموصولة عن أبي سعيد أصح"، ثم نقل في الجمع بن الحديثين: "وجمع غيره بأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث".

ومع هذا الاحتمال الذي ذكره ابن حجر، فإن القول بتأخر بيعه علي هو الأقرب إلى ما في الصحيح، ولا يعيبه ذلك، بل كون علي راجع نفسه، ولم يقم بأي فعل أو سلوك ضد الخليفة، كما فعل معاوية بعد ذلك، فإن هذا ميزة لعلي، وأنه غلب مصلحة المسلمين، وقد كان مجيء أبي بكر إلى بيته تقديرا منه لموقف علي، وكذلك موقف المسلمين منه سرورا وقربا، كما في حديث عائشة نفسه: (فسر بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، فكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف).

(١) (١٧٩٥).

(٢) ٤٩٥/٧.

ونقل ابن حجر عن القرطبي^(١): (من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا لكن الديانة ترد ذلك).

إن حدوث الخلاف بين الصحابة أمر طبيعي؛ كونهم بشرًا، ومن غير الطبيعي ألا يحدث بينهم خلاف، وإلا اعتقدنا أنهم ملائكة.

فلماذا نعيب خلافتهم ونضخمه، ونجعل من الحجة قبة، وكأننا وقعنا على كنز؟! حتى لو وقعوا في خطايا فهم أيضا بشر، وكانوا يجتهدون فيصيبون، يخطئون ويتوبون، ويعتذرون معترفين بأخطائهم، وفي الكتاب نقولات عديدة، نكتفي بما قدمناه، وبالرغم من خلافتهم يتصافون ويتسامحون، وفي قصة بيعة علي لأبي بكر برهان وبيان.

لماذا بعد ١٤٠٠ عام يأتي من يعيبهم، ويصر على خطئه، وحين ينبهه أحد، لا يعترف بل يتمادى، ويلوي رأسه معرضاً؟!!

ثامناً: حين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحديث في البخاري^(٢): "ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض"، وذكر منهم عليا، فهل كان عمر ليقول مثل هذا عن علي، إذا كان يرى له توجهات عائلية؟ وهل كان عمر الذي خبر الرجال لا يعرف عليا وتوجهاته

(١) فتح الباري، ٧/ ٤٩٥.

(٢) (٣٧٠٠).

السياسية؟ وهل كان عمر الذي رفض توريث الحكم يرشح رجلاً يعتقد أنه سيحول الحكم إلى مؤسسة عائلية؟!

بل إن عمر كما في تاريخ المدينة لابن شبة^(١) كان يعلم أن الاختيار سيكون بين علي وعثمان، يقول: "وما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين، علي أو عثمان، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي علي ففيه دعابة، وأحر به أن يحملهم على طريق الحق".

لماذا لا يحاول مروان توسيع مداركه قليلاً، وقراءة "السياق التاريخي المعقد" قبل أن يصدر الأحكام، ويكيل الاتهامات؟! إن خيال صناعة الروايات لا يصلح لكتابة التاريخ، كان عليه أن يقرأ هذه الأحداث ويربط بعضها ببعض، حتى تتبين له النتائج والأحكام.

تاسعاً: [علي الشوروي ومروان الإمامي!]

يقول مروان: "في صحيح البخاري أن علياً اعترض على العباس حين اقترح عليه أن يسألا النبي عن خليفته، وكانت وجهة نظر علي شارحة لمجمل حياته: إن منعنا منها فلن تعطينا إياها العرب، ولماذا اعتقد علي أن النبي قد يمنعه من الخلافة؟ من المحتمل أنه لم يجد، في كل حياته، إشارة واحدة تقول إن النبي كان يعول عليه في المسائل الكبيرة"، اهـ.

ينطلق مروان في النص السابق من الرؤية الإمامية، لا فرق بينهما، فالإمامية

(١) ٩٢٤/٣. وقد وردت بلفظ (إن ولوها الأصيلع سلك بهم الطريق المستقيم)، انظر تخريجاته في تحقيق الإبانة لابن بطة، ٢٥٤/٤. وقال المحقق: والأثر صحيح.

عندما لم يجدوا نصوصاً دينية تجعل "الإمامة" لعللي، أولوا واخترعوا، ومروان يعيب على علي أنه لم يسأل الرسول الإمامة، ويفسر ذلك بهامشية علي، و"أن النبي لم يكن يعول عليه في المسائل الكبيرة"! متناسيا خير واليمن وحجة أبي بكر!

لو تبصر مروان قليلا، لوجد في هذه الرواية حجة على دحض النص الديني على الولاية، على لسان علي نفسه، ولكن انشغال مروان بالتناجج المسبقة لم تتح له فرصة رؤية تلك الحجة، وكما قيل (لم يجدوا عيبا في الذهب، فالوا: بريقه يتعب العيون).

علي يدرك تمام العلم أن خلافة الناس وحكمهم شأن اجتماعي، يولون عليهم من ارتضوه، سواء عليا أو غيره [وهذا ما أكده حين لم يول أحدا بعده]، انتقاد مروان يعزز دعوى الإمامية إذن، الذين يرون حكم الناس إنما هو شأن ديني لا اجتماعي.

لم يكن علي وحده من يفقه هذا الأمر، فكل الصحابة والخلفاء الراشدين مارسوا هذا الأمر، فلم تكن تنفذ خلافة أحد إلا ببيعة الناس له، وليس بالبحث عن النص الديني، وحتى علي كما نقلنا عنه رفض أن يأخذ الخلافة إلا بعد بيعة الناس له في المسجد، الذي يمثل مجلس شورى المسلمين.

فأن يأتي علي ويطلب من رسول الله ﷺ سيكون جهلا منه!

نقل ابن تيمية في السياسية الشرعية^(١): "قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا بد للناس من إمارة: برة كانت أو فاجرة، فقليل: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها،

فما بال الفاجرة؛ فقال: يقام بها الحدود، وتأمين بها السبل، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء"، أي نظرة سياسية حكيمة تتجلى في هذا النص، الذي يدرك أهمية الإمارة للناس، بغض النظر عن القائم عليها، فإن لم يوجد البر فالفاجر؛ حتى لا يصبح أمر الناس فوضى، فالناس لا بد أن يكونوا تحت إمارة ما، وإن كانت فاجرة فضرر الإمارة الفاجرة أهون بكثير من بقاء الناس بلا إمارة.

ثم حين يقول مروان عن علي بأنه هامشي؛ لأنه رفض أن يطلب الخلافة من الرسول، فلو افترضنا أن عليا طلبها من الرسول، ماذا سيصبح علي في نظر مروان؟

هكذا يتطرف مروان في إصدار نتائجه وأحكامه؛ كما أشرت لهذا الأمر مرارا، من موقف أو قضية يصدر حكما عاما يدين به حياة كاملة!

ثم، حين يصف مروان أن عليا سرق الرئاسة، وأنه استولى على السلطة، وأنه تسبب في مقتل ربع مليون... إلخ، فهل يفعل هذا شخص هامشي، ضعيف، جبان؟!

مروان يتناقض كثيرا في وضع الحجة وعكسها حينما يفسرها، لا يجيد التفسير؛ لأنه غير مطلع بشكل جيد على التاريخ الاسلامي، وليس أي مطلع يجيد الاستنباط، حتى تستنبط يلزمك أن تشبع قراءة وتكرارا وحفظا وفهما، وقراءة جميع الأدلة والروايات.

مروان بين المعجبين به كمن (وافق شن طبقه) فهم ما بين عارف بتناقضاته وكذباته، لكنه وجد بغيته في الطعن في سيرة صحابي لينتقص في السنة النبوية

لعدم إيمانه به، أو من لا يهتم بالتاريخ الاسلامي والإسلام لذلك يجد الحديث عن الإسلام أمراً هامشياً، أو جهلة وغير قارئین للتاريخ أو لا يجيد الفهم.

كل هؤلاء يجدون في مروان العالم الثقة الذي سينقلهم إلى الشط بأمان، بينما هو مثل قراصنة البحر، الذين يملؤون القوارب بالمهاجرين غير الشرعيين ولا يهمهم أين يأخذهم البحر، بعد أن يتأكدوا من أنهم أخذوا أجرتهم أضعافاً مضاعفاً.

مروان يتحرك ولا يستطيع تحديد اتجاهه الصحيح، المهم أنه يتحرك، لذلك يتخبط تخبطاً عجيباً، لا يقع فيه مبتدئون في الكتابة، ومع تخبطه يحاول التحليل، ولكنه سرعان ما يثبت أنه غير جيد في التحليل.

عاشراً: لو كان علي يبحث عن مؤسسة هاشمية، فلماذا لم يضع أحاديث يثبت بها حقه، بحسب مروان أنه كان يضع، ولماذا - كما يدعي مروان - يذهب علي ليضع حديث "لا يحبني إلا مؤمن"، بدلاً من أن يضع حديثاً في أنه أحق بالخلافة؟!

حادي عشر: إذا كانت خلافة علي مؤسسة هاشمية، فلماذا يسلم ابنه الحسن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، الأموي؟! لماذا تنازل له وبايعه وهو غير هاشمي؟!

ثاني عشر: قال أبو يوسف في كتاب الخراج^(١)، بسنده عن عبد الله بن عباس، أن (الخمس كان في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم: لله وللرسول سهم،

ولذي القربى سهم، ولليتامي والمساكن وابن السبيل ثلاثة أسهم، ثم قسمه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم على ثلاثة أسهم، وسقط سهم الرسول وسهم ذي القربى وقسم على الثلاثة الباقية، ثم قسمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما قسمه عليه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم).

فلو كان علي يؤسس مؤسسة عائلية، فلماذا، إذن، سار على نهج الخلفاء السابقين، وأسقط سهم الخمس الذي لذوي القربى؟ ولم يردده كما كان في عهد النبي؟!

بل إنه خالف عمر في سياسته المالية في العطاء، حين كان يقدم أقارب النبي، فلما جاء علي رجع إلى التسوية في العطاء، كما فعل أبو بكر.

فهل هذا سلوك رجل يؤسس لمؤسسة هاشمية؟!

ثالث عشر: بل إن عليا رضي الله عنه، تنازل للمسلمين بحق بني هاشم من الخمس، الذي كان يديره في عهد النبي وأبي بكر وعمر، ولما ولي الخلافة لم يغير ذلك الأمر.

جاء في الخراج لأبي يوسف^(١): أن عليا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (إن رأيت أن توليني حقنا من الخمس فأقسمه في حياتك؛ كي لا ينازعناه أحد بعدك فافعل، قال: ففعل، قال علي: فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمته في حياته، ثم ولانيه أبو بكر رضي الله عنه فقسمته في حياته، ثم ولانيه عمر رضي الله عنه فقسمته في حياته؛ حتى إذا كان آخر سنة من سني عمر فأتاه مال كثير فعزل حقنا، ثم أرسل إلي فقال: خذه فاقسمه، فقلت:

(١) ٣٠، وانظر: السنن الكبرى للبيهقي، ٥٥٩/٦، ووثق البيهقي رواه.

يا أمير المؤمنين، بنا عنه العام غنى وبالمسلمين إليه حاجة، فرده عليهم تلك السنة، ثم لم يدعنا إليه أحد بعد عمر حتى قمت مقامي هذا فلقيني العباس بن عبد المطلب بعد خروجي من عند عمر رضي الله عنه فقال: يا علي لقد حرمتنا الغداة شيئاً لا يرد علينا أبداً إلى يوم القيامة^(١).

وأخيراً... فإني أنصح المثقفين الذين يريدون انتقاد النص الديني على الولاية، ألا يتجهوا الاتجاه الخاطئ بتوجيه سهامهم إلى الخليفة الراشد، بل لو أنهم تبصروا لأدركوا أن الخليفة الراشد بأقواله وأفعاله هدم الولاية الدينية، وأن خلافته قامت باختيار الناس، ولم تقم بالنص الإلهي، وعلي نفسه كان يؤكد ذلك، كما نقلت بعض النصوص أعلاه، فالأصل أن نتخذ من علي نفسه قوة وحجة مؤيدة لهدم الخرافة، ولهدم الولاية الدينية.

وفي القرآن الكريم لنا نموذج، فحين هدم القرآن خرافة ألوهية المسيح، استدعى المسيح نفسه، لدحض الفرية: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

* علي وولاية عثمان:

إن التشغيب على علي بعزل ولاية عثمان - دعوى مليئة بالمبالغة، خالية من العلم بالتاريخ، فقيرة من الفكر السياسي، ومن أراد قراءة من حقق في هذه

(١) ملحوظة: البند السابق يبين أن الخلفاء أسقطوا سهم الخمس من الغنائم والفِيء، أما هذا البند فيبين أن عليا تنازل بسهم الخمس الثابت من عهد الرسول ﷺ.

المسألة فليقرأ كتاب د/ الصلابي عن علي بن أبي طالب^(١).

وما أقوله هنا باختصار:

- من الافتراء على علي القول أنه تقصد ولاية عثمان بالعزل، وقصص مشورة المغيرة بن شعبة وابن عباس لعلي في شأن ولاية عثمان - قصص واهية سنداً ومنكرة متنا^(٢)، خرق مرقعة، لا تثبت، وللأسف أن هناك من يبنّي قصوراً من الأحكام على روايات رملية!

وللأسف أن هناك من الباحثين من انخدع بهذه الروايات الواهية، دون أن يمحّصوا صحتها أولاً، وذهب بعضهم إلى جهل علي بالسياسة بناء على هذه الروايات وأمثالها، تاركين الروايات الصحيحة التي تبين كفاءته السياسية والقيادية.

- وعلي خليفة مجتهد له عزل ولاته، فضلاً عن ولاية من سبقه، وعزل الحاكم لوال لا يقتضي عدم كفاءته أو ضعفه، وتعيينه لوال لا يقتضي أنه أكفأ الأمة لهذا المنصب.

وها هو الصديق عزل بعض ولاية الرسول ﷺ (كخالد بن سعيد)، والفاروق عزل بعض ولاية الصديق (كخالد بن الوليد)، وعثمان عزل بعض ولاية الفاروق (كعمرو بن العاص والمغيرة)، [راجع تاريخ خليفة بن خياط].

(١) ص ٤٦٥ - وما بعدها.

(٢) رواية أن المغيرة أشار على علي بإبقاء ولاية عثمان، فلما رأى علياً غير مكترث بقوله، عاد في اليوم الثاني ونصح علياً أن يغيرهم. فلما علم ابن عباس، قال لعلي: نصحك أمس، وغشك اليوم. والروايات في تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٩ - وما بعدها)، من طريق الواقدي وأبي مخنف. وكلها روايات واهية. وانظر نقدها في كتاب د/ الصلابي، ص ٤٦٥ - وما بعدها.

- ثم إن عليا لم يعزل كل ولاية عثمان، فقط عزل معاوية عن الشام، وخالد بن أبي العاص عن مكة، أما اليمن والبصرة ومصر فقد تركوا ولاياتهم مع الفتنة، وأقر أبا موسى^(١).

- يقول عبد الستار الشيخ^(٢): أن عليا رأى أن يستبدل بولاية عثمان صحابة حضروا بيعته في المدينة؛ ليكون أدعى إلى بيعه الناس، في تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقریات الأخرى أن تنطلق وتخدم دين الله.

- ثم إن العرف السياسي اليوم حين يفوز رئيس [أو رئيس وزراء] بالانتخابات، ويأتي بطاقمه للمناصب القيادية، لا ننكر عليه، ونرى أن هذا من حقه، بل نشيد به أنه يضخ دماء جديدة للقيادة، وكما هو عرف سياسي اليوم، فقد كان عرفا سياسيا قديما، فلماذا تزدوج معاييرنا التقييمية؟

فلماذا، إذن، حين نختلف مع الآخر، نرى كلما يفعله قبيحا، حتى ونحن نتبنى مثل فعله؟ أليس هذا من الفجور في الخصومة؟!

ثم، حتى لو كان الحاكم مخطئا بعزل الولاية، فهل يحق للوالي أن يعلن تمرده على الخلافة؟

في اليمن مثلا، حين تولى الرئيس هادي، وقام بقرارات العزل والتعيين - هل كان يحق لأحد منهم رفض ذلك بأي حجة من الحجج؟ بالرغم من عزله

(١) انظر الروايات في كتاب الصلاحي، ص ٤٧٠.

(٢) علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين، ص ٤٤٦.

لكفاءات إدارية وسياسية وعسكرية، وبذلك فاقراً التاريخ بتجرده، لا بتحامل.

للأسف أن بعض الكتبة يحاولون حرف بوصلة التقييم، فبدلاً من أن تكون القضية الأساسية: "وال تمرد على الخليفة" مستغلاً "القوة التي تحت يديه"؛ فسبب بتمرده الاضطرابات والفوضى في الدولة، أصبحت القضية عندهم: إدانة الخليفة الذي حاول منع الفوضى، وسعى جاهداً في معالجة المشكلات التي سببها ذلك التمرد!

وحتى يغطي بعض الكتبة على هذه السوءة، يظهرون إلى السطح مناقشة القضايا التي تأتي في المرتبة الثانية أو العاشرة! فيسألون الأسئلة الخاطئة، ويتوصلون إلى الإدانات الجائرة.

وهكذا حين تنحرف البوصلة داخل النفس فإنها تنحرف في الرؤية، وتقرير الأمور.

وأختم بما أخرجه مسلم في صحيحه^(١)، حين شهد الشهود على الوليد بن عقبة، وكان والياً على الكوفة، وهو أخو عثمان لأمه، فأمر عثمان علياً أن يقيم عليه الحد، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ولّ حارّها من تولى قارّها، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد حتى بلغ

(١) (١٧٠٧)، وقول الحسن: ولّ حارّها من تولى قارّها، قال النووي في شرح مسلم، ١١/٢١٩: (هذا مثل من أمثال العرب، قال الأصمعي وغيره معناه: ول شدتها وأوساخها من تولى هيئتها ولذاتها، والضمير عائد إلى الخلافة والولاية، أي كما أن عثمان وأقاربه يتولون هيء الخلافة ويختصون به يتولون نكدها وقاذوراتها، ومعناه: ليتول هذا الجلد عثمان بنفسه أو بعض خاصة أقاربه الأذنين).

أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: «جلد النبي ﷺ أربعين»، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلي).

فالجلد كان إذن ثمانين، فلو كان علي في قلبه عداوة لعثمان أو لولاته من بني أمية، لآثم الجلد ثمانين، كما كان عليه الحال، ولا أحد سيثمه بشيء، ولكن؛ لأنه رجل يعمل بما يراه الحق، فلا يتردد في فعل الحق، كائنا من كان المستفيد منه، وهو تجسيد حي لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰى ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، فعلي كان رجلا قائما لله، شهيدا بالقسط، حاكما بالعدل، تقيا لربه.

* اختيار علي للولاة بحسب الكفاءات:

عودة إلى علي رضي الله عنه، فلم يكن يختار ولاته إلا بحسب الكفاءة، وهذا لا يعني أن من لم يختره ليسوا بذوي كفاءة، أو أن من عزلهم ليسوا بذوي كفاءة. ومن ذلك، مثلا:

- قيس بن سعد بن عبادة، قائد ذو حنكة سياسية فذة، ظهر ذلك في إدارته لمصر، وحسن تصرفه في مواقف عديدة، ويضرب المثل بدعائه وجوده، وقد مارس القيادة من عهد رسول الله ﷺ، فقد كان بمنزلة صاحب شرطة النبي ﷺ.

- سهل بن حنيف الأنصاري، وهو من كبار الصحابة، وممن شارك مع الرسول في غزواته كلها، وممن ثبت يوم أحد.

- عثمان بن حنيف الأنصاري، ولاه علي على البصرة؛ لخبرته بها، فقد سبق أن عينه عمر بن الخطاب على مسح السواد، وتقدير الخراج فيه، وعثمان من

سابقى الأصحاب؛ وهو من المجاهدين مع رسول الله ﷺ.

- أبو أيوب الأنصارى، ولاه على المدينة، وهو من الصحابة السابقين الذين شاركوا مع رسول الله في غزواته، ومن علماء الصحابة، وشهد الفتوحات، وداوم على الغزو حتى توفي في غزو القسطنطينية.

- قرظة بن كعب الأنصارى، من صحابة الرسول، وممن شهدا أحدا وما بعدها، وقد وجهه عمر إلى الكوفة يفقه الناس، وكان من قادة الفتوحات.

- عبد الله بن عباس، الذي كان عمر يدخله مع أكابر الصحابة في مشوراته، وهو لا زال شابا، وسماه "فتى الكهول" [فضائل الصحابة لأحمد]، وهو من أشهر فقهاء الصحابة، وحين ولاه البصرة وطد ابن عباس الأمن في البصرة والولايات التابعة لها، وعرف ابن عباس بمهاراته القيادية.

- حذيفة بن اليمان، كاتم سر رسول الله، وكان واليا لعمر على المدائن، وكذلك في خلافة عثمان، ولما ولي علي أبقاه فيها، إلا أنه توفي بعد نحو ٤٠ يوما.

- زياد بن أبي سفيان، أخو معاوية، ولاه على فارس، وقد ضبط الأمن فيها، وأحمد الاضطرابات، وعرف بمقدرة سياسية فذة، جعلت معاوية يستفيد منه لاحقا أثناء خلافته، وكان زياد مساعدا لابن عباس في البصرة، وقد اكتسب زياد خبرة كبيرة في إدارة البصرة؛ لأنه كان مساعدا لأبي موسى الأشعري منذ خلافة عمر، ونائبا لعبد الله بن عامر في خلافة عثمان.

- أبو قتادة الأنصارى، من أوائل الصحابة، وشارك في غزوات الرسول ﷺ.

- ربعي بن كأس العنبري، والي سجستان، وأحمد تمرد المتمردين الذين قتلوا واليها، ووطد الأمن فيها، وضبط أمورها.

- الأشعث بن قيس الكندي، والي أذربيجان وأرمينية، رئيس وفد كندة على النبي، من ولاية عثمان، وشارك في الفتوحات الكبرى: اليرموك [وفيها أصيبت عينه] والقادسية، وحين حوصر زمن الردة أخذ الأمان لقومه دون نفسه.

- سعد بن مسعود الثقفي، والي علي على المدائن، وأحد قادته العسكريين، وكان من قبل قد عمل على الخراج في المدائن.

- أبو الأسود الدؤلي [أحد ولاية البصرة وقضااتها]، وهو من علماء الأمة وأدبائها، وآثاره العلمية مشهورة، وله شهرة في القضاء، وإضافة إلى ذلك فقد كان ذا خبرة إدارية، حيث كان من نواب والي البصرة في خلافة عثمان.

- المنذر بن الجارود العبدي، أحد ولاية علي في فارس، على اصطخر، وأبوه الجارود كان أحد قادة الفتح في فارس^(١)، ولذلك فولده قد اكتسب خبرة مع أبيه خلال غزو هذه المناطق.

- عبد الله بن شبيل الأحمسي، أحد عمال علي في أذربيجان، وقد كان من قائدا في فتح أذربيجان (عام ٢٨ هـ)^(٢).

ولقد بلغ عدد الصحابة من ولاية علي سبعة وعشرين واليا (من إجمالي ٤١ واليا)، أي أن ثلثا ولاية علي من الصحابة رضي الله عنهم، [حسب إحصاء قمت به، اعتمادا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٨٣/٦.

(٢) انظر في فتحه: تاريخ الطبري، ٢٤٦/٤. وفي ولايته: أنساب الأشراف، ٤٨٠/٢.

على كتب التراجم للصحابة]، ولا يعني أن الصحبة معيار كفاءة بذاتها، بل المراد بيان كثرة الصحابة من ذوي الكفاءات في ولاة علي.

وبهذا يتبين أن عامة ولاة علي كانوا من ذوي الخبرات والكفاءات، ولم يكونوا مستجدين على ولاياتهم، بل كما رأيت، كثير منهم قد ولوا من قبل، وشاركوا في قيادة الجيوش والفتوحات، ولديهم خبرات إدارية وقيادية وسياسية. وكان علي يغير أي وال يجده غير مناسب لولايته، أو يجده تعدى فيها، أو لم يقيم بما ينبغي عليه، أو كرهه أهل البلد، وأكتفي بضرب مثال على ذلك^(١): جعدة بن هبيرة المخزومي، وهو ابن أم هانئ بنت أبي طالب، أي أن الخليفة خاله، بعثه إلى خراسان، ثم عزله لعدم قدرته على إدارة ولايته، وبعث خليلد بن قرة. وكذلك تمام بن العباس [ابن عمه]، عزله عن المدينة، وولى أبا أيوب الأنصاري.

* ماذا عن محمد بن أبي بكر الصديق، والأشتر؟

محمد بن أبي بكر اختاره علي لولاية مصر، وقد سبق له أن خبر مصر وعاش فيها في عهد عثمان، فخرج مجاهدا في الفتوحات، وقاتل تحت إمرة عبد الله بن أبي السرح، وشارك في معارك النوبة، وذات الصواري، وغيرها، فلم يكن اختياره لمصر عبثا.

ثم إن محمدا لكفاءته العسكرية، ولاءه علي يوم الجمل على الرّجالة. وقال عمرو بن العاص، يصف المعركة التي حدثت مع محمد بن أبي بكر

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ٦٤.

في مصر، وعرفت بـ "يوم المُسنّة": "شهدت ثمانية عشر زحفاً براكاء فلم أريوما مثل المسناة"^(١).

واتهامه بقتل عثمان فرية، فندناها من قبل، [راجع موضوع: من قتل عثمان] والزعم أن محمداً بلا فضيلة، وبلا صحبة، زعم باطل، فمجموعة من العلماء عدوا محمد بن أبي بكر من الصحابة، ومنهم (ابن كثير في البداية والنهاية، والسخاوي في فتح المغيـث، والسيوطي في تدريب الراوي، والمنـاوي في اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر)، وأسند له ابن قانع في معجم الصحابة، وترجم له ابن حبان في كتابه الثقات (ضمن الصحابة)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة"، وابن عبد البر في "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، وابن الأثير في "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وابن حجر في "الإصابة في تمييز الصحابة"، وقال عنه في أسد الغابة: "كان له فضل وعبادة"، ولو بحثت عن اسمه في كتب الجرح والتعديل، فلن تجده، لماذا؟ لأن كتب الجرح إنما تتناول من بعد الصحابة.

الأشتر النخعي:

أوردنا سابقاً مجموعة من الروايات الصحيحة التي تبين دوره الدفاعي ضد وفد أهل مصر عند مقتل عثمان، وبرأته من تهمة قتل عثمان، وذكرنا توثيق المحدثين له، ومنهم: العجلي، وابن حبان، والمزي، وتصحيح العلماء لما رواه من أحاديث، دون أن يطعنوا في عدالته، [راجع موضوع: من قتل عثمان؟].

ثم إن الأشتر ذو كفاءة عسكرية وسياسية، وكان سيد قومه، وشارك في

(١) انظر الولاية والقضاء للكندي، ص ٢٥.

اليرموك، وأصبحت عينه فيها، وكان قائدا لمذبح في صفين، فعلي لم يول رجلا غير كفؤ.

ثم لم المبالغة، في تصوير الأشتر الحاكم الظل؟!

هذه كتب التاريخ لا تجعل للأشتر دورا محوريا في خلافة علي عليه السلام، في معركة الجمل - أول المعارك - لم يكن من القادة، وفي معركة صفين لم يتول إلا قيادة ثانوية، (قيادة قبيلة مذحج)، ضمن ٣١ قائدا هم قادة الصف الثاني، ذكرهم خليفة بن خياط في تاريخه، وعينه واليا على الجزيرة؛ لأنها كانت منطقة نزاع مع معاوية، وأظهر كفاءة عالية في السيطرة عليها، وصد حملات الشام، وضبط الأمن فيها، وأرسله لولاية مصر، فمات في الطريق دون أن يلي شيئا، هذا كل الأشتر في خلافة علي.

ومن التناقض البالغ حين يصور الدكتور مروان الأشتر بصورة حاكم الظل، وأهميته الكبيرة لعلي، ثم يزعم أن عليا وراء اغتيال الأشتر! فكيف يغتال الخليفة مثل هذا الرجل الذي يمثل له قوة في معركته ضد الفوضى والتمرد؟! ومن المعلوم أن الأشتر مات مسموما وهو في طريقه إلى مصر بعد مقتل محمد الصديق، فعلي أرسله في مهمة إنقاذ لمصر، فكيف يغتاله؟!

*** تولية الفاجر:**

ثم إذا كان الأشتر أو محمد الصديق - أو غيرهما - فيه فجور، فمبدأ الخلفاء هو تقديم الرجل القوي وإن كان فيه فجور، قال ابن تيمية في السياسة الشرعية^(١): "فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة: قدم أنفعهما

لتلك الولاية: وأقلهما ضررا فيها: فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع - وإن كان فيه فجور - على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أمينا".

وذكر ابن تيمية قول أحمد: "أما الفاجر القوي، فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه؛ وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين".

إنني لأعجب لمثقفين ومحللين بعد ١٤٠٠ سنة يأتون لا لقراءة التاريخ، بل لمحاكمته!

لو أن رئيس دولة لا يتحرك إلا وفقا لتقديرات المحللين وتقييماتهم، لكان فاشلا بحق، ولما أقدم على اتخاذ قرار ناجح، وانظر كيف تتضارب تقييمات المحللين للشخصية الواحدة التي يأتي لها قرار تعيين رئاسي، هذا والمحللون مطلعون على كثير من التفاصيل، ومعايشون للأحداث نفسها، فما بالك حين يأتي من يحاكم الأحداث ببقايا روايات أكثرها واه وضعيف، ويقفز من تلك الواهيات إلى تقييم مسيرة علي السياسية، وخبرته الإدارية، وكفاءته القيادية، بل وإقامة المحاكمة له، متجاوزا مقررات التاريخ والجغرافيا والسياسة والاجتماع!

إنه الهوى، الذي يفرز كتابات متلونة، مخضبة بالحقد، ملطخة بالتحامل.

ومضات من سياسة علي وإدارته في الحكم

يصعب علينا تتبع الروايات الصحيحة التي تبين كفاءة علي رضي الله عنه القيادية والسياسية أثناء خلافته، ومنهجه وكفاءته في الحكم والإدارة، ولكننا نذكر هنا ومضات عامة وسريعة.

* السياسة الإدارية والتنظيمية:

- كان علي يراقب الولاة، ويحاسبهم ويتابعهم، ويوجههم، ويحذرهم من ظلم الناس، أو من الخيانة، أو الوقوع في الشبهات، ويخوفهم بالله تعالى، ويحذرهم من الهوى، ويأمرهم باللين مع الناس، والعدل والمساواة والعفو والإحسان، وعدم التهاون مع المجرمين والفاستدين، ويأمرهم بالورع في المال وحسن قسمته على مستحقه دون أخذ شيء منه^(١).

(١) انظر نماذج من كتاباته إلى ولاته ومحاسبتهم في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، ١٥٧/٢ - وما بعدها. ومما ذكره محاسبة علي للأشعث بن قيس، فغضب وهم اللحاق بمعاوية [أنساب الأشراف، ٢/٢٩٦]. وانظر كتاب أمير المؤمنين المفترى عليه، ص ٤٣٦ - وما بعدها. ومن تلكم التوجيهات ما ذكره الطبري في تاريخه [٥/٥٥٦] من توجيه علي لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، فكتب: (هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، وأمره بتقوى الله والطاعة في السر والعلانية، وخوف الله عز وجل في الغيب والمشهد، وباللين على المسلمين، وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وإنصاف المظلوم، وبالشدّة على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع، والله يجزي المحسنين، ويعذب المجرمين وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة، فإن لهم في ذلك من العاقبة، وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره، ولا يعرفون كنهه، وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل، لا ينتقص منه ولا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من =

- فَعَلَ علي الجهاز الرقابي في الدولة، وذلك بتكليف عمال سرين، يراقبون تصرفات الولاة، ويبلغون عليا عن أي مخالفات^(١).

- فعل علي جهات التفتيش الإداري والمالي، والتحقق من مخالفات العمال^(٢).

- علي كان يكثر من الاستشارة، ولا يستبد بالرأي، ويأمر ولاته بالشورى.

- كان يتحرى الحكم بالعدل، وأمثلة ذلك كثيرة.

- كان عهد علي امتدادا لمن سبقه من الخلفاء، ومن الممارسات الإدارية المهمة، فصل الولاية عن الخراج والقضاء في بعض الولايات، فمثلا عين واليا على البصرة عبد الله بن عباس، وعين على خراجها (المالية) زياد، وعين على القضاء: أبا الأسود الدؤلي، وفصل بين السلطات الثلاث، وأمرهم بالتعاون والتشاور، وجعلهم متصلين به مباشرة^(٣).

= قبل، وأن يلين لهم جناحه، وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء وأمره أن يحكم بين الناس بالحق، وأن يقوم بالقسط، ولا يتبع الهوى، ولا يخف في الله عز وجل لومة لائم، فإن الله جل ثناؤه مع من اتقى وأثر طاعته وأمره على ما سواه).

(١) انظر مثلا: أنساب الأشراف، ١٦٠ / ٢ - وما بعدها، ويرسل لولاته قائلا (بلغني عنك كذا وكذا). وتاريخ الطبري، ١١٧، ٣٣ / ٥. وفي الثقات لابن حبان، ٢ / ٢٩٨: (استعمل عليّ يزيد بن حجية التميمي على الري، ثم كتب إليه بعد مدة: أن أقدم، فقدم على علي، فقال له: أين ما غللت من مال الله؟ قال: ما غللت، فحفقه بالدرة خفقات وحبسه في داره). فالنص يبين إلى أي مدى كان هؤلاء العيون يعلمون أدق التفاصيل عن الوالي، وقد كانوا من جهازه الإداري، دون أن يعلمهم.

(٢) في الأموال للقاسم بن سلام، ١٠٣: (بلغ عليا عليه السلام عن السواد فساد، فقال: من يتدب؟ فانتدب له ثلاثمائة).

(٣) انظر تاريخ خليفة بن خياط، وانظر: الولاية على البلدان، ص ٣٦٥.

- بالرغم من المشاكل الأمنية والاضطرابات، فقد كان علي يوجه ولاته إلى الاهتمام بالإصلاحات المدنية التي تخدم السكان، كرسالته إلى قرظة بن كعب، وفيها يوجهه بحفر نهر، وينفق عليه من بيت المال، وألا يجبر أحدا، ومن عمل فيه انتفع بعمله^(١)، وهذه الرؤية المالية تبين أن عليا كان يهتم بالإنفاق وإصلاح الموارد العائدة بالنفع على الناس، وليس فقط البحث عن الضرائب.

- في عصر علي نظمت الشرطة، وأطلق على رئيسها صاحب الشرطة، وكان يتم اختياره من علية القوم من أهل العصبية والقوة^(٢)، ويقول: "وقد تدرجت نشأة الشرطة والاستفادة منها في عصر الخلفاء الراشدين، وللعلم لم يكونوا يسمون بهذا الاسم في عهد عمر وعثمان، وإنما ظهرت التسمية في عهد علي، حيث قوى تنظيم الشرطة في عهده".

- أول من بنى السجون هو علي بن أبي طالب، فقد كان الخلفاء يسجون في الآبار، أو في ساحة المسجد، أو يكلف من يلازمه^(٣)، ولم يكن السجن متخذاً للعقوبة، بل للإصلاح، وثمة منهج إصلاحى دقيق وضعه لمعاملة السجناء، قال أبو يوسف في الخراج^(٤): (ولم تزل الخلفاء تُجري على أهل السجون ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وكسوتهم الشتاء والصيف، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام بالعراق)، وقال أيضاً: (كان علي ابن أبي طالب إذا كان في القبيلة أو

(١) أنساب الأشراف للبلاذري، ١٦٢ / ٢.

(٢) النظام الإداري والحربي، نقلا عن الولاية على البلدان، ص ٤٦٠.

(٣) التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني، ١ / ٢٤٧.

(٤) ١٦٣. وانظر: نظرية السجن الإصلاحى في فكر الإمام علي بن أبي طالب، علي عمران، مجلة

القوم الرجل الداعر حبسه فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين وقال: يحبس عنهم شره وينفق عليه من بيت مالهم)، وما يدل على إكرام علي للأسرى، أن ابن ملجم حين طعنه اعتبره علي أسيراً، وقال لمن حوله^(١): (أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا أولى بدمه عفوا وقصاصاً، وإن أمت فآلحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين).

* السياسة المالية:

- رسخ علي ملكية بيت المال للمسلمين، والفصل بين الإدارة المالية والإدارة السياسية، فالخليفة إنما هو مجرد موظف وليس مالكا، ولذلك قبل أن يبايع الصحابة بعد أن ألحوا عليه، خطبهم فقال: إني قد كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك^(٢)، فهو يرسخ سياسته المالية من قبل البيعة، ويضمن موافقة الناس على ذلك، وهذا يدل على أن بيت المال وما حدث له من قبل كان موضع جدل.

- علي أعاد السياسة المالية في تقسيم العطاء إلى ما كان عليه الأمر في عهد أبي بكر، فسوى في العطاء بين الناس، بخلاف عمر، ومن بعده عثمان، الذي كان يفاضل في العطاء، بحسب أصحاب السوابق وأهل الفضل، ولكل اجتهداه^(٣).

(١) طبقات ابن سعد، ٢٧/٣.

(٢) تاريخ الطبري، ٤٢٧/٤.

(٣) انظر مسند أحمد (١٥٩٠٥)، بسند صححه الشيخ الأرنؤوط، يروي تفضيل عمر للناس في العطاء. وانظر: الخراج لأبي يوسف، ٥٣ - وما بعدها. والاحكام السلطانية للمواردي، ٢٩٩ =

- سياسية علي المالية، كالخلفاء من قبله، أن الأمصار أحق بأموالها، فلا يقومون بترحيل الأموال إلى العاصمة، فيقوم الولاة بصرف نفقات العمال والموظفين، إضافة إلى القيام بما يلزم من الإصلاحات والخدمات كبناء الجسور وحفر القنوات وإجراء الأنهار والعيون، ويصرفون ذلك مما يجبي من ولاياتهم^(١).

- رفض سياسة الإقطاعات، وإبقاء الأراضي موردا للدولة، وعدم توزيعها على الناس^(٢).

- لم يكن علي حريصا على تخزين الأموال في بيت المال، بل كان يحرص على توزيع حقوق الناس، دون تأخير شيء عليهم، وورد أنه كان يقسم ما فيه كل جمعة^(٣)، وكان بعد توزيع العطاء من بيت المال يكنسه، ثم يصلي فيه، رجاء أن

= وفي الخراج: وأبو بكر حين قيل له: (يا خليفة رسول الله، إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم؛ فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم) فأجابهم: (أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك؛ وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة). وفي العام الثاني من خلافته جاء مال فأصاب كل إنسان عشرين درهما. فلما كان عمر فضل، وقال: (إن أبا بكر رضي الله تعالى عنه رأى في هذا المال رأيا ولي فيه رأي آخر، لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه). وبذلك فاضل بين الناس في العطاء في طبقات تدرجية. ولما أدرك آثار هذه السياسة قال [الأموال للقاسم بن سلام، ٣٣٦]: (لئن عشت إلى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيانا واحدا).

(١) أمير المؤمنين المفترى عليه، ص ٤٩٢.

(٢) الخراج لأبي يوسف، ٤٧.

(٣) روى أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٣١)، بسند حسنه محقق الكتاب: (أن ابن التياح جاء إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، قال: الله أكبر، فقام متوكيا على ابن التياح حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال: هذا جناي وخياره فيه، وكل جان =

يشهد له يوم القيامة^(١).

- وكان يهتم بإغناء رعيته، فكلما جاءه مال أعطى الناس، حتى لو تكرر خلال العام الواحد، كما ذكر ابن سلام في كتاب الأموال^(٢) أن علياً أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصفهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست لكم بخازن، ولذلك أصبح حال الناس ناعماً^(٣).

- الشفافية المالية، فكان حريصاً على تبيان كل ما يأتي إلى بيت المال للناس، ويقسم لهم حتى الحبال والرغيف^(٤).

- النزاهة المالية، فلم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً^(٥)، واعتمد على أملاكه في نفقته^(٦)، وأعلن للناس ما الذي يملكه حين دخل الكوفة^(٧).

= يده إلى فيه، يا ابن التياح، علي بأشياخ الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المسلمين وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء، غري غري، ها وها، وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء، غري غري، ها وها، حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين).

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١/٥٣٣)، بسند صحيح.

(٢) ٣٤٤.

(٣) في فضائل الصحابة لأحمد، بسند صحيح، ١/ ٥٣١: (ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً، إن أذنهم منزلة ليأكل من البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات).

(٤) الأموال للقاسم بن سلام، ٣٤٣- وما بعدها. وانظر فضائل الصحابة لأحمد، ١/ ٥٤٥، بسند صحيح.

(٥) الأموال للقاسم بن سلام، ٣٤٣- وما بعدها.

(٦) فضائل الصحابة لأحمد، ١/ ٥٣٦، وفيه (كان علي يغدي ويعشي، ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة).

(٧) الأموال لابن زنجويه، ٢/ ٦٠٧.

- وكذلك كان يمنع أسرته أن يأخذوا شيئاً من بيت المال، حتى أترجة، كما روت بنته أم كلثوم، ويعيشون كفافاً^(١).

- وكان يحذر ولاته من ضرب الناس، بسبب الضرائب والجبايات، ويأمرهم بأخذ العفو منهم، حتى لو أدى هذا التسامح إلى عدم جباية أي أموال، قال يوصي أحد ولاته^(٢): (إذا قدمت عليهم فلا تبعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا، ولا رزقا يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرَصاً في شيء من الخراج؛ فإننا إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك، قال: قلت: إذن أرجع إليك كما خرجت من عندك، قال: وإن رجعت كما خرجت، قال فانطلقت فعملت بالذي أمرني به، فرجعت ولم أنتقص من الخراج شيئاً).

- ومن أراد مزيداً من النظر في سياسة علي المالية، فليقرأ كتاب: (السياسة المالية للإمام علي بن أبي طالب من منظور النظام المالي الإسلامي)، د/ فاطمة سيد عبد القادر، وقد اعتمدت في دراستها على المنهج التحليلي في عرض النظام المالي الإسلامي، مع التطبيق على السياسة المالية للخليفة الرابع.

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٥٤٠)، بسند صحيحه محقق الكتاب. والرواية كاملة: (قال أبو صالح: دخلت على أم كلثوم بنت علي، فإذا هي تمشط في ستر بيني وبينها، فجاء حسن وحسين فدخلوا عليها وهي جالسة تمشط فقالا: ألا تطعمون أبا صالح شيئاً؟ قال: فأخرجوا لي قصعة فيها مرق بحبوب، قال: فقلت: تطعموني هذا وأنتم أمراء؟ فقالت أم كلثوم: يا أبا صالح، كيف لو رأيت أمير المؤمنين، يعني علياً، وأتي بأترج، فذهب حسن يأخذ منه أترجة، فنزعها من يده ثم أمر به فقسم بين الناس).

(٢) الخراج لأبي يوسف، ٢٥.

* التعامل القيادي:

- أظهر علي مقدرة كبيرة في تعبئة الجيوش، وقيادة الناس، وتوضيح أحكام الشرع في الحروب الداخلية بين المسلمين، ومنها: الكف عن المدبر، والإحسان إلى الأسير، وإطلاقه بعد انتهاء المعركة أو أخذ العهد عليه أن لا يعود للقتال، وعدم قسمة أموالهم واعتبارها غنيمة سوى السلاح والكراع الذي حملوه في الحرب، وعدم سبي النساء والذراري، وعدم حرمان المخالفين من حقهم في الفيء أو الصلاة في المساجد، وعدم بدئهم بالقتال^(١).

- كان شديد الحرص على الأنفس والأعراض والأموال، ويذلل الصفح والرحمة في تعامله مع أشد الخصوم الذين حاربوه كالخوارج^(٢).

- قوة شخصيته وثباته على نهجه، فلم يفقده اشتباك المحن توازنه، ومن أمثلة ذلك وصيته أثناء قتال صفين^(٣)، ومن أوضح الأمثلة موقفه من قاتله، فحين طعنه ابن ملجم قال بعض أصحابه في لحظة غضب: خل بيننا وبين مراد، فلا تقوم لهم راغية، فقال: لا، ولكن احبسوا الرجل، فإن أنا مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص^(٤)، فهو أولاً: رفض أن يؤاخذ غير قاتله به، وثانياً: رفض قتل ابن ملجم إلا إذا مات، أما لو عاش فالجروح قصاص، وهذا يقتضي أنه عامله كمسلم، وليس كمرتد، وثالثاً: أوصى أولاده بالإحسان إليه، فقال: "إنه أسير؛ فأحسنوا

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٩٢.

(٢) أمير المؤمنين المفترى عليه، ص ٤٠٢.

(٣) انظر: نثر الدر في المحاضرات، ١/ ١٨٣.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٥٦٠).

نزله، وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن مت فاقتلوه قتلتي، ولا تعتدوا؛ إن الله لا يحب المعتدين"^(١).

- علي لم يُخضع الناس بالسيف، بل ترك لهم الحريات ليفعلوا ما أرادوا، ولو خالفوه، ومثال ذلك: موقفه من الصحابة الذين لم يسيروا معه، فعذرهم في اجتهادهم، وموقفه من واليه على الكوفة أبي موسى حين ثبط الناس عنه؛ فعزله دون أن يسيء إليه أو يحبس، وأكبر مثال: موقفه من الخوارج، حين ترك لهم حرية كاملة؛ بشرط ألا يقتلوا أو يعتدوا^(٢).

- أثر عنه تقبل النقد والسماحة السياسية، وتحقيق العدالة بأبهى صورها، فقد جاءه أحد أصحابه برجل من الخوارج^(٣)، فقال: يا أمير المؤمنين إني وجدت هذا يسبك، قال: فسبه كما سبني، قال: ويتوعدك، فقال: لا أقتل من لم يقتلني، قال علي: (لهم علينا أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا).

- لم يكن يتعامل مع الناس بعنصرية، بل كان يتعامل معهم كأنه واحد منهم، فمثلاً، قال لأولاده حين طعنه ابن ملجم: وإن أعش فالجروح قصاص^(٤)، فلم يأمر بإعدامه فوراً! وورد عنه^(٥) أنه خرج السوق ذات مرة، فمر بتمار وعنده

(١) طبقات ابن سعد، ٢٥/٣.

(٢) أمير المؤمنين المفترى عليه، ص ٤١٣ - وما بعدها.

(٣) الأموال للقاسم بن سلام، ٢٩٦.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد (١/٥٦٠).

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (٢/٦٢١).

جارية تبكي، فسألها: ما شأنك؟ فقالت: باعني تمرا وردني مولاي، فرفض أن يقبله، فقال علي: يا صاحب التمر خذ تمرًا وأعطها درهمها؛ فإنها خادم، وليس لها أمر، فدفعت البائع عليها، فقال له الناس: تدري من دفعت؟ قال: لا، قالوا: أمير المؤمنين، فصب تمرها وأعطها درهمها، وقال: أحب أن ترضى عني، فقال علي: (ما أَرْضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم)، فهو لم يعنفه حين دفعه بيده، ولم يقفز حراسه [وهو لم يكن معه حراس أصلاً] لضربه أو سحبهن لم يسجنه، لم يقتله، بل تعامل معه بأعلى الأخلاق.

- كان يرفض أخذ الناس بالظنون، فلا يعاقب إلا من تحقق منه الفعل، وأمثلة ذلك كثيرة، ومنها رفضه سجن الخريت بن راشد، مع ما قد بدر منه، بل حين بلغ أحد العيون علياً بموقفه، فقال لعلي^(١): ولم لا تأخذه الآن وتستوثق منه وتحبسه؟ فقال: (إنا لو فعلنا هذا بكل من نتهمه من الناس ملأنا سجننا منهم، ولا أراه - يعني الثوب على الناس والحبس والعقوبة - حتى يظهرُوا لنا الخلاف)، وحين قيل له أخبرنا بالأشقى نبير عترته، قال لهم: (إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي)، وقد سبق إيراد الرواية.

- لم يكن علي يقابل خصومه بالتعامل بالمثل، بل كان يعاملهم بما ينبغي فعله من الحق، ولذلك أمثلة كثيرة، تناولنا عامتها فيما سبق، منها: موقفه مع عائشة بعد الجمل، وموقفه مع طلحة والزبير، وموقفه مع قتلى الجمل وصفين، ومنها^(٢) موقفه في صفين، حين سبق معاوية إلى الماء فمنعوا جيش العراق، فقاتلهم أهل

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ١١٥.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ١٩٤.

العراق حتى غلبوهم على الماء، وحيثئذ لم يمنعهم علي من الماء.

- لم يكن له قصور يتنزه فيها، ويسمر بها، بل كان يخرج مع الناس ويختلط بهم، ويمشي مع أصحابه إلى شط الفرات، وهو مكان لعامة الناس^(١)، وحين دخل الكوفة، فقال له أصحابه: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة^(٢).

- كان يتردد إلى الأسواق، ويراقب أعمال الناس، ويقومهم، ويصلح بين الناس، ويعين الضعيف، وكان يقعد في سوق الكوفة لقضاء حوائج الناس، وكان يبرز للناس دون حاجب، في صحيح البخاري^(٣): عن النزال بن سبرة، أن علياً عليه السلام صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة، حتى حضرت صلاة العصر.

وفي فضائل الصحابة لأحمد^(٤): (عن زاذان قال: رأيت علي بن أبي طالب يمسك الشسوع بيده، يمر في الأسواق فيناول الرجل الشسع، ويرشد الضال، ويعين الحمال على الحمولة).

وكان ينزل بنفسه يفتش السوق، ويسأل عن الأسعار^(٥)، ويتأكد من عدم

(١) قال أبو عبد الرحمن السلمي: أخذ عليّ بيدي فانطلقنا نمشي، حتى جلسنا على شط الفرات، فقال لي: إلخ. [فضائل الصحابة، ٢/ ٧١٠، قال محقق الكتاب: إسناده صحيح].

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، ١٠/ ٤٩١.

(٣) (٥٦١٦). وهناك آثار كثيرة تبين ما كان يقوم به الخليفة من الإشراف على الأسواق، وتوجيه الناس وإرشادهم، وتصحيح أخطائهم. ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب "منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله"، ص ٢٢٨ - ٢٣٧.

(٤) ٦٢١/٢.

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٥٤٧).

ممارسة الغش، في فضائل الصحابة لأحمد^(١): عن جرّموز المرادي قال: رأيت عليا وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان، إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمر قريبا منه، ومعه الدرة، يمشي في الأسواق، ويأمرهم بتقوى الله، وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان، ولا تنفحوا اللحم).

- ومن احترامه لسلطة القضاء، وعدم استغلاله سلطته أنه عندما وجد درعه عند نصراني لم ينزعها منه، بل قاضاه إلى القاضي، [السنن الكبرى للبيهقي].

* علي الخليفة الورع!

صور ورع الخليفة تعكس مدى نزاهته وحذره في استخدام المال عموما، ومال المسلمين خصوصا، فتقشفه وزهده في اللباس والطعام واحتياجات المسكن، إنما هو تجسيد لمنهج الرباني في التعامل مع المال، ومن نماذج ذلك:

- ومن ورعه أنه كان إذا اشترى شيئا تحاشى الشراء ممن يعرفه، حتى لا يجامله في الثمن؛ لأنه أمير المؤمنين^(٢).

- ومن ورعه في مال الأمة، ما ذكره ابن زنجويه، وأبو عبيد، وغيرهم، والنص من كتاب الأموال لابن زنجويه^(٣): عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال:

(١) ٥٥٧/٢. وقوله (ولا تنفحوا اللحم)، أي: لا تخرجوا مخ العظم المكسو باللحم.

(٢) في الطبقات لابن سعد، ٢٠/٣: يروي فروخ مولى لبني الأشتر قال: رأيت عليا في بني ديوار وأنا غلام، فقال: أتعرفني؟ فقلت: نعم، أنت أمير المؤمنين. ثم أتى آخر فقال: أتعرفني؟ فقال: لا. فاشترى منه قميصا زائبا فلبسه، فمدَّ كُم القميص فإذا هو مع أصابعه، فقال له: كف. فلما كف، قال: الحمد لله الذي كسا علي بن أبي طالب). وانظر مجموعة من الروايات في كتاب عبد الستار الشيخ: أمير المؤمنين المفترى عليه، ص ٢٠٧-٢٠٨. منقولة عن الطبقات وصفة الصفوة وغيرها.

(٣) ٦٠٧/٢.

دخلت على علي بالخوَرُوق، وعليه سِمْل قطيفة، وهو يُرعد فيها [ينتفض من البرد]، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله تبارك وتعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيبا، وأنت تفعل هذا بنفسك؟ قال: فقال: "إني والله ما أرزأكم شيئا، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من بيتي، أو قال: من المدينة"، [لا أرزأكم: أي: لا آخذ من أموالكم شيئا].

- قال عبد الرحمن بن أبي بكرة^(١): "ما رزأ علي من بيت مالنا - بالبصرة - حتى فارقنا غير جبة محشوة، وخميصة"، وكان يوزع عطاء الناس ثم يقول^(٢): "يا دنيا غري غيري"، في مقابل ذلك فقد زاد في عطاء الناس.

- وقال لمن طلب منه التوسع: إني سمعت الرسول ﷺ يقول: "لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس"^(٣).

ذلكم قطرة من بحر الخليفة الراشد علي عليه السلام.

فأي ظلم وأي جور وأي بهتان وأي زور! أن يأتي مثقفٌ مستخدماً قلمه الوسيم، ولسانه العليم؛ ليصور عليا بصورة الحاكم الضعيف الفاشل المخادع الانتهازي المتلون السلطوي،؟!

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤٤٣/٧).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد (١/٥٣١)، بسند حسنه محقق الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد (٥٧٨)، وصححه الشيخ شاکر.

انشقاق خالد بن الوليد، وبيعة معاوية بن أبي سفيان

* سيناريو افتراضي:

نعم، لقد قرأت العنوان بشكل صحيح، ولم أخطئ في كتابته.

نحن في عام ١٣ هـ، ببيع لعمر بن الخطاب في المدينة بالخلافة، فأرسل إلى الأمصار بطلب البيعة، وأرسل ولاته، وبعث رسالة العزل إلى خالد بن الوليد، قائد جيوش الشام، أشهر قادة التاريخ الإسلامي، لكن خالد بن الوليد تجاهل الرسالة، ورفض البيعة، وأعلن تمرده، حاول عمر بن الخطاب مرارا مع خالد، لكنه رفض، ولديه مبررات ما، اضطر عمر أن يخرج بنفسه لمواجهة خالد؛ حتى لا تتمزق الدولة، واستدعى قائد العراق: المشنى بن الحارث، ودخلوا في مواجهة مع جيش خالد، لك أن تتخيل نتائج المواجهة، وأن تتخيل عمر بن الخطاب المشغل بالاضطرابات الداخلية وبقمع التمردات، لا عمر المشغل بالفتوحات! هل سيكون هو نفسه؟!، وما بالك بخالد الذي ربما تمكن من إقامة أول امبراطورية مخزومية!

ما بالك، حين يأتي مثقف بعد ١٤ قرنا، ويدين عمر بن الخطاب؛ لأنه لم يقم بمراضاة خالد بن الوليد! وبذلك يتحمل الخليفة عمر الحرب وما نتج عنها، لا خالد الذي انشق!

وفي المقابل، نحن في أواخر عام ٣٥ هـ وأول ٣٦ هـ، ببيع لعلي بن أبي طالب في المدينة، وأرسل ولاته للأمصار، وصل قرار العزل إلى معاوية، فقال: "ما أنا بالذي أعصي أمير المؤمنين"، وبائع، وقبل بقرار الخليفة، ودخلت الشام

تحت الخلافة، وتوجهت جيوش الدولة لضبط الأوضاع في الولايات المترامية الأطراف، واستمرت موجة الفتوحات في عهد علي بن أبي طالب، وحينئذ نكون أمام الخليفة علي، الذي وطد الأمن، ونشر الإسلام، واستمر في موجة الفتوحات، لا علي المنشغل بقمع التمرد، وما سببه التمرد من اضطرابات!.

هذا السيناريو افتراضي، ولا يعني أنني أقرأ التاريخ بافتراضات وتخيلات، بل هو رسالة إلى من يقيمون الأحداث بشكل خاطئ، ويضعون معايير وقوالب مسبقة، دون أن ينطلق تقييمهم من قراءة المتغيرات.

في هذا الموضوع^(١):

١ - تقييم رفض معاوية للبيعة، مقابل تأخير علي للقصاص.

٢ - لماذا لم ينشق خالد؟

٣ - معاوية ينازع عليا الخلافة.

٤ - العوامل والمتغيرات التي أحاطت بخلافة علي، بل بآخر خلافة عثمان، والتي ينبغي مراعاتها في التقييم.

*** بين خطأين:**

تنص الدساتير على أن من اختصاصات رئيس الدولة: "تعيين وعزل كبار موظفي الدولة من المدنيين والعسكريين وفقاً للقانون"، ومن ثم فرفض أي مسؤول قرار رئيس الدولة يعد مخالفة دستورية.

(١) بعض مما في هذا المقال الأصلي نقلته إلى المقدمة المنهجية.

وإذا استخدمنا مصطلحاتنا المعاصرة فسنقول عن خطأ معاوية برفض تنفيذ قرار الخليفة، بأنه: "خطأ دستوري"، ولذلك من غير الإنصاف أن يقارن الخطأ الدستوري بالخطأ الإجرائي، فلو افترضنا أن علياً أخطأ في تأخير تنفيذ القصاص حتى يبايع معاوية، فهذا خطأ إجرائي، ونحن نرى أن كون الخليفة أراد إقامة القصاص بطريقة شرعية قانونية، فهذا حقه في الاجتهاد، ولا يمكن لومه على ذلك، وقد نقلنا ذلك عن ابن تيمية في منهاج السنة.

فإذا كان معاوية عند خلافته لم يقم بالقصاص من قتلة عثمان؛ وطوى هذا الملف، واعتمد سياسة "العدالة الانتقالية"، ونحن نرى أن هذا هو الصواب - أفلا نرى ذلك للخليفة علي من قبله!

ولم يقف الأمر عند رفض معاوية البيعة والدخول في طاعة الخليفة، بل انضاف إلى ذلك استخدام قوة الشام التي تأسست لمصلحة الدولة الإسلامية، وكان معاوية مؤتمناً عليها، فباستخدام تلك القوة أدى إلى كسر سلطة الخلافة، وبذلك دخلت الدولة في دوامة من الفوضى.

لقد أصبحت الشام منذ خلافة عثمان أحد أهم مراكز الثقل والقوة في الدولة، والمدينة المنورة لم تعد سوى عاصمة سياسية، ولذلك ظهر انكشافها أمام مجموعة من المتمردين، ولكن الأمر الخطير أن أصبح الشام قائدة الانقلاب ضد الخلافة، فالشام بمثابة الجيش، وانقلابها ضد الخلافة كانقلاب الجيش العسكري ضد الحكم المدني السياسي.

مثقفونا المعاصرون، يدينون الانقلابات العسكرية ضد الحكومات المدنية، لكنهم لا يفعلون ذلك حين تختلف البوصلة النفسية، فيذهبون إلى إدانة الحاكم

المدني، وتحميلة مسؤولية الحروب، وإدانتة على عدم تنازله وخضوعه لسلطة القوة!
فهذا هو المنظور الاجتماعي لقراءة الأحداث، وحتى من منظور ديني،
فيقول ابن حجر في الإصابة^(١): "وكان من الصحابة فريق لم يدخلوا في شيء من
القتال، وظهر بقتل عمار أنّ الصواب كان مع علي، واتفق على ذلك أهل السنة بعد
اختلاف كان في القديم".

* لماذا لم ينشق خالد؟

بعد أن تولى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد عن قيادة جيوش الشام،
فتقبل خالد العزل بلا أي اعتراض، ولا مبررات، بعد ذلك أصبح خالد جنديا في
الجيش تحت إمرة أبي عبيدة نحو أربع سنوات، يأمره فيطيع، ويكلفه فينفذ، ثم قام
عمر بعزل ثان لخالد، فأوقفه عن القتال والجنديّة، وردّه إلى المدينة^(٢).

والسؤال: لماذا لم ينشق خالد، ويعلن تمرده لأي سبب كان؟

الجواب:

عندما جاء الكتاب إلى أبي عبيدة، احتبسه ولم يظهره لخالد، بسبب حصار
دمشق، حتى مرت عشرون يوما، ثم دفع إليه الكتاب بعد أن فتح خالد دمشق، فقال
خالد لأبي عبيدة^(٣): يغفر الله لك، أذاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية، فلم تعلمني،
وأنت تصلي خلفي، والسلطان سلطانك؟!

(١) ٤٦٦/٤.

(٢) انظر روايات العزّلين، في كتاب د/ الصلابي: سيرة عمر بن الخطاب، ٣٤٣ - وما بعدها.

(٣) تاريخ دمشق، ١٢٦/٢.

يبين هذا النص مدى طاعة خالد لأمر الخليفة، ومعاتبته لأبي عبيدة في عدم إنفاذ أمر الخليفة فوراً، وأنه ظل جندياً تحت إمرة خالد، في حين أنه هو الوالي والسلطان.

ويتبين من خلال النص الوازع الديني لدى خالد، واستشعاره بوجوب طاعة أميره فوراً، وأن مجرد شقاؤه للخليفة سيؤدي إلى الفتنة، وإلى حروب أهلية، وإلى سفك الدماء، بالرغم من أن خالد بن الوليد ليس مجرد والٍ، بل هو قائد عام، ويأتيه العزل وهو في أوج قوته وأمجاده، بعد تحقيق أعظم الانتصارات في التاريخ، كل ذلك لم يدفع خالدًا للتمرد والانشقاق، بل أعلن أنه جندي يسمع ويطيع.

خالد بن الوليد بشر، وقد تأثر بهذا العزل، ودخل في نفسه، وهذا أمر فطري، يعبر عن ذلك بقوله حين عزل^(١)، قام فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت سمنا وعسلا عزلني وأثر بها غيري»، فهو أخذ الأمر في غرمة، فلما استتب الأمر، وصار سمنا وعسلا، عزله خالد وولى سواه.

وجد خالد في نفسه من العزل، ولكنه لم يحول تلك المشاعر إلى تمرد وانشقاق ورفض للأمر، بل استجاب وأطاع، واستمر في الجيش مجاهداً، وهذه هي القوة والعظمة التي سجلها التاريخ له، أكثر من تسجيل عظمتة في الفتوحات. والأمر الأخير، حتى لو ضعفت نفس خالد، وغلبه الشيطان، وفكر

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ٩/٧.

بالانشقاق، فإن المجتمع الذي حوله لم يكن يسمح له بذلك، فهم يعرفون وجوب الطاعة، ويعرفون خطورة العصيان، وأثره في تدمير الأمة وإهلاكها، وإشعال الحروب، هذا المجتمع نفسه، الذي وجد علي بن أبي طالب جفوته حين تأخرت بيعته، وقد أشرنا لذلك من قبل، فالمجتمع كان يجعل المبادئ فوق الأشخاص، مهما كانوا، ومهما كانت تضحياتهم.

بالرغم من وجود امتعاض في المجتمع تجاه عزل عمر لخالد، ولكن ذلك الامتعاض ظل في حدود النقد والتعبير السلمي عن الرأي، ولم يتحول إلى ثورة، أو فتنة، أو شغب، وفي المقابل تقبل عمر ذلك الانتقاد، ولم ير فيه معارضة لحكمه.

في مسند أحمد^(١)، أن عمر بن الخطاب قال: (وإني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته، وأمرت أبا عبيدة بن الجراح، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نزعنا عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، وغمدت سيفاً سله رسول الله ﷺ، ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم، فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السنن، مغضب من ابن عمك).

* معاوية ينازع علياً على الخلافة:

جريناً فيما سبق من الكتاب على القول أن معاوية احتج بالقصاص في عدم البيعة، وذلك أنها الحجة المقولة الظاهرة.

(١) (١٥٩٠٥)، وصححه الشيخ الأرناؤوط.

ولكن بالرغم من أن الحجة الظاهرة لمعاوية في رفض البيعة هو "القصاص من قتلة عثمان"، فإن تصرفاته تنبئ عن أكثر من تلك الحجة، ويمكن التدليل على ذلك بأمور، منها:

الأول: كان يسعه عدم البيعة، والاعتزال، كما فعل بعض من لم يبايع، دون استخدام القوة لفرض الأمر الواقع.

الثاني: لم يقتصر امتناع معاوية عن البيعة بالبقاء في الشام، ولكنه تحرك ضد الخليفة لاقطاع ولايات الدولة الإسلامية، ومحاولة القضاء على الخليفة، ولذلك أخذ مصر، وحاول أخذ اليمن ومكة والمدينة والبصرة، واستمر طوال فترة خلافة علي في إرسال قواته إلى أطراف الدولة الإسلامية، فمثل هذا التصرف يبين أن معاوية كان ينازع عليا الخلافة، دون أن يصرح بذلك؛ حتى لا يسقط مبررات نصرة الناس له، القائمة على دم عثمان.

الثالث: قيام معاوية بقتال الخليفة في صفين؛ مما سبب في إزهاق أضعاف أضعاف قتلة عثمان، فلو كانت حرمة دم عثمان مبررا فلماذا الإقدام على أظنان من دماء آخرين من المسلمين؟! قال ابن تيمية^(١):

(ومعلوم أن قتل القاتل إنما شرع عصمة للدماء، فإذا أفضى قتل الطائفة القليلة إلى قتل أضعافها، لم يكن هذا طاعة ولا مصلحة، وقد قتل بصفين أضعاف أضعاف قتلة عثمان).

الرابع: فلتات لسان معاوية، في تصريحه بسعيه للملك، كما في صحيح

(١) ٤١٣/٤.

البخاري^(١)، من حديث ابن عمر أثناء التحكيم، فقال ابن عمر: (خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبتة؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان، قال حبيب: حفظت وعصمت)، فهو نص واضح أن معاوية يرى نفسه أحق بالخلافة، وأن النزاع مع علي إنما هو بشأن الخلافة نفسها، لا القصاص من قتلة عثمان.

الخامس: كان معاوية يقوم بمراسلة ولاية علي ومن حوله، يستميلهم بالمال وبالولايات، وهذا فعل لا علاقة له بمجرد المطالبة بدم عثمان، بل هو فعل منازعة الخليفة في الخلافة نفسها، ومحاولة القضاء عليه.

ومن تلك المراسلات^(٢): أرسل معاوية إلى أبي موسى الأشعري: (أما بعد، فإن عمرو بن العاص قد بايعني على ما أريد، وأقسم بالله، لئن بايعتني على الذي بايعني، لأستعملن أحد ابنك على الكوفة، والآخر على البصرة؛ ولا يغلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة، وقد كتبت إليك بخطي، فاكتب إلي بخط يدك)، فكتب إليه: (أما بعد، فإنك كتبت إلي في جسيم أمر الأمة، فماذا أقول لربي إذا قدمت عليه، ليس لي فيما عرضت من حاجة، والسلام عليك)، فإذا كانت الكوفة هي العاصمة للخلافة، وفيها الخليفة، ومعاوية يحاول انتزاع العاصمة، فما الذي يعنيه ذلك؟

(١) (٤١٠٨).

(٢) سير أعلام النبلاء، ٣٩٦/٢، وصحح إسنادها الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه.

السادس: حين صالح معاوية الحسن بن علي^(١)، لم يفكر معاوية في قتلة عثمان، ولا في الدماء التي سالت باسم دم عثمان، ولا في الحروب التي اشتعلت باسم دم عثمان، بل كان يفكر في الخلافة، وأبدى استعداداه الكامل للحسن مقابل الحصول على الخلافة.

السابع: حين ولي معاوية الخلافة، لم يقم بالقصاص من قتلة عثمان، وأقفل هذا الملف، فلماذا إذن تسبب في سفك الدماء، وتمزيق وحدة المسلمين، وإضعاف دولة الخلافة بهذا الملف؟! وهذا يشبه الدعاوى التي تتخذها بعض جماعات التمرد اليوم مبررات للوصول إلى السلطة (كغلاء الأسعار، أو فساد الحكومة السابقة، أو الاستئثار بوظائف الدولة... إلخ)، ثم حين يستولون على السلطة ينسون كل تلك الدعاوى، ويمارسون أسوأ منها؟!!

جرت عادة قادات الانقلاب العسكري عبر التاريخ - وفي عصرنا الحاضر أمثال كثيرة - أنهم يبررون لتمردهم على الحاكم بمبررات تضيفي المشروعية على سلوكهم، وتجعل الناس يتقبلون تمردهم، والنظر إليه على أنه لمصلحة الناس، ويعلن أولئك القادة أنهم لا يرغبون في الحكم، ولا يفكرون فيه، ومع مرور الأيام تتلاشى تلك المبررات، وترى أولئك المتمردين على كراسي الحكم.

*** علي المجتهد في الحكم:**

حين ننظر إلى اجتهاد الخليفة في ضوء الممكن البشري، وفي ضوء المتغيرات والعوامل، دون وضع عوامل قياسية نحاكمه إليها، سنفيد من التجربة

(١) انظر رواية الصلح في صحيح البخاري (٢٧٠٤).

البشرية فعلا، بإصابتها وأخطائها، بنجاحها وإخفاقها، نفيد من تجربة الحاكم وتجربة قادة القوى المتنازعة، وتتحول هذه التجربة إلى مصدر ثراء لنا.

علينا أن نناقش تجربة الخلافة بعيدا عن الطعن والانتقاص في الكفاءة؛ لأن هذا الانتقاص هو أول الأدلة على شخصنة النقد، وانحرافه عن الصواب، وذهاب النتائج إلى أحضان الهوى.

جاء علي في عصر غير عصر أبي بكر وعمر، حيث كانت الدولة ناشئة وفي توسع، ولا توجد خلافات داخلية تذهل الخليفة، وإنما الناس منشغلون بالفتوحات، والتأسيس لإدارة الولايات الجديدة، ولم تكن قد تكونت مراكز قوى داخلية يمكنها منازعة سلطة الخليفة، وقوة الناس وخبرتهم كلها مسخرة لمصلحة دولة الخلافة؛ مما هيا ذهن الخليفة وجهده للتفكير في بناء الدولة.

بخلاف ما أصبح الحال عليه في آخر خلافة عثمان، وخلافة علي، فالمحاربون وضعوا أسلحتهم، وبدأوا يتفرغون للتمرد على الخلافة، بدءا من عثمان حتى قتلوه، ثم علي حتى قتلوه، وانضاف إلى ذلك، كما ذكرنا، رفض معاوية للبيعة واتجاه جيش الشام لمحاربة جيش الخلافة، فعلي جاء محملا بأعباء المشاكل والاضطرابات التي حدثت في عهد الخليفة السابق، وأدت إلى الانشغال بمعالجتها، وتوقفت الفتوحات تقريبا في آخر ثلاث سنوات، وانتهت بمقتله.

وإضافة إلى ما سبق، فقد جاءت خلافة علي بعد مقتل الخليفة، وتحركت آلة إعلامية ضخمة توجه أصابع الاتهام إلى الخليفة، وتمهد بيئة للعمل ضده، وإضعافه.

المواجهة التي حدثت من كبار الصحابة، بغض النظر عن سرديتها، أثرت سلباً في موقف الخليفة، واستغلها الخصوم والمناوئون، ولا زالوا حتى اليوم يستغلونها، ولو أنصفوا لما فعلوا.

موقف الزبير وطلحة، ثم معاوية، كل ذلك أسهم في تفتيت جيش الخلافة بشكل عام، ولم يقف الأمر عند موقف الصحابة الذين واجهوا، بل أيضاً الصحابة الذين اعتزلوا.

كما أن ظهور البدع والمنكرات الدينية، ومن ذلك تأليه علي، وقد بينا سابقاً موقفه منهم؛ حيث أحرقهم، وأيضاً ظهور سب الصحابة، وبدأ الفارغون، كما يفعل بعض المثقفين اليوم، بتتبع عثرات الصحابة، والنظر إليها - ليس كأخطاء، بل - كخطايا وجرائم، وهكذا بدلاً من انشغالهم بما ينفعهم، يجتمعون ويحللون موقف ذلك الصحابي أو هذا، ثم ينشرونها في العامة، وبذل علي جهوداً كبيرة في مواجهة هؤلاء، المتتبعين عثرات الأصحاب، يذود عن الصحابة، ويشرح مواقفهم، ويلتمس لهم العذر، ويحملهم على حسن الظن.

علي جاء في مرحلة انتقالية في تاريخ الدولة الإسلامية، وكان لذلك الانتقال ضروريته، وكان لتلك المتغيرات أثرها الكبير، كانت الأمة الإسلامية في تحول اجتماعي كبير، تحول من "المنهج العُمري" إلى "المنهج الأموي"، بدأ هذا التحول في وسط خلافة عثمان، واستمر حتى خلافة معاوية.

وقارئ التاريخ المنصف، يقرأ هذه المرحلة، بدءاً من فتنة مقتل عثمان، حتى استتباب الأمر لمعاوية، يقرأها بإنصاف، دون أن يتجاهل هذه التغيرات، ودون أن

يدس رأسه في رمال أحقادها، فكيف إذا جمع من يدعي قراءة تلك المرحلة بين
الحقد الدفين، وبين تزوير التاريخ، وتجاهل الروايات، ليخرج لنا بالكذب
الصراح، والافتراء المبين!

كل هذه العوامل وجهت جهد الخليفة إلى جوانب وزوايا أخرى، اضطر
لمواجهتها.

علي ليس إلهًا، ولا نبيا، ولا يملك عصا سحرية، بل هو بشر، يتحرك
بالمنطق البشري، ويعمل بالمقدرات البشرية، وقد اجتهد ما استطاع، وسواء
أصاب في بعض اجتهاداته أو أخطأ، فإن ذلك يظل في دائرة الممكن السياسي،
والمقبول شرعا وعرفا.

وليس من المهم في قراءة تلك التجربة البحث عن أخطاء علي أو معاوية،
ولا بذل الجهد لإثبات صحة موقف هذا أو ذاك، بل قراءتها بإنصاف، والخروج
بالدروس والفوائد التي تعود علينا في واقعنا.

ولذلك فقراءة المسيرة السياسية لعلي في ظل مقارنته مع سابقيه، قراءة
خاطئة، تتجاهل كثيرا من العوامل والمتغيرات، وتصل إلى نتائج خاطئة، تدين غير
المدان، وتبرئ المدان، فنحن علينا أن نقرأ الأحداث التي صنعت عليا، ولا نقرأ
عليا الذي صنع الأحداث؛ فالقراءة الأولى اجتماعية، والقراءة الثانية أسطورية.

لا نختلف مع أي كاتب أو أي باحث أو مؤرخ يقرأ خلافة علي أو غيره،
وإدارته للحكم، معتمدا على الصحيح، لا الأكاذيب، أيا كانت النتائج التي يتوصل
إليها، طالما أنه لم يقرأ قراءة موجهة متحاملة، تتجاهل الصحيح، وتحتمي

بالمكذوب، وتسيء التأويل.

نحن لا نتحامل على معاوية، ولا نحول خطأه إلى خطيئة، ولا ندخله في
قفص الاتهام ونكلم فاه، ثم ندينه، كأنه أحد المجرمين، معاذ الله، فمعاوية صحابي
جليل، ويدخل مع إخوته من الصحابة في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.
ولكننا نقرأ الأحداث بالمنطق البشري، دون تحامل أو تطاول على أحد.

سيناريوهات إدارة الدولة بين يدي علي رضي الله عنه

* الملفات الشائكة:

تولى علي الخلافة في لحظة حرجة من تاريخ الأمة، في تلك اللحظة ثمة ملفات شائكة من قبل تولي الخلافة، ويمكن القول أنها ترجع إلى ملفين قديمين، أحدهما مباشر، والآخر غير مباشر.

الملف الأول المباشر: سياسة عثمان تجاه أقاربه

من الأخطاء الشائعة القول أن أبرز مآخذ الثائرين ضد عثمان هو تولية أقاربه، في الحقيقة، ليست القضية في تولية الأقارب، بل فيما رآه الثائرون من السلطات والامتيازات التي منحت لهم، أو بعبارة أخرى: اعتقاد الثائرين بشأن سياسة الخليفة تجاه أقاربه، في تركهم يستمكون من ولاياتهم، ويستقلون بها، وإطلاق أيديهم في شؤون الدولة^(١).

وتلمس استقلال معاوية بالشام، في ذلك الموقف، حين استشار عثمان ولاته في التصرف الأمثل تجاه الثائرين، فكان رد معاوية^(٢) (أرى لك يا أمير

(١) جاء في مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٠) أن العلاء بن عرار سأل ابن عمر عن علي وعثمان، فقال: "أما علي فهذا بيته - يعني: بيته قريب من بيت النبي ﷺ في المسجد. وسأحدثك عنه - يعني عثمان - وأما عثمان رحمه الله، فإنه أذنّب فيما بينه وبين الله ذنبا عظيما فغفر له، وأذنّب فيما بينه وبينكم ذنبا صغيرا فقتلتموه". [وانظر: فضائل الصحابة لأحمد، ٥٩٥/٢، قال المحقق: إسناده صحيح].

(٢) تاريخ الطبري، ٤/ ٣٣٤.

المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم، وأنا ضامن لك قبلي)، يتبين من مدى سيطرة معاوية على أهل الشام، واتباعهم له.

لقد كان الثائرون يرون أن ولاية عثمان قد هيمنوا على الولايات وثرواتها، معاوية في الشام، وعبد الله بن أبي السرح في مصر، والوليد بن عقبة في الكوفة، ثم سعيد بن العاص فيها، وعبد الله بن عامر على البصرة، وهذا عدا عن مروان بن الحكم، الذي أصبح أمين سر الخليفة، إضافة إلى الإقطاعات التي حظي بها هؤلاء. كل ذلك كان السبب المباشر لنقمة الثائرين، واتخاذهم مثل هذا ذريعة للقدوم على الخليفة ومحاصرته.

الملف الثاني غير المباشر: السياسة العمرية المالية

كان لسياسة عمر المالية، القائمة على التفريق في العطاء، آثارها وتراكماتها التي بدأت تظهر في آخر خلافة عمر، والتي اتبعها عثمان، بل ازداد التفاوت في عهد عثمان، وهذا أمر طبيعي، نتيجة الرفاهية التي لم تحدث في عهد عمر، ونتيجة تكديس الثروات، ونشوء أثرياء كبار في الدولة، ومما يدل على ذلك ندم عمر وقوله^(١): (لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأخذت فضول أموال الأغنياء، فقسمتها على فقراء المهاجرين)، وقال^(٢): (لئن عشت إلى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيانا واحدا)، فالمقولة تظهر توسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وأن عمر ندم على سياسته التفضيلية التي كانت سببا

(١) تاريخ الطبري، ٤/ ٢٢٦. ورواه ابن حزم في المحلى (٤/ ٢٨٣)، ثم قال: (هذا إسناد في غاية الصحة والجلالة).

(٢) الأموال للقاسم بن سلام، ٣٣٦.

في ذلك، وهذا عدا عن تكديس الثروات لدى الأغنياء.

ومع توسع الدولة، وحركة الفتوحات، فقد نشأت قوى جديدة، أسهمت في هذه الفتوحات، ولكنهم يرون أن الامتيازات تذهب للصحابة السابقين، كان التذمر خافتا في عهد عمر، ولكنه ازداد في عهد عثمان، وثمة قوى جديدة، لها تطلعاته إلى السلطة والمال، وثمة قوى سابقة، تبحث عن فرص لها في دار الخلافة.

هذه الملفات كلها أحمال ثقيلة بين يدي علي رضي الله عنه لذلك بدت معالم سياسته، حين تولى الخلافة في إزالة أسباب الاحتقان، تجاه الملفين القديمين، الأول: الإصلاح الإداري، والثاني: الإصلاح المالي.

أما الملف الأول، أقارب عثمان، فعلي لم تكن لديه مشكلة مع أقارب عثمان، بل كانت الإشكالية لديه في السلطة التي استأثر بها هؤلاء، وبدأوا يكونون إقطاعات داخل الدولة، فالخلل من وجهة نظر علي في الملف الإداري نفسه.

فعلى سبيل المثال، معاوية بن أبي سفيان، والي الشام، أصبحت الشام تحته ولاية مستقلة، واستأثر بسلطتها ومالها؛ لبناء ملكه القادم، ومما يدل على ذلك الاستجابة الغريبة من أهل الشام لمعاوية ضد الخليفة الشرعي، مما يدل على أنه قد رسخ جذوره من قبل، واستمكن منها، كولاية مستقلة بعيدا عن سلطة الخليفة، وهذا أحد عوامل الغضب تجاه الخليفة السابق، لذلك كله، قد يكون في إصرار علي على استبعاد معاوية وعزله ما يبرره من هذه الناحية.

قد تكون لعلي فراسة في عدم توليته معاوية، ليس لأنه يراه غير أهل أو غير كفؤ، ولكن لأنه يستشرف مستقبله؛ فمعاوية ذو طموح كبير، وعلي يخاف من هذا

التطلع على الدولة الإسلامية، وهو ما حدث فعلا بعد ذلك بتغيير معاوية ملامح الخلافة الراشدة وتحويلها إلى ملك عضوض، وجعل الخلافة وراثية بعد أن كانت قائمة على اختيار الأمة، ولذلك تجد عامة المحيطين بمعاوية لم يكونوا من كبار الصحابة ولا من المسلمين الأوائل، بل ممن أسلموا متأخرين، ونظرتهم إلى السلطة تختلف عن نظرة كبار الصحابة.

بل إن من كان يسيء من ولاة علي، ويختلس الأموال، يفر إلى معاوية، [إذا صحت تلك الروايات]، كمصقلة بن هبيرة^(١)، ويزيد بن حجية^(٢)، وحين حاسب علي الأشعث بن قيس على مال أذربيجان، غضب، وهم أن يلحق بمعاوية^(٣).

وفعل معاوية أثر في تاريخ المسلمين حتى اليوم، وذلك من ثلاث نواحي، الأولى: تحويل الخلافة إلى ملك [وكانت من قبل بعيدة عن التوريث]، والثانية: استخدام القوة كفرض مشروعية الخلافة، [وكانت من قبل قائمة على اختيار الناس]، والثالثة: تقسيم المجتمع إلى طبقتين: طبقة حاكمة وطبقة محكومة، ولم يعد أحد من الناس يفكر في الحكم، بل غاية ما يطمحون إليه التقرب من الأسرة الحاكمة، لنيل بعض الامتيازات.

ومما يدل على أن عليا كان يرى أن ولاة عثمان وسعاته ظلموا الناس، أنه^(٤) جاء بعضهم يشكون من سعاة عثمان، فقال لابنه محمد بن الحنفية: اذهب بهذا

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ٦ / ٤٣٨، وتاريخ الطبري، ٥ / ١٢٩.

(٢) الثقات لابن حبان، ٢ / ٢٩٨.

(٣) أنساب الأشراف، ٢ / ٢٩٧.

(٤) أخرجه أحمد (١١٩٦)، وصححه الأرنؤوط والشيخ شاکر والألباني وغيرهم. وفي الرواية بيان لسلامة لسان علي وصدره، فلم يذكر عثمان بسوء.

الكتاب إلى عثمان، فقل له: إن الناس قد شكوا ساعاتك، "وهذا أمر رسول الله ﷺ في الصدقة"، فمرهم فليأخذوا به، قال: فأتيت عثمان، فذكرت ذلك له، فقال: لا حاجة لنا في كتابك قال: فرجعت إلى أبي فأخبرته، فقال أبي: «لا عليك اردد الكتاب من حيث أخذته» قال: فلو كان ذاكرًا عثمان بشيء لذكره ذلك اليوم - يعني بسوء.

وأما الملف الثاني، فقد أعلن علي قبل توليه البيعة عن سياسته المالية، ورد الناس إلى ما كان عليه الأمر أيام أبي بكر، وقد كان موقف علي واضحًا من أيام عمر، لذلك أشار عليه بالألا يمنح سواد العراق للفتاحين، بل يجعله ملكًا للدولة، لعامة المسلمين، وهو اتجاه واضح في رفض سياسة الإقطاعات، وورد عنه^(١) كراهية شراء شيء من أرض الخراج، وكان يقول: (خراج المسلمين)، وسئل الشعبي^(٢): من أول من أقطع الأرضين؟ قال: "عثمان، ولم يقطعها أبو بكر، ولا عمر، ولا علي".

وبذلك أعاد الخليفة النظر في السياسة المالية، والمساواة في العطاء بين الناس، دون تفضيل للسابقين في الإسلام، أو للأقربين من النبي، بما يسهم في تذويب التفاوت الطبقي، وتحقيق العدالة الاجتماعية، بل رفض حتى التفريق بين العرب وغيرهم^(٣).

(١) الخراج ليحيى بن آدم، ٥٥.

(٢) الخراج ليحيى بن آدم، ٧٥. ونقل عن الشعبي أيضًا: (لم يقطع رسول الله ﷺ الأرضين، ولا أبو بكر ولا عمر، وأول من أقطعها وباعها عثمان).

(٣) جاء في أنساب الأشراف للبلاذري، ٢ / ١٤١، أنه أعطى امرأتين فقيرتين بالتساوي، مائة درهم لكل منهما، فقالت إحدهما: أنا امرأة عربية وهذه من الموالي (أعجمية)، ففضلني في العطاء، فقال: (قد قرأت ما بين اللوحين فما رأيت لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما السلام فضلا ولا جناح بعوضة).

وبالرغم من أن عليا كان أول المستفيدين من السياسة المالية العمرية في التفضيل، فقد كان علي بن أبي طالب على رأس القائمة؛ لكونه من المهاجرين السابقين، ولكونه بدريا، ولقربته من الرسول، فلم يكن أحد في الصحابة في عهد عمر يجمع هذه الخصال سواه، ولكنه لم ينظر لنفسه، بل نظر لما يصلح أمر الناس.

وإلغاء علي لسياسة التمييز، لم تكن في المال فحسب، بل كانت حتى في الدماء والديارات؛ فساوى بين مواطني الدولة من مسلمين وذميين، فقد ذكر الشافعي في كتاب الأم بسنده^(١): أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة، قال: فقامت عليه البينة فأمر بقتله، فجاء أخوه، فقال: قد عفوت عنه، قال علي: فلعلهم هددوك أو فرقوك؟ قال: لا، ولكن قتله لا يرد علي أخي، وعوضوني، فرضيت، قال علي: أنت أعلم، من كانت له ذمتنا قدمه كدما وديته كديتنا.

وكان علي رضي الله عنه في نفسه مثالا على إلغاء سياسة التمييز العنصري بين الناس، وثمة آثار كثيرة وردت عنه في ذلك^(٢).

* السيناريو الأول، الذي اختاره علي:

إلا أن هذه السياسة التي أعلن عنها الخليفة الرابع وبدأ بانتهاجها، استاء منها منتفعون من النظام السابق، ورأوا أنها ستلجم أطماعهم، أو متطلعون إلى سلطات جديدة، وبذلك بدأت الجبهات تشتعل في وجه الخليفة، وحتى يكون لها غطاء

(١) ٣٣٩/٧.

(٢) انظر: فضائل الصحابة لأحمد، في فضائل علي. ومن أمثلة ذلك أنه كان يذهب مع غلامه، فيشتري قميصين متشابهين، ثم يخير غلامه أولا أن يختار أحدهما. (١/ ٥٤٥)، بسند جيد.

شرعي، فقد كان المبرر الأساسي هو "القصاص من قتلة عثمان"، بل وصل الأمر بهم إلى اتهام الخليفة نفسه، بالرغم من محاولاته المستميتة في إنقاذ الخليفة، والسعي بينه وبين الثائرين من أهل مصر مرارا وتكرارا، وهذا عدا عن أمره لأولاده بالدفاع عن الخليفة بالسلاح.

كان الخليفة الراشد بين خيارين، الأولى: إقامة الحق والمضي في برنامجه الإصلاحية، والدخول في صراع مع المنتفعين من عهد الخليفة السابق، والثانية: مdahنة أركان "النظام السابق"، وذلك بإقرار الولاية، وإبقاء سياسة التفضيل المالية، وغض النظر عن المخالفات والإشكالات التي أدت إلى الاحتقان السابق. كل من الخيارين له ضريبة باهظة الثمن، أما الخيار الأول فضريبته تمثلت في النتائج التي تحققت خلال خلافة علي، والحروب التي اضطر لخوضها مع إخوانه من الصحابة في الجمل، ومع معاوية وأهل الشام في صفين، وما تبعه من محاولات لإسقاط الخلافة.

وأما الخيار الثاني فضريبته باهظة كذلك، تتمثل في الدخول في نفق طويل من النفاق السياسي، والتلون، الذي لم يكن علي يرضى أن يقع فيه، ليس لعدم كفاءته، ولكن حفاظا على مبادئه ودينه وسابقته، كما أن هذا الخيار سيؤدي إلى نزاعات أخرى مع قطاع واسع من المجتمع يرى أن من حقه أن يكون له نصيب في السلطة والثروة، بعيدا عن الأفضلية، كما أن هذا الخيار يتعارض مع برنامج الخليفة في الإصلاح الإداري والمالي، وقد بدت ملامح هذا في خروج الخوارج ضد علي، ورفضهم لسياسته التي رأوا أنها مهادنة للنظام السابق، وكانوا يرون القتل والسلب والنهب، فلما لجمهم علي عن ذلك خرجوا عليه.

لم تكن ملامح الخيار الثاني غائبة عن علي، لا سيما أن ثمة نصوصا عديدة تبين النقاشات المستفيضة بين علي ورجاله، بشأن هذا الخيار، إلا أنه رفض ذلك وأصر على الخيار الأول، فهو ليس طالب دنيا، ولا طالب سلطة، ولو كان طالب سلطة لهادن أركان النظام السابق، وأقر الولاية، وعين من يريد الولايات في ولايات جديدة، ولو فعل ذلك لما تكلم أحد من أولئك الخارجين عن دم عثمان، بدليل أن معاوية نفسه سكت عن دم عثمان حين آل الأمر إليه.

لكن عليا رفض ذلك، ورأى أن يكون الخليفة الصادق لا الخليفة المنافق، ولو كان ثمن الصدق باهظا.

وعلي نفسه، حين سأل عبد الرحمن بن عوف في قصة الشورى^(١): (عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي)، فهو رفض أن تكون سيرة من قبله طوقا يقيد سياسته وتصرفاته، ورأى أن الخليفة ينبغي أن يكون مجتهدا بحسب علمه وطاقته، ولذلك لم يوافق على طلب عبد الرحمن، في حين وافق عليه عثمان، فالخليفة يرى أن من حقه أن يكون له برنامجه الإداري والسياسي، وألا يأتي برنامج يخضع له ثم يحاسب عليه، ولا شك أن البرنامج ينبثق من مبادئ الإسلام وروحه، ولكن التفاصيل يجتهد فيها، كما اجتهد أبو بكر وعمر من قبله.

تحدثت باستفاضة فيما سبق عن الخيار الأول، وعن حق الخليفة الكامل في القرارات التي اتخذها، بناء على شرعية خلافته، وحقه في الحفاظ على الدولة، وفيما يلي سأحدث عن إمكانات سياسية أخرى.

(١) القصة في تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ٩٢٤)، وعنه نقلها الطبري في تاريخه (٤/ ٢٣٣).

* ماذا لو اختار علي سيناريوهات أخرى؟

المحطات الفاصلة في خلافة علي عليه السلام، تمثل: بيعة علي، والانتقال من المدينة إلى الكوفة، وحادثة الجمل، وحادثة صفين، وحرب الخوارج، وولاية علي، وقبل ذلك مقتل عثمان.

وقد بينت من قبل أن قراءة الأحداث بغرض الإفادة من تلك التجربة في حاضرنا، هي القراءة الصحيحة، بعيداً عن منطق الصواب والخطأ، فالبشر يجتهدون في ضوء مجموعة من العوامل والمتغيرات، ويصلون إلى اتخاذ القرار، في لحظة ما، من الممكن لمن يرى النتائج لاحقاً أن يقرأ المشهد بصورة أخرى، وذلك بمنزلة "تغيير إعدادات النظام"، ومحاولة إيجاد إعدادات وافتراسات أخرى، كان من الممكن معها أن تتغير النتائج، وهذا ما سأقوم به في هذا الفصل.

ومن قبل قد ناقشت هذه المسائل من منطلق: ما يحق للخليفة فعله وما لا يحق له، من منطلق المقبول وغير المقبول، ولكنني الآن سأناقش بعض تلك المواقف من منطلق الممكنات السياسية الأخرى.

* مقتل عثمان:

أصر عثمان على الصحابة ألا يقاوموا القتلة، رغبة منه في صيانة الدماء، ولئلا يقتل بسببه أحد بريء، وهذا حسن نية منه، ولكن ماذا لو أن عثمان ترك الصحابة يدافعون عن خليفته؟ إذاً لمنعوا القتلة، وحافظوا على هيبة الخلافة، وصانوا حرمة الخليفة، وبقيت المدينة عاصمة للخلافة، ولم تسفك تلك الدماء التي سفكت بحجة دم عثمان، ومن ثم تقوم بيعة الخليفة اللاحق دون أي حجة لمن يريد الطعن فيها.

وكذلك لو أن عثمان رضي الله عنه جمع كبار الصحابة، ورشحوا نائبا له (يكون الخليفة من بعده)، ويكلف نائبه بتولي المسؤوليات والمهام، بما يخفف من نزعات الثائرين، ويحفظ للخلافة لحمتها، ويبقي للعاصمة أمانها.

* بيعة علي:

ماذا لو استمر علي في رفض قبول البيعة، كما فعل أول مرة، ولم يكن الخليفة الرابع؟

ربما كان الأمر يزداد سوءا؛ ذلك أنه لم يكن بين كبار الصحابة حينها من هو محل قبول أكثر من علي، بالرغم من الاختلاف عليه، ولم يكن حيثئذ المزاج العام متقبلا أن يتولى شخص من الطلقاء الخلافة، ولم يتقبله إلا حلا اضطراريا، بعد المآسي التي حدثت، واضطر الناس للقبول بأي حل، كما يقول الناس اليوم مثلا: (نريد حلا بأي ثمن).

وربما لو رفض علي الخلافة، لتمزقت الدولة الإسلامية إلى طوائف كثيرة، وقامت دولة الطوائف في العقد الرابع الهجري، وليس في القرن الرابع الهجري، ومعاوية لم يكن قادرا على حسم النزاع بقوة الشام، فضلا عن أنه سيواجهه كبار الصحابة، وربما لم نشهد بعد ذلك قيام الدولة الأموية التي تحكم العالم الإسلامي كاملا.

* الخروج من المدينة إلى الكوفة:

ذكرنا من قبل أن مجموعة من الصحابة، كأبي أيوب وغيرهم نصحوا عليا بعدم ترك المدينة.

قال أبو أيوب الأنصاري^(١): (يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد؛ لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة للنبي ﷺ، وبها قبره ومنبره، فإن استقامت لك العرب كنت فيها كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى المسير سرت، وقد أعذرت، فقال علي: إن الرجال والأموال بالعراق، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ثم أخذ بما أشار عليه أبو أيوب الأنصاري، وعزم على المقام بالمدينة وبعث العمال على الأمصار).

نزل علي على مشورة أبي أيوب، ولكنه لم يستمر، وقدمنا من قبل مبررات ذهابه للكوفة، ولكننا إذا غيرنا المنظور قليلا، فنقول: ماذا لو بقي علي في المدينة، ولم يخرج منها، فيكون موقفه وسط كبار الصحابة أقوى، واستفاد من رصيد عاصمة النبوة والخلافة الأولى في نفوس المسلمين قاطبة، وكانت عوامل قوته ونصره أكبر بكثير من عوامل الضعف، وبذلك يجتنب مواجهة خصومه، حتى لو اضطر للمواجهة فيكون من خلال قادته.

حين أراد عمر الخروج من المدينة لحرب الفرس، قال له علي^(٢): يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخست أهل الشام من شأهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخست أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخست من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم

(١) الثقات لابن حبان، ٢/٢٧٣.

(٢) تاريخ الطبري، ٤/١٢٦.

في حرمهم وذرايهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم، لئلا ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا: هذا أمير العرب، وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم، وألبتهم على نفسك وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكننا كنا نقاتل بالنصر.

فقال عمر: أجل والله، لئن شخصت من البلدة لتنتقضن علي الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرت إلي الأعاجم لا يفارقن العرصه، وليمدنه من لم يمدهم، وليقولن: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه اقتطعت أصل العرب، فأشيروا علي برجل أوله ذلك الشجر غدا) اهـ.

فلو أن عليا الخليفة اتبع مشورة علي المستشار لعمر، لكان ذلك أبقى لهيئة الخلافة، ولما ترك فرصة لأن يقول معاوية لأهل الشام: هذا علي بنفسه جاء يقاتلكم، فلئن قضيتم عليه قضيتم على عدوكم، واسترحتم.

* حادثة الجمل:

في تاريخ الطبري^(١): قال الحسن لأبيه، حين خرج من المدينة: (أمرتك يوم

(١) ٤٥٦/٤. وتكملة النص فيه بيان رد أبيه، قائلا: (أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين احيط بعثمان، فو الله لقد أحيط بنا كما أحيط به. وأما قولك: لا تباع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر. وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنا على أهل الاسلام، وو الله ما زلت مقهورا مذ وليت، منقوصا لا أصل إلى شيء مما ينبغي. وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني! أو من تريدني؟ أتريد أن أكون =

أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تباع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصططحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله).

ربما لو تجنب علي ملاقة الزبير وطلحة، كما قال الحسن: أن يثوبوا إلى رشدهم، وإن كان هنالك فساد وقتال لا يكون مشاركا فيه.

يدرك علي أن الزبير وطلحة هما من كبار الصحابة، وتوقع أنه بخروجه إليهم يقتنعون بالعودة، بخلاف ما لو بعث رجالا آخرين، فكان حريصا على إقناعهم بنفسه، إلا أن ذلك كان بيئة خصبة لرتوع الفاسدين، فلم يبق إلا قدح الزناد لاشتعال أعظم كارثة بتاريخ المسلمين.

ربما لو لم يخرج علي ويلتق بهم، لانتهى أمرهم على يد جيشهم نفسه، فطلحة كما نقلنا قتله أحد أفراد جيشه، والناس في الفتنة يموجون ويقتل بعضهم بعضا، دون الحاجة إلى عدو آخر.

من الناحية الشرعية، لا يتحمل الخليفة الشرعي أي مسؤولية تجاه معركة الجمل، ولكن من الناحية السياسية فإن عليا كان بإمكانه تركهم وعدم محاولة اللقاء بهم؛ حتى يحدث الله في شأنهم أمرا.

* حادثة صفين:

حادثة صفين لم يكن منها بد، فمعاوية كسر طاعة الخليفة، وأعلن تمرد

= مثل الضبع التي يحاط بها ويقال: دباب دباب! ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعينيني فمن ينظر فيه! فكف عنك أي بني).

عليه، ولم يكن من الممكن تركه، لا من ناحية شرعية ولا من ناحية سياسية، ولكننا نقول: ربما لو أن عليا ترك معاوية واليا على الشام لانتهدت المسألة، ولم يكن هناك مبرر لدى معاوية للحرب، فإن أصر على الحرب بعد ذلك سيفقد تعاطف من حوله، ممن رفع لهم دم عثمان.

وفي هذه الحالة، ماذا لو لم يذهب علي بنفسه لمقاتلة أهل الشام، وترك الأمر لأحد قادته لمواجهة معاوية، وإن عجزوا عن مواجهته عسكريا، عقدوا صلح هدنة معه، يؤدي إلى إيقاف أي غارات يمكن تنفيذها على ولايات دولة الخلافة، وإلا أصبح ناقضا للهدنة.

* حرب الخوارج:

يعد العامل الأول في خروج الخوارج على علي هو موقفه من التحكيم، وإصرارهم على قتال معاوية، ونحن نقول: ماذا لو أن عليا تركهم يقاتلون معاوية، دون أن تلزمه أفعالهم، كما فعل النبي حين ترك أبا بصير ومن معه يهددون قريشا، حتى كانت قريش هي التي تسأل النبي تعديل اتفاقية الصلح، فلو أن عليا تركهم لشغلوا معاوية بدلا من أن يشغلوا عليا، وبدلا من أن يفكر معاوية بالهجوم على أطراف الدولة.

وماذا لو أن عليا أعاد صياغة العلاقة مع الخوارج، ووجههم إلى الغزو، واستخدام طاقة القوة التي فيهم في حروب غير المسلمين.

* ولاية علي:

أسلفنا من قبل الحديث عن ولاية علي، وتحري علي في كفاءة ولايته.

ولكن باستخدام (ماذا لو)، ثمة ثلاث نقاط:

الأولى: ماذا لو لم يغير عليّ معاوية، واستبقاه واليا على الشام، بالرغم من طموح معاوية للخلافة، فربما أدى هذا الفعل إلى رضا معاوية، وترك التحجج بدم عثمان، ودخل في بيعة الناس، واجتنب علي عدوا قويا، سبب القلق له في خلافته، قد لا يكون معاوية بالوالي الذي يريده علي، ولكن لا بأس أن يضحى الخليفة ببعض المصالح مقابل اجتناب مفسد أكبر، ومخاطر أكثر، فمعاوية من ناحية إدارية وسياسية ذو كفاءة أكثر من بعض ولاة علي، ويمكنه لاحقا عزله، كما يعزل الخليفة ولاته.

الثانية: ماذا لو لم يعزل علي سعد بن قيس، وأبقاه أميرا على مصر، فهو من أكفأ ولاة علي، ولا يدانيه محمد الصديق في الكفاءة، وكانت سياسة سعد حكيمة، إلا أن ثمة من حاول الإفساد بينه وبين علي، وربما يكون هناك ضلع لخصوم علي، كما أشرنا من قبل، فتغيير سعد كان نقطة التحول في ولاية مصر، وانقضاء معاوية عليها، وعزل قيس عن مصر لم يكن عن عدم ثقة فيه، بدليل أن عليا ولاه أذربيجان بعد ذلك^(١).

الثالثة: ماذا لو أن عليا استمال كبار خصومه من أهل الكفاءة القيادية، كعمرو بن العاص، وجعلهم من ولاته، على الأقل حتى يستقر الأمر، وتسكن الثائرة.

ربما تكون (ماذا لو) هذه بعيدة عن الواقع الفعلي، قد لا نكون أخذنا مختلف العوامل والمتغيرات بالحسبان، بل إننا نقول: ماذا لو أننا لا ندري أن عليا

(١) أنساب الأشراف، ٢ / ١٦١.

قد ناقش كل تلك الاحتمالات، ولا سيما مع وجود نصوص متضمنة لها، ولكن كانت هناك عوامل لا ندري عنها شيئاً، أعاقَت استخدام تلك الاحتمالات والممكنات، ومن ذلك مثلاً أنه كان يرأس بعض الصحابة فيعتذرون، كابن عمر، وأسامة بن زيد، فلا ندري ما الخيارات الممكنة التي تبقت له.

ذلك أن كل الذي نقل إلينا عن تلك الفترة قليل، وأكثر هذا القليل ضعيف، ولا شك أن معاوية وخلفاء بني أمية أسهموا في وأد أخبار تلك المرحلة، ومن منظور سياسي فإن فعلهم صحيح؛ فالحاكم إذا ترك المجال مفتوحاً للإعلام، ولا سيما في أعقاب الفتن، فإن الإعلام يزيد من إشعال الفتنة، وتوسيع الصدع، وخرق الصلح، ويشير البغضاء والأحقاد، ويهيج النفوس، وبدلاً من أن تنسى الأمة مشاكلها لتتجه إلى المستقبل، تصبح غارقة في الماضي، وغارقة في تحليلات المواقف والأفعال، وذلك يدفعها إلى الاقتتال مرة ثانية وثالثة وعاشرة.

لذلك فحسم مثل هذه المواقف، ومنع انتشار الأخبار في هذه الفتن، هو دواء حاسم وناجح، بل واجب.

ولكن من غير المقبول ما فعلوه من محاولة كتم أي أثر أو حديث عن فضل علي، ومحاولة طمسه وطمس أعماله من ذاكرة الناس، أو طمس صورته البشرية النقية التقية، أو السماح بشتمه^(١)؛ لمجرد خصومتهم معه^(٢)، بل كما قال

(١) انظر على سبيل المثال، فضائل الصحابة لأحمد، ٥٧٧/٢.

(٢) جاء في فضائل الصحابة لأحمد، ٦٨٠/٢، بسند حسنه محقق الكتاب. قال مالك بن دينار: سألت سعيد بن جبير: من كان حامل راية رسول الله ﷺ؟ قال: فنظر إلي وقال: كأنك رخي البال، فغضبت وشكوته إلى إخوانه من القراء، قلت: ألا تعجبون من سعيد؟ إني سألته: من كان =

الزهري^(١) أنهم كانوا يحاولون نسبة إنجازاته ونجاحاته إلى غيره.

** ** **

= حامل راية رسول الله ﷺ؟ فنظر إلي وقال: إنك لرخي البال، قالوا: رأيت حين تسأله وهو خائف من الحجاج!! قال مالك: فلما لاذ بالبيت سألته، فقال: كان حاملها علي.

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣٤٣/٥) بسند صحيح: قال معمر: (سألت الزهري: من كان كاتب الكتاب يوم الحديبية؟ فضحك وقال: هو علي، ولو سألت هؤلاء قالوا: عثمان، يعني بني أمية) [وانظر: فضائل الصحابة لأحمد (١/٥٣١)]. والزهري من كبار علماء الشام، فلا يمكن لأحد أن يقول: هذه شهادة من خصوم بني أمية.

وماذا بعد علي؟

* الحسن ومعاوية:

استشهد علي، ورفض أن يعهد بالأمر لأحد من أولاده، فبايع الناس بعده الحسن، وأصبح الخليفة الخامس، وكانت تحت يده دولة مترامية الأطراف، وكان بإمكانه أن يدخل في حرب مع معاوية، وستظل نتائجها محل تخمين، إلا أن الحسن أثر الصلح، وتوحيد الأمة، وبذلك كان فعله سببا في استقرار الدولة.

بعيدا عن الحكايات التي يبحث عنها الهواة في وصف حال جيش الحسن، والبحث عن قصص الإثارة، ها هو الحديث الصحيح في صحيح البخاري^(١)، يصف قوة جيش الحسن، وشهادة عمرو بن العاص بذلك.

قال الحسن البصري: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها [أي لن تذهب كتيبة من الطرفين حتى تقتل كتيبة مثلها، فيكثر القتلى، وهذا الوصف دال على عظم جيش الحسن]، ثم روى بقية القصة، حتى تم الصلح^(٢)، فقال الحسن:

(١) (٢٧٠٤).

(٢) وتتمة الحديث: (قال الحسن البصري: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له: واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه فتكلما، وقالوا له: فطلبنا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو =

ولقد سمعت أبا بكره يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وفي المستدرک للحاكم^(١) أن الحسن بن علي قال لأهل العراق حين بايعوه: "والله لا أبایعکم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت"، وهذا دليل واضح أنه كان یبیت نية الصلح.

فالتاریخ يقول أن الحسن صاحب الفضل في توحيد الأمة، بتنازله عن الخلافة الشرعية، وإيقافه للنزاع، وبذلك تحققت فيه نبوة رسول الله ﷺ، واستقرت الدولة المسلمة بعد ذلك، والله الحمد والمنة.

وإذا كانت دولة الخلافة الراشدة ابتدأت أمرها بالموقف البطولي الخالد

= عبد المطلب، قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قال: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا، قال: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قال: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكره يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

قال ابن حجر في فتح الباري، ١٣/٦٥، شارحا قول الحسن: ("إنا بنو عبد المطلب أصبنا من هذا المال"، أي: إنا جبلنا على الكرم والتوسعة على أتباعنا من الأهل والموالي، وكنا نتمكن من ذلك بالخلافة حتى صار ذلك لنا عادة. وقوله: "إن هذه الأمة" أي العسكرين الشامي والعراقي "قد عاثت" بالمثلثة، أي: قتل بعضها بعضا، فلا يكفون عن ذلك إلا بالصفح عما مضى منهم، والتألف بالمال. وأراد الحسن بذلك كله تسكين الفتنة وتفرقة المال على من لا يرضيه إلا المال. فوافقاه على ما شرط من جميع ذلك، والتزما له من المال في كل عام، والثياب والأقوات [و] ما يحتاج إليه لكل من ذكر).

(١) (٤٨٠٥)

لأبي بكر، المتمثل في رفض تشظي الدولة، واستخدام القوة لمنع أي تفكك أو تمرد، فإن دولة الخلافة الراشدة اختتمت أمرها بموقف بطولي خالد، سطره الخليفة الراشد الحسن، أسهم في استقرار الدولة، ووحد الأمة.

* خلافة معاوية:

منذ أصبح معاوية الخليفة الشرعي، فمثلما قرأنا الأحداث في خلافة علي، فكذلك نقرأها مع معاوية والخلفاء الذين بعده، وثناؤنا على معاوية لا يقتضي انتقاصنا من علي أو الحسن.

ولذلك، فمثلما رأينا في رفض معاوية لبيعة علي باستخدام القوة، مخالفة وخروجاً على الخليفة الشرعي، فكذلك أرى في أي خروج مسلح حدث في عهد خلفاء بني أمية أو من بعدهم، فقد كانوا الخلفاء الشرعيين، فذلك يمثل تمرداً سياسياً، وهذا من منظور سياسي، كما بيته من قبل، ومن منظور ديني أيضاً؛ فعلماء السنة يكادون يجمعون على عدم جواز الخروج على الحاكم [قال النووي في شرح مسلم^(١): "وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين"].

وهذه القراءة لا تدفعنا إلى التحامل أو التطاول على أحد ممن خرج، أو تقصي الروايات الضعيفة للانتقاص منه، أو التقليل من مكانته وفضله، أو محاولة شيطنته!، فمن يفعل هذا فإنما يدل على أنه يعتمد القداسة للأشخاص في مرجعيته، فهو يفترض أن الشخص طالما أخطأ في الفعل السياسي فهو إذن بدون أي فضيلة، ويجب التشهير به!

(١) ٢٢٩/١٢. وابن تيمية في منهاج السنة، ٣/ ٣٩١.

وتقييمنا لموقف معاوية أثناء بغيه لا يعني أننا نقيم معاوية نفسه، فهو الصحابي الجليل، ومكانته وفضله وكفاءته القيادية والإدارية لا نماري فيها، ومنذ توليه الخلافة ننسى ما كان قبل ذلك، وننظر بموضوعية إلى "معاوية الخليفة".

باستقرار الدولة الإسلامية في عهد معاوية، بدأت مدا جديدا مشرقا من الإنجازات والفتوحات، ومثلت الدولة الأموية مرحلة من أزهى العصور في التاريخ الإسلامي، ومثلت خلافة معاوية رضي الله عنه تجربة بشرية من أروع التجارب التاريخية وأثراها، تجربة يحق لنا - عربا ومسلمين - أن نفخر بها.

** ** **



الملحق ١:

تعقيبي على رد الدكتور مروان

في مقاله "حارس الضريح"



حارس الضريح من "نباش القبور"^(١)

لماذا ذهب "الغفوري" إلى المقبرة؟ ولماذا غضب من ظهور الحارس؟

١ - محاولة مروان شنقي علميا، متسللا من باب الدافع للكتابة.

٢ - أسلحة الغفوري في اغتيال الغيلي ثقافيا.

٣ - مروان يمسك بسيف "التقديس".

٤ - ويشهر سيف "الكهنوتية".

٥ - ويحاول الضرب بسيف "الهاشمية".

٦ - ويتقمص دور الضحية!

أثار الدكتور: مروان جدلا واسعا بشأن تناوله لشخصية علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ناقشت ذلك التناول في صفحات الكتاب السابقة، فندت أولاً فيها منهجية مروان، ثم فندت دعاواه العامة بحق الخليفة، ثم دعاواه الشخصية، بالرغم من أنني لم أكتب عن علي بن أبي طالب، ولا عن فضائله أو مناقبه، بل اقتصرت كتابتي على مناقشة مقولات مروان ومنهجية تناوله، إلا أن الدكتور / مروان تجاوز هذه المسألة، وادعى أنني ذهبت لحشد الكتب دفاعا عن فضل علي وامتيازاته! وذلك ما لم أفعله.

(١) نشرت هذا المقال والمقالات التالية بتاريخ (١٤ / ٩ / ٢٠٢٢م)، ردا على مقال د/ مروان الغفوري (أسفار حارس الضريح. مع "الغيلي" في خياله الفقير وقلة حيلته)، الذي نشره بتاريخ (٣ / ٩ / ٢٠٢٢م). وقد نقلت بعضا مما فيها إلى المقدمة المنهجية.

* السجل بين الدافع والعلمية:

ذهب د/ مروان أكثر من ذلك، فادعى أن دافعي ديني، وقد تجاهل مروان الدوافع العلمية؛ ليتمكن من شنق هذا الدافع الديني، وشنقي معه؛ كوني بعيدا عن العلم! ذلك أن مروان متعود على المحاكمات والإدانات دون شهود ودون محامين، وبرغم ذلك، فقد تناقض مروان حين قال مرة: إن دافعي في ما يسميه "الدفاع عن علي" ديني، ومرة أخرى يقول إن دافعي "النسب"، وبزعمه أني "أدافع عن جدي".

وعلى فرض أن دافعي ديني، فما علاقة ذلك بـ "نفى العلمية"، بغض النظر عن الدافع، السؤال المهم: هل تناولت المسألة بمنهجية علمية أو لا؟ وحين تريد الطعن في المنهجية العلمية فعليك أن تأتي من "باب المنهجية العلمية"، فأتوا البيوت من أبوابها، فالدكتور مروان لو أجرى بحثا بسبب مرض أحد أقاربه، وأراد مساعدته، فهل نقول عن هذا البحث ليس علميا لأن دافعه كان بغرض المساعدة؟ متى نجرد الأبحاث من علميتها بسبب أهداف ودوافع؟ أنت لا ترى دراستي منطقية ليس لأنها ليست منطقية، ولكن لأنك تقف على النقيض منها.

أوغل الدكتور، كعاداته في الإيغال، وادعى أنني استنكرت عليه كون شخص مثله يتناول سيرة علي "الشخص العظيم"؛ مفسرا ذلك بـ "زلة لا وعي فرويدية"، وبعيدا عن خطئ المقولة؛ فقد اعتقدت أن مروان أكثر قدرة على إدراك أن استنكاري في طريقة التناول والمنهجية، وليس في الشخص الدارس أو المدرس، ولا أعتقد أنني بحاجة لتوضيح الفرق، وبدلا من أن يدرك مروان هذا، فإنه يسبح في الرمال، ويوهم نفسه بما يريد.

لا أدري هل فهم مروان مقولتي بالعكس، ذكرت في المقال الأول: (كنت أنتظر من شخصية مثل مروان أن يقدم قراءة علمية لعلي بن أبي طالب، وليس قراءة فيسبوكية، بحسب ما يطلبه المتابعون)، بالرغم أن مقولتي تبين أهلية مروان لأن يكتب عن علي أو غيره.

إذا كان د/ مروان لم يستوعب كلامي وهو بهذه اللغة السهلة، والأسلوب الواضح، الموجه لجمهور عام، وأكتبه في فيسبوك، فكيف إذن يفهم كتب التاريخ ودلالات الروايات؟!

الناس تتفاوت قدراتهم في الفهم، فقد يكون إنسانا متمكنا في دراسته الطبية أو الهندسية، ولكنه لا يستطيع فهم الكتب التاريخية، فضلا عن تفسير الأحداث السياسية.

لم أكن أريد الرد على مقال مروان، حتى لا يبدو وكأنه سجل شخصي، إلا أنني وجدت لها فرصة لتفكيك آليات الاستقواء والاستغواء الثقافي، التي انزلت إليها محسوبون على العلم والثقافة، إنها أسلحة سلطوية تمسك بها عادة السلطة، للاغتيال الثقافي، في ساحة إعدام يحتفي بها الغوغاء من الناس، لكن أن يمارسها المثقفون لمحاولة اغتيال زملائهم؛ كي يكتموا أفواههم ويسكتوهم عن التعبير بآرائهم، فهذا مؤثر بحجم الكارثة الثقافية التي نحن فيها.

كما أنني وجدت لها فرصة لأكشف للقراء بشكل مباشر، كيف يتعامل د/ مروان مع النصوص المعاصرة، فما بالك بالنصوص القديمة!

الدكتور/ مروان لم يصمد أمام قولي له بأنه أخل بالبحث العلمي

والمنهجية العلمية والأمانة العلمية، رغم أني لم أشتمه ولم أسبه، فثارت ثائرتة وفتح ملفات جديدة عن علي بعد أن أعلن أنه أغلق الملف، وتعرض لشخصي بالهجوم والطعن، مروان الذي لم يتقبل نقدي له، وهو يستمرئ لنفسه الكذب والتدليس على علي، ويلمز الرسول ﷺ، ويتظاهر بالغيرة على الصحابة، في حين أنه يصفهم بأبشع الصفات وأقبحها.

* فما أسلحة مروان لاغتيال حارس المقبرة؟

حاول مروان اغتيال حارس المقبرة، الوديع، الذي يحمل أسفارا، اغتيالاً ثقافياً، باستخدام أسلحة غير علمية ولا ثقافية، ومن أسلحته: السلاح العرقي، والاتهام بالتعصب الديني، والاتهام بتقديس البشر، وتقمص دور الضحية.

ذهب يتهمني أنني حاولت (خلق تعالقات ديماغوغية على شاكلة: إذا كان علي مريباً سيئاً بالنظر إلى ما صار إليه محمد بن أبي بكر فإن النبي كذلك بالنظر إلى ما صار إليه علي في نظر مروان).

أسلحة مروان ضدي، هي التي تبين من يخلق هذه التعالقات، ومن الذي يحاول إقناع الناس بالاستناد إلى مخاوفهم وأفكارهم المسبقة، وبالرغم من أنني ألزمتهم إلزاماً منطقياً، لا دينياً، في المثال المذكور؛ وكان عليه نقضه منطقياً، أو الالتزام بمقتضاه، لكنه لجأ إلى الطريق السهل: اتهامي بالتحريض واستثارة المتابعين!

وبالنسبة لي، فمروان أخطأ في الاستدلال بهذه المسألة حين ربط بين "كون محمد الصديق رجلاً بلا فضيلة" و"أن ذلك يقتضي أن علي المربي سيء"، هذا

المثال منقوض منطقياً، فلا التزام منطقي بين انحراف المتربي وصلاح المربي، أو العكس، وتاريخياً: ابن نوح الكافر تربى في بيت نبي الله نوح، ونبي الله موسى تربى في بيت فرعون.

بدلاً من أن يمارس الدكتور/ مروان عمله في المدينة، ذهب متسللاً إلى المقبرة، وبدأ بنش القبور، والمتاجرة بما يحصله منهم، فظهر حارس المقبرة؛ مما أغضب مروان أن الحارس لم يدعه يكمل النش، فهاجمه بشدة، وحاول اغتياله ثقافياً، واعتلى مروان المنبر ليعظ الناس، ويحذرهم من "القبوري" الذي يمسك الأسفار، ولم يخبرهم الشيخ مروان: لماذا دخل المقبرة أصلاً، ولماذا ظهر ذلك الحارس.

حين هاجم د/ مروان خيالي، ووصفني في عنوان مقاله بـ(فقر الخيال)، هو لم يهاجم من اختراعه أو لقدرته في تحليل الشخصيات، بل أخذها من كتاباتي حين قلت في المقدمة: (لا يعينني عفة خيالي، ولا يهمني إن كان خيالي متواضعاً) أخذ مروان هذه العبارة وربطها بأني محدود الخيال بسبب ديني ونسبي (على حد تعبيره)، فبدلاً من أن يرد علي رداً علمياً منهجياً، ويفعل معي كما فعلت معه، بأن يأخذ رواية من رواياتي ويخضعها للبحث العلمي، أو استدلالاً وتائجياً، لكن لأنه لم يكن صاحب خبرة ولا باحث تاريخي كلما استطاع أن يأخذ من كلامي ويمده في بساط من كتاباته ليهجم على شخص عبدالمجيد.

كذلك اعتمد مروان آلية وصف المخالف له في التفكير بالغباء، وإظهاره بصورة الذي يحفظ ولا يفهم شيئاً، صورة المختنق بكتبه، الرجل الذي لم يجد وقتاً للتفكير، وهكذا نرى نموذجاً حياً لمن يدعون "حرية التعبير"، فما أن

يشعرون أن دعوى حرية التعبير تنالهم، إذا هم ينتفضون ويلعنون تلك الحرية، ويغلقونها على خصومهم، ويكيلون لهم أحقر الأوصاف، يخرجونهم من دائرة الفهم كلية.

لم يقف الأمر عن النظر إلى المخالف بالغباء وعدم الفهم وعدم التفكير، بل تعداه إلى الجانب الأخلاقي، فالمخالف لمروان هو ذلك الوغد، الرذل، الدنيء، السفیه الأحمق، وهكذا بمجرد أن يتصدى أحدهم لنقد الخطاب الحداثي المتمسح بدعوى حرية التعبير، إذا بذلك الخطاب ينقض بشراة، مجردا خصومه من العلم والفضيلة والأخلاق.

*** مروان يمسك بسيف "التقديس":**

حاول د/ مروان اغتيال العلمية والمنهج العلمي في كتاباتي، من خلال اتهامي بـ "تقديس البشر"، كان عليه تدميري علميا من خلال بيان أنني زورت النصوص، أو أنني بنيت نتائجي على روايات ضعيفة، أو أنني أتيت بنتائج دون أدلة، كما فعلت أنا معه، بدلا من ذلك، اتجه إلى اغتيال علميتي بدعوى: "التقديس".

مروان المولع بالتأويل، بعيدا عن الأدلة، يتهمني بأنني أحمي هالة النور والعصمة والتقديس حول الصحابة، وعلى رأسهم علي.

مشكلة مروان أنه يريد إدانة مجتمع الصحابة بأدلة واهية، ثم يغضب حين يقول له الناس: أدلتك واهية، فيقول: أنتم إذن تقدسون ذلك المجتمع! وهكذا يرتكب مغالطة منطقية لتبرير أخطائه.

هناك أدلة صحيحة، تبين وقوع بعض الصحابة في الزنا أو السرقة، وإقامة الحد على بعضهم في عهد الرسول ﷺ.

لم نقل أن الصحابة مجتمع ملائكي، وحين نقول: دليلك خاطئ؛ فلا نقفز إلى النتيجة الصحيحة بالدليل الخاطئ! [للتوضيح، النتيجة الصحيحة: الصحابة بشر، الدليل الخاطئ: لأن المغيرة زنى].

بالرغم من أني لم أناقش النتيجة، بل ناقشت الدليل الذي ساقه عن المغيرة، وبينت تزويره للدليل، ولكن مروان يقفز ويتهمني بأني أدافع عن النتيجة، حتى يُسَوِّق للقراء الصفات المظلمة عن الغيلي، ليؤكد لهم أنني بعيد عن العلم!

ادعى مروان أنني "طالبت مرارا، باحترام الصحابة، والأخذ بالتأويلات التي تحفظ مكائدهم"، ويستدل بهذه المطالبة على أنني بعيد عن العلم!

هذه آليات مروان في الاستنتاج وبناء الأحكام، بينها على معتقدات وأوهام، فأنا لم أطالب مروان بذلك، بل طالبت باحترام المنهج العلمي في قراءة التاريخ، ولكنه يذهب لحرف كلامي.

ويزعم أن ذلك ضمن "آليات الغيرة"، لا أدري ما علاقة "الغيرة" بالموضوع، ولكن لا بأس، فمروان بيت الغرائب، ولا أدري إن كان يقصد أن "الغيرة" أصابني بسبب ما ذكره أنني عجزت عن نقض تأويلاته!

هذا مثال على نوعية النتائج العلمية عند د/ مروان، هو يعلم أنني لم أحتج لمناقشة التأويلات غالباً؛ لأن مروياته واهية.

مروان يصف الصحابة والتابعين أنهم شبيحة وقطاع طرق ومرترقة، وحين

أقول له: أثبت ذلك، يقول: أنت تقدس الصحابة، وتطالبني باحترامهم! لا أدري ما علاقة التقديس بالمطالبة بالدليل!

ثمة مسألة أخرى، تعمد د/ مروان إلصاقها بي، وهي رمي بتقديس علي لمجرد أنني قلت إن عليا غير جبان، وإن عليا غير جاهل، وإن عليا غير كاذب، وإن عليا غير عيي! مروان يسمي احتقاره للناس بالكذب والافتراء عليهم: مناقشة تاريخية، ويسمي من يدافع عن بشريتهم: تقديسا!

لماذا تحصر نفسك في شرقة الثنائية التقديس / التحقير؟! لماذا لا ترى في كتاباتك: الشيطنة المتعمدة؟!

هل إذا لم أحتقر شخصا فأنا أقدمه؟! حين أقول: علي بشر، كأبي بكر، فهل هذا تقديس؟

هل الدفاع عن أبي بكر وعمر ضد مطاعن الشيعة يعني تقديسهم؟
هل مجرد قلبي: هذه الرواية واهية، لا يصح الاستدلال بها - هل هذه دعوى بالعصمة؟

حين أقول: الدكتور مروان يتمتع بمظهر جذاب، وفوق ذلك فهو طبيب وأديب، هل يسمى هذا تقديسا؟ أو أنها صفات في مروان نذكرها ونثني عليه بها.
وبالمقابل، حين يأتي شخص ويقول: مروان جاهل، فأقول: بل مثقف، يقول: مروان هامشي، فأقول: ليس بهامشي بدليل كذا وكذا، يقول: مروان أحمق، فأقول: ليس بأحمق فأراه مترنة... إلخ، وهكذا أرد عليه، وأذكر أمثلة تدحض قوله، وتنفذ رأيه، فهل يعني هذا أنني أقدم الدكتور مروان؟

ثم إذا قلت لهذا المفتري: هات الدليل على صحة ادعائك أن مروان جاهل وأحمق وهامشي، فبدلاً من أن يأتي بالدليل ويفند قولي - إذا به يهاجمني، ويقول: أنت تبالغ، أنت تعطي مروان أكبر من حجمه، (أنت تقدسه).

فأقول للمفتري: هات الدليل مرة أخرى على دعواك ضد مروان، وهات الدليل على مزاعمك ضدي، أنني أقدم مروان، فإن لم تأت بالدليل فإنني سأتهمك إذن، أنك تنطلق من دوافع شخصية، وتحمل ضغينة ضد مروان، بل ربما تحمل هذه الضغينة ضد الكادر الطبي كله، ربما تكون قد واجهت مشكلة مع أحد الأطباء، فأصبحت تنظر نظرة مظلمة للأطباء كلهم.

عندئذ، لما لم يجد المفتري حجة علمية ضدي، استدعى الحجة العاطفية، فقال: أنت متدين، أنت تغار مني، أنت تدافع عن صديقك مروان؛ لأنه زميلك فقط، وليس لأن لديه كفاءة علمية، وأنت بليد لأن جدودك بلداء، وكل نسله بليد.

سألت المفتري: وهل فعلت إحصائية واختبارات الذكاء على كل فرد؟ وكان الجواب: لا.

أقول له: لقد أثبت لك أن لدى مروان كفاءة علمية بالأدلة، لكن ما الذي أثبتته أنت علي بالدليل أو على مروان؟! غير خبط وعشوائية وتحامل وتأجيج عاطفة الجماهير.

يقول الدكتور مروان أنني وقعت في "التقديس الجاهل"؛ لأنني ناقشت مزاعمه التي افترأها وتوصل من خلالها أن عليا جبان، ثم أتيت بأدلة صحيحة تثبت شجاعة علي.

أولاً: كوني أصف رجلاً بأنه فارس لا يسمى تقديساً، وكوني أصفه بأنه عالم، لا يسمى تقديساً، فهذه صفات بشرية، تكون لزيد ولعمرو.

ثانياً: الانشغال بالتحليل النفسي دون روايات صحيحة، هو انشغال في الهوى، لا غير، وهو دليل الرغبة في "الشيطنة".

ثالثاً: مروان الذي يقول كل خبر عن علي خبر عن خرافة، يُكذَّب أي خبر فيه منقبة أو فضيلة له، ويصدق أي خبر فيه مذمة أو مسبة له، ما معيار مروان إذن؟ لقد ناقشت هذه المسألة وألزمت مروان بعدة إلزامات، كعاداته تجاوزها، وعاد لتكرير ما قاله.

هل كان يقول الرسول لرجل غير فارس في معركة بدر: قم قاتل؟ (والحديث في صحيح البخاري)، يرفض مروان أي رواية صحيحة، لا توافق نتائجه، ويتمسك بأي رواية واهية أو مكذوبة، أو تحليل نفسي، طالما أنه يؤيد نتائجه.

ومروان الذي استمرأ التناقضات، يكرر باستمرار أن عمر بن الخطاب عرض على علي قيادة الفتوحات ضد الفرس فرفض علي.

أليس في طلب عمر إذن، شهادة من عمر بأهلية علي لقيادة المعركة، وإلا لما طلب منه ذلك؟ أم أن مروان يتهم عمر بن الخطاب بالعبث بمصلحة الأمة، ومنح القيادة لرجل ضعيف، جبان!

وبالرغم من أننا بينا أن هذه الرواية واهية، لا سند لها، ولكن لنذهب مع مروان ونصدق، فلا أريد أن أوجه له تهمة، وسأعتبر أن مروان تعسر عليه الفهم، فمن الإنصاف مناقشته وسماع مبرراته.

فهنا نسأل: هل كان مروان يقصد أن عمر بن الخطاب كلف عليا بمهمة أكبر منه، وهو يعرف بنقص كفاءته؟ هل تقصد أن عمر على شاكلة زعماء اليوم يحابي أصحابه، ويمنح قيادة الجيش لمن لا يستحق مداهنة ومجاملة ومحابة؟ أم أنك ترمي لما هو أبعد من عمر، وهو تقديم مقبلات لتطعن في الخلافة الإسلامية برمتها في مقالات قادمة؟

وعلى هذا الأمر فقس، فهل الرسول في خير منح القيادة لعلي وهو يعلم عدم أهليته فقط لأنه من أهله؟ أليس مثل هذا القول طعن في الرسول نفسه؟ أياكون الرسول خالف أمر الله حين قال: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسَتْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، أياكون الرسول كذب على الناس حين قال^(١): (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)؟ ألا يكون الرسول نافق حين قال لأبي ذر، مبينا له عدم أهليته للإمرة^(٢): "يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها"؟! أفيقول هذا لأبي ذر ثم يوليها ابن عمه؟!

هل طعن الرسول في الدين؟ وهل طعن عمر في الدين؟ أو أن مروان هو الذي يطعن في الدين!

أم أن مروان يقول، ولا يدري ما الذي إليه يؤول!

في مقالاتي الـ ٢١، على مروان إيجاد فقرة واحدة فقط، تؤكد كلامه أنني أقدس البشر، وسوف أسلم له بدعواه، ومن قرأ مقالاتي يجد فيها صورة علي

(١) صحيح البخاري (٥٩).

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٥).

البشري، الذي يعيش كالبشر، ويرفض أي دعوى تقديس له:

- علي (عليه السلام) رفض دعوى تأليهه، وعاقب من فعل ذلك، وقال لهم: إنما أنا بشر مثلكم.

- علي (عليه السلام) كان عضوا في مجلس الشورى، وحين اختير عثمان كان أول المبايعين له.

- علي (عليه السلام) رفض الخلافة في بداية الأمر، ثم لما أصرّوا عليه أصر على بيعته في المسجد من عامة الناس، واستمد شرعيته من اختيار الناس، لا من النص الديني.

- علي كان ينظر إلى الخلافة بوصفها حقا للناس يختارون من شاءوا.

- علي (عليه السلام) تحمل مسؤوليته كحاكم، في الحفاظ على وحدة الدولة.

- علي (عليه السلام) حاول تجنب الحروب، ومنع سفك الدماء.

- علي (عليه السلام) رفض أن تتحول الدولة إلى مؤسسة عائلية، وحين قُتل رفض أن يورث الحكم.

- علي وقف موقفا شديدا تجاه من فضله على أبي بكر وعمر، وقال: من فعل ذلك سيجلده حد المفترى.

- علي كان جنديا تحت قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم كان مواطنا صالحا تحت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

- علي أنكر أي امتيازات دينية تخصه، ولم يكن يسمح بتمير هذه الدعوى في أي موقف.

- علي روى في مناقب الصحابة وفضائلهم ثلاثة أضعاف ما رواه في مناقبه.

- علي كان يعمل خاصفا للنعل، وكان يعمل في السقي، ويعمل في الجزارة، ويعمل في الزراعة... إلخ.

*** ويشهر سيف "الكهنوتية":**

وصفني مروان بالـ"قبوري"، وأني أُمْنَح موقفي "الكهنوتي المتصلب الصفة العلمية"، وأن "مرافعتي كهنوتية خالصة".

بهذا السلاح يمارس د/ مروان اغتيالته الثقافي، حين عجز عن مناقشة الحجة بالحجة، ومقارعة البرهان بالبرهان، فذهب إلى منبره الوعظي، يحذر الناس من القبوري الكهنوتي!

مروان يعلم أن وصف "الكهنوتي" ذو رواج عند القراء، بسبب الموقف من "الحكم الإمامي"، ولذلك عزز موقفه بهذا الوصف؛ حتى يمنح القراء دليلا على أنه يحارب "الكهنوت"، وأنه في "مهمة مقدسة" للدفاع عن عقول القراء!

وهكذا، بدلا من أن يرد مروان على التزوير الذي فعله بشأن المغيرة، أو يعترف بخطئه، يذهب ليعمد موقفه بمسوح الرهبان!

*** ويحاول الضرب بسيف "الهاشمية":**

أدهشني مروان، حين نسبني إلى بني هاشم، لربما يحفظ من نسبي ما لا أحفظه، ويلزمه إثبات دعواه، ليس بأخبار الواسط وفيسابك!، كل ما أعرفه أني "غيلي"، كما هو "غفوري"، وأنى يمّني كما هو أيضا.

ما وراء ذلك أجهله، ومن السهولة بمكان القول إن مروان من بني هاشم، كما قال ذلك عني، ومن السهولة القول إن مروان فهم الإسلام على حقيقته، كجده "أبو لهب"، وأنه يدافع عن هذا الفهم ويهاجم بني هاشم الذين لم يفهموه كذلك، بالرغم من أني لا أستخدم هذا اللقب للمز والتحريض، كما فعل، إذ لم يقف عند هذا الحد من التحريض ضد مواطن يماني، بل غمزني بمجموعة من الصفات، بناء على مقدمته السابقة.

ولكني لا أقول ذلك عن مروان؛ لأنني لا أملك دليلا علميا، فأعجب من الدكتور مروان أن يفعل هذا دون دليل علمي! وبالرغم من أن مثل هذه المسألة هي مسألة طبية في المقام الأول، تقوم على فحص الجينات، فنحن إما نفترض أن الدكتور مروان قد قام بمسح لكل جينات بني هاشم، ثم توصل لنتيجته، أرجو أن يزودنا بهذه الدراسة، وإما أن الدكتور مروان ضرب بالعلم عرض الحائط، وأقدم على هذا الحكم الطبي دون دليل، فإذا كان يفعل هذا لمجرد خصومته معي، فإنني أتساءل: كيف توصل الدكتور مروان إلى نتائج بحوثه الطبية في الماجستير والدكتوراه؟! هل بأدلة صحيحة وطريقة علمية؛ فإذا هو يتناقض هنا، أم ثمة طرق أخرى!

الدكتور مروان، حيث التقينا في القاهرة، أخبرنا في أحد منشوراته أنه لم يكن يتبّه لمعرفة أنساب الناس، ولم يعرّها اهتماما، فما باله الآن أعارها كل اهتمامه؟ أوجدها سلاحا ضد خصمه، أم ماذا؟ وإذا كان لم يعرف هاشميتي في مصر، فمن أين عرفها؟

هل يستقي أخباره عن أنساب الناس من شجرة، أو من طائر في الفضاء، أو من منشورات واتساب، أم أنه لا زال على علميته فحصل عليها من تحليل جيناتي،

ولا أعلم متى أخذ عينة من جيناتي! وإذا كان أخذ عينة مني ثم حللها ونشر نتائجها فقد أخل بشرف المهنة الطبية الذي يلزمه بحفظ السرية.

إذا كان الدكتور مروان لم يتبين معلوماته عن زميل له، فما بالك بما يذكره من معلومات عن أشخاص قبل مئات السنين!

الدكتور مروان طبيب، وتخصصه الطبي يفرض عليه أن يستقي معلوماته عن الأنساب بفحص الجينات، كما فعل هو مع نفسه، لا أن يستقي معلوماته من حكايا العجائز، حين يتحدثن: بيت فلان أصولهم كذا وكذا، وبيت فلان أصولهم كذا وكذا، فلماذا يعمد د/ مروان إلى إثبات النسب بطريقة غير علمية، تخالف ما تعلمه في دراساته الطبية؟!

ذات مرة كتب الدكتور مروان أن تحليل الحامض النووي لديه أكد أن النسبة الأكبر من أصوله تعود إلى "يهود اليمن"، وأن باقيه جينات مختلطة، ثم قال: (فأسلافي الذين كانوا خليطاً من يهود اليمن وعرب الجزيرة والبربر والأفارقة والأتراك انتهى بهم الحال إلى خارطة جينية في خلاياي اسمها "مروان الغفوري"، هو وارث كل ذلك الركam الجيني، لا هو من الهاشميين ولا من الحميريين).

ثم قال: (داخل كل واحد منّا مفاجأة مدوية لا يعلم عنها شيئاً، أما المعنى الختامي لنا فهو أننا مخلوقات ثقافية وأخلاقية لا بيولوجية، لا الأقيال أقيال، ولا الهاشميون هاشميون، ما من كائن متجانس ونقي، حتى اليهود الذين زعموا أنهم أنقى شعب في العالم، من الناحية البيولوجية، لم يبقَ منهم في جسدي سوى ٣٠٪).

كتب هذا منذ ثلاث سنوات فقط^(١)، فلا أدري هل تغيرت جينات الدكتور مروان؟ وهل تغيرت أحكامه تجاه نفسه وتجاه الآخرين؟ يقول: إن داخله خليط من الهاشميين والحميريين، فلا هو هاشمي ولا حميري! هل ينفي هاشميته بهذا الأسلوب؟ أم ينفي حميريته؟ أم يؤمن أنه خليط؟!

ينفي وجود أقيال، وينفي وجود هاشميين، فلماذا يعود رافعا راية الهاشميين، وآل البيت، وأصبحت منشوراته صادرة ضد الهاشميين؟!

ثم إن إدانة عرق بسبب فعل شخص ما، أو مجموعة ما، إنما هو خطاب تحريضي، وبدلاً من تسمية الفاعل (بسماء الحقيقي وحجمه)، يذهب الكاتب إلى إيجاد عدو شعبي؛ فيوسع قاعدته ويبالغ في عظمته، كل ذلك لتهميج الجماهير، كما فعلت أمريكا بتسمية الإسلام والمسلمين عدواً، بدلاً من جماعة إرهابية معينة، لأن هذا ما يريده الغوغاء، هذا الالتفاف على الوعي يرفع أذعياء النخبة شعبياً، لكنه يسقطها أخلاقياً.

يستمر د/ مروان في تناقضه، فحين يقول: أني محدود الخيال لإيماني، ثم يقول: إن السلالة محدودة الخيال (باستثناء النبي وأبي لهب)، فحتى لو كنت ضعيف الإيمان؛ فأنا عند مروان سأظل محدود الخيال، وهكذا يتناقض مروان، فلا ندري ما الذي يريد قوله؟! هل فقر خيالي؛ لقوة إيماني؟ أم لجيناتي الهاشمية، على حد زعم مروان؟

ثم إننا نتساءل: هل كلما زاد إيمان الشخص ضعف خياله؟ والعكس

(١) منشور في صفحته بفيس بوك، بتاريخ: ٢٣ أكتوبر ٢٠١٨ م.

بالعكس؟ أتريد أن تخبرني أن أضحي بإيماني لكي تتسع مخيلتي؟ ولأي شيء تتسع؟، لقاذورات التفكير البشري؟ أم الإعاقات الفكرية؟

الدكتور خالد نشوان^(١) رحمه الله، الطبيب جراح القلب، المخترع، والشاعر الأديب، الإنسان المتدين، المعتز بدينه وإسلامه، الذي يربي أولاده على الاعتزاز بإسلامهم، هل كان محدود الخيال؟! ألم يخترع جهاز (نشوان باراسوند) [لمعالجة ضيق شرايين القلب، بلا جراحة]، وغيره من الأجهزة، لم يكن الدكتور نشوان تقليديا في معالجة المرضى، لم يحفظ ما في الكتب، بل تعدى ذلك لاخترع جهاز عظيم، فهل كان محدود الخيال بإيمانه؟!

إن الدكتور مروان يتغذى بالتناقضات، ولكنه يختنق بها، فلا هو يستطيع بلعها، ولا تقيؤها.

وهل مثل هذه النتائج توصف بأنها علمية؟ النتائج القائمة على العنصرية، برمي عرق معين بصفة ما، هل هذا من العلم؟

ولا أدري لماذا استثنى مروان أبا لهب من السلالة فقيرة الخيال، هل لأنه كفر بالإسلام، ولأنه فهمه على حقيقته؟! فيصبح من يكفر بالإسلام من "بني هاشم" اقتداء بأبي لهب غني الخيال؟!

ويواصل مروان تحريضه بوصف "العائلة النبيلة"؛ استدعاء منه لهذه الأوصاف العرقية العنصرية في الملكيات الأوروبية، مستغلا ما تحمله من تراث عنصري بغض، يختصر عليه كثيرا من الشرح.

(١) انظر مقابلته في برنامج (موعد في المهجر)، منشورة في يوتيوب:

<https://www.youtube.com/watch?v=46oNX3DdSpw>

وفيهما يتحدث باعتزاز عن دينه وإسلامه، وولده أيضا يتحدث عن تربية والده الدينية له.

يستثمر مروان دعوى الهاشمية، في تحريض ناعم، مستغلا مشاعر الكراهية ضد الهاشميين، زاعماً أن دفاعي إنما هو عن "علي الجد"، وأن هجومه إنما هو على "علي الهاشمي"، فقير الخيال!

وهكذا يستمرئ مروان الخطاب العنصري التحريضي، باسم العلم!

* تقمص مروان دور الضحية:

اتهمني مروان أنني انشغلت بسبابه وشتمه، بدلا من مناقشته، وأنني شنت "هجوماً رهيباً على شخصه"، وأناى وصفته بالبذيء لأنه وصف علياً بامبراطور الكوفة... إلخ.

لم أصف مروان في مقال الكوفة بالبذاءة، ولا أدري لم ربط بين الأمرين، بل وصفته بوصف استخدمه، فهو قال عن علي (الإمام الفاضل عن الحاجة)، ووجدت العنوان مناسباً لأستخدامه معه، فقلت (فاضل البذاءة).

وصفته بهذا الوصف؛ لأنه رسم صورة وضيعة عن علي، لا تجد مثيلاً لوضاعتها لأي شخصية تاريخية، [كما قال الأستاذ مهيب نصر: جعل مروان من علي طرطور الأسرة الهاشمية].

صورة علي الوضيعة التي رسمها مروان، هي صورة الرجل الخائن، الغادر بزوجه وأقرب المقربين منه، الذي يسرق فضل أصحابه، ويعيش على أمجادهم، السفاح الذي يفتك بالآلاف من رفاقه، يقتل ربع مليون مسلم في ستين، العاجز الجبان، الذي لا يفهم كيف يدير، الذي استعاض عن إخفاقاته بالإيعاز إلى شيعته أن يؤلوه، الفضولي المتطفل، الهامشي في التاريخ، رجل بائس يبحث عن أي

مجدد، مجرد متسلق باحث عن مشروع سياسي، رجل شهواني ينام بين أكثر من امرأة!، ينطلق في عالم النساء، نشاطه الجنسي فائض يحتاج إلى بحث آخر، علي يعلم أولاده أن يسخروا من الناس ومن قبائل العرب، لا حرفة له، يتسول قوته، ولا يعرف السوق، ولا يفهم حقيقة الناس، رجل كسول متعال متعالم، سيرته فقيرة، حياته مليئة بالفراغ، إرهابي يستغل الدين للخداع، فائض عن الحاجة، يصنع لنفسه بطولات وهمية، يفقد إلى الكفاءة الأخلاقية، يكذب على النبي ويحور أحاديثه لمصلحته، المحابي لأقاربه، البعيد عن العدل والإنصاف، بنى دولة عائلية، جاع إلى السلطة، أكل نهم، رجل بدين، أعمش العينين، يمشي قليلا ويتعب ليلتقط أنفاسه، حتى زوجه فاطمة لم تره ملء عينها، رجل بلا تاريخ عسكري، زعيم عصابة، قائد شبيحة، رجل مغرور، رجل فاشل سياسيا، وفاشل دينيا، كل فضله ومجده قائم على أنه زوج ابنة النبي، يركض خلف المال، يستحق القتل؛ ولذلك أحسن ابن ملجم حين قرر قتله، وابن ملجم رجل فقيه غيور على الأمة، إلى بقية الأوصاف التي تزرع بها تسعة مقالات فحسب.

اختر لنفسك الوصف المناسب يا دكتور مروان، جراء هذه الألفاظ والصور، التي تخبرنا أن عندك أدلة عليها! ولم نر حتى الآن إلا تزويرات وأكاذيب وتلفيقات.

يغضب مروان ويتهمني بتحليل مقالاته نفسيا، في حين أنه مارس تحليل التاريخ نفسيا، وماذا نسمي كل تلك الأوصاف السابقة؟ أهى من العلم!

وتقمص مروان دور الضحية أيضاً، حين يقول: (سخر مراراً من "الروائي"، وركب على تلك الصفة ليقول للقارئ: بما أنه متخصص في فن الرواية فعليه أن

لا يمس أشياءنا التاريخية).

طوال مقالاتي لم أحجر على مروان الكتابة في التاريخ؛ لكونه غير متخصص، بل إنني قلت بصراحة، في مقال المنهج العلمي: (والآن حين يدرس مروان شخصية على بن أبي طالب، وله الحق في ذلك، ولنا الحق في مساءلته علميا طالما فعل)، أين قولي أنه ليس له الحق في دراسة علي؟! حين أقول: (له الحق) هل يفهمها مروان (ليس له الحق)؟ إن هذا يضع فهم مروان لما يقرأه من الروايات التاريخية على المحك.

وحين قلت في مقالي الأول: (كنت أنتظر من شخصية مثل مروان أن يقدم قراءة علمية لعلي بن أبي طالب، وليس قراءة فيسبوكية، بحسب ما يطلبه المتابعون)، هل هذا الكلام يقوله من يحجر الكتابة التاريخية على الدكتور مروان؟

ووصفي له بأنه روائي جاء في سياق الإنكار عليه أن يستخدم المنهج الروائي في الكتابة التاريخية.

وحين ناقشت المنهج العلمي عند مروان، فهل كنت سأناقش ذلك لو أنني لا أعتد بكتابته؟

مَن الذي لجذوره غارز؟ ومَن الذي في خياله متقافز؟

١ - مروان يحاول خداع القراء بشأن موقف ابن تيمية، واستشهادي به.

٢ - ويحاول إيهام القراء بأنني خدعتهم بشأن الكوفة!

٣ - مروان يقول علي أو لم يفهمني، (خمسة أمثلة من مقاله الأخير)

٤ - من الذي يتقافز ويتجاوز إذن؟

هذا المقال ليس الهدف منه إثبات براءتي مما ادعاه علي مروان، فذلك آخر ما أفكر فيه، أو أعيره أدنى اهتمامي، لكن الهدف هو "بث حي ومباشر" لطريقة تعامل مروان مع النصوص، وكيف يحاول تزوير مقولاتي، والقفز إلى الأحكام والنتائج باجتزاء النصوص [أو التقافز، على حد تعبير مروان]، لذلك أجدها فرصة في التأكيد للقراء على سلامة كلامي حين طعنت في منهجية مروان من قبل، ولكن الآن هو الذي يطعن في منهجيته بنفسه، أنا فقط أكشف للقراء ما فعله، وقبل ذلك أكتب مقدمة عن نظرة مروان للتاريخ.

* من الذي خدع القراء؟ [عن ابن تيمية]:

لا أجد غضاضة، في أن أتعلم من تلاميذي، فضلا عن زملائي وأساتذتي، وكم هشتت حين وجدت د/ مروان يمنحني بعض الدروس المجانية، ولكن ليسمح لي معلمي - د/ مروان - بمناقشة هادئة لدرسه بشأن ابن تيمية.

الدكتور مروان قدم درسه مبينا الفرق بين ["فتاوى ابن تيمية" الكتاب الوعظي، و"منهاج السنة" الكتاب العلمي الحذر، وفق ما يرى مروان]، ثم

خاطبني قائلا: (أنت خدعت القارئ وجئت بنصوص من مجموع الفتاوى لتقول للناس إن الغفوري يفترى على ابن تيمية، العالم لا يرتكب مثل هذه الحماقات والمغالطات) اهـ.

بغض النظر عن وجهة ذلك التفريق، فسوف أسأل مروان: من الذي خدع القراء؟

أنا نقلت عن ابن تيمية في "منهاج السنة" قوله^(١): أن عليا (كان من شجعان الصحابة)، في حين ذهب مروان إلى "الفتاوى" [الكتاب الوعظي] وليس إلى "منهاج السنة" ناقلا رأيه في بطولات علي بأنها مزيفة! وقد اضطررت إلى الرجوع إلى الفتاوى لبيان تزوير مروان.

- أنا نقلت ثناء ابن تيمية وشهادته لعلي من كتاب "منهاج السنة".

- ونقلت عن ابن تيمية في "منهاج السنة" قوله: (لا ريب أن عليا كان من أخطب الصحابة).

- ونقلت عن "منهاج السنة" بيان ابن تيمية أن معاوية هو الفئة الباغية المتمردة على الحاكم الشرعي، وتحميل معاوية مسؤولية القتال في صفين.

- ونقلت عن "منهاج السنة" أن عليا حاكم شرعي، فلو اجتهد في عدم القصاص من قتلة عثمان فله الحق في ذلك.

- ونقلت عن "منهاج السنة" بطلان دعوى أن عليا طلب عبيد الله بن عمر لقتله.

(١) ٧٦/٨. وكل هذه النقول مذكورة في الموضوعات السابقة من الكتاب.

- ونقلتُ عن "منهاج السنة" إيراد خبر قصة محمد بن أبي بكر مع عثمان بصيغة التضعيف.

وليت أن مروان وقفت مغالطاته عند هذا الحد، فحين تحدثتُ عن "حديث سيد شباب أهل الجنة" بينتُ أن ابن تيمية في "منهاج السنة" لم يضعف هذا، واستشهادي بالفتاوى؛ لبيان أن ابن تيمية صححه، وهل ابن تيمية يجترئ على الدين، حين يصحح حديثاً ضعيفاً، فيخدع من يستفتيه، ويكذبه في مكان آخر؟

وفي مقاله "حارس الضريح" كرر الدكتور الغفوري خطأه، فجزم بتضعيف ابن تيمية للحديث في الجزء الرابع من "منهاج السنة"، وهذا إصرار من مروان يبين عدم فهمه لكلام ابن تيمية، الذي لم يضعف هذا الحديث، وللقراء الرجوع إلى كتاب ابن تيمية.

مروان اتهم الألباني أنه استغرب، مثلي، تضعيف ابن تيمية للحديث، وهذا من افتراءه علي؛ إذ لم أستغرب، وكذلك من تدليس مروان على الألباني؛ فهو لم يستغرب تضعيف ابن تيمية لهذا الحديث؛ لأنه لم يضعفه أصلاً، بل الذي استغربه الألباني تضعيف ابن تيمية لحديثي (من كنت مولاه فعلي مولاه)، و(وهو ولي كل مؤمن بعدي)، وهكذا يبدو أن مروان لا يهتم بممارسة الأخطاء أثناء كتابته، ثم يغضب حين نقول له: أولاً عليك بتحري الصحة في النقل.

مروان أيضاً، لم يفهم الحديث، ونسب فهمه الخاطئ إلى ابن تيمية، فالحديث لا علاقة له بترسينخ (إيديولوجيا تؤسس لحقوق سياسية وعرقية متعالية على الحق والعدل)، فلا دلالة الحديث، ولا لغته تساعد مروان، "السيد" في الحديث لا يقابل "العبد"، بل يطلق لغة على صاحب السؤدد والفضل

والمكانة، [في صحيح البخاري^(١)]، كان عمر يقول: "أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا يعني بلالا".

ولو رجع مروان لـ "تحفة الأحوذى" لوجد بيان العلماء لدلالته، جاء فيه^(٢):
(قال المظهر [في معني السيد]: يعني هما أفضل من مات شابا في سبيل الله من أصحاب الجنة، قال الطيبي: ويمكن أن يراد هما الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان)، ومثل ذلك حديث "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة".

* الكوفة بين مروان الأول ومروان الثاني:

قال د/ مروان عني: (يرتكب الغيلي خطأ علميا قاتلاً حين يقتبس من هشام جعيط وغيره عن الوضع العمراني والثقافي للكوفة، موهماً القارئ أن الصورة تلك هي صورة الكوفة في عهد علي) اهـ.

لو رجعت يا دكتور/ مروان إلى كتاب هشام جعيط (الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية)، لعلمت أنه يتحدث عن نشأة الكوفة وتخطيطها، وأنها خططت لتكون مدينة مخططة، وليست كالبصرة مدينة عفوية.

النقولات التي نقلتها عنه، اقتبستها من الباب الثاني (المخطط المدني الأول)، وفي هذا الباب كاملاً تحدث عن الكوفة الأولى.

ويقول هشام جعيط، متحدثاً عن الكوفة في فترة الخلفاء الثلاثة: عمر

(١) (٣٧٥٤).

(٢) ١٧٨/١٠.

وعثمان وعلي^(١):

(لقد رسم هذا العصر من كافة الوجوه بنية وجود الكوفة، فخطط في خلافة عمر الهندسة المدينة واستنبط تنظيمها، واستعمل ذلك من عدة وجوه في خلافة عثمان، وأضيفت في خلافة علي الصيغة التاريخية ذات الدلالة الرفيعة بالنسبة للقرون الموالية).

في الباب الخامس، بدأ حديثه عن الكوفة الأموية، وعنوان الباب: التمدين والاستقرار، والذروة، ويبدأ من ص ٢٧٥.

ولو لاحظ مروان سيجد أن نقولاتي كانت من الباب الثاني.

وحين تحدثت عن الكوفة الأموية، ذكرت ذلك تحت عنوان: هل أهمل الأمويون الكوفة؟

مروان في مقالاته الأولى وصف الكوفة أنها (مدينة بلا تاريخ)، لذلك كنت أناقش هذه المقولة، وبدأت بمناقشتها في الكوفة الأولى، ثم الكوفة الأموية، فلو كانت بلا تاريخ، فلماذا نشأت مدينة مخططة لا عفوية؟ ولو كانت بلا تاريخ، فلماذا اهتم بها الأمويون؟ ولو كانت بلا تاريخ، فلماذا كانت نموذج المدينة الإسلامية؟ ولو كانت بلا تاريخ، فلماذا اتخذها أمراء العراق مقراً ثانياً لإقامتهم؟ ولو كانت مدينة بلا تاريخ، فلماذا انطلقت منها الدولة العباسية؟، وإذا كانت مكاناً بلا هوية ولا تاريخ، كما قال مروان الأول، فلماذا نشأت فيها الإشاعات الحضارية العلمية؟

(١) ص ١١٥.

وحين يقول مروان: (يُفهم مما كتبه أن الرجل لم يجد الوقت الكافي للقراءة في تاريخ الكوفة، لذا اكتفى بمغالطة عاطفية تقول إن القرآن مكتوب بخط كوفي، وذلك امتياز تاريخي يكفي للقول إن علياً كان دائماً على صواب، بهذا الخداع البصري الدراويشي استطاع أن يفلت من الإجابة) اهـ.

بالرغم من أنني لم أتحدث عن القرآن المكتوب بالخط الكوفي على الإطلاق، ولم أتحدث أن ذلك يدل على صوابية علي.

ربما لم يجد د/ مروان وقتاً لقراءة مقالي كاملاً، فلمح عبارة "الخط الكوفي"، فألصقها بهذه الدعوى!

تحدثت حديثاً طويلاً عن الكوفة للرد على افتراءات مروان، وبينت أنها مدينة تاريخية، وأنها خططت قصداً، ولم تكن مدينة عفوية، ثم ناقشت افتراءاته بحق الكوفة، في زعمه أنها شوهت الدين، وزعمه أنها بلا تاريخ، وذكرت إشعاع الكوفة الحضاري، فهي المدينة التي فيها: النحو الكوفي، ومدرسة الرأي، ومدرسة التفسير، والخط الكوفي، متسائلاً: هل هذه مدينة بلا هوية أو تاريخ؟!

ذكرت من قبل أن علياً حين تولى الخلافة بدأ ممارسة مهامه في المدينة، ولم يخرج إلى الكوفة إلا بغرض إنجاز وحدة الدولة، فظل فيها؛ لأن الهدف لم يتحقق بعد، وليس كما يدعي مروان أنه نفى نفسه إلى الكوفة بسبب الثارات!

مروان تراجع هنا خطوة أيضاً، ووافقني على أن علياً "لم يكن ينوي في الإقامة في الكوفة"، في حين أنه من قبل في "مقال علي وأوهامه" يقول: (لقد أعلن نقل عاصمة الإمبراطورية الإسلامية إلى الكوفة، وهي مكان بلا هوية ولا تاريخ)، ولا أعتبر ذلك تناقضاً منه، بل تراجع حسن.

كما تراجع أيضاً مروان الثاني عن مروان الأول، مروان الأول زعم أن (الكوفة بلا هوية ولا تاريخ)، ولكن مروان الثاني توصل إلى أن الكوفة بقيت (أقل أهمية من أن تكون عاصمة).

*** مروان يتقول علي ما يفهمه:**

شن مروان هجوما واسعا علي، يتهمني بعدم الفهم، فضلا عن فقر الخيال، وسأتأكد الآن: هل فعلا أنا لم أفهم، أم أن مروان لا يريد أن يفهمني! أم أنه يرغب في التقول علي؟! أم أن مروان لا يجد وقتا للقراءة الناقدة والتحقيق في الأخبار، فيعوض ذلك بالخيالات، ويتهمني بفقر الخيال!

سأضرب بعض الأمثلة:

[المثال الأول]

حين يقول د/ مروان: (يفهم الغيلي مسألة قتل عثمان ب "طعن عثمان").

هكذا يقولني مروان ما لم أقل، وكلام مروان يتجاهل مناقشتي المستفيضة لمقتل عثمان، ومناقشتي للروايات التي تتحدث عن المحرضين أو المدافعين أو المشاركين، ومناقشتي للروايات التي تلمح إلى مسؤولية أطراف لم يذكرها مروان، كوفد أهل مصر، ومناقشتي للروايات التي تتهم الأشتر أو محمد الصديق... إلخ، كل ذلك يختزله مروان في تلك الدعوى بحق الغيلي، ليشوه صورته، ويجعله يبدو غيبا أمام القراء، كما يفعل ذلك مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فهي آية نفسية يستخدمها مروان لتشويه صور الشخصيات، وإظهارها بأحقر الأوصاف!

[المثال الثاني]

يقول مروان: (أغضبه كثيراً امتداحي لبعض الشخصيات).

هذا تزوير آخر، ولكنني بينت أن مروان لا يمدح أحداً إلا لينتقص من الآخر، أما الشخصيات فهي ليست بحاجة لـ "مدح المقايضة" الذي ينتهجه مروان، هي شخصيات قائمة بذاتها، وبفضائلها، فأنا لم أغضب لامتداحه أحداً، هذا أولاً، وثانياً أنا لم أتهم مروان أنه يعجب بالآخرين من أجل الانتقاص من علي، بل مقالاته هي التي نطقت بذلك، وأوردت مما كتبه ما يزيد على عشرة أمثلة في مقالي (وادي التناقض).

[المثال الثالث]

يدعي مروان أنني أستخف بذكاء القراء، وأنني أقول: (إن علياً لم يخرج من المدينة إلى البصرة ليقاتل عائشة ومن معها، وإنما "ليخرجهم منها"، لم أكن أتوقع أن تبلغ قدرة الغيلي هذا الحد من التواضع) اهـ.

لم أكن أتوقع أن تبلغ قدرة مروان هذا الحد من التزوير، لا أدري من أين قرأ الغفوري أنني قلت إن علياً خرج من المدينة لإخراج عائشة من البصرة؟.

سرديتي لمعركة الجمل كانت واضحة، في (مقالي: هل كان علي من الطغاة، ج ١)، قلت: "فموقف علي واضح: دعوة الخارجين إلى الإصلاح، فإن لم يجيبوا يتركهم وشأنهم ويصبر، فإن لم يرضوا يتركهم بشرط ألا يبدأوا القتال، فإن قاتلوا فلا بد من مدافعتهم".

فهل يفهم مروان كلمة "الإصلاح" على أنها "الإخراج"؟!

الدكتور مروان حين يريد إلقاء جملة مضحكة لقرائه، لا يهتم أن يختلق الدليل كمقدمة، حتى لو ظهر بعد ذلك افتراؤه، فلا يهم، المهم أنه قد قال الكلمة التي تلقفتها الألسنة، وشوه بها الصورة الشخصية.

ولا أخفيكم أنني أعدت قراءة مقالي مرتين؛ قلت: ما أعتقد أن مروان يدعي علي هذه؟!

[المثال الرابع]

يقول مروان أيضاً: (يفرد الغيلي بابا ليخبر الناس عن كذبي، قال إني زعمت أن عليا جعل من نفسه إلها، قلت إن عليا رفع نفسه للأعلى، كآلية دفاع ضد الهزائم والعزلة والإحباط، فذهب شيعته وألهوه، هذا تقدير تاريخي مني، أدعي أنه تقدير أصيل ويستحق النقاش)، اهـ.

هذه المسألة لم أفرد لها بابا، بل ناقشتها ضمن مقال (التزوير على البخاري ومسلم)، ونقلت نص كلامك يا د/ مروان: (أمام هذه الظروف القاسية لجأ علي لآخر حيله، رفع نفسه إلى الأعلى، لعله يحقق انتصارا أخلاقيا (لنقل سماويا) على خصومه، الموجة الأولى من تأليه الرجل حدثت في حياته من قبل شيعته) اهـ.

ما الذي تفيده هذه العبارة؟

رجل يرفع نفسه للأعلى؛ ليحقق انتصارا سماويا [أي إلهيا]، فيكون إلها في الأرض، وكاستجابة لذلك حدثت موجة التأليه في عهده.

وفي مقال: (علي وأوهامه)، يقول د/ مروان: (بعد فشله العسكري راح علي يستخدم المؤلفين والمزورين والإعلاميين من ذوي الصوت العالي،

ويرسلهم إلى الأمصار)، إلى أن يقول في الفقرة نفسها: (وسمح للدجالين بأن يصرخوا في الناس، في معيته "صاح جبريل في السماء لا فتى إلا علي"، وبلغوا حد تأليه الرجل في حياته).

نصه واضح أن عليا هو الذي استخدم المزورين والإعلاميين وسمح لهم أن يقولوا للناس إنه إله!

وكون "مروان الثاني" في هذا المقال اعترف أن المسألة تقدير رأي منه، فهذه خطوة حسنة منه نحو النزوع إلى الصواب، وعليه أن يتهم "مروان الأول" بالتزوير عليه، وليس أنا، أما الغيلي فقد أحسن حين نبهه إلى خطأ مقولته.

[المثال الخامس]

حين يزعم د/ مروان أنني تجاوزت الحقيقة التاريخية ورحت أبحث عن روايات تتحدث عن فضل محمد الصديق!

هذا من البهتان علي أيضاً، فقد أوردت الروايات التي تبرئ محمداً من دم الخليفة، وبينت ضعف الروايات المتهمة، وبينت نص ابن كثير الذي تجاهله مروان وهو يبرئ محمداً، ولكن مروان، كعادته لا ترى عينه إلا ما يريد قلبه.

بعد كل تلك المناقشة للأدلة، ناقشت مروان في قضية أخرى، وهي اتهامه الصديق بأنه رجل بلا فضيلة، فذكرت المرويات التي تعكس مكانة الصديق عند العلماء.

وهكذا يتقافز مروان، ويستدل بمناقشتي لروايات قضية على قضية أخرى؛ مستغلاً ما يجمعهما.

* مروان يصبر على فضحي بما أنا منه براء:

يزعم مروان قائلًا: (وقع الغيلي في فضيحتين أخريين: الأولى إصراره على اعتبار أي تأويل للحديث افتراء، ومطالبته لي بـ "تصديق أو احترام" كل ما يرد في الكتب التي أنقل عنها).

أما ما سماه الفضيحة الأولى، فيعجز مروان عن إثباتها بالدليل علي، ذلك أن كل المواضع التي رميتك فيها بالافتراء - كانت خارج التأويل، بل الافتراء في المرويات.

وقد حاول التدليل على ذلك بقوله: (اعتبر أي شرح لحديث ملاحاة علي وعمّه خارج فكرة العتاب افتراء على صحيح مسلم) اهـ.

أنت تزور علي أيضًا، لم يكن ذلك مني، وحين نسبت لك الافتراء على مسلم، فذلك لأنك تقولت على عمر ما لم يقله، وليس لأنك أولت حديث العباس!..

أما تأويلك لحديث ملاحاة العباس وعمه فقد ألزمتك بإلزامات عديدة، لكنك تركتها وذهبت لهذا القول، وترميني بـ "إضفاء البحث العلمي على موقف الكهنوتي"!

وأما ما تسميه الفضيحة الثانية، فأنا لم أطلبك بتصديق كل ما في الكتب التي نقلت عنها، بل طالبتك باحترام قواعد المنهج العلمي، فما الذي يجعلك تصدق رواية وتكذب أخرى، وهما بنفس الدرجة من الصحة؟ ما الذي يجعلك تضعف رواية مروية الفراش، وفق منهج المحدثين، ثم تستشهد بالواهيات

والمنكرات والموضوعات؟!

ويؤكد مروان فهمه الخاطئ في قوله أيضا: (هكذا هم رجال علي كما تقول كتب الغيلي نفسه).

فكان عليك أن تفرق بين الكتب والمصادر التي أعتمد عليها في مروياتها وفي تأويلاتها، فليس لك أن تلزمني بتأويل ابن تيمية أو ابن كثير، لمجرد أنني أستشهد بكلامهما، وهذا ما لم ألزمك به!

وأما الروايات، فإذا كان الكتاب الحديثي يحتوي على الصحيح والضعيف، كالترمذي مثلا، وهكذا تعامل العلماء معه، فكيف ألزمك بكل ما فيه؟

الذي ألزمك به هو احترام قواعد المحدثين، طالما أنك استندت عليها.

وأما صحيح البخاري ومسلم، فالمحدثون على صحة ما فيهما من أحاديث، ولذلك لا تحتاج إذا اقتبست منهما إلى تصحيح الحديث.

إذا كان مروان لم يفهمني بعلمي المتواضع، و"خيالي الفقير" على حد تعبير مروان، فكيف نأتمنه على فهم من هم أكثر علما، ودراية؟

قدم لنا مروان نموذجا جيدا، فهمنا من خلاله كيف يتعامل مع النصوص والمؤلفين، كيف ينتقي، كيف يحرف مقاصدهم، كيف يقولهم ما لم يقولوه.

*** نناقش مرويات أم خيالات؟**

الدكتور/ مروان كان بإمكانه امتلاك الكفاءة لنقد الروايات، ولكن الذي أنقص تلك الكفاءة، هي النتائج التي دخل مثقلا بها، ولم يستطع التضحية بها، ذلك

أنها تراث تكون لديه منذ زمن، وقف محتاراً في مفترق الطرق، يتساءل: بأيهما أضحي؟ أحمالي أم كفاءتي؟، للأسف اختار التضحية بكفاءته، ولذلك غضب من "حارس الضريح".

يطلب مروان مني أن أناقش خيالاته وتأويلاته! إذا كانت تلك التأويلات مبنية على أساس واه، فلماذا أنشغل بها؟ لقد اتجهت مباشرة إلى مروياته، فناقشتها، بينت ضعفها ونكرانها، فما الداعي لإضاعة الوقت في مناقشة تأويلاتها؟ نحن ننشغل بمناقشة التأويلات حين تكون الروايات صحيحة، وهذا ما فعلته مع مروية علي والعباس، مثلاً، ويزعم مروان أن تأويلي ساذج، لكن تأويله الذي يغلق كل الاحتمالات هو التأويل الجيد!

يتهمني د/ مروان أنني لم أجب عن أسئلته المطروحة، المشكلة أن مروان يضع أسئلة "لون البقرة قبل ولادة البقرة"، ثم يغضب حين أترك أسئلته الواهمة، ويصفني بسادن الضريح؛ لأنني لم أجب على أسئلة لا أساس لها من الصحة.

يزعم د/ مروان أنني "أتعثر بما أحمله من أسفار"، نعم، العالم لا بأس أن يتعثر بالأسفار؛ فالعلم البشري تراكمي، يستند إلى المحاولات المتكررة، وكلما كبا العالم حاول النهوض، وبذلك يتقدم العلم، لكن المشكلة حين يكتب أحدهم باسم العلم، وهو لا يحمل أسفارا، بل يحمل خيالات وتأويلات! فهو لا يتعثر؛ لأنه في مكانه قد تحجر.

يزعم صديقي العزيز أنني "اختنقت بكتبي"، وهل شَرِقَ البحر بكثرة مائه؟ إن الكتب لا تخنق العلماء، ولكن التناقضات، والأحكام المسبقة هي التي

تخفق العلم، وفقير الخيال خير من فقير العلم... إلهيال يفرح به ويحتفي الشعراء والأدباء وكتاب الروايات، ومؤلفو القصص والخرافات، أما العلماء فلا يعيبيهم نقص الخيال وفقره، ولكن يعيبيهم نقص الكفاءة العلمية!

وحين يقول د/ مروان إن "حراس المقابر يقعون كلياً خارج دائرة الفهم هذه"، فكلامه صحيح؛ ذلك أن حراس المقابر يختلفون عن نباشي القبور، تختلف أفهامهم، ومداركهم، ودوافعهم، وأسلحتهم أيضاً.

إذن من الذي يتقافز؟ هل الذي يعتمد على الروايات الصحيحة، ويتحرى الأدلة، أو ذلك الذي يتجاوز الروايات، وينتقي منها ما يريد؟

* من الذي يتقافز إذن؟

مروان اهتمني أنني "بباب المقبرة أتصارخ وأتقافز، حين أكتشف خيانة علمية له!"

سنعرف من منا الذي يتقافز؟

كتبْتُ ٢١ مقالاً، تتبعت مصادر مروان كلها، وتتبعته رواياته، وتتبعته منهجه في النقد، وتتبعته دعاواه العامة بحق الخليفة، وتتبعته دعاواه الشخصية، ثم يقول: أنقافز!

درست نحو ١٤ تزويراً ارتكبها في مقالاته التسعة، دون التزويرات الأخرى في دعاواه عن علي بدون مصدر، شملت تزويرات النقولات التي درستها: تعامله مع ابن تيمية، ومع الذهبي، وابن كثير، وابن حجر، والبخاري، ومسلم، وأحمد، وابن حبان، ونهج البلاغة، وهذا عدا عن ما يزيد على ١٤ تناقضاً في مقالاته

التسعة، ودرست على وجه التفصيل أكثر من ٧٠ موضعا في مقالاته، فهل هذا تصارخ وتقافز؟!

مروان يتهمني بما يقع فيه، في مقاله اختار مجموعة نصوص من مقالاتي ليبين خداعي، وتجاهل النصوص الأخرى، كما بينت ذلك من قبل، فعلى سبيل المثال:

- تجاهل الدافع العلمي الذي دفعني للكتابة، وشرحته في مطلع مقالاتي، وذهب لالتقاط ما سماه "الدافع الديني"! رغم أنني ذكرت اهتمامي بوضوح، وقلت: كتابتي ردا على كتابة مسيئة تلبست بلباس العلم.

- ناقشته في كل المواطن التي استدل بها بابن تيمية، فترك ذلك، وذهب لالتقاط حديث "سيدا شباب أهل الجنة"؛ لإثبات جهلي!

- حديثي الطويل عن الكوفة، وبيان أنها مدينة تاريخية، وأنها خططت قصدا، ولم تكن مدينة عفوية، ثم ناقشت افتراءاته بحق الكوفة، زعمه أنها شوهت الدين، وأنها بلا تاريخ، تقافز ليجد في جملة عارضة أذكر بها من أوجه الكوفة الحضارية: النحو الكوفي، ومدرسة الرأي، ومدرسة التفسير، والخط الكوفي، تقافز مروان، والتقط "الخط الكوفي"، ليوهم القراء أنني استخدمت مغالطة عاطفية: (بما أن الخط الكوفي كتب به القرآن، فعلي على صواب)!

لا زلتُ حيا أرزق يا مروان، ولم أصبح بعد من ساكني القبور، فهل تريد نبش الأحياء أيضا؟!

- يقول أنني وجدت رواية تقول إن محمد بن أبي بكر قتل بطريقة أخرى، فاعتبرت ذلك اختراقا منهجيا!

أرءيتم كيف يغالط المثقف نفسه وقراءه؟ لم أعد ذلك اختراقاً منهجياً، بل كنت أتحدث عن طبيعة الروايات التي يستنشقه قلم مروان، الروايات المليئة بالدم، المليئة بالعنف الشديد، وليس العنف العادي، رواية تقول إن الخصم أدخل خصمه في جوف حمار وأحرقه، هذه الرواية حبيبة إلى قلم مروان.

وفي السياق نفسه، روايات تقول إن محمد الصديق مشارك في دم عثمان، وروايات تبرئه، وكلها في المصادر ذاتها التي رجع إليها مروان، ولا يوجد لديه معيار لاختيار هذه دون تلك، فلماذا يستنشق قلم مروان الروايات القائلة بجريمة محمد، ويصاب بعمى الألوان تجاه الروايات الأخرى؟

- خصصت مقالا كاملا لبيان تزويراته وأخطائه في التعامل مع "البخاري ومسلم"، ثم ذهب ليختار مثالا، ويدعي أنني أتقافز!

يقول مروان: (ما لم يقله الغيلي أن الإمام مسلم نقل حديث "يا علي، لا يحبك إلا مؤمن" عن علي نفسه، وأنا لم أنكر أن النص عند مسلم، قلت أن علياً سرق شرف الأنصار") اهـ.

حتى هذه يا مروان، أتزور علي في حياتي!

لقد نقلت حديث مسلم عن علي، وقلت: (والحديث في مسلم: "قال علي: ... إلخ).

ولم أقل إنك أنكرت وجود النص في مسلم، بل قلت إنك لم تصارح قراءك بذلك، وهذا ليس من الأمانة العلمية، فالحديثان نقلهما مسلم، فبأي معيار وبأي منهج يكون أحد الحديثين صحيحا والآخر كاذبا؟

هكذا يختار مروان صوره التي يريد تحطيم الآخر بها، يختارها بعناية، يتعنى في نحتها من الصخر، وليته يفعل ذلك في تحقيقه من الروايات، وفي الأخير نكتشف أنه بارع في وصف نفسه!

كانت قراءة مروان لمقالاتي، وسوء تأويله لها، وانتقائه منها لما يريد، وتجاهله لما يريد، دليلاً واضحاً على منهجية مروان! إذا كان هذا تعامله مع مقالات نشرت منذ أيام فقط، ولا زال القراء يحفظونها، فكيف ببقايا مرويّات نشرت منذ مئات السنين!

مروان، كعادته، يصنع رجل القش ليهاجمه، ويترك الرجل الحقيقي، كما وصفته أول مرة، لا زال الوصف صالحاً حتى هذه اللحظة.

قراءة منهجية لمقال حارس الضريح

- ١ - منهجية مروان تحتاج إلى إعادة ضبط.
- ٢ - مجموعة أخطاء وتزويرات في مقال "حارس الضريح".
- ٣ - مروان الأول يرد على مروان الثاني: قصة ضرب الأشر للبعلة ليست في صحيح البخاري.
- ٤ - مروان، هل يحتج بالدين أم يتناقض؟
- ٥ - علي الحاكم، والكاتب المحاكم.

* مرة أخرى، مع منهجية مروان:

أفضت في الحديث عن منهجية مروان، بما يغني عن الإعادة، إلا أن ما يؤكد مروان، من خلال مقاله أنه يتجاهل القضية الأصلية في النقاش، ويذهب لمناقشة قضايا ثانوية، يجد من نفسه القوة في تصعيدها وترفيعها، وأكتفي بما أشرت إليه في المدخل.

وإذا نظرنا في مرويات مروان، التي يبني عليها النتائج والأحكام، فهي في أحسن حالاتها تشبه أخبار الواتس أب، قيل، ويقال، وقالوا، هذا كل مروان!

وحتى نوعية أدلة مروان الأخرى، غير: قيل ويقال، يستخدم التحليل الشخصي والنفسي: كيف يمشي علي، وكيف يجلس، وكيف كانت عينه، وكيف كانت كرسته... إلخ، ويا ليت أنه يبنينا على أدلة وثيقة!

هو يفعل ذلك؛ تهربا من مناقشة الأدلة الحقيقية.

ثم يصرخ مروان: لماذا أتجاوز تأويلاته ولم أناقشها؟!

من أدلة مروان: (رسمة المسيح، المتواضع، وهو يغسل أقدام الحواريين)، وقد تحدثنا عنها من قبل.

هذا نموذج لأدلة مروان، وتأويلاته، التي يريد مني أن أنشغل بمناقشتها.

يقول مروان: (فعلي الذي لم يثبت عنه، بالمرة، انشغاله بالتدريب والرياضة البدنية، قتل ١٠ في المائة من المشركين في أهم معارك الإسلام، وهو الذي يصفه عديد من المؤرخين بالأعيمش عظيم البطن).

كأن الفرسان العرب قد توفرت لدينا أخبار انشغالهم بالرياضات؟!

ثم إن الرسول كان يجهز أصحابه ويهيئهم باستمرار للقتال.

ثم متى يعتد مروان بما يثبت وما لا يثبت، فهذا هي الروايات الثابتة في الصحيحين، وغيرها، عن شجاعة علي وفروسيته، فمتى اعتد بها مروان؟! [أنا أتكلم عن فروسية علي، فلا تقل أن هذا تقديسا].

وإصرار مروان على تكرار هذه الأوصاف (أعمش، صاحب كرشة)، دليل واضح على أنه يتحدث عن التاريخ كما لو كان "حدّوته".

يؤكد مروان على خيانتة للعلم، حين يقول: (حين كتبنا ما كتبناه كنا، مثل الكثيرين، على اطلاع ودراية بتلك المجرة الوهمية)، فإذا كان على اطلاع، فقد خان العلم وأمانة العلم، ولم أكذب عليه حين قلت ذلك فيه من قبل، فلماذا

اخترت من هذه المجرة الوهمية الروايات المنكرة والضعيفة وقمت بتصوير علي ورسمه في ضوءها؟ ولماذا تجاهلت الروايات الصحيحة، وتجاوزتها؟ ولماذا حاولت التزوير في النقولات لتتلاءم مع صورتك المسبقة عن علي؟!

لقد قدمت دليلا جديدا على "خيانة المثقف للأمانة العلمية".

ثم حين تقول (فأحدث مؤلف حول مناقب علي وسيرته، للعالمي، بلغ ٥٣ جزءا).

فلا أدري هل هذه هي المجرة الوهمية التي وقفت عليها؟ أو هي البحر الذي أعجبك الخوض فيه؟

ثم أنت بهذا تخلط بين علي عند الشيعة وعلي عند السنة، وتحتج بأحدهما على الآخر، وهذه خيانة علمية أخرى.

مروان يعتقد أنه بمجرد إطلاق الحكم، فهو التاريخ!

اختر مروان مجموعة من رجال الدولة، ثم قال: ها هم قتلة عثمان، لقد اكتشفتمهم، حين قلت له: أثبت بالدليل الصحيح أنهم قتلة عثمان، قال: لقد وقع الغيلي في فضيحة بمدافعته عن قتلة عثمان!

مروان يقول: (علي سمح للمرتزقة أن يقتلوا الخليفة ويعتدوا على زوجات النبي، وأن يؤلهوه)، وحين أقول له: أثبت دعواك، يقول: أنت تقدس عليا، وتدافع عنه؛ لأنه جدك!

مروان يقول: علي اعترف بأنه لا يصلح للحرب، فأقول له: أين هذا الاعتراف؟ فيقول: أنت بعيد عن العلم!

هذه منهجية مروان في تقديم التاريخ للناس، لديه مشكلة في المصادر،
يقرر نتائجه بمصدر أو دون مصدر، ليس ذلك مهما، المهم عنده تقرير الحكم، ثم
يقول: ناقشني في التأويلات!
وهذا المقال فيه أخطاء وتزويرات:

كنت أتوقع أن يكون د/ مروان أكثر حذرا وهو يكتب مقاله، لا سيما وهو يعلم
أن عيون القراء صارت أكثر تفتحا، ولكن ثمة خطأ علمي، ولا يحتاج إلى تقافز
لاكتشافه، فمروان يقول (في البخاري: الأشر حضر مع الثوار واعتدى على صفية).
نحن أمام تدليس مرة أخرى، حين نقول في "البخاري" فالمعروف صحيح
البخاري، وكان على مروان في هذا المقال، أن يلتزم بما التزمه في مقالاته
السابقة، من إسناد القصة إلى: "البخاري في التاريخ الكبير"، ولكن لماذا فعل
مروان ذلك؟

ليصل إلى النتيجة التي يريد، وهي قوله: (وعليه فإن نقلت رواية عن
البخاري فلا بد أن أستسلم لكل ما يقوله مما يخالف قراءتي للتاريخ، وقع هو
شخصيا في المشكلة نفسها حين راح يدافع عن الأشر الذي، كما في البخاري
الذي يقدس روايته، اعتدى على نساء النبي في المدينة) اهـ.

ثمة مغالطات عديدة في هذه النتيجة، أولاها: خلط د/ مروان بين البخاري
في صحيحه، والبخاري في بقية مؤلفاته (كالتاريخ الكبير)، وهو خلط متعمد؛
الهدف منه تطويقي بهذا الفخ.

- وكنت أظنه يدلس على البخاري، فالرواية في تاريخ البخاري لا
صحيحه، ولكنه نشر منشورا على صفحته يجزم بأن القصة في صحيح البخاري،

فهذا ليس تدليسا بل تزويرا وجهلا، ومروان الأول في مقاله (علي والأشتر)، حيث نسب القصة إلى (البخاري في التاريخ الكبير) - قد رد على مروان الثاني الذي نسب القصة إلى صحيح البخاري، وبذلك هاجرت القصة في غضون أشهر من تاريخ البخاري إلى صحيحه، ولا أدري إلى أين ستبلغ هجرتها!، وهكذا يعمل د/ مروان في سردياته، التي يريد بها تثقيف القراء^(١).

ونصيحة للقراء: أن يرجعوا إلى علماء الحديث للتحقق منهم في ما يقرأون من أحاديث، حتى لا يضلّهم المشاهير.

وثاني المغالطات، قوله أنني ألزمه حين ينقل عن البخاري أن يستسلم لكل ما فيه، وأنا لم ألزم مروان بذلك، بل ألزمته باحترام المنهجية العلمية، فطالما اعتمد منهج المحدثين في الجرح والتعديل، فلماذا يأخذ به حيناً ويرميه حيناً آخر؟! وإذا كانت الأحاديث بمستوى واحد من الصحة، كما في البخاري فلماذا يأخذ ما شاء ويدع ما شاء؟

وأما رمية لي أنني "أقدس البخاري"، فهذا زور، فمن أين لك أنني أقدس رواية البخاري؟ هل مجرد التصديق بما يقتضيه المنهج العلمي تقديس؟

"آل البيت" عند د/ مروان:

من اللافت ظهور مصطلح "آل البيت" عند مروان، فإن كان مروان يستخدمه تعريضا بي، فقد أخطأ؛ لأن مذهبي أن "آل البيت" هم أتباع النبي ﷺ، ولعل د/ مروان رأى بدلا من شيطنة علي وحده، فهي فرصة لشيطنة من يسميهم

(١) ملحوظة: التاريخ الكبير للبخاري ليس من كتب الصحاح، بل هو من كتب التراجم، يحتوي على الصحيح والضعيف.

آل البيت، فهو جهد واحد، ويمكن استخدامه لآل البيت كلهم، بدلا من إضاعته في علي وحده.

وعلى أي، فإن كان يقصد بهم عليا، ثم يقول مروان: (آل البيت فهموا الإسلام امتيازاً عائلياً)، فقد كان عليه إثبات هذه المقولة، التي دحضتها في مقالاتي، وبالرغم من عشرات الأحاديث الصحيحة والروايات والمواقف التاريخية التي تبين أن عليا كان يؤكد عدم امتياز به بشيء، إلا أن مروان يتجاهل ذلك؛ لأن نتائجه تجذبه إليها جذبا شديدا، فيخرج من مجاله المغناطيسي كل ما لا يتفق مع تلك النتائج.

ويقول إن "آل البيت" لا يريدون أي فضل لمن هو خارج العائلة! يقول مروان هذا زورا، في حين أن عليا، وقد بينا ذلك روى في فضائل الصحابة ثلاثة أضعاف ما روى في فضائله!

ثم يستمر مروان في تشويه من يسميهم "آل البيت"، ويقول: إنهم يسرقون فضائل الآخرين، وقد نقضت هذه المقولة من قبل، ولا أعيد ذلك، إلا أن مروان يقول أن حديث مص لسان عائشة، يصبح عن لسان علي والحسن، وأن حديث مص لسان الحسن، وبالرغم من صحة أسانيدهما فإن (الرعيّل الأول من آل البيت هو من تحدث بها ونقلها)، اهـ.

أما حديث مص لسان علي، فعلى مروان إثبات مصدره، وإلا فهي مقولة مروانية، لا تجد لها حرجا ولا قلقلًا في كتابات د/ مروان، وإن لم يأت مروان بالدليل فإنه يتهم النبي بالشذوذ، وحاشا لله من ذلك.

وأما مص لسان الحسن، فالحديث في مسند أحمد^(١) رواه معاوية بن أبي سفيان [الخليفة الأموي]، ورواه عنه: عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشى، [وهو قاضي حمص، يروي عن معاوية وعن عمرو بن العاص]، وعنه رواه: حريز بن عثمان، من أهل حمص^(٢).

لا وجود للرعيل الأول ممن يسميهم آل البيت في سند الحديث، فكلهم من الشام، وهكذا يتعمد مروان تشويه من يسميهم "آل البيت" بالتزوير عليهم! والحسن - حين يتحدث عنه معاوية أنه رأى الرسول يمص لسانه ويقبل شفته - كان طفلاً!

* مروان هل يحتج بالدين أم يتناقض؟

ينتقدي مروان بأن دافعي الديني حال دون الدراسة العلمية، وقد ناقشت هذه المقولة، ولكن لماذا يتناقض مروان مع نفسه، فيستخدم الدين في مقالاته؟ وصفه لي بالكهنوتي، والقبوري، يستند إلى مرجعية دينية ظلامية، تهدف إلى نزع العلمية مما أكتب، ومنح القراء صورة ظلامية للغيلي الكهنوتي (الإمامي) القبوري.

ثم حين يصف مروان السلالة الهاشمية بأنها محدودة الخيال، ويستثني منها شخصين:

(١) (١٦٨٤٨)، ولفظه: عن معاوية، قال: (رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه - أو قال: شفته، يعني

الحسن بن علي صلوات الله عليه - وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ).

(٢) انظر تراجمهم في التاريخ الكبير للبخاري [٣٣٦/٥، ١٠٣/٣]، والجرح والتعديل لابن أبي

حاتم [٢٧٤/٥، ٢٨٩/٣]. وقال في حريز: لا أعلم بالشام أثبت منه].

الأول: النبي، ونفهم استثناء مروان أن دافعه الإسلام، وهو هنا يستخدم الدين في النتائج العلمية، الثاني: أبو لهب، يصفه مروان أنه كفر؛ لأنه فهم الإسلام على حقيقته، فلماذا الزج بالإيمان والكفر في وسط الطريق؟

ثم حين يقول مروان (وكان "دين علي" قد برز مبكرا على مستوى الاصطلاح منذ القرن الأول الهجري)، ويتهم عليا بتشويه الدين في الكوفة، فلماذا يزج بالدين وسط الطريق؟

وحين يقول أن شيخ أبي حنيفة وصف أهل الكوفة بقوله: ("كأن النبي الذي بعث إليهم ليس هو النبي الذي بعث إلينا)، فلماذا يستدعي مروان النقاش الديني، ليصدر من خلاله نتائجه وأحكامه على الكوفة؟

وحين ينتقدني مروان بأنني أضيف الصحبة للأشتر [وهو زور منه]، ومحمد [ولست من قال بصحبته، بل من ألف في تراجم الصحابة من العلماء]، ومع ذلك فمن يقرأ هذا الكلام يعتقد أن مروان يحترم خصلة الصحبة، وأن المشكلة معي في كون هؤلاء صحابة أو لا، في حين أنه شيطان الصحابة المتفق على صحبتهم: علي بن أبي طالب، إلا إذا كان يشك في صحبته أيضا؟!

وكأني أسأت إلى الصحابة حين نسبت محمد الصديق لهم، فلماذا إذن لا يتورع مروان عن نسبة كل نقيصة وجريمة إلى الصحابي الكريم علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟

*** علي الحاكم والكاتب المحاكم:**

أعاد مروان ترديد افتراءاته في مقاله الأخير، عن علي، ولا يهمني الرد عليها، فقد رددت عليها بما يكفي، وكان عليه نقض مقالاتي، ومواجهة الحجة بالحجة.

ولكن ثمة مسائل تناولها بشأن علي، أرى مناقشتها أمراً مهماً لكشف آليات التفكير عند مروان، وإبراز المنهجية العلمية لديه.

يقول مروان: (يدافع الغيلي عن موقف علي من قتلة عثمان).

الدكتور/ مروان يتجاوز الأمانة العلمية، ويتجاوز التاريخ.

أما تجاوزه للأمانة العلمية؛ فحين ينقل عني أنني دافعت عن القتلة، إذا كنت لا أعرف القتلة، فكيف أدافع عن وهم؟! اعتقد مروان أنه بنصوص واهية ضعيفة مرقعة قد كشف عن هوية قتلة عثمان! هكذا نكون مع "المحقق مروان" الذي يثبت الجريمة دون أدلة ودون شهود.

وأما تجاوزه للتاريخ، فعلي لم يتخذ موقفاً من قتلة عثمان، بل علي (رضي الله عنه) أقسم أنه لا يعرف القتلة^(١)، وحين يقول مروان: (ورجال علي حضروا الجريمة وساهموا فيها)، عليك إثبات من هم رجال علي الذين حضروا الجريمة، لماذا تستسيغ قراءة التاريخ بالهوى؟ تتحدث وكأن المدينة كلها بيت واحد، وهي مجرد غرف، كل الصحابة ينظرون لقتلة عثمان، و ينتظرون حتى يُقتل!، أعطني فقط دليلاً صحيحاً واحداً يحدد من قتل عثمان.

ومشكلة مروان في إثبات الأحكام دون أدلة مطردة مستمرة، يقول مثلاً: أن علياً ضرب (عرض الحائط بنصائح المقربين منه مثل ابن عباس والمغيرة)، يحتاج مروان قبل الحكم أن يثبت الواقعة، مروان يستعجل على الأحكام، يستعجل على التأويل، لا يريد أن يقف قليلاً ليتأكد من ثبوت الأحداث.

(١) سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٨٨.

نقطة أخرى، نستعرضها لكشف منهجية مروان، وهي مسألة القصاص من قتلة عثمان، يقول مروان عني: (يتشعب بكل حيل التاريخ ويخلص إلى استنتاج مخزي وفاضح: علي لم يحاكم القتلة؛ لأنه لم يتلق طلبا من أولياء الدم، ثم يقول: إن معاوية، من أولياء الدم، طالب عليا بالقصاص فاشترط علي البيعة فرفض معاوية، فرفض علي)، واصفا ذلك بالابتزاز السياسي، اهـ.

فهل الواقع كذلك؟

علي لم يشترط إقامة القصاص مقابل البيعة، ولكن عليا هو الحاكم المسؤول، يريد أولا الحفاظ على الدولة من التفكك، ومعاوية الآن هو محور التفكك، فالحاكم يطالب المتمرد بالبيعة والدخول فيما دخل فيه الناس.

الحاكم أولا يعالج المخالفات الدستورية قبل النظر في المخالفات الجنائية.

ذلك ما لا يريد مروان فهمه؛ ليس بسبب كفاءته العلمية، بل بسبب الرغبة النفسية في تفسير الأحداث التاريخية.

تلك هي المهمة الأولى لعلي: الحفاظ على الدولة، والحفاظ على وحدتها، ورفض القبول بتشظيها، يفترى مروان حين يقول عن علي (خان مهمته الأولى)، مروان يشتري ثوبا ضيقا ويريد أن يلبسه الناس كلهم، يعتقد أن المقاس الذي يضعه ينفع للجميع! لست أنت من يحدد المهمة الأولى للحاكم، بل الدستور هو الذي يحددها، الدستور يجعل المهام الدستورية قبل المهام الجنائية، مهمة علي الأولى: حماية الدولة من الاختراق الدستوري.

مسألة ثالثة، يرددها مروان، وهي مسألة البيعة وشرعية الخلافة، يتهمني مروان أنني الذي أسست أهلية علي للحكم من خلال حشد الأقوال التاريخية! هذه الدعوى فاضحة، فكوني حشدت الأقوال التاريخية الصحيحة، فهذا دليل على ثبوت تلك الأهلية فعلا، وكل الذي عمله الغيلي إظهار تلك الأقوال من مصادرها، وبدلا من أن يفند مروان تلك الأقوال راح يتهمني بتقديم الحمولة الغزيرة من الأقوال!

أتيت بالأدلة التي تثبت اختيار الناس وبيعتهم لعلي، الأدلة التي تثبت أن كبار الصحابة والمهاجرين والأنصار أصروا على بيعته، وكان يرفضها، تستطيع إثبات عدم أهليته للحكم بتنفيذ تلك الأقوال أولا، بأن تبين زيفها، وثانيا تأتي بما يؤيد أحكامك من أدلة صحيحة، وبدون ذلك فسيظل الروائي حكواتيا، ولن يتقدم في سلم البحث التاريخي.

يقول مروان أن بيعة أهل المدينة تمت بالإكراه، وأن عليا هو الاختيار الوحيد للمتمردين (غير أن المتمردين اتفقوا عليه جملة وتفصيلا).

بينت من قبل مرجعية هذه المقولة إلى المستشرقين، ويحتاج مروان إلى إثبات دعواه أن البيعة تمت بالإكراه، إثبات الدعوى بأدلة صحيحة، وليس بأخبار بلا أسانيد، هذا أولا.

وثانياً: لا أدري ما مصدر مروان في دعواه أن المتمردين اتفقوا على علي جملة وتفصيلا، بالرغم من أن الطبري في تاريخه يقول، وقد ذكرت مقولته في مقالاتي: (فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون عليا، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير).

يحتج مروان أيضا لعدم أهلية علي بالحكم، بأنه يحارب في الكوفة (بينما في المدينة عشرون ألفا من الصحابة عازفون عن معاركه).

هذه الحجة ضعيفة، ولا تصلح للمناقشة؛ فحين يحارب الحاكم، هل بالضرورة أن يصبح كل الذين بايعوه جنودا في جيشه؟

وإذا كان هناك ٢٠ ألفا بالمدينة، وهو بالكوفة، فهل هذا يعني أنهم لم يبايعوه؟! ألم يكن بالمدينة، وبايعوه بها، ثم غادر إلى الكوفة، دون أن يلزمهم بالذهاب إليها؟!

وهذا عدا عن النصوص التي أوردناها، مبينة أن مواقف عامة الصحابة كانت مع الحاكم الشرعي، الذي اختاره الناس.

** ** **

"مَالِك"، و"لَابِك"، و"سَالِك"

١ - مروان ضعيف حتى في التأويلات العقلية.

٢ - مثل الثلاثة: "مالك"، و"لابك"، و"سالك".

بعد رحلة طويلة قضيتها مجدداً مع صديقي وزميلي العزيز - الدكتور / مروان الغفوري، كانت الصداقة هذه المرة صداقة فكر ونقاش أكثر مما هي صداقة دواوين ورحلات، أصل اليوم إلى آخر محطاتي في مناقشة ما كتبه الدكتور مروان عن سيرة علي بن أبي طالب، وتعليقه حول مقالاتي.

وأصارع القراء أنني حين كنت أكتب بعض العبارات القاسية تجاه صديقي، أجادب حزناً يتخندق في صدري، وأغالب دمعاً يترقرق في عيني، إلا أنني كنت أضطر، كما يضطر الأب أن يقسو على ابنه المخطئ، ولكنه يرى ذلك ضرورة، [هذا تمثيل لحالتي الشعورية، ولا يعني أنني أتعامل مع د/ مروان كأب وابن، فهو زميل وصديق، مهما اختلفنا].

* مروان ابتعد عن التفكير العقلي:

ناقشنا كثيراً، مسألة تجاوز د/ مروان للروايات، واعتماده على الواهيات والمنكرات، وقد اعتقد أن تأويلاته العقلية سليمة؛ لأنني لم أنشغل بها، كما ذكرت من قبل: لا حاجة للانشغال بالتأويلات طالما بُنيت على الروايات الواهيات.

إلا أن مروان في مقاله الأخير، صرح بقيام نقاشاته على العقل، فقال: (الغيلي يضعنا أمام هذا التحدي: إذا صحَّ الحديث رواية فلا مكان للقياس ولا

التأويل، ولا حتى للرفض انطلاقاً من الدراية، أي العقل).

وبالرغم من أنه لا يحق له نسبة هذا التحدي إلي، إن كان يجد مقدرة على الرد على مثله، فليرد دون أن ينسبه إلي، ويرى د/ مروان أن تأويلي ساذج، لكن تأويله هو التأويل الذي يحتكر الحقيقة التاريخية!

بينت من قبل أن د/ مروان لا أهمية عنده للرواية الصحيحة، والآن سأختم مقالتي ببيان أن د/ مروان لا أهمية عنده للتأويل العقلي السليم.

فلو كان ينطلق من العقل التأويلي السليم لرفض الروايات الواهيات المنكرات، التي تخالف العقل، بغض النظر عن صحتها.

- هل من العقل أن عليا - في زمن السيف والرمح - تسبب في قتل ربع مليون خلال سنتين!

- هل من العقل أن عليا يدعو الناس إلى تأليهه! وهو الذي عاقب من فعل ذلك أشد العقوبة، وهو الذي جاهد مع رسول الله ضد الشرك والوثنية، وهو الذي تثبتت الأدلة على محاربته للوثنية، وهل لو فعل ذلك سيركه الصحابة الذين ضحوا من أجل محاربة الوثنية، دون أن يفضحوه؟!

- هل من العقل أن عليا رجل جاهل لا علم له! والخليفة عمر يوليه القضاء ويقول عنه: "أقضانا علي"، وعائشة تحيل إليه من يستفتيها، وعلماء الأمة عبر التاريخ يستندون إلى اجتهاداته.

- هل من العقل أن عليا بلا كفاءة! والرسول ﷺ يسند إليه المهام العسكرية والأمنية والسياسية والقيادية المختلفة.

- هل من العقل أن عليا حول الدولة إلى مؤسسة عائلية! وهو الذي رفض التوريث، ورفض الاحتجاج بالنص الديني على الخلافة، ورفض طلبها من الرسول، وبائع أبا بكر، وبائع عمر، وبائع عثمان، دون أن يتمرد على أحد منهم.

- هل من العقل أن عليا - هو الوحيد من الصحابة - الذي عاش فقيرا! بالرغم من قيامه مثلهم بالمهام والأعمال المختلفة في الدولة.

- هل من العقل أن عليا عاش جبانا، غير مقاتل، غير فارس! وهو الذي اعتمد عليه الرسول في تنفيذ مهام قتالية وعسكرية: في بدر، وفي أحد، وفي خيبر، [وهو الذي، بحسب دعواك، طلب منه عمر قيادة الجيش في فتوحات الفرس].

- هل من العقل أن عليا يفتري ويضع الأحاديث على رسول الله ﷺ! ثم يخرج البخاري ومسلم أحاديثه، ويسكت عن أكاذيبه علماء الجرح والتعديل؟ ويسكت عنها علماء الأمة حتى يأتي مروان ليجدد علم الجرح والتعديل؟

- هل من العقل أن عليا يسرق الفضائل لنفسه! وهو يروي في مناقب الصحابة ثلاثة أضعاف ما رواه عن نفسه، وهو الذي ينصف الخارجين عليه، ويثني عليهم.

- هل من العقل أن عليا يبحث عن امتيازات شخصية! وهو الذي كان ينفي ذلك في كل موقف، بروايات رواها البخاري ومسلم.

- هل من العقل أنك تزعم أن كل خبر عن علي خبر عن خرافة! ثم تروي يومياته، وأدق التفاصيل في حياته، وكيف كان يمشي ويجلس، وكيف يقضي يومه متنقلا بين [...]..

- هل من العقل أن زوجة أبي بكر الصديق مرضت فاطمة وغسلتها! ثم لا يعلم زوجها (أبو بكر الصديق) عن دفن فاطمة، ولا يعلم أين دفنت؟

- هل من العقل أن تزعم أن عليا يلعن أبا بكر بحضور عمر؟! فيخاف منه عمر، ولا يعاقبه على ذلك!

- هل من العقل أن تزعم أن نهج البلاغة مكذوب؟! ثم تستدل به على إدانة علي بن أبي طالب؟

- هل من العقل أن تزعم أنه بناء على أن نهج البلاغة مكذوب؛ فيأذن لا توجد آثار قولية لعلي! متجاهلا الكتب الأدبية المؤلفة منذ القرن الثاني الهجري؟!!

- هل من العقل أن يصرح ابن كثير بتبرئة علي من دم عثمان، ثم تلمح أنه يتهم عليا بدم عثمان؟!!

- ... إلخ.

وهكذا نجد الدكتور/ مروان يتغدى بالتناقضات، ويتعشى بالتزويرات، أما إفطاره فسوء التأويلات.

أخيراً:

أضرب بهذا المثل، كان هنالك ثلاثة: "مالك"، و"لابك"، و"سالك".

"مالك" رجل قضى نهاره في العمل والجهد والاجتهاد، حتى أدركه الليل، فنام، جاء "لابك" فرآه نائماً، فقال: إنه نائم، لم يعمل، يقضي وقته في النوم فقط، وبدأ يسبه ويشتمه.

وكان "سالك" مارا، فسمع "لابك"، فسأله: وما يدريك أنه لم يعمل؟

- "لابك": انظر إليه؛ إنه نائم.

- "سالك": لقد عمل واجتهد، ثم نام، وهذا حقه.

- "لابك": لا، بل يجب عليه ألا ينام، إنه جبان بدين أعمش، يتهرب من

المسؤوليات، ويكذب على أصحابه، إنه رجل انتهازي.

- "سالك": وما دليلك يا "لابك"؟

- "لابك": لأنه ينام على جنب، والذي ينام على جنبه، كما أخبرنا فرويد

في صحيحه، أنه جبان، فاشل انتهازي، وهناك دليل آخر: انظر تلك الرسمة للقائد

وهو يغسل أقدام جنوده؛ أما "مالك" فليس له رسمة مثلها، هو إذن غير متواضع،

ومتعالي.

- ابتسم "سالك"، وترك "لابكا" مستمرا في هذيانه، ومضى في طريقه،

مقررا أنه لن يلتفت مرة أخرى.



الملحق ٢:

مقالان تعقيبيان على مقالات

الدكتور مروان



الدكتور مروان يسيء للنبي وزوجه عائشة^(١)

منشور جديد يتقوت، كالعادة، على دماء الصحابة، وأعراضهم، ويعيش على التحريش بينهم، وأكتفي بالتعليق السريع في نقاط.

أولاً: ادعى أن عائشة صححت هراء تبناه ابن عباس، حيث جعلت على نفسها تصحيح أكاذيب علي عليه السلام، واليوم ابن عباس دخل في الخط، واستدل بحديث تصحيح عائشة أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

الذي كذب فيه هذا الكاتب، وأخفاه، أو لم يفهمه، فقد أبان عن فهم سقيم وضعيف للتاريخ وما في كتب السنة.

الحديث في البخاري، تصحح عائشة لعمر بن الخطاب، فهو الذي روى هذا الحديث وليس ابن عباس، وهذا الحديث ترويه كتب السنة عن عمر وابنه عبد الله بن عمر.

فهل يقول الكاتب إذن أن عمر أراد هدم الدين؟!

ما دور ابن عباس؟

ابن عباس سمع الحديث من عمر، فذهب بنفسه إلى عائشة، فأخبرها فقالت: رحم الله عمر، والله ما قال الرسول هذا، فابن عباس يحترم علم عائشة ويذهب للتأكد منها، ولكنه يصبح عند الكاتب يفكر تفكيراً عشائرياً!

(١) نشرت هذا المقال بتاريخ ١٥ / أكتوبر ٢٠٢٢م، تعقيباً على مقال للدكتور مروان نشره على

صفحته في التاريخ نفسه، يسيء فيه لعائشة وابن عباس وعلي، وقبلهم النبي عليه السلام.

وفي الوقت نفسه، فهذا أدب من ابن عباس في التعامل مع عمر، رضي الله عنه، حتى بعد موته، فابن عباس لم يكن ليذهب لعائشة إلا لأنه يرى الأمر خلافا لما ذكره عمر.

ثم ربما لو أن ابن عباس صحح لعمر، لقال هذا الكاتب: انظروا إلى ابن عباس الهاشمي يكذب عمر بن الخطاب، ويظهره على أنه يكذب؟! وهكذا يصبح دليلا عنده على أن بني هاشم يتآمرون على كبار الصحابة، فهذا الكاتب جاهز لاستخدام الدليل لخدمة نتائجه كيفما ورد.

وفي قصة التأيين حين نهى ابن عمر عن النياحة، صحح له ابن عباس استنادا إلى حديث عائشة، ثم أضاف ابن عباس وجهها آخر على ما ذكرته عائشة، وهو أن الله يضحك ويبيكي، فكيف يعذب على ذلك؟!

كل هذا ينعكس عند المثقف الذي يقرأ فلا يفهم، ليصبح إنكارا من عائشة على ابن عباس.

وهذا عدا عن السرد الخاطيء الذي غرضه التشويه، في عرضه أن ابن عمر يسأل ابن عباس وكأنه يستنكر الحديث، هذا كله يحدث في مخيلة الكاتب.

لنقرأ نص القصة كاملة في البخاري (١٢٢٦)، حتى تروا إلى أي مدى يزور هذا الكاتب التاريخ، ويلعب به عاكسا الحقائق:

قال عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة: توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة، وجئنا لنشهدها وحضرها ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما، وإني لجالس بينهما أو قال جلست إلى أحدهما، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لعمر

ابن عثمان: ألا تنهى عن البكاء فإن رسول الله ﷺ قال: (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: قد كان عمر رضى الله عنه يقول بعض ذلك، ثم حدث قال: صدرت مع عمر رضى الله عنه من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سمرة، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب؟ قال: فنظرت فإذا صهيب فأخبرته، فقال: ادعه لي، فرجعت إلى صهيب فقلت: ارتحل فالحق أمير المؤمنين، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول: وا أخاه وا صاحباه، فقال عمر رضى الله عنه: يا صهيب أتبكي علي وقد قال رسول الله ﷺ: إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، قال ابن عباس رضى الله عنهما: فلما مات عمر رضى الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ إن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه، وقالت حسبكم القرآن (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، قال ابن عباس رضى الله عنهما عند ذلك: والله (هو أضحك وأبكى)، قال ابن أبي مليكة: والله ما قال ابن عمر رضى الله عنهما شيئا، اهـ.

ثانياً: كانت عائشة تحيل بعض المستفتين إلى علي رضى الله عنه، وتقول إنه كان أكثر ملازمة للنبي ﷺ، وقالت عن علي: أعلم الناس بالسنة، فالروايات تبين احترام عائشة لمكانة علي العلمية.

وحتى لو كان في الكوفة وهي في المدينة فلو أرادت الرد عليه فالرد باللسان، وليس مواجهة بالسيف حتى تكون بجواره، وكونه صار بعيداً عنها أدعى لأن ترد عليه لو كذب، فما الذي تخافه منه؟!

ثم هي كانت تروى في فضائله وفضائل ولديه وزوجته، كحديث الكساء الذي في صحيح مسلم.

ومعظم فضائل علي لم يروها علي بل رواها الصحابة، ويبدو أن الكاتب الآن سيحاكم هؤلاء الصحابة ويسقط عدالتهم طالما رووا في فضائل علي، ولا شك أنه سيسقط عدالة عائشة أيضا؛ لأنها روت في فضائل علي، وأيضا عمر الذي روى في فضائل علي، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم.

ثالثًا: كان الصحابة يصحح بعضهم لبعض، ولا ضير في ذلك، وكما فعلت عائشة فعل غيرها، ومنهم علي عليه السلام، الذي وردت روايات عديدة يصحح فيها للصحابة رواياتهم عن النبي.

رابعًا: التهويل والمبالغات وتصوير خطأ صحابي على أنه هدم للدين، وانه يأتي بدين جديد، هذا غير أنه تصوير ساذج، فإن فيه شهادة من الكاتب على نفسه أنه لا يستطيع قراءة التاريخ بالمنطق البشري، وفي ضوء بشرية الناس.

فهو يفترض أن الصحابة إما معصومون لا يخطئون، وإما شياطين يشوهون الدين.

لا وجود للخطأ والتأويل.

بل إن الكاتب لم يعد يتهم عليا بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، صار يتهم الصحابة أنفسهم.

خامسًا: حين يقول إن عليا ظل يتربص بعائشة، التي مثلت تحديا فكريا له، ولما أتحت له الفرصة في العراق هاجمها.

هذه القراءة الساذجة للحوادث تصبح فتوحا عند المطبلين!

كون القراءة بعيدة عن الواقع، وعن سياق الأحداث، فإنها تظهر سذاجة الفهم وضحالة التأويل للحوادث التاريخية.

فعائشة خرجت للعراق مع طلحة والزبير، لأهداف سياسية وليست أهدافا فكرية، أيا كانت تلك الأهداف السياسية: الإصلاح بين الناس، أو الثأر لعثمان، أو الاعتراض على حكم الحاكم الجديد... إلخ، فالمسألة لا علاقة لها بالرد على فضائل علي! إلا إذا كان الكاتب يرى أن خروج عائشة للعراق جاء ردا منها على الأحاديث التي يرويها علي في فضائله؟ هل هذه قراءة تليق بكاتب ومثقف حدائي؟!

ثم إن عليا عليه السلام، وفقا للكاتب، كانت الحرب ستمثل له فرصة للتخلص من عائشة وقتلها، ولا سيما أن عمر وخالد قد توفيا، ولم يبق من مثلث الكاتب الحدائي إلا عائشة.

لكن الذي حدث أن عليا أمر بعقر الجمل حتى يحافظ على حياة عائشة، وبذلك توقفت الحرب، وهي فكرة عسكرية متميزة أن عليا عرف كيف يوقف الحرب من أقصر الطرق، فأوقف نزيف الدم، وحمى عائشة، وردها مكرمة مبعجلة إلى المدينة.

وهكذا تصبح المزايا والفضائل والشهامة والمروءة التي تحلى بها علي عليه السلام، كلها تصبح رذائل عند هذا الكاتب المستنير!

سادسًا: يصير هذا الكاتب على تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم.

فهو أولا يورد حديث أن النبي كان يمص لسان عائشة وهو صائم، ويبين سوء فهمه للدين بقوله إنه لا إشكال من حيث الدراية في ذلك، وهو بهذا يثبت

جهالته، إضافة إلى أن الحديث ضعيف رواية، فهو ضعيف دراية؛ ولكن المفتي الحدائي يفتي للناس أن مص اللسان لا يفطر الزوجين، ولا ندري ما في جيبه من فتاوى في قادم الأيام.

كذلك حين يصور النبي ﷺ أنه شاذ جنسيا مع بنته، حاشا لله من هذا البهتان، ويستدل بروايات لا وجود لها في كتب السنة المعتمدة، ويحرف فيها حتى تفي بمقاسه من التشويه.

فهو يهمله إثبات الصورة السيئة ثم يرحل، وقد تظاهر أنه يدافع عن التاريخ المجيد المسروق للصحابة.

سابعاً: لا زال ذلك الكاتب هو هو، يكذب المصدر حين لا يخدمه ثم يعود فيستدل به حين يخدمه.

حديث أبي بلج أن عليا نام في فراش النبي ضعفه وشرح لنا طويلا عن الخطر الكبير الذي عمله أبو بلج، ثم في الحديث نفسه يتحدث أبو بلج أن عليا كان يطحن حين نودي في خير، فتصبح هذه الجزئية من الحديث صحيحة!

حديث فاطمة أن عليا أعمش العين، يحتفي به هذا الكاتب، وبقية الحديث الذي يقول أن عليا أعلم الناس وأحلمهم يصبح مكذوبا عنده.

كتاب نهج البلاغة كتاب مكذوب، ولذلك ليس لعلي من أثر أدبي، عند هذا الكاتب، ولكن نهج البلاغة حين ينقل عن علي سبه للصحابة فهو كتاب صحيح.

وهكذا.

قصة فرار عبيد الله بن عمر من علي أكلوبة، وقصة أن علياً أشار على عثمان بقتله قصاصاً من الهرمزان قصة ضعيفة، وقصة أن علياً أراد قتله في خلافته باطلة. وهكذا تجد القصص الباطلة والواهية والمنحرفة مكانة مرموقة عند هذا الكاتب، طالما أنها تخدم فكرته.

يقرأ هذا الكاتب عشرات الروايات في مدح علي وثنائه على عمر وأبي بكر، حتى آخر يوم في حياته يثني على أبي بكر، ويقول: كان خيرنا بعد رسول الله ﷺ، ويثني على عمر، ويتخذ إجراءات صارمة في خلافته ضد من يسب أبا بكر أو عمر، بل ضد من يفضله عليهما، ويقول (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى).

لكنه يترك ذلك ويذهب لنهج البلاغة وبحار الأنوار!

ثامناً: يقول أن هوس العترة بالمجد والسلطة دفعها لارتكاب جرائم تاريخية.

والحقيقة أن هوس هذا الكاتب النفسي، يجعل منشوراته غارقة بين الفخزين، وإذا ارتقى قليلاً فإلى النهدين، يتصيد الروايات ويزيد فيها حتى تنضب على فكرته.

يعيش الكاتب باستمرار على التحريش بين الصحابة، فلا بد لصعود عائشة من هدم علي، ولا بد لمجد عمر من القضاء على علي، والثناء على خالد من ذم علي، بل إنه يجعل علياً موازياً للنبي نفسه، فدين الإسلام حتى يبقى صافياً يفهمه هذا الكاتب بهواه، لا بد من تحطيم ما يسميه دين علي، الذي يعتبره شوه الدين.

هذا لا يحتاج لرد تاريخي، بل يحتاج لطبيب نفسي، وحين يشير إلي القراء للرد على هذه الهلاوس لا أجد ما أجيبهم، لذلك أنصحهم أن يشيروا إلى الأطباء النفسيين.

هناك معاناة نفسية تتبين من خلال منشوراته، ويحاول التعويض عنها بالبحث عن موتى ينبش قبورهم، ويقف مجرد حكاوي للناس!

هذا الهوس يبدو أنه سيطر عليه حتى في منامه، فلا يكتب منشورا حتى في أي موضوع إلا ويدخل فيه عليا أو الحسن أو الحسين أو، بأي شكل كان، لكانه يعيش رهابا نفسيا، وربما أحلامه صارت أفلام رعب لا يرى فيها إلا ذا الفقار، فيجري لكتابة منشور يسب ويشتم.

ثم تجد المطبلين يفرحون ويصفقون بما كتب، وكأنه أتى باختراع.

هذا الكاتب لو أنه انشغل بتخصصه لأفاد الناس، كما فعل الدكتور خالد نشوان رحمه الله، الذي أفاد البشرية بمخترعات نافعة، ترفع رأس اليمن، ولم يكن مجرد حافظ يحفظ الخطوات ويطبقها، ولكن يبدو أن عجز هذا الطبيب عن تقديم شيء نافع جعله يتجه إلى المنطقة التي يشعر أنه عوض بها نقصه.

والمهم عنده أن تأتيه رسائل من المتابعين تؤكد له أنه كسب المعركة!

أخيراً، د مروان الغفوري هل يتبرأ من افتراءاته، وينصف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟^(١)

يتعرض البروفيسور اليمني أيوب الحمادي لحملة إعلامية جائرة، ومبتذلة، وهكذا يفعل المرضى الذين يسعون في شيطنة الآخرين، ويقزمون من إنجازاتهم، كما يريدون فعل ذلك مع البروفيسور الحمادي، اطلعت على سيرة الدكتور الحمادي، فوجدتها سيرة تبعث على الفخر والاعتزاز، ليس لليمنيين فحسب، بل للعرب.

نشرت إعلامية عربية فيديو عن الدكتور الحمادي، يمتلى بإشادتها للدكتور وإنجازاته، وفخرها بابن اليمن الذي يمثل العرب، بلغة إعلامية نجد مثلها تجاه شخصيات لا تستحق، ولا ضير إذا فعلت ذلك تجاه شخصية علمية أكاديمية، فهو يستحق ما قيل فيه، ولا يعني الإشادة به تقزيم من عداه من العلماء والباحثين، فهي تعبر بطريقة عفوية عنه.

قوبل ذلك بهجوم شرس، لم يقف عند ما نشرته الإعلامية، بل تعداه إلى شخصية د/ الحمادي نفسه، ولو أن الهجوم وقف عند ما نشرته الإعلامية لكان ثمة وجه لمن ينتقد، ونقول إن نقده فعلاً بناء، ولكنه تعدى ذلك إلى القدح في شخصية الحمادي، والتقزيم منه، والتقليل من إنجازاته.

(١) نشرت هذا المقال بتاريخ ٣٠/ أكتوبر ٢٠٢٢م، تعقيباً على مقال للدكتور مروان نشره على صفحته في التاريخ نفسه.

رفضت أقلام هذا الهجوم والتنمر على شخصية الحمادي، وارتفعت مدافعة عنه، ومن هؤلاء قلم لا تتوقعون أن يفعل ذلك، إنه قلم الدكتور/ مروان الغفوري نفسه، نعم، د/ مروان الغفوري نفسه.

أعتقد أنك حين تسمعي، ستقول لي: لحظة، تأكد يا أخي، معقولة! الدكتور مروان يدافع عن الحمادي في هذه الحالة؟! أقول لك: نعم، هذا منشوره في صفحته.

تلك الصفحة نفسها التي جعلها منبرا للهجوم على شخصية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بسبب ما يقوله عنه شيعته! تخيلوا الازدواجية إذن!

على أي حال، يبدو أن منشور د مروان بداية لاعتذاره عما كتب في حق الخليفة الراشد، الصحابي المجاهد.

كتب الدكتور/ مروان:

(لنفترض أن هناك مشايعين للحمادي، وضعوه في درجة أهم علماء الكوكب، يحدث كثيرا، الصحافة الألمانية - وهذا مجرد مثال - تنفخ في شخصيات عادية وتجعلها آلهة، ثم تنتقل إلى غيرها، ظاهرة موجودة في كل العالم بلا استثناء) أ، هـ

وإذا أعدنا كتابة العبارة مرة أخرى، فسنقول: إن مروان سيكتب مستقبلاً: (لنفترض أن هناك مشايعين لـ "علي بن أبي طالب"، وضعوه في درجة أهم علماء الكوكب، يحدث كثيرا، "العرب، وبالأخص الشيعة" - وهذا مجرد مثال - تنفخ في شخصيات عادية وتجعلها آلهة، ثم تنتقل إلى غيرها، ظاهرة موجودة في كل العالم بلا استثناء).

تمام يا مروان، سنفترض معك إذن أن هؤلاء المشايخين ألهوا عليا وجعلوه مدينة العلم وجعلوه أفضل الصحابة، وأضفوا عليه من المبالغات التي رفعتة عن مرتبة البشر، وفعلوا وفعلوا.

ماذا بعد هذا الافتراض يا دكتور؟

يقول الدكتور مروان: (أتذكر ما كتبه شبكة ARD، أم شبكات الراديو والتلفزيون الألماني، عن مروان الغفوري في العام ٢٠٢٠: مروان الغفوري هو كريستيان دورستين اليمني، طبعا دورستين هو أبرز علماء الرضوخة في كيروسات في ألمانيا وكان مستشارا للسيدة ميركل، لم يكتب ذلك الوصف شخص عادي، ولكنه جاء على لسان أحد أبرز محرري الشبكة).

جيد إذن، أيضاً أنت قد حدث لك هذا من قبل؟! وقد شهدت بنفسك أن هناك قوما نفخوا فيك وكتبوا فيك ما لم يقله أحد في الخمر! وشبهوك بهذا الرجل العظيم.

ولكن من فعل هذا؟

بالتأكيد إنه شخص اعتيادي، لذلك لا تهتم بالرد عليه، وتكذيب ما قاله.

مروان يقول: (إن من كتب ذلك شخص غير اعتيادي، وهو أبرز محرري الشبكة).

يا للهول! أتسكت تجاه هذا المديح والإطراء الذي كتبه شخص غير اعتيادي، كتبه في حياتك، لم يكتبه بعد مماتك! كيف يصح لك أن تسكت يا رجل، أليس سكوتك إذن يعني أنك موافق، بل ربما أنك دفعت له مبلغا من المال

حتى يكتب عنك هذا المديح! أو استخدمت شركة علاقات عامة؟! أو استفدت من هذا المديح في الحصول على أمر ما! لا سيما وأنه كتب في أم الشبكات، وليس في شبكة عادية!

لكن الدكتور مروان يرد علينا قائلا:

(كان سيكون من التفاهة بمكان أن يتقافز الألمان ليشنوا علي هجوما ويتهمونني بالدجل، لا علاقة لي بما كتب عني، ولست مسؤولا عنه، وليس مطلوبا مني أن ألاحق الأخبار لأقول لأصحابها لست كريستيان دورستن (شخصيا يستوي عندي أن يقال عني دجال أو نبي).

هكذا إذن يا دكتور! إذن من التفاهة أن يتقافز الناس ويشنوا عليك هجوما يتهموك فيه بالدجل، فلا علاقة لك بما كتب عنك، ولست مسؤولا عنه. كلام وجيه.

وعليه، فالدكتور مروان ربما يقدم اعتذاره للقراء عما كتبه في حق علي، ويقول: إنه كان تافها حين ظل يتقافز ويتصارخ في شن هجوم على شخصية علي، واتهامه إياه بأنه أله نفسه، وأنه كان متعجرفا مستكبرا، وأنه كان وكان، فلا علاقة لعلي بما كتبه الناس عنه، ولا بما قالوه عنه، وعلي ليس مسؤولا عن ذلك، وليس مطلوبا منه ملاحقة الإعلام لتكذيب أصحابه.

لا بأس يا مروان، إذا اعتذرت فإننا لا نرضى أن تصف نفسك بالتفاهة، فأنتم رجل طبيب وأكاديمي، ومن الواضح أن هذا المنشور يبين أنك تفكر بعقلانية، ومنطق متزن.

ولكن يا مروان، لم يسكت علي عما كان يقوله الناس عنه، ولم يتتش فرحا، ويخبر الناس بإطراء أبرز المحررين له، في أم الشبكات، ويأتي به في سياق يوههم القارئ كأنه يذم نفسه، وهو يمدح نفسه، (وهذه حيلة يفعلها الأطفال).

لم يفعل ذلك، بل غضب ممن كان يرفعه فوق قدره، غضب ممن كان يفضلته على أبي بكر وعمر، وقال: من فعل ذلك سأجلده حد المفترى، وغضب ممن ألهوه وعاقبهم أشد العقوبة، وحين قال الناس إن الرسول خصه بشيء، رفض هذه المقولة وأنكرها علنا، وقال: لم يخصنا رسول الله بشيء، إلى غير ذلك مما لم يسكت عنه، ولم يُعَدْ نشره في مثل هذا السياق، راكبا الموجة، ليخبرنا أن ثمة من يقول عنه إنه كريسيان اليمن.

وحين تقول إنه يستوي عندك من يقول لك (دجال أو نبي)، هل أنت صادق فعلا في هذه؟ ألا تبادر إلى حذف من يكشف دجلتك، وحظه من صفحتك؟! ألم تتهم من انتقذك أنهم أغبياء حمقى جهلة؟ ألم تتهمني بالكهنوت وفقر الخيال لمجرد أني كشفت دجلتك؟! ألم تعد صفحتك مصنع إنتاج لسب وشتم والسخرية ممن ينتقدونك؟! وهذا عدا عما لا تنشره في صفحتك.

ثم ألا يحظى من يطريك بتبريكاتك وصكوك رضوانك؟ ألم تكن بحاجة لأن تتحلى بالصدق قليلا، أمام متابعيك، وهم يعرفونك جيدا؟!!

هل بقي شيء تريد قوله يا دكتور مروان؟
الدكتور مروان: (عندما يقول الحمادي عن نفسه إنه باب مدينة العلم، عند ذلك سيقال له هذا هراء).

جيد إذن يا دكتور، إذن لم يقل الحمادي عن نفسه إنه مدينة العلم، ولكن هل أنت متأكد من ذلك؟ ربما كتب في ورقة أنه مدينة العلم، وخبأها في مكتبه، ولم يطلع عليها أحد سوى شخص أخبرنا بها! ربما قال ذلك لأحد المقربين إليه، كيف تكون واثقا من أن الحمادي لم يقل ذلك عن نفسه؟

لكن الذين هاجموه حولوا ما قيل عنه، وجعلوه من أقواله، وربما لفقوا أدلة تتهمة بذلك، وربما قرأوا في الواتساب إنه قال عن نفسه إنه مدينة العلم، ولم يهتموا بالتحقق من ذلك.

لكن يبدو أن منطق مروان اتزن.

هذا أمر جيد إذن، فمروان ربما يقول عن علي بن أبي طالب: لو قال عن نفسه تلك المبالغات السمجة فسنقول له: هذا هراء!

وهذا يؤكد لنا أن الدكتور مروان في طريقه لأن يعتذر مرة أخرى عما كتبه عن علي من روايات باطلة وأكاذيب وأوهام، ولم يتحقق منها، بل كان يأخذها من عرض الطريق، أينما وجدها، وكيفما وجدها، واضح أنه سيقدم اعتذاره على أنه كتب التاريخ اتباعا للهوى، ولم يتحقق من صحة الروايات، ويتقصد ما فعله، كما انتقد هؤلاء الذين طعنوا في شخصية الحمادي لأمر لم يقلها!

ولكن لحظة يا دكتور مروان!

بالرغم من أنك أثبت صحة ما قاله عنك شخص غير اعتيادي، من أبرز محرري الصحيفة، وأثبت علمك بذلك، فإنك في الوقت نفسه بينت أنك غير مسؤول عما يكتب عنك.

بهذا المنطق المتزن، بالتأكيد ستعيد قراءة الأخبار والروايات، حتى لو ثبتت صحة الروايات التي تمدح عليا، وحتى لو علم بذلك، ولم يرد عليها، ففي الأخير هو غير مسؤول عما قاله الناس عنه.

الحمد لله، نحن سنكون مطمئنين لما سيكتبه الدكتور مروان.

أخيرا، يختم الدكتور مروان هجومه على منتقدي الحمادي بقوله: (ما أراه وأشاهده أن الرجل يتعرض لحملة تنمر رخيصة، وأن سببها الرئيسي تميزه لا العكس).

صحيح، يتعرض لحملة تنمر "رخيصة"، بسبب تميزه لا العكس.

لا داعي يا دكتور مروان أن تصف حملة تنمر ك علي بن أبي طالب وأولاده أنها (رخيصة)، يكفي أن تصحح أسلوبك دون أن تصف نفسك بالتفاهة والرخص.

ولكن لماذا هذه الحملة الرخيصة؟

يقول: (بسبب تميزه).

إذن حملتك الرخيصة على علي بسبب تميزه لا العكس؟

لماذا كنت تحمل هذه الكراهية ضد المتميزين؟ هل تريد أن تكون أنت الرجل الأوحاد الأكثر تميزا بين البشر؟! ومن ثم تسعى لتحطيم من يتميز سواك!

لقد أخبرتنا سر تنمر ك الرخيص ضد علي، لقد كشفت عما بداخلك طوال الفترة الماضية، وأنت تبحث عن المتميزين في التاريخ الإسلامي لتحطيمهم، وإظهار التاريخ الإسلامي بشخصيات هزيلة ضعيفة غير متميزة.

أعتقد أن هذا بحاجة إلى علاج لمن يتنمر على الناس بسبب تميزهم.
وهذا يكشف لنا سر هجومك على شخصية علي نفسها، وليس على أفعاله،
ومحاولتك نفي تميزه في الشجاعة والفروسية، ونفي تميزه في الكفاءة والإدارة،
ونفي تميزه في العلم.

لقد كنت تحفر بتنمرك الرخيص في جوانب التميز لعلي، فتهدمها
وتحطمها.

لا بأس إذن، طالما أنك صرت متزنا، يكفينا هذا، ويكفينا أنك فضحت
المتنمرين على الشخصية الاستثنائية بأن هدفهم في الحقيقة تحطيم تميز
الشخصية.

أردت أن أختتم المنشور، لكن عيني وقعت على تعليق للدكتور مروان يرد
على شخص يقول إن الدكتور الحمادي ليست له آراء تجاه ما يحدث في اليمن،
وأنه سوبرمان لا يراه اليمنيون.

فكتب الدكتور مروان معلقا: (بروفيسور في ألمانيا هو أهم من سوبرمان،
واحترارك له، أو تجاهلك، لن يغير في حقيقة أنه شخصية حقيقية واستثنائية).

يا سلام، منطق متزن يا دكتور.

إذن سيقول لنا مروان معتذرا: (احتراري لشخصية علي، لن يغير في حقيقة
أنه شخصية حقيقية واستثنائية).

لا بأس يا دكتور، اليوم نطمئن أن لديك منطقا متزنا، سيفتح عينيك
المعصوبة، وقلبك المغلق، وعقلك المحشور، نطمئن لذلك.

ولكنك تمدح البروفيسور الحمادي أنه (شخصية استثنائية)، إذن لا بأس أن نقول عن المتميزين إنهم شخصيات استثنائية، ونطريهم، فهذا شيء طبيعي أن المشايخين يفعلون ذلك، ولا عيب في ذلك، ومن حق محبيهم أن يقولوا ذلك عنهم.

بناء على تأكيد مروان، يقول لنا: أطين أجنحة الذباب يضير؟ فالذين يحتقرون الشخصيات المتميزة الاستثنائية لا يغيرون في حقيقة الأمر شيئاً، إنما كلامهم طنين وفرقعات، ويعكس أمراضهم النفسية (يتنمرون على الشخصيات بسبب تميزهم).



الملحق ٣:

المنهج الحجاجي لابن تيمية
في منهاج السنة



حجاج ابن تيمية في منهاج السنة النبوية [١]

يحتج الخطاب الحدائي في تاريخ الصحابة بابن تيمية في كتابه "منهاج السنة النبوية"، معتقدين أنهم يستفيدون منه في انتقاص علي ونفي كل فضيلة عنه.

هذه المقالات تهدف إلى تجلية موقف ابن تيمية وطبيعة حججه، في منهاج السنة، دون أن يعني أنني موافق أو مخالف له، ليس الهدف الدفاع عنه أو الرد عليه، لكن من المهم أن يدرك القارئ منهجه الحجاجي؛ حتى يقيم موقفه تقييماً صحيحاً.

من المهم أن يفهم القارئ، لماذا ضعف ابن تيمية أو قوى بعض الأحاديث في هذا الكتاب، مخالفاً كتبه الأخرى، ومن المهم أن يفهم لماذا احتد في نقاشه أحياناً إلى درجة مبالغ فيها؛ مما أوقعه في التجاوزات، وقد تتبعها العلماء وبيينوا ذلك.

ومن ثم، بالرغم من تجاوزات ابن تيمية، فلا حجة لمن يريد أن يستخدمه لإلصاق السوء بعلي، فلا بد من الفصل بين الموقفين بوضوح.

هذه المقالات تثلّم سيف الحدائين في محاولتهم ركوب ظهر ابن تيمية، واتخاذ حجة وسلاحاً يشهرونه في وجوه الناس، وهم أكثر الناس كراهية لابن تيمية وانتقاصاً منه.

المقالات تبين كيف أن ابن تيمية ليس من السهل استخدامه في اتجاه ما، ولذلك في كتابه منهاج السنة يمكن الاستشهاد به على القول وخلافه، وهذا يجعل من العسير عليهم أخذه بدون جراح!

[١]

١ / (علي ليس أشجع الناس)، ٢ / (علي ليس شجاعا).

ما الفرق بين العبارتين؟

العبرة الأولى تنفي الأفضلية ولكنها لا تنفي صفة الشجاعة، فيصح أن تقول: (علي ليس أشجع الناس، ولكنه شجاع).

أما العبارة الثانية فتنفي الصفة، ولذلك يصح المجيء بضدها، فتقول: (علي ليس شجاعا، بل جبان).

فإذا قال لك صديقك: (رونالدو أفضل مهاجم في العالم)، فقلت له: (رونالدو ليس أفضل مهاجم، بل بيليه)، فأنت لا تنفي أن "رونالدو" مهاجم ممتاز، ولكنك تنفي أن يكون أفضل من "بيليه".

هذا باختصار موقف ابن تيمية في منهاج السنة من علي تجاه أبي بكر وعمر.

[٢]

ثمة مسلمان لدى ابن تيمية، ينطلق منهما في موقفه تجاه علي، ويؤدي عدم فهمهما إلى خلل في فهم ابن تيمية.

المسلمة الأولى،

أنه لا أحد من الصحابة أفضل من أبي بكر ثم عمر، فهما أولاً وثانياً [بل أبو بكر أفضل من عمر]، لذلك فهو ينفي الأفضلية - لا الصفة - عن علي، ويثبتها لأبي بكر وعمر، مثلاً:

- (أما زهد علي عليه السلام في المال فلا ريب فيه، لكن الشأن أنه كان أزهد من أبي بكر وعمر، وليس فيما ذكره ما يدل على ذلك)^(١)، فهو يصرح: لا ريب في زهد علي، ولكن الخلاف مع الرافضي في دعواه أنه أزهد من أبي بكر وعمر، وفي آخر النقاش، يقول: (تبين له من وجوه كثيرة أن عمر كان أزهد من علي، ولا ريب أن أبا بكر أزهد من عمر)^(٢).

- لا ريب أن عليا كان من أخطب الصحابة، وكان أبو بكر خطيبا، وعمر خطيبا، [٥١ / ٨]

- لا ريب أن عليا عليه السلام كان من شجعان الصحابة، وممن نصر الله الإسلام بجهاده، ومن كبار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، وممن قتل بسيفه عددا من الكفار، لكن لم يكن هذا من خصائصه... إلخ^(٣).

المسلمة الثانية:

أن عليا أفضل من عامة الصحابة، سوى الثلاثة السابقين، فيحتل أحيانا المرتبة الثالثة، وأحيانا الرابعة، مثلا:

- (وجماهير أهل السنة متفقون على أن عليا أفضل من طلحة والزبير، فضلا عن معاوية وغيره)^(٤).

(١) منهاج السنة النبوية، ٤٨٩ / ٧.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٤٨٩ / ٧.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٧٦ / ٨.

(٤) منهاج السنة النبوية، ٣٥٨ / ٤.

- (فليس في أهل السنة من يقدم عليه أحدا غير الثلاثة، بل يفضلونه على جمهور أهل بدر وأهل بيعة الرضوان، وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار)^(١).

- (وعلى أن عليا أفضل من جماهير هؤلاء - لم يقدم عليه أحد غير الثلاثة، فكيف ينسب إلى أهل السنة تسويته بمعاوية، أو تقديم معاوية عليه؟)^(٢).

- (ولهذا يروى لابن عمر وابن عباس، وعائشة وأنس، وجابر وأبي سعيد، ونحوهم من الصحابة، من الحديث ما لا يروى لعلي ولا لعمر، وعمر وعلي أعلم من هؤلاء كلهم)^(٣).

- (ومن قال: إن عليا لم يكن سيفاً من سيوف الله؟ وقول النبي ﷺ الذي ثبت في الصحيح يدل على أن الله سيوفاً متعددة، ولا ريب أن علياً من أعظمها، وما في المسلمين من يُفضل خالداً على علي، ثم يقال: ثانيًا: علي أجمل قدراً من خالد، وأجل من أن تجعل فضيلته أنه سيف من سيوف الله؛ فإن علياً له من العلم والبيان والدين والإيمان والسابقة ما هو به أعظم من أن تجعل فضيلته أنه سيف من سيوف الله؛ فإن السيف خاصته القتال، وعلي كان القتال أحد فضائله؛ بخلاف خالد فإنه كان هو فضيلته التي تميز بها عن غيره، لم يتقدم بسابقة ولا كثرة علم ولا عظيم زهد)^(٤).

(١) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٣٩٦.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٣٩٩.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٨/ ٥٧.

(٤) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤٨٠.

ومن ثم فمن اعتقد أن ابن تيمية ينتقص من مكانة علي، فهذا يقتضي أن ابن تيمية ينتقص من الصحابة كلهم؛ إذ فضل عليا عليهم سوى الثلاثة.

[٣]

ابن تيمية ألف كتابه للرد على كتاب ابن المطهر الرافضي "منهاج الكرامة في معرفة الإمامة".

ابن المطهر (٦٤٨ هـ - ٧٢٦ هـ)، من فقهاء الاثني عشرية، ألف كتابه لحشد الأدلة العقلية والنقلية على استحقاق علي للإمامة بعد رسول الله ﷺ، مبتدئا كتابه ببيان أن (الإمامة أهم مطالب الدين)، وأن (مذهب الإمامية واجب الاتباع)، وذهب إلى أن (أهل السنة ذهبوا إلى التعصب في غير الحق، وابتدعوا بدعا منكرا، وطعن في أبي بكر وعمر وعائشة وخالد ومعاوية وغيرهم)، ثم ساق ابن المطهر الأدلة العقلية والنقلية في فضائل علي، محتجا بها على (استحقاقه للإمامة بعد رسول الله)، ثم طعن في إمامة الخلفاء الثلاثة، وحشد أدلته على الانتقاص منهم، وأخيرا حشد أدلته على (إمامة باقي الأئمة الاثني عشرية).

وقد اتخذ ابن المطهر الرافضي أربعة طرق لحججه:

- ١- الغلو في علي، من خلال نتائج خاطئة، مبنية على أدلة خاطئة.
- ٢- الغلو في علي، من خلال القفز إلى نتائج خاطئة، مبنية على أدلة صحيحة.
- ٣- الانتقاص من الصحابة، من خلال نتائج خاطئة، مبنية على أدلة خاطئة.
- ٤- الانتقاص من الصحابة، من خلال نتائج خاطئة، مبنية على أدلة صحيحة.

فكان يقول مثلاً: علي يستحق الإمامة؛ لأنه أعلم الناس بعد الرسول، وأشجع الناس، وأزهد الناس... إلخ.

ابن تيمية يرد على الرافضي، قائلاً: علي شجاع، ولكنه ليس أشجع الناس، بل أبو بكر وعمر أشجع منه، فهما أولى منه بالإمامة بناء على هذا المنطق.

فإذا اعتقد أحد أن ابن تيمية ينفي عن علي صفة الشجاعة أو العلم... إلخ، فهو إما لم يفهم ابن تيمية، وإما يزور عليه.

[٤]

ولفهم الكتاب حق فهمه، فلا بد من قراءته في سياقه الذي نشأ فيه.

ولأن الكتاب مسوق للرد على دعاوى الإمامة التي يثبتها ابن المطهر لعلي، ومن أجل إثباتها طعن في أبي بكر وعمر، وغالى في علي عليه السلام.

فلأن ابن تيمية مضطر لنصر أبي بكر وعمر بالدرجة الأولى، مقابل نفي الغلو في علي، فإنه من الطبيعي أن لا يحشد فضائل علي، ولا يتحدث عنها؛ بل يوهن ما استطاع منها [حتى ولو كان فيها خلاف]، ويسعى لحشد فضائل أبي بكر وعمر، ويعتد بما استطاع منها [حتى ولو كان فيها خلاف]، وذلك ليحدث توازناً، ويرد على الرافضي في طعنه وانتقاصه من الشيخين، فكتب الجدل مبنية على المشاحة.

ومن يغفل هذا السياق فسيعتقد أن ابن تيمية ينتقص من علي ويقدم أبا بكر وعمر.

بالرغم من أن القول: (فلان أفضل الناس، أو أشجع الناس) لا يسمى تقديساً، والقول: (فلان أفضل من فلان) لا يسمى انتقاصاً.

ولذلك من رأى في كتاب ابن تيمية انتقاصا من علي مثله مثل من يرى فيه
تقدिसا لأبي بكر وعمر.

ابن تيمية في منهاج السنة لا يمكن أن يكون دليلا لمن يريد نفي كل فضيلة
عن علي، وإثبات كل رذيلة له، أما من يريد الاجتزاء منه، فسيجد فيه دليلا على ما
يشاء، يجد فيه "فويل للمصلين"، ويجاد فيه "لا إله".

من أراد قراءة ابن تيمية بإنصاف، لا ينبغي له أن يتجاوز السياق الذي كتب
فيه كتابه.

حجاج ابن تيمية في منهاج السنة النبوية [٢]

[١]

ذكرنا أن ابن المطهر اتخذ أربعة طرق لحججه:

فهو إما يستخدم دليلا خاطئا ويقيم عليه نتيجة خاطئة، وإما يستخدم دليلا صحيحا ويقيم عليه نتيجة خاطئة، ويتوصل من وراء ذلك إلى الغلو في علي، أو الانتقاص من الصحابة، رضوان الله عليهم جميعا.

١- الغلو في علي، من خلال نتائج خاطئة، مبنية على أدلة خاطئة.

٢- الغلو في علي، من خلال القفز إلى نتائج خاطئة، مبنية على أدلة صحيحة.

٣- الانتقاص من الصحابة، من خلال نتائج خاطئة، مبنية على أدلة خاطئة.

٤- الانتقاص من الصحابة، من خلال نتائج خاطئة، مبنية على أدلة صحيحة.

وحين أقول: "الغلو في علي"؛ لأن ابن المطهر يقول إن عليا هو الإمام المعصوم، وأنه يعلم الغيب، وذكر من كراماته أموراً منكراً، وغالى في تفضيله المطلق على كل الصحابة مقابل طعنه وانتقاصه من أبي بكر وعمر وغيرهم.

[٢]

فكيف واجه ابن تيمية حجاج ابن المطهر الرافضي؟ سأذكر ستة طرق حجاجية استخدمها ابن تيمية في مواجهة حجج خصمه.

(١) الطريقة الأولى: بيان ضعف الدليل

أول الطرق وأسرعها: هدم الدليل، فإذا كان الدليل ضعيفا أو باطلا أو منكرا، يهدمه، وبسقوط الأدلة تسقط النتائج المبنية عليه، دون الحاجة إلى مناقشة النتائج.

- مثال ذلك في "الغلو في علي": استدلال ابن المطهر بأحاديث وروايات باطلة وواهية في فضائل علي وعلمه؛ ليصل منها إلى أحقيته بالإمامة.
- ومثال ذلك في "الانتقاص من الصحابة": الطعن في أبي بكر بأنه لم ينفذ أمر الرسول بالخروج مع جيش أسامة، فرد ابن تيمية أن أبا بكر لم يكن في الجيش أصلا.

(٢) الطريقة الثانية: بيان الاختلاف في الدليل

فالرافضي حين يقول مثلاً: (اتفقوا في نزول هذه الآية على كذا)، يرد ابن تيمية بمنع دعوى الاتفاق، مبينا أن هنالك اختلافاً.

وسأضرب مثلاً بحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه)، قد يتفاجأ كثير، اعتقاداً منهم أن ابن تيمية ضعفه [ومنهم الألباني، وكنت من قبل ذكرت استغرابه تضعيف ابن تيمية له]، وهو حديث تكلم ابن تيمية عنه^(١).

وحتى نفهم موقف ابن تيمية بشكل صحيح، فإنه يرد على الرافضي في دعواه (أن الخبر متواتر، ويبنى عليه تقرير الولاية).

(١) منهاج السنة النبوية، ٧/ ٣١٩ - ٣٢٥.

ابن تيمية، في جداله يبين أن الحديث ليس متواترا، وأنه غير مجمع على صحته، قائلا: (وتنازع الناس في صحته)، فذكر بعض من حسنوه، وبعض من طعنوا فيه، ونقل قول ابن حزم في تضعيف الحديث، دون أن يذكر ابن تيمية رأيه؛ فهو يريد بيان أن الحديث مختلف في صحته، وليس كما ادعى الرافضي متواتر صحيح.

ثم انتقل ابن تيمية إلى مناقشة دلالة الحديث، ومنع دعوى ابن المطهر في استدلاله به على الخلافة.

ثم ختم نقاشه بقوله: (وأما كون علي، وغيره مولى كل مؤمن فهو وصف ثابت لعلي في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، وبعد ممات علي، فعلي اليوم مولى كل مؤمن، وليس اليوم متوليا على الناس).

والعبارة الأخيرة تفيد أن ابن تيمية لم يضعف الحديث، ولكنه يمنع دلالة علي الدعوى.

إذا فهمنا هذه المنهجية لدى ابن تيمية، فسنعيد قراءة كلامه كما يريد هو، لا كما نريد نحن.

حين يدعي الرافضي الإجماع، أو الاتفاق، فابن تيمية يرد بمنع الاتفاق، مبينا الاختلاف، وفي المقال القادم عند حديثي عن "خلافة علي في منهاج السنة" سنأتي بدليل آخر على هذه المنهجية، في مناقشته لبيعة علي.

(٣) الطريقة الثالثة: منع قيام النتيجة على الدليل.

فيسلم ابن تيمية بصحة ما يستدل به خصمه، ولكنه يمنع ترتب النتيجة على

ذلك، كاستدلاله مثلاً بزهد علي على أحقيته بالإمامة، فمع التسليم بزهد علي؛ فإنه لا يترتب عليه الدعوى، وهذا أمثله كثيرة في الكتاب.

(٤) الطريقة الرابعة: إلزام ابن المطهر بالاطراد في تعامله مع النصوص.

فحين كان ابن المطهر يستدل بأحاديث في الصحاح، يرد عليه ابن تيمية بأنه: لا معنى لهذا الاستدلال، فلماذا يأخذ بأحاديث ويترك أخرى، وكلها صحيحة؟

يقول^(١):

(فإذا كان المخالف يقبل كل ما رواه هؤلاء وأمثالهم في كتبهم، فقد روى أشياء كثيرة تناقض مذهبهم، وإن كان يرد الجميع، بطل احتجاجه بمجرد عزوه الحديث بدون المذهب إليهم، وإن قال: أقبل ما يوافق مذهبي وأرد ما يخالفه، أمكن منازعه أن يقول له مثل هذا، [وكلاهما] باطل).

(٥) الطريقة الخامسة: إلزام ابن المطهر في علي، بمثل دعواه في غيره.

- مثلاً: حين يستدل بشجاعة علي على أحقيته بالإمامة، فابن تيمية يقول له: أبو بكر وعمر أشجع، فهما أولى بالإمامة إذن، وأيضاً من شجعان الصحابة: خالد، والبراء بن مالك، وغيرهم، فلو كانت الشجاعة مستوجبة للإمامة، لنالها هؤلاء.

- استدل ابن المطهر على جهل أبي بكر وعمر بأنهم قد خفيت عليهم مسائل فقهية، فابن تيمية يرد بأن علياً أيضاً خفيت عليه مسائل، فيلزمه القول بجهل علي، بناء على منطقته.

(١) منهاج السنة النبوية، ٧/ ٤٠

- طعنه على عثمان أنه ولي أقاربه، فرد ابن تيمية بأن عليا ولي أيضا، فلو كانت طعنا في عثمان فإنها ستكون طعنا في علي أيضا.

- الطعن في أبي بكر بأنه حرق، فرد عليه ابن تيمية بأن عليا قد حرق، فلو كانت طعنا في أبي بكر فستكون طعنا في علي.

وهذه الطريقة الحجاجية تعد الأكثر حساسية؛ لأن بعضهم يفهم أن ابن تيمية ينتقص عليا، في حين أنه يستخدم منطق: لو كانت طعنا في الثلاثة فمن باب أولى تكون طعنا في علي.

(٦) الطريقة السادسة: نقض أدلة الخصم بإلزامه بأدلة أشنع من أدلته.

وهذا الباب يخطئ فيه كثير؛ فيعتقدون أن ابن تيمية يحتج بهذه الشناعات، في حين أنه يلزم بها خصمه، ولا يسلم بها.

فابن تيمية في مناقشته لابن المطهر كان يلزمه بحجج الخوارج والنواصب؛ مع إعلان ابن تيمية البراءة من هذه الحجج، ومنطق ابن تيمية أنه يظهر جهل الرافضي حين يجادله ناصبي، فيقابل غلو أولئك بغلو هؤلاء.

وهذا المنطق الجدلي يكثر استخدامه بين المتناظرين، من باب إلزام الخصم على أصوله ومذهبه، دون أن يعني التزامه بذلك، وهذا ما صرح به ابن تيمية فقال^(١):

(ومن الطرق الحسنة في مناظرة هذا أن يورد عليه من جنس ما يورده على أهل الحق وما هو أغلظ منه؛ فإن المعارضة نافعة، وحينئذ فإن فهم الجواب

(١) منهاج السنة النبوية، ٨/ ٢٨٣.

الصحيح علم الجواب عما يورد على الحق، وإن وقع في الحيرة والعجز عن الجواب اندفع شره بذلك، وقيل له: جوابك عن هذا هو جوابنا عن هذا).

يقول ابن تيمية في مقدمته لاستخدام هذا الوجه الحجاجي^(١):

(الوجه الرابع أن يقال: أهل السنة مع الرفضة كالمسلمين مع النصارى؛ فإن المسلمين يؤمنون بأن المسيح عبد الله ورسوله، ولا يغفلون فيه غلو النصارى، ولا يجفون جفاء اليهود، والنصارى تدعي فيه الإلهية، فالمسلم إذا ناظر النصراني لا يمكنه أن يقول في عيسى إلا الحق، لكن إذا أردت أن تعرف جهل النصراني وأنه لا حجة له، فقدر المناظرة بينه وبين اليهودي؛ فإن النصراني لا يمكنه أن يجيب عن شبهة اليهودي إلا بما يجيب به المسلم).

ثم قال: (ولهذا كان مناظرة كثيرة من المسلمين للنصارى من هذا الباب، كالحكاية المعروفة عن القاضي أبي بكر بن الطيب)، (فقال له: ما قيل في عائشة امرأة نبيكم؟ يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله [من يقوله من] الرفضة أيضا، فقال القاضي: ثنتان قدح فيهما ورميتا بالزنا إفكا وكذبا: مريم وعائشة، فأما مريم فجاءت بالولد تحمله من غير زوج، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج، فأبته النصارى).

فهو بهذا المثل ينفي أن يكون هذا المنطق تهمة وقدحا في المسيح، ولكنه إلزام للنصارى بمثل منطقهم.

ثم ينتقل من ذلك إلى بيان أن الروافض لا يستطيعون رد حجج الخوارج أو النواصب في علي، فيقول:

(١) منهاج السنة النبوية، ٢/ ٥٥ - وما بعدها.

(فإذا قالت له الخوارج الذين يكفرون علياً أو النواصب الذين يفسقونه: إنه كان ظالماً طالباً للدنيا، وإنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف، وقتل على ذلك ألوفاً من المسلمين حتى عجز عن انفراده بالأمر، وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه، فهذا الكلام إن كان فاسداً ففساد كلام الرافضي في أبي بكر وعمر أعظم، وإن كان ما قاله في أبي بكر وعمر متوجهاً مقبولاً فهذا أولى بالتوجه والقبول).

(فإن جاز للرافضي أن يقول: إن هذا كان طالباً للمال والرياسة، أمكن الناصبي أن يقول: كان علي ظالماً طالباً للمال والرياسة).

ثم يقال لهؤلاء الرافضة: لو قالت لكم النواصب: علي قد استحل دماء المسلمين، لم تكن حجبتكم أقوى من حجبتهم).

وهكذا يستمر في مواجهة حجج الرافضي بحجج النواصب في أغلب ردوده في الكتاب؛ لأنه يرى، كما نقلنا عنه، أن الشبهات يلجم بعضها بعضاً، والطريقة في إسكات الخصم، هو قلب الحجة عليه، أو الرد عليه بمن يشنع عليه، فطريقة الخصم في الدفاع، يلزمه القول بمثلها حال الهجوم.

[٣]

تبرؤ ابن تيمية من حجج الخوارج والنواصب:

بالرغم من إيراد ابن تيمية لحجج النواصب والمشنعين؛ فإنه يتبرأ بوضوح من النواصب وحججهم، يقول^(١): (وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين،

(١) منهاج السنة النبوية، ٢/ ٧١.

ويتكلمون بعلم وعدل، ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء، ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً).

ولذلك يرى ابن تيمية أن أهل السنة هم الذين يدافعون عن علي كما يدافعون على غيره، فيقول^(١): (وإذا كنا ندفع من يقده في علي من الخوارج، مع ظهور هذه الشبهة، فلأن ندفع من يقده في أبي بكر وعمر بطريق الأولى والأحرى).

ويقول^(٢): (فإذا كنا نظن بعلي أنه كان قاصدا للحق والدين، وغير مرید علوا في الأرض ولا فسادا، فظن ذلك بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أولى وأحرى). وهذا مثال تطبيقي لذلك^(٣):

(ولو قدح رجل في علي بن أبي طالب بأنه قاتل معاوية وأصحابه، وقاتل طلحة والزبير، لقليل له: علي بن أبي طالب أفضل وأولى بالعلم والعدل من الذين قاتلوه، فلا يجوز أن يجعل الذين قاتلوه هم العادلين وهو ظالم لهم، كذلك عثمان فيمن أقام عليه حدا أو تعزيرا هو أولى بالعلم والعدل منهم، وإذا وجب الذب عن علي لمن يريد أن يتكلم فيه بمثل ذلك، فالذب عن عثمان لمن يريد أن يتكلم فيه بمثل ذلك أولى).

وهذا مثال آخر، يرد فيه على انتقاص ابن المطهر من عثمان^(٤):

(١) منهاج السنة النبوية، ٧/ ٤٥٤.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٧/ ٤٥٤.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٦/ ٢٦٤.

(٤) منهاج السنة النبوية، ٨/ ٣١٣.

(الثاني: أن يقال: الذين أنكروا على علي وقاتلوه أكثر بكثير من الذين أنكروا على عثمان وقتلوه، فإن عليا قاتله بقدر الذين قتلوا عثمان أضعافاً مضاعفة وقطعه كثير من عسكره: خرجوا عليه وكفروه، وقالوا: أنت ارتددت عن الإسلام، لا نرجع إلى طاعتك حتى تعود إلى الإسلام.

ثم إن واحداً من هؤلاء قتله قتل مستحل لقتله متقرب إلى الله بقتله معتقداً فيه أقبح مما اعتقده قتلة عثمان فيه؛ فإن الذين خرجوا على عثمان لم يكونوا مظهرين لكفره، وإنما كانوا يدعون الظلم وأما الخوارج فكانوا يجهرون بكفر علي، وهم أكثر من السرية التي قدمت المدينة لحصار عثمان حتى قتل.

فإن كان هذا حجة في القدح في عثمان كان ذلك حجة في القدح في علي بطريق الأولى، والتحقيق أن كليهما حجة باطلة)، [ثم يبين لماذا كانت حجة باطلة].

اقرأ الفقرة الأخيرة بوضوح؛ لذلك حين يأتي أحدهم ويأخذ الفقرتين الأوليين، ويقول: هذا رأي ابن تيمية، فإنه يزور عليه، فابن تيمية يورد الحجج على سبيل المعارضة، وها هو يقول: (كلاهما حجة باطلة).

[٤]

إذن... فهل يصح عقلاً أن ننسب هذه الحجج وتلك الأحكام إلى ابن تيمية؟! فمن ينسبها إليه يكون قد تجاوز سياق الكتاب أولاً، ثم تجاوز المنهج الحجاجي لابن تيمية ثانياً، ثم تجاوز السياق النصي ثالثاً.

ببساطة، من يفعل ذلك، إنما يغتال نفسه علمياً بقلمه، مطبقاً قول الزباء: (بيدي لا بيد عمرو).

وكما ذكرت من قبل، أن ابن تيمية في محاولته تفنيد حجج خصمه، كان يقع في مأخذ وأخطاء، وأحيانا تجاوز في طريقة الرد نفسها (حين يقابل كلام خصمه بمثله من كلام النواصب)، فبعض الردود تؤدي به إلى الغلو في الإثبات أو النفي، حتى عاب عليه ذلك بعض العلماء، كابن حجر^(١).

ولكن كما قال الحسن بن إسحاق (ت ١١٦٠هـ)، في رسالته التي ناقش فيها ابن تيمية في منهاجه، وتتبعه في مواطن كثيرة، يقول^(٢): (ومع هذا فإننا لا ننكر أنه بتصديه للرد على الرافضي مصيب مأجور، وأن سعيه في ذلك سعي مشكور؛ إذ تكفير آحاد المسلمين من أعظم الضلالة وأقبح الجهالة، فكيف سادات المؤمنين الذين قام بهم الدين، وأثنى عليهم رب العالمين).

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ١/ ١٨١.

(٢) رسالة تشتمل على ما ذكره ابن تيمية في منهاجه فيما يتعلق بالإمامة والتفضيل، ص ٢٠٩.

"خلافة علي في منهاج السنة" [٣]

نهدف في هذا المقال إلى إبراز رأي ابن تيمية (في كتابه منهاج السنة) بشأن خلافة علي عليه السلام، وليس من أهدافنا تتبع كل ما قاله ابن تيمية عن بيعة علي، وما حدث فيها، ولكننا نكتفي بالحديث عن أهم ثلاث مسائل، وهي: بيعة علي، وحروب علي، والقصاص من قتلة عثمان.

[١] رأي ابن تيمية في منهاج السنة في بيعة علي:

أولاً: قرر ابن تيمية صحة خلافة علي، وأنه من الراشدين المهيدين، يقول^(١): (وعلي آخر الخلفاء الراشدين الذين هم ولايتهم خلافة نبوة ورحمة، وكل من الخلفاء الأربعة عليه السلام يشهد له بأنه من أفضل أولياء الله المتقين، بل هؤلاء الأربعة أفضل خلق الله بعد النبيين).

ثم إن ابن تيمية في "منهاج السنة" يصرح في رده على الرافضي أن عليا بايعه أكثر الناس، فقال^(٢): (قولك: "إنه طلب الأمر لنفسه بحق له، وبايعه الأقلون"، كذب على علي عليه السلام، فإنه لم يطلب الأمر لنفسه في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وإنما طلبه لما قتل عثمان وبويع، وحينئذ فأكثر الناس كانوا معه، لم يكن معه الأقلون).

ثم يقول أيضاً، مهونا من شأن القلة التي لا تبائع عادة^(٣): (ونحن نعلم أن

(١) منهاج السنة النبوية، ٤٥٣/٧.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٨٨/٢.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٨٩/٢.

عليما لما تولى، كان كثير من الناس يختار ولاية معاوية وولاية غيرهما، ولما بويع عثمان كان في نفوس بعض الناس ميل إلى غيره، فمثل هذا لا يخلو من الوجود، وقد كان رسول الله ﷺ بالمدينة وبها وما حولها منافقون).

ويقول مبينا أن أكابر الصحابة كانوا يرون أنه أحق بالإمامة، وإنما لم يوافقوه في قتاله^(١): (بل أكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا: لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وأمثالهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، مع أنهم معظمون لعلي، يحبونه ويوالونه ويقدمونه على من سواه، ولا يرون أن أحدا أحق بالإمامة منه في زمنه لكن لم يوافقوه في رأيه في القتال)، فظاهر كلام ابن تيمية أن كونهم يرون أنه أحق بالإمامة يدل على بيعتهم له، إنما لم يقاتلوا معه.

وابن تيمية يقرر أن "عليما" خليفة واجب الطاعة، وأن معاوية أخطأ بعدم بيعته، وأنه لا عذر له في عدم بيعته بحجة القصاص من قتلة عثمان^(٢).

هذه النصوص واضحة على أن ابن تيمية يقرر في منهاج السنة:

- صحة خلافة علي.
- وأنه من الخلفاء الراشدين.
- وأن خلافته رحمة.
- وأن الذين بايعوه أكثر الناس.

(١) منهاج السنة النبوية، ٦/ ٣٣٣.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤١٣.

- وأنه من الطبيعي وجود قلة تتخلف عن بيعته.

- وأن أكابر الصحابة كسعد وابن عمر وغيرهم من السابقين الأولين، بايعوا علياً.

- وأن معاوية أخطأ بعدم بيعه علي.

ثانياً: حين احتج ابن المطهر على إمامة علي أنها تمت (بمبايعة الخلق له)، وطعن في إمامة السابقين، رد عليه ابن تيمية بعدة أوجه^(١):

الوجه الأول يقول: (فتخصيصه علياً بمبايعة الخلق له، دون أبي بكر وعمر وعثمان، كلام ظاهر البطلان، وذلك أنه من المعلوم لكل من عرف سيرة القوم أن اتفاق الخلق ومبايعتهم لأبي بكر وعمر وعثمان، أعظم من اتفاقهم على بيعه علي رضي الله عنه... إلخ)، وذكر بيعه علي عقب مقتل عثمان، والناس في فتنة، إلى أن يقول: (فكيف يجوز أن يقال في علي: بمبايعة الخلق له، ولا يقال مثل ذلك في مبايعة الثلاثة ولم يختلف عليهم أحد؟).

في هذا النص أراد ابن تيمية أن يوهن دعوى ابن المطهر الإجماع على خلافة علي، مقابل نفيها عن من سبقه، فذكر ابن تيمية أن علياً لم يبايعه كثير من الصحابة، وهذا ينقضه ابن تيمية نفسه، كما نقلنا عنه قبل قليل قوله (فأكثر الناس كانوا معه، لم يكن معه الأقلون).

وبغض النظر عن من لم يبايع، فإن الخلافة لا تكون بالإجماع، كما يقول ابن تيمية نفسه في منهاج السنة، وهو يناقش دعوى الرافضي في بيعه أبي بكر^(٢):

(١) منهاج السنة النبوية، ١/ ٥٣٤ - وما بعدها.

(٢) منهاج السنة النبوية، ١/ ٥٣٠.

(وإنما صار إماما بمبايعة جمهور الصحابة، الذين هم أهل القدرة والشوكة، ولهذا لم يضر تخلف سعد بن عباد).^(١)

وثمة خلط وقع عند بعضهم بين من تخلف عن بيعة علي، ومن لم يقاتل مع علي في حروبه، قال أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم^(٢): (قالت العثمانية: تخلف عنه من الصحابة جماعة، منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم، قلنا: أما بيعته فلم يتخلف عنها، وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكرتم، لأنها كانت مسألة اجتهادية، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره)، وقد نقلنا قول ابن تيمية قبل قليل الذي يبين أن أكابر الصحابة رأوه أحق بالإمامة، وإنما خالفوه في قتاله.

ومن المقرر أن معظم المسلمين بايعوا علياً عليه السلام، ولم يمتنع عن بيعته سوى أهل الشام، (راجع موضوع: شرعية الخلافة)^(٣)، وهم في ذلك مخطئون، كما نقلنا قبل قليل عن ابن تيمية.

الوجه الثاني: يذكر الخلاف في خلافة علي على أقوال، في حين أنه لا يوجد خلاف في الخلفاء الثلاثة.

ثم يقول:

(فإن قال [أي ابن المطهر]: أردت بقولي (أن أهل السنة يقولون: إن خلافته انعقدت بمبايعة الخلق له لا بالنص)، فلا ريب أن أهل السنة وإن كانوا يقولون: إن

(١) ص ١٤٧.

(٢) روي عن جرير أنه قال لمعاوية: (اجتمع لعلي في بيعته الحرّمان، والمصران، والحجازان، واليمن، والبحران، وعمان، واليمنية، ومصر، وفارس، والجبل، وخراسان، ولم يبق إلا الشام).

النص على أن عليا من الخلفاء الراشدين، لقوله: "«خلافة النبوة ثلاثون سنة»"، فهم يروون النصوص الكثيرة في صحة خلافة غيره [أي الخلفاء السابقين].

فابن تيمية يقول لابن المطهر: إذا كانت النصوص الصحيحة تدخل عليا في الخلفاء الراشدين، فمن باب أولى أنها تدخل الخلفاء السابقين من قبله.

ابن تيمية يواجه دعوى الإجماع التي يدعيها ابن المطهر لإمامة علي، ويوهن ذلك الإجماع بذكر الخلاف؛ حتى لو كان خلافا غير معتبر، من باب أن وجود رأي واحد مخالف ينقض الإجماع.

ثالثاً: وتعييننا على ابن تيمية أنه من أجل الاعتداد بالخلاف بشأن خلافة علي [لأجل إسكات خصمه] ذهب إلى ذكر أقوال غير أهل السنة، كالكرامية، والمعتزلة، وأقوال طوائف شاذة، معتدا بكل رأي منها كمذهب، وأيضا بالغ في التعظيم من شأن الخلاف في بيعة علي، وهو خلاف ما ذكره في منهاج السنة، وأوردته قبل قليل، من أن أكثر الناس بايعوه، ومن الطبيعي وجود من لم يبايع.

وكون هذه الأقوال التي ذكرها في منهاج السنة هي أقوال شاذة غير معتبرة، هو ما يقرره ابن تيمية نفسه.

ففي "قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله"، منشورة ضمن مجموع الفتاوى^(١)، يقول عن خلافة علي: "وهو متفق عليه بين الفقهاء، وعلماء السنة، وأهل المعرفة، والتصوف، وهو مذهب العامة، وإنما يخالفهم في ذلك بعض أهل الأهواء من أهل الكلام ونحوهم: كالرافضة الطاعنين في خلافة

(١) ١٩/٣٥.

الثلاثة، أو الخوارج الطاعنين في خلافة الصهرين المنافيين: عثمان وعلي، أو بعض الناصبة النافين لخلافة علي، أو بعض الجهال من المتسننة الواقفين في خلافته"، فالطاعن في شرعية خلافة علي - وفقاً لابن تيمية - إما خارجي، وإما ناصبي، وإما جاهل.

فابن تيمية هنا يهون من شأن المخالفين في خلافة علي، وهم الذين اعتد بخلافهم في "منهاج السنة"، من باب توهين دعوى الإجماع لابن المطهر، فذكر الأقوال الشاذة للعلماء، معتداً بها كمذاهب.

وعليه فإما يفهم من هذا التناقض، وإما يفهم منه أن ابن تيمية يورد أقوال النواصب ليقابل بها حجة الرافضي، كما ذكر ذلك في مواطن عديدة.

وعامة المسلمين لا يطعن أحد منهم في خلافة الأربعة، كما يقول ابن تيمية في كتابه (العقيدة الواسطية)^(١): "وذلك بأنهم يؤمنون: بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة؛ فهو أضل من حمار أهله".

ملحوظة: ثمة خطأ علمي لدى بعضهم، يعتقد أن (مجموع الفتاوى) لابن تيمية هو كتاب فتاوى، وهذا خطأ محض؛ فهذه الموسوعة تشتمل على رسائل وكتب مختلفة لابن تيمية، قام بجمعها في موسوعة واحدة ونشرها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وسماها "مجموع الفتاوى"، فهو يشتمل على كتب ورسائل مختلفة لابن تيمية، وليست فتاوى، كما يفهم من العنوان.

(١) ص ١١٨.

خلاصة النصوص السابقة أن:

- ابن تيمية ضعف دعوى الرافضي الإجماع بقوله (كثير من الصحابة لم يبايع)، وهو يخالف قول ابن تيمية نفسه (أكثر الناس كانوا معه، ولم يخالف سوى الأقلين)، ويخالف ما ذكره ابن تيمية عن بيعة كبار الصحابة، وإنما لم يوافقوه في حروبه، ويخالف ما ذكره ابن تيمية من تخطئة معاوية في عدم بيعته، ويخالف ما ذكره ابن تيمية من عدم الاعتداد ببيعة الناس جميعا.

- ابن تيمية قال أن الناس اختلفوا في خلافة علي على أقوال، وهو يخالف ما ذكره ابن تيمية أنه لا يعتد بهذا الخلاف؛ فهي أقوال النواصب والخوارج والجهلة، وما ذكره من أن عامة المسلمين لا يطعنون في خلافة أحد من الأربعة، ومن يطعن فيها فهو أضل من حمار أهله.

[٢] رأي ابن تيمية في منهاج السنة في حروب علي:

أولاً: بالنسبة إلى قتال الخوارج، فابن تيمية يرى الحق الكامل مع علي، يقول^(١): (فإن الخوارج أمر النبي ﷺ بقتالهم، واتفق على ذلك الصحابة).

وأما قتال الجمل وصفين، ففيه رأي عام وفيه رأي تفصيلي.

أما رأيه العام، فهو أنه^(٢) (قتال فتنة، وليس فيه أمر من الله ورسوله ولا إجماع من الصحابة)، وكان (الإمساك أولى).

وأما رأيه التفصيلي فإن عليا في صفين كان أولى بالحق، يقول^(٣):

(١) منهاج السنة النبوية، ٤ / ٥٠١.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٤ / ٥٠١.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٤ / ٣٥٨.

(وجماهير أهل السنة متفقون على أن علياً أفضل من طلحة والزبير، فضلاً عن معاوية وغيره، ويقولون: إن المسلمين لما افرقوا في خلافته فطائفة قاتلته وطائفة قاتلت معه، كان هو وأصحابه أولى الطائفتين بالحق، فعلم أنهم كانوا أولى بالحق من معاوية رضي الله عنه وأصحابه).

وأما في الجمل^(١)، فيرى أنهم أوشكوا على الصلح، ولكن (وقع الاقتال بغير اختيارهم).

بالرغم من أن ابن تيمية في جداله الحجاجي يثبت العذر لـعلي في قتاله الجمل وصفين، كحجة يرد بها على من اتهم عثمان بظلم عمار بن ياسر، فيقول^(٢):
(ولو قدح رجل في علي بن أبي طالب بأنه قاتل معاوية وأصحابه، وقاتل طلحة والزبير، ل قيل له: علي بن أبي طالب أفضل وأولى بالعلم والعدل من الذين قاتلوه، فلا يجوز أن يجعل الذين قاتلوه هم العادلين وهو ظالم لهم، كذلك عثمان فيمن أقام عليه حداً أو تعزيراً هو أولى بالعلم والعدل منهم، وإذا وجب الذب عن علي لمن يريد أن يتكلم فيه بمثل ذلك، فالذب عن عثمان لمن يريد أن يتكلم فيه بمثل ذلك أولى).

هذا المنطق لدى ابن تيمية يجعل القارئ حذراً في نسبة رأي ما إلى ابن تيمية، لمجرد أنه ذكره هنا أو هناك، وإلا فقد يصل القارئ إلى الاستدلال من كلام ابن تيمية على الحكم ونقيضه.

وفي هذا السياق، يقول ابن تيمية أيضاً في منهاج السنة، وهو يبرئ علياً من

(١) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٣١٦.

(٢) ٢٦٤/٦

مسؤولية القتال في صفين، ويحمل الطرف الآخر^(١):

"وأما قول القائل: (إن عليا بدأهم بالقتال)، قيل له: وهم أولا امتنعوا من طاعته ومبايعته، وجعلوه ظالما مشاركا في دم عثمان، وقبلوا عليه شهادة الزور، ونسبوه إلى ما هو بريء منه.

وإذا قيل: هذا وحده لم يبح له قتالهم.

قيل: ولا كان قتاله مباحا لكونه عاجزا عن قتل قتلة عثمان، بل لو كان قادرا على قتل قتلة عثمان وقدر أنه ترك هذا الواجب: إما متأولا وإما مذنبا، لم يكن ذلك موجبا لتفريق الجماعة، والامتناع عن مبايعته، ولمقاتلته، بل كانت مبايعته على كل حال أصح في الدين، وأنفع للمسلمين، وأطوع لله ولرسوله من ترك مبايعته".

ثم أورد مجموعة من الأحاديث التي توجب الطاعة، وتحرم التفرق وتحرم منازعة الأمر أهله، إلى أن يقول عن علي: (وهو خليفة راشد تجب طاعته)، ثم استدل بحديث عمار (تقتلك الفئة الباغية)، وأنكر تأويل من تأوله بأن عليا هو الذي أخرج عمارا، ووصفه بالتأويل الفاسد، وقال أن (الذين قتلوه هم الذين باشروا قتله)، مبينا أن البغي في قوله "الفئة الباغية"، بمعنى: الظلم.

ولا يستطيع القارئ أن يدرك هل ابن تيمية يخطئ عليا في قتاله أو لا، فهو يقول مثلا، ناقلًا وناصرًا هذا القول^(٢): (كان الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيرا للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكن علي كان أقرب إلى الحق

(١) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤١٠ - وما بعدها.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤٤٨.

من معاوية، والقتال قتال فتنة ليس بواجب ولا مستحب، وكان ترك القتال خيرا للطائفتين، مع أن عليا كان أولى بالحق).

هذه العبارة شديدة التناقض، فإذا كان الصواب عدم القتال، فالقتال خطأ، وطالما أن عليا أولى بالحق فما فعله صواب إذن، وطالما أن ترك القتال خير فالقتال خالف الأفضل ولكنه صواب، وطالما أن القتال ليس بواجب ولا مستحب فيكون جائزا [وربما يكون مكروها أو محظورا].

فابن تيمية يرى:

- أن عليا مصيب في قتال الخوارج.
- وأن عليا هو أولى الطائفتين بالحق.
- وأنه في قتاله يوم الجمل وصفين كان أولى بالعلم والعدل من الذين قاتلوه.

- وأن مسؤولية القتال في صفين يتحملها معاوية.
- ولكنه في الوقت نفسه يرى أن قتال الجمل وصفين فتنة، وكان الأفضل الكف [رأيه الشائع].

ثانياً: ابن تيمية يخالف جمهور العلماء من قبله ومن بعده، الذين يرون أن ما فعله علي هو الأفضل، [بل الواجب كما قال ابن العربي]، ولا معنى لذكر ابن تيمية أقوال الناس في قتال صفين، والإظهار أن ثمة خلافا معتدا به بين أهل السنة في الأمر، فالجمهور على تصويب علي.

يقول ابن حجر^(١): (وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي؛ لامثال قوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ الآية؛ ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، وقد ثبت أن من قاتل عليا كانوا بغاة، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطئوا، وذهب طائفة قليلة من أهل السنة، وهو قول كثير من المعتزلة إلى أن كلا من الطائفتين مصيب، وطائفة إلى أن المصيب طائفة لا بعينها).

ونصوص الفقهاء تبين أن للإمام قتال البغاة، وتربط بين قتال أبي بكر وقتال علي رضي الله عنهما.

فأولهم الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) الذي بنى "باب قتال أهل البغي" في كتابه الأم، على قتال علي، قال البيهقي في مناقب الشافعي^(٢): (وله في «القديم» كتاب في قتال أهل البغي، وفي «الجديد» كتاب آخر في قتالهم، بناءً على قتال علي، رضوان الله عليه، من قاتله من المسلمين وتبع سيرته في قتالهم بعد الاحتجاج في قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله تعالى)، ثم يقول بعد إيراد مجموعة من النصوص: (وفي كل هذا دلالة على أن الشافعي رحمه الله كان يعتقد في «علي» رضي الله عنه أنه كان محققاً في قتاله مَنْ خرج عليه، وأن «معاوية» ومن قاتله لم يخرجوا بالبغي من الإيمان؛ لأن الله تعالى سمى الطائفتين جميعاً: مؤمنين، والآية عامة، وجرى علي رضي الله عنه في قتالهم مجرى قتال الإمام العادل من خرج من طاعته من المؤمنين، وسار بسيرته في قتالهم، وقصد به حملهم على الرجوع إلى الطاعة).

(١) فتح الباري، ١٣/٦٧.

(٢) ٤٤٥/١.

قال ابن قدامة^(١): (وأجمعت الصحابة رضي الله عنهم على قتال البغاة؛ فإن أبا بكر رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة، وعلي رضي الله عنه قاتل أهل الجمل وأهل صفين وأهل النهروان).

وقال يحيى بن أبي الخير اليميني^(٢): "ويدل على جواز قتال البغاة: ما رُوي: أن أبا بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وأرضاه قاتل مانعي الزكاة وكانوا بُغَاة؛ لأنهم كانوا مُتَأَوِّلِينَ، وقاتل علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وأرضاه أهل الجمل وأهل صفين والخوارج بالنهروان".

ومن العلماء الذين صوبوا ما فعله علي رضي الله عنه، مبينين أن هذا مذهب أهل السنة: النووي، وابن حزم، وابن حجر، والجصاص، والقرطبي، والمناوي، والبيهقي، والجويني، وأبو بكر بن العربي، وابن كثير، وغيرهم.

وذكر عبد القاهر البغدادي (ت: ٤٢٩ هـ) في كتابه "الفرق بين الفرق"^(٣)، في بيان الأصول التي اجتمعت عليها أهل السنة، ومنها: (وقالوا بتصويب علي في حروبه بالبصرة وبصفين وبنهروان).

وقال ابن العربي^(٤): (فتقرر عند علماء المسلمين، وثبت بدليل الدين أن عليا رضي الله عنه كان إماما، وأن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى يفىء إلى الحق، وينقاد إلى الصلح).

(١) الشرح الكبير، ٤٩/١٠.

(٢) البيان في مذهب الإمام الشافعي، ١٩/١٢.

(٣) ص ٣٤٢.

(٤) أحكام القرآن، ١٥٠/٤.

بل إن ابن تيمية اعتد بقتال مانعي الزكاة، كقوله يثني على الصديق والصحابه (فهم الذين جاهدوا المرتدين كأصحاب مسيلمة الكذاب ومانعي الزكاة وغيرهما)^(١)، فهذا الاعتداد يقتضيه أن يقول بمثله في قتال البغاة، فلو أراد أحد أن يقلب الحجة، فيسكون مذهب ابن تيمية مطعنا على أبي بكر الذي قاتل مانعي الزكاة في أنه لم يفعل الأفضل، فمن باب أولى أن قتال الخارجين على الإمام أوجب من قتال مانعي الزكاة.

ولا معنى للتفريق بين قتال علي للخوارج وقتاله لمعاوية في صنفين؛ فكلهم بغاة خرجوا على الإمام، وحق له قتالهم.

قال ابن فرحون (ت: ٧٩٩)^(٢): (فصل في أحكام الخوارج والبغاة: وهي على قسمين: أهل تأويل وأهل عناد، وقد قاتل أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - الفريقين، لأن أبا بكر رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة، وكان بعضهم منعها شحا بماله وهم البغاة، وبعضهم منعها بالتأويل وقالوا زمان وجوبها قد انقضى، والمخاطب بأخذها قد مات صلى الله عليه وسلم وتأولوا أن قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، لا يتأتى ذلك من غيره ولم يقم دليل على قيام غيره في ذلك مقامه، وأما علي رضي الله عنه فقد قاتل أهل الشام وأهل البصرة، لأنهم أبوا الدخول في طاعته، وقد قال صلى الله عليه وسلم لعمار: تقتلك الفئة الباغية؟ وكان مع علي رضي الله عنه فقتله أهل الشام، وقاتل أهل النهروان وهم متأولون).

(١) منهاج السنة، ٩٣/٢.

(٢) تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ٢٧٥/٢.

وقال البيهقي في مناقب الشافعي^(١): (وقد روينا في «كتاب فضائل الصحابة» توبة من قاتل عليًّا من أصحاب النبي ﷺ، يوم الجمل، وروينا اعتراف معاوية بذنوبه في قصة المسور بن مخرمة، وأنه يرجو النجاة بكلمة الشهادة، وما يقيمه من الحدود، وقتال المشركين مع صحبة رسول الله ﷺ).

ثم أورد قول عمر بن عبد العزيز، مرويا عن الشافعي: (سمعت الشافعي يقول: سئل عمر بن عبد العزيز عن أهل صفين؟ فقال: تلك دماء طهر الله منها يدي فلا أحب أن أخضب لساني بها).

ثم عقب البيهقي بقوله^(٢): (قلت: وهذا رأي حسن جميل من عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السكوت عما لا يعنيه إذا لم يحتج إلى القول فيه).

فأما إذا احتاج إلى تعلّم السيرة في قتال الفئة الباغية، فلا بد له من متابعة علي بن أبي طالب في سيرته في قتالهم.

ثم ولا بد من أن يعتقد كونه محقًّا في قتالهم، وإذا كان هو محقًّا في قتالهم كان خصمه مخطئًا في قتاله والخروج عليه، غير أنه لم يخرج ببغيه عن الإسلام، كما حكينا عن الشافعي، رحمة الله عليه، في متابعته عليًّا في سيرته في قتالهم، وتسمية الطائفتين جميعًا مسلمتين) اهـ.

ثالثًا: وابن تيمية في مواطن عدة يرى أن شرط قتال البغاة لم يتحقق؛ محتجا بأن معاوية لم يبايع؛ وأن عليا هو من بدأ القتال، وكان ترك القتال أولى^(٣).

(١) ٤٤٨/١.

(٢) ٤٤٩/١.

(٣) منهاج السنة، ٥٠١/٤.

ولكن هذا القول مردود، فابن حزم يبين أن عليا لم يجبر بعض الصحابة الذين لم يبايعوه، وهم معه في المدينة، وترك الخوارج حين نقضوا بيعته، وجعل لهم العهد ألا يمسه إلا إذا سفكوا الدم وبدأوا الحرب.

ثم يقول في كتابه الفصل في الملل والنحل^(١): (وأما أمر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي الله عنه لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره، لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهو الإمام الواجبة طاعته؛ فعلي المصيب في هذا).

فمعاوية امتنع بالشام، وأخرجها من طاعة الخليفة، وهذا إعلان حرب، وبدء بالحرب، فلو تمرد اليوم قائد منطقة في الدولة، وأعلن استقلال منطقته على الدولة، فإن هذا يعد إعلان حرب، وليس شرطاً أن يبدأ استخدام السلاح للقتال.

والمحققون من علماء السياسة الشرعية تعقبوا ابن تيمية في هذه المسألة، وبينوا ضعف ما ذهب إليه، واضطرابه، ومخالفته لما يذهب إليه من أن عليا هو الخليفة الشرعي واجب الطاعة، وهذا أيضا خلاف ما أقره الفقهاء من أن قتال الفئة الباغية لا يتوقف على أن يبدأوا في القتال، بل مجرد منعهم الغمام من إقامة الحق، يعد بغيا مستوجبا لقتالهم.

في الأحكام السلطانية للماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)^(٢): (وإن امتنعت هذه الطائفة الباغية من طاعة الإمام ومنعوا ما عليهم من الحقوق، وتفردوا باجتباء الأموال وتنفيذ الأحكام، فإن فعلوا ذلك ولم ينصبوا لأنفسهم إماما ولا قدموا عليهم زعيما،

(١) ١٢٤/٤.

(٢) ص ١٠٠.

كان ما اجتنبوه من الأموال غصباً لا تبرأ منه ذمة، وما نفذوه من الأحكام مردوداً لا يثبت به حق، وإن فعلوا ذلك وقد نصبوا لأنفسهم إماماً اجتنبوا بقوله الأموال ونفذوا بأمره الأحكام، لم يتعرض لأحكامهم بالرد، ولا لما اجتنبوه بالمطالبة، وحوربوا في الحالين على سواء؛ لينزعوا عن المباينة ويفيئوا إلى الطاعة).

جاء في مختصر خليل (ت: ٧٧٦هـ)، وهو أشهر فقهاء المالكية، والمختصر من أشهر كتب الفقه المالكي، وقامت عليه شروح كثيرة، يقول: (باب الباغية فرقة خالفت الإمام لمنع حق أو لخلعه، فللعدل قتالهم وإن تأولوا)^(١).

[٣] رأي ابن تيمية في منهاج السنة في القصاص من قتلة عثمان:

يقول ابن تيمية في منهاج السنة^(٢): (وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا معينا عليه، كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله، وهو الصادق البار في يمينه)، وقال^(٣): (وهذا كله كذب على علي رضي الله عنه وافترأ عليه، فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان ولا أمر ولا رضي).

ويرى ابن تيمية أنه لا حجة لمعاوية في عدم المبايعة بالتعذر بالقصاص من قتلة عثمان، من عدة نواحي، منها: اجتهاد الحاكم^(٤):

"بل لو كان قادراً على قتل قتلة عثمان وقدر أنه ترك هذا الواجب: إما متأولاً وإما مذبناً، لم يكن ذلك موجبا لتفريق الجماعة، والامتناع عن مبايعته، ولمقاتلته،

(١) مختصر خليل (٢٣٧).

(٢) ٣١٧/٤.

(٣) ٤٠٤/٤.

(٤) ٤١١/٤.

بل كانت مبايعته على كل حال أصلح في الدين، وأنفع للمسلمين، وأطوع لله
ولرسوله من ترك مبايعته".

ومنها الخوف من حدوث مفسدة أعظم^(١):

(لم يكن علي مع تفرق الناس عليه متمكنا من قتل قتلة عثمان إلا بفتنة تزيد
الأمر شرا وبلاء، ودفع أفسد الفاسدين بالتزام أدناهما أولى من العكس؛ لأنهم
كانوا عسكريا، وكان لهم قبائل تغضب لهم، ولما سار طلحة والزبير إلى البصرة
ليقتلوا قتلة عثمان، قام بسبب ذلك حرب قتل فيها خلق).

ومنها أن معاوية نفسه لم يفعل ذلك عندما تولى الخلافة^(٢):

(فمعاوية رضي الله عنه، الذي يقول المنتصر له: إنه كان مصيبا في قتال علي، لأنه
كان طالبا لقتل قتلة عثمان، لما تمكن وأجمع الناس عليه لم يقتل قتلة عثمان، فإن
كان قتلهم واجبا، وهو مقدور له، كان فعله بدون قتال المسلمين أولى من أن يقاتل
عليا وأصحابه لأجل ذلك، ولو قتل معاوية قتلة عثمان لم يقع من الفتنة أكثر مما
وقع ليالي صفين، وإن كان معاوية معذورا في كونه لم يقتل قتلة عثمان إما لعجزه
عن ذلك، أو لما يفضي إليه ذلك من الفتنة وتفريق الكلمة وضعف سلطانه، فعلي
أولى أن يكون معذورا [أكثر] من معاوية، إذ كانت الفتنة وتفريق الكلمة وضعف
سلطانه بقتل القتلة لو سعى في ذلك أشد، ومن قال: إن قتل الخلق الكثير الذين
قتلوا بينه وبين علي كان صوابا منه لأجل قتل قتلة عثمان، فقتل ما هو دون ذلك

(١) ٤٠٧/٤.

(٢) ٤٠٨/٤.

لأجل قتل قتلة عثمان أولى أن يكون صوابا، وهو لم يفعل ذلك لما تولى، ولم يقتل قتلة عثمان).

وبذلك يرى ابن تيمية أنه لا عذر لمعاوية في عدم مبايعته، وأنه قد قُتل بصفين أضعاف عدد قتلة عثمان^(١):

(وأما الذين قالوا: إن معاوية رضي الله عنه كان مصيبا في قتاله له ولم يكن علي رضي الله عنه، في قتاله لمعاوية، فقولهم أضعف من قول هؤلاء) ثم ذكر حجتهم في أن معاوية كان طالبا بدم عثمان.

ثم يقول بعد مناقشة طويلة^(٢):

(وعلي رضي الله عنه كان قد بايعه أهل الكوفة، ولم يكن في وقته أحق منه بالخلافة، وهو خليفة راشد تجب طاعته، ومعلوم أن قتل القاتل إنما شرع عصمة للدماء، فإذا أفضى قتل الطائفة القليلة إلى قتل أضعافها، لم يكن هذا طاعة ولا مصلحة، وقد قتل بصفين أضعاف أضعاف قتلة عثمان).

فالخلاصة أن ابن تيمية قرر:

- براءة علي من دم عثمان.

- لعلي رضي الله عنه الحق في عدم القصاص؛ فهو حاكم مجتهد.

- وله الحق في عدم القصاص؛ طالما أن ذلك سيؤدي إلى مفسدة أعظم.

(١) ٤٠٤/٤.

(٢) ٤١٣/٤.

- ومعاوية لم يكن له الحق في عدم البيعة بعذر القصاص، وأنه قد حدث من القتل في صفين أضعاف قتلة عثمان، وأنه حين تولى الخلافة لم يقم القصاص، وأن عليا كان الخليفة الراشد الواجب الطاعة.

أخيرًا...

وبهذا نرى إلى أي مدى يكون من السذاجة اختزال ابن تيمية في رأي ما، أو في توجه ما، أو تقديم آرائه بصورة أحادية، فمنهاج السنة خاصة، مسالكه وعرة، وأحكامه قابلة للاستخدام المتعدد، وهذا يجعل كتب ابن تيمية الأخرى هي الأكثر تعبيراً عن مذهب ابن تيمية؛ إذ لا تجد فيها مثل الاضطراب الذي في منهاج السنة، وهو اضطراب ناشئ من طبيعة الجدل ومحاولته منع الدعاوى، واتخاذ مختلف الطرق التي يعتقد أنها تساعد في صد هجمة الرافضي، ولو لم تكن ملزمة لابن تيمية، كما رأينا في المقال السابق، ولذلك فهو يمشي في كتابه على منهج أحد من السيف، وأحر من الجمر.

تعقيب بشأن قول ابن تيمية أن أحمد بن حنبل أظهر التبريع بعلي في الخلافة

قول ابن تيمية^(١): (ولهذا لما أظهر الإمام أحمد التبريع بعلي في الخلافة، وقال: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله، أنكر ذلك طائفة من هؤلاء).

وهذه المقولة جاءت ردا على الرافضي في دعواه أن خلافة علي تمت بمبايعة الخلق له).

فرد عليه بعدة أوجه، أولها: أن خلافة علي تمت بعد مقتل عثمان وفي فتنة وكثير لم يبايعه... إلخ، [وقد تحدثنا عن هذا في مقال سابق].

ثانيها، وهو محل النزاع، ذكر الخلاف في خلافة علي على أقوال، فذكر قول الكرامية أنه إمام ومعاوية إمام، ثم قول طائفة من أهل الحديث، أنه لم يكن في ذلك الزمان إمام عادل، ثم قال: (ولهذا لما أظهر الإمام أحمد التبريع بعلي في الخلافة).

ثم بين ابن تيمية أن كثيرا من علماء أهل الحديث البصريين والشاميين والأندلسيين وغيرهم، كانوا يقولون: الزمان فتنة وخلا من الإمام، وذكر ابن تيمية أن كثيرا من بني أمية في الأندلس لم يربعوا بعلي، بل بعضهم كان يربع بمعاوية، وبين أن أحمد احتج على هؤلاء بحديث سفينة، وقال ابن تيمية إنهم تكلموا في

(١) منهاج السنة، ٥٣٧/١ - وما بعدها.

أحمد بهذا السبب، وردوا عليه... إلخ، ثم قال ابن تيمية (وروي عن الشافعي وغيره أنهم قالوا: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان)، ثم أيد ابن تيمية هذا المذهب بقوله إن عليا لم تكن خلافته تامة، اهـ.

فابن تيمية - كما هو واضح من نصه، ومن السياق - يبين أن الأئمة من قبل أحمد كالشافعي وغيره كانوا يقولون الخلفاء ثلاثة، وأن أحمد هو الذي أظهر الترييع بعلي.

ولهذا من الطبيعي أن ينشأ السؤال: متى أظهر أحمد الترييع بعلي في الخلافة؟

وبالعودة إلى كتاب السنة لأحمد، لا يوجد ما يدل على أنه لم يكن يربع بعلي في الخلافة ثم أظهر الترييع.

بل النص أنه لم يكن يظهر الترييع بعلي في الفضل ثم أظهر ذلك.
في هذا التعقيب أناقش أربع نقاط:

الأولى: التفريق بين إظهار أحمد الترييع بعلي في الخلافة، والترييع به في الفضل.

الثانية: هل فعلا، لم يكن الأئمة قبل أحمد يربعون بعلي في الخلافة؟

والثالثة: لماذا ورد أن أحمد كان يربع بعلي في الخلافة؟

والرابعة: لماذا ورد أن أحمد كان يربع بعلي في الفضل؟

أولاً: تربييع أحمد بالخلافة أم بالفضل؟

ما المقصود بتربييع أحمد الذي أظهره للناس؟

الذي أظهره أحمد بن حنبل إنما هو الترييع بعلي في التفضيل، لا الترييع بالخلافة، فتريعه بالخلافة ثابت، ولكن الذي أظهره أحمد بعد أن لم يكن إنما هو ترييعه بالتفضيل.

في كتاب السنة برواية أبي بكر الخلال، تصريح بذلك، يقول عبد الله بن أحمد عن أبيه: (سمعت أبي يقول في التفضيل^(١)): «أبو بكر وعمر وعثمان، ولا نعيب من ربع بعلي لقربته، وصهره، وإسلامه القديم، وعدله»).

يقول في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد^(٢): (السنة في التفضيل الذي نذهب إليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وأما الخلافة فنذهب إلى حديث سفينة فنقول: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلفاء فنستعمل الحديثين جميعاً، ولا نعيب من ربع بعلي لقربته وصهره وإسلامه القديم وعدله).

فهو يقول: علي في الخلافة ثابت بحديث سفينة، أما في الفضل فلا نعيب الترييع به، بالرغم من أنه لم يدخل في حديث ابن عمر، فإنه دخل بقربته وصهره وإسلامه وعدله.

وسبب إظهار أحمد الترييع بعلي في التفضيل، ما فهمه بعضهم أنه لم يكن يربع بعلي؛ لأنه يذكر حديث ابن عمر الذي فيه الثلاثة، فكذبهم، وأظهر بعد ذلك الترييع بعلي.

ويبين هذا ما نقله ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة عنه: (وخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فقلت: له يا أبا عبد الله فإنهم يقولون

(١) ٤٠٤/٢.

(٢) ٥٩٠/٢.

إنك وقفت على عثمان فقال: كذبوا والله علي، إنما حدثهم بحديث ابن عمر كنا نفاضل بين أصحاب رسول الله ﷺ نقول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، فبلغ النبي ﷺ فلا ينكره، ولم يقل النبي ﷺ لا تخايروا بعد هؤلاء بين أحد، ليس لأحد في ذلك حجة فمن وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة يا أبا جعفر).

بل إن أحمد أنكر من يزعم أنه يربع بالخلافة؟ جاء في السنة لأبي بكر بن الخلال^(١): (أن صالح بن أحمد قال لأبيه في هذه المسألة: فإن قال قائل: فينبغي لمن ثبت الخلافة على علي أن يربع به؟ قال: «إنما نتبع ما جاء، وما قولنا نحن؟ وعلي عندي خليفة، قد سمى نفسه أمير المؤمنين، وسماه أصحاب رسول الله ﷺ أمير المؤمنين، وأهل بدر متوافرون يسمونه أمير المؤمنين»).

فالنص واضح أن أحمد يتبع ما جاء، ولا يقول من رأسه، فالصحابه الذين بايعوا عليا، وسموه أمير المؤمنين، هم الذين ربيعوا بعلي في الخلافة وليس هو.

ثانياً: هل أحمد هو من أظهر التربع بعلي في الخلافة؟

التربع بعلي في الخلافة، لم يظهره أحمد، بل الصحابة الذين بايعوا عليا رضي الله عنهم هم من ربيعوا بعلي رضي الله عنه، وهذا ما قاله أحمد نفسه^(٢): (ما يدفع عليا من الخلافة وقد سماه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ أمير المؤمنين، منهم عمار بن ياسر وابن مسعود).

بل إن معاوية كان لا ينازع عليا في الخلافة، فإذا كان معاوية يرى عليا هو الخليفة الرابع، فمن أين أتت قصة التربع في الخلافة؟!

(١) ٤٢٣/٢.

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال، ٤١٤/٢.

والمسلمون على أن الخليفة الرابع هو علي نفسه، وكتب التاريخ والفقه والطبقات وغيرها من أقدم كتب التراث الإسلامي تتحدث عن علي بوصفه الخليفة الرابع، وتتحدث عن اجتهاداته وأحكام قتال البغاة.

ونقول ابن تيمية نفسه في منهاج السنة وفي غيره على أن عليا رابع الخلفاء الراشدين باتفاق الناس ولم يشذ من ذلك سوى الخوارج والنواصب والجهلة، ونقل ابن تيمية في منهاج السنة أن أكابر الصحابة كانوا يرون عليا أحق بالخلافة، ونقل فيه أن عليا بايعه أكثر الناس.

وهؤلاء أئمة المذاهب الأربعة كلهم أظهروا التبريع بعلي في الخلافة.

فأما مذهب أبي حنيفة (١٥٠هـ) في الخلافة فقد قرره الطحاوي في المتن^(١)، قائلا: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبي بكر الصديق ﷺ تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب ﷺ ثم لعثمان ﷺ ثم لعلي بن أبي طالب ﷺ وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون).

ومن المعلوم أن متن الطحاوي كما يقول الطحاوي في مقدمته^(٢): (بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني).

بل هذا صريح مذهب أبي حنيفة، كما نقل عنه أبو يوسف^(٣): (وكان

(١) ٨١.

(٢) ٣١.

(٣) ٣١.

أبو حنيفة رحمه الله تعالى وأكثر فقهاءنا يرون أن يقسمه الخليفة على ما قسمه عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم).

وأبو يوسف (ت: ١٨٢هـ) صاحب أبي حنيفة، يذكر في كتابه الخراج في أكثر من موضع إقرار الخلفاء الأربعة، مثلاً: تحدث عن صلح خالد بن الوليد مع أهل عانات وبني تغلب، ثم قال^(١): (ولم يرد ذلك الصلح على خالد أبو بكر، ولا رده بعد أبي بكر عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين)، (وأن يمضي الأمر فيها على ما أمضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي)، وفي مقدمة كتابه استشهد ببعض أعمال الخليفة الرابع، كبعث السرايا، وسياسته المالية في الخراج^(٢).

وهذا الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، في المدونة عقد باباً عن "الخوارج"، وتحدث فيه^(٣): (قال ابن القاسم: وقال مالك في الحرورية وما أشبههم: إنهم يقتلون إذا لم يتوبوا إذا كان الإمام عدلاً، وهذا يدل على أنهم إن خرجوا على إمام عدل يريدون قتاله ويدعون إلى ما هم عليه دعوا إلى الجماعة والسنة، فإن أبوا قوتلوا)، ثم أورد حديث أبي سعيد الخدري متحدثاً عن قتال علي للخوارج، وفيه (وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه)، وأورد مجموعة من الآثار التي تبين صحة ما فعله علي تجاه الحرورية، ففعله هذا يبين أنه يرى أن علياً إمام عدل، ولذلك قاتل الخوارج وكان على حق.

وهذا الإمام الشافعي في كتاب الأم في باب (قتال أهل البغي) يستدل

(١) ١٦٠.

(٢) ٢٥، وانظر ص ٣٠، وغيرها.

(٣) ٥٣٠ / ١.

بأفعال علي بن أبي طالب عليه السلام، بل قال البيهقي في مناقب الشافعي^(١): (وله في «القديم» كتاب في قتال أهل البغي، وفي «الجديد» كتاب آخر في قتالهم، بناءً على قتال علي، رضوان الله عليه، من قاتله من المسلمين وتبع سيرته في قتالهم بعد الاحتجاج في قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله تعالى).

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الخلفاء الراشدون المهديون"^(٢).

وغير الأئمة الأربعة، ممن هم قبل الإمام أحمد، كالحسن البصري (ت: ١١٠ هـ)، نقل عنه الإمام أحمد في فضائل الصحابة^(٣): (عن عوف، قال: كنت عند الحسن، فذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن جوشن الغطفاني: يا أبا سعيد، إنما أزرى بأبي موسى اتباعه عليا، قال: فغضب الحسن حتى تبين الغضب في وجهه قال: فمن يتبع؟ قتل أمير المؤمنين عثمان مظلوما، فعمد الناس إلى خيرهم فبايعوه، فمن يتبع، حتى ردها مرارا).

وممن قرر ذلك الإمام الزهري (ت ١٢٤ هـ)، وهو من علماء الشام في العصر الأموي، يقول^(٤): (لما قتل عثمان برز علي بن أبي طالب بالناس فدعاهم إلى البيعة فبايعه الناس ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره).

(١) ٤٤٥ / ١.

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر، ص ٨٢. ونقل ذلك عن الشافعي أيضا ابن بطة الحنبلي في كتاب الإبانة ٣٢٢ / ٤، وحسن إسناده محقق الكتاب.

(٣) ٥٧٧ / ٢. قال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(٤) تاريخ دمشق، ٤٢ / ٤٣٦.

ثالثاً: هل أحمد هو من ربيع بعلي في الفضل؟

علماء المسلمين السابقون ينقلون الخلاف في هذه المسألة، فيقرون أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر، قال ابن تيمية في منهاج السنة^(١): (وأما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما، وهي إحدى الروايتين عن مالك، وكان طائفة من الكوفيين يقدمون علياً، وهي إحدى الروايتين عن سفیان الثوري).

وأبو حنيفة المشهور عنه ما ذكره ابن عبد البر في المرجع نفسه^(٢): (كان أبو حنيفة يفضل أبا بكر وعمر ثم يقول علي وعثمان)، وفي الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة النعمان^(٣): (وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله عليهم أجمعين).

وفي مناقب الشافعي للبيهقي، نقلاً عنه^(٤): (ما اختلف أحد من الصحابة، والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر، وتقديمهما على جميع الصحابة، إنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان: منهم من قدم علياً على عثمان، ومنهم من قدم عثمان على علي، ونحن لا نخطئ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوا).

(١) ٧٣/٢.

(٢) ص ١٦٣.

(٣) ص ٤١.

(٤) ٤٣٤/١. وانظر في هذا الخلاف: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ١/١١٧ - وما بعدها.

فتفضيل علي لم يربع به أحمد، بل هو ثابت منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم، الذين كان بعضهم يربع بعثمان، وبعضهم يربع بعلي.

والشافعي نفسه كان يقول^(١): (أفضل الناس بعد رسول الله، ﷺ، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، عليه السلام)

رابعاً: لماذا ورد أن أحمد ربيع بعلي في الفضل؟

فالجواب أن المتتبع لسير مجموعة من علماء الشام في عصره، الذين كانوا يربعون بعلي في الفضل، فحدث خلاف بين علماء الشام أنفسهم، بين من يربع ومن لم يربع، فجاء ترييع أحمد في هذا السياق، قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: (قال أبو الحسن أدركت من شيوخنا من شيوخ دمشق ممن يربع بعلي بن أبي طالب فذكر جماعة ثم قال وأبو عامر موسى بن عامر وبقيتهم لم يكونوا يربعون).

فكتب التراجع لم تكن تهتم بنقل من يربع بعلي، لكنها اهتمت بنقلها عن شيوخ الشام فقط في عصر أحمد؛ وهذا يدل على نكارة العلماء لهذا الموقف من أهل الشام، في تاريخ دمشق: (قال ابن الفيص: أدركت من شيوخنا من شيوخ دمشق ممن يربع بعلي بن أبي طالب، وذكر قوما فيهم أحمد بن أبي الحواري (ت ٢٤٦هـ)، وذكر منهم: محمود بن خالد بن يزيد (ت ٢٤٩هـ)، وفي تاريخ الإسلام للذهبي ذكر منهم: هشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ)، وموسى بن عامر (ت ٢٦٠هـ)، وكل هؤلاء من شيوخ الشام.

وحين نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء ذلك عن هشام بن عمار، عقب

(١) مناقب الشافعي للبيهقي، ١/ ٤٣٣.

بقوله^(١): (خالف أهل بلده، وتابع أئمة الأثر)، فكلام الذهبي على أن أئمة الأثر كانوا يربعون بعلي في التفضيل، وأما أهل الشام فكانوا يخالفون أئمة الأثر.

وهذا يبين سبب اشتهاار ترييع أحمد، ضمن جدل مع علماء الشام بشأن هذه المسألة، وليس كما ذكر أن بعض خطباء بني أمية كانوا يربعون بعلي في خطبهم، فهذا لا يعرف، وحتى لو ذكر فلا حجة فيه؛ لا سيما مع موقف بني أمية من علي رضي الله عنه.

وهذا ما نص عليه أبو بكر الخلال في كتاب السنة^(٢):

(قال أبو بكر الخلال: مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله الذي هو مذهبه: أبو بكر وعمر وعثمان، وهو المشهور عنه، وقد حكى المروزي رحمه الله، وغيره أنه قال لعاصم وأبي عبيد: «لست أدفع قولكم في الترييع بعلي»، وحكى بعد هذا أيضا جماعة رؤساء أجلة كبار في سنه وقريب من سنه، أنه قال: ومن قال: علي، فهو صاحب سنة، وحكى عنه أحمد بن أبي الحواري أنه قال: وعلي، وإنما هذا عندي أنه لم يحب أن يأخذ عنه أهل الشام ما يتقلدونه عنه في ذلك، لأنه إمام الناس كلهم في زمانه، لم ينكر ذلك أحد من الناس، فلم يحب أن يؤخذ عنه إلا التوسط من القول، لأن أهل الشام يغالون في عثمان كما يغالي أهل الكوفة في علي، وقد كان من سفيان الثوري رحمه الله نحو هذا لما قدم اليمن، قال: في أي شيء هم مشتهرون به؟ قيل: في النبيذ وفي علي، فلم يحدث في ذلك بحديث إلى أن خرج من اليمن، فالعلماء لها بصيرة في الأشياء، وتختار ما تراه صوابا للعامة، وكل هذا القول صحيح جيد، ويحيى بن معين رحمه الله، وبشر بن

(١) ٤٣٣/١١.

(٢) ٤٠٩/٢.

الحارث، ففي الرواية عنهما كنعو الرواية عن أبي عبد الله، يكرر عنه، مرة يقولون: وعثمان، وحكى عنه مرة يقولون: عثمان وعلي، وكل هذا صحيح على ما قالوا).

خامساً: وماذا عن تربيع أحمد لعلي بالخلافة؟

قد يفهم مما ورد في طبقات الحنابلة لأبي يعلى أن أحمد أظهر التربيع بعلي في الخلافة^(١): (قال وريزة بن محمد الحمصي: دخلت علي أبي عبد الله أحمد بن حنبل حين أظهر التربيع بعلي عليه السلام فقلت: له يا أبا عبد الله إن هذا لطعن على طلحة والزبير فقال: بئسما ما قلت: وما نحن وحرب القوم وذكرها فقلت: أصلحك الله إنما ذكرناها حين ربعت بعلي وأوجبت له الخلافة وما يجب للأئمة قبله، فقال لي: وما يمنعني من ذلك؟ قال: قلت: حديث ابن عمر فقال لي: عمر خير من ابنه قد رضي عليا للخلافة على المسلمين وأدخله في الشورى، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قد سمى نفسه أمير المؤمنين فأقول أنا ليس للمؤمنين بأمير؟! فانصرفت عنه).

إلا أن التحقيق في موقف أحمد يبين أن أحمد لم يظهر تربيع علي بالخلافة، بل أنكر على من كان ينكر خلافة علي، ولا يعني أن الناس قبله لم يكونوا يعترفون بشرعية علي في الخلافة، ولا يعني أيضاً أنه لم يكن يعترف بخلافة علي، فأحمد جادل هؤلاء المتعنتين وأبطل حججهم بقوله^(٢): (من زعم أن

(١) ٣٩٣/١. والإشارة إلى حديث ابن عمر في النص دليل على أن أحمد أظهر التربيع بعلي في الفضل، لا الخلافة. ونص الحديث: قال ابن عمر: (كنا نفاضل بين أصحاب رسول الله - عليه السلام - نقول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، فبلغ النبي - عليه السلام - فلا ينكره). فحديث ابن عمر يتكلم عن التفضيل في عهد النبي، قبل الخلافة!!

(٢) كتاب السنة للخلال ٤١١/٢.

عليها ليس إماما: إلى أي شيء يذهب؟ ألم يقيم الحدود؟ ألم يحج بالناس؟ ألم ألم، وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون: يا أمير المؤمنين؟).

وحين سئل عن خلافة علي هل هي ثابتة؟ فقال: (سبحان الله، يقيم علي رحمه الله الحدود، ويقطع، ويأخذ الصدقة، ويقسمها بلا حق وجب له؟ أعوذ بالله من هذه المقالة، نعم خليفة رضيه أصحاب رسول الله ﷺ وصلوا خلفه، وغزوا معه، وجاهدوا، وحجوا، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين راضين بذلك غير منكرين، فنحن تبع لهم، ونحن نرجو من الله الثواب باتباعنا لهم إن شاء الله، مع ما أمرنا الله به والرسول ﷺ).

فأحمد أنكر على من لم يربع بعلي في الخلافة، ولم يثبت عنه أنه قال (علي ليس رابع الخلفاء الراشدين)، فكيف يظهر ترييع علي بالخلافة؟!

بل الذي ثبت عنه أن كان يقول بتفضيل الثلاثة ثم يسكت (بناء على حديث ابن عمر)، فلما فهم الناس أنه لا يقول بترييع علي في الفضل كذبهم، وأظهر الترييع به في الفضل، (كما في رواية الخلال).

والإمام أحمد نفسه في كتابه "فضائل الصحابة" ^(١) نقل أن بيعة علي تمت بالمدينة في المسجد، وبايعه الناس.

وابن تيمية نفسه يقول ^(٢): (اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي عليه السلام)، فهل هذا

(١) ج ٢ / ٥٧٣.

(٢) مجموع الفتاوى، ٤٠٦ / ٣.

الاتفاق من بعد أحمد بن حنبل؟ وما موقف أهل السنة من قبل أحمد؟ [وقد نقلنا من قبل إجماع علماء أهل السنة على الترييع بعلي في الخلافة، وابن تيمية نفسه ذكر أنه لم يشذ عن هذا الإجماع سوى الخوارج والنواصب والجهلة].

والخلاصة:

جاء عن أحمد إظهار الترييع بعلي في الفضل، وجاء عنه إظهار الترييع بعلي في الخلافة.

فأما إظهار الترييع في الفضل؛ فذلك لأن أحمد كان يقول بحديث ابن عمر (أبو بكر ثم عمر ثم عثمان)، فلما فهم الناس منه أنه لا يربع بعلي كذبهم، وأظهر ذلك.

وأما إظهار الترييع بعلي في الخلافة، فليس لأن أحمد لم يكن يربع، بل جاء إنكاراً على من لم يربع بعلي.

وبهذا يتبين خطأ مقولة أن أحمد هو الذي أظهر ترييع علي بالخلافة، ومن قالها معتقداً أن أهل السنة قبل أحمد لم يكونوا يربعون بعلي في الخلافة فهو سوء ظن بهم، وتكذيب لما نقله العلماء من اتفاق أهل السنة على القول بخلافة الأربعة الراشدين.



خاتمة

أعتقد أنني أكتفي بالوصول إلى هذا البيان، فقد تبين أن مقالات مروان تكشف عن جبال من الأخطاء عندما ننظر لها من المنظور العلمي، وتكشف عن جبال من الخطايا عندما ننظر لها بالمنظور الأخلاقي، وأن مروان لم يظهر قدرات متواضعة في الكتابة التاريخية فحسب، بل أظهر قدرات بالغة في تزوير الأحداث، وتشويه الشخصيات.

علي بن أبي طالب يقول: (الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج راع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق) [صفة الصفوة]، أي وصف بعد هذا لما عليه هؤلاء المستغربون، الهمج الراع الذين يتبعون كل ناعق!

لعلي بن أبي طالب مقولات رائعة، تمثل صورة من أعلى صور البيان العربي عبر التاريخ، عبارات تتداولها كتب الأدب، كما تتناولها كتب العلم، تجمع بين جمال العبارة، وعمق المعنى، واستشفاف النفوس، ورسم المنهج.

هو الذي يعلم الناس فيقول: (ما أبردها على الكبد، أن تقول لما لا تعلم: لا أعلم) [جامع بيان العلم]، لكننا في زمن اليوم يتصدر فيه من لا يعلم ليفتي في كل شيء، وكما يقول المثل: (عبده فشفشي يعرف كل شيء)، يفتيك في الطب والفيزياء والكيمياء وفي الدين والمواريث، وفي التاريخ، هل يبرد مثل كبد هذا الموسوعي بلا علم!

لست بصدد نقل الصورة الرائعة الحقيقية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، الرجل العالم، الرجل الذي حارب الجهل وحارب البدع والخرافات، المستشار الناصح، الوزير الصدوق، الحاكم القوي الأمين، العادل، القاضي المفتي، المربي، الداعية الناصح، القائد المجاهد، البطل الشجاع، القوي الذي ثبت عند الشدائد، الزاهد، العابد المنيب، المتواضع، الكريم الجواد، الصبور المحتسب، الوفي، الأديب البليغ... إلخ. الخطيب المصقع، الشاعر المفلق، الحكيم، الأمين على أموال الناس، المؤتمن على حقوقهم، الجريء في الأخذ بحق الله، فكتب السنة وكتب التاريخ بها آلاف الروايات، وقد نقدتها العلماء بميزان الجرح والتعديل، وخرجوا بالروايات الصحيحة التي تمتلئ بهذه الصور المشرقة، حتى قال ابن عبد البر في ترجمة علي: (وفضائله لا يحيط بها كتاب، وقد أكثر الناس من جمعها، وقال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي: لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب، وكذلك قال أحمد بن شعيب بن علي النسائي)^(١).

ما ضر بحر الفرات يوماً أن بال بعض الكلاب فيه!
وأود إحالة القراء إلى مصادر ناقله وناقده، لتتضح لنا ملامح من صورة علي، كما هو عند السنة - وليس عليا الذي وجد مروان بعض ضالته فيه عند الشيعة، وأصبح يعزف على أن عليا أسطورة، فيقول مروان: "بلغت سيرته ٥٣ مجلداً كما يرويها جعفر العاملي" - سنتحدث عن مصادر السنة فقط.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/ ١١١٥. وانظر بعضاً من تلك المعالم في كتاب: (علي بن

أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين)،

أشرت سابقا إلى كتاب المؤرخ الدكتور الصلابي في سيرة علي بن أبي طالب، وهو يمحص الروايات وينقدها، ويبين صحيحها من سقيمها، وليس مجرد جامع حطب، أو كاتب هاو.

كتاب آخر من أهم الكتب التي تناولت عليا وخلافته والفتن في عهد الصحابة، وهو: (علي بن أبي طالب - أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين، تأليف عبد الستار الشيخ، ضمن سلسلة أعلام المسلمين)، وقد اتبع فيه منهج المحدثين في نقد الروايات سندا ومتنا، وقام بجمع الروايات التاريخية من مصادرها المتعددة، ومقارنة بعضها ببعض، فيذكر ما صح منها، ويذكر الضعيف ويبين ضعفه، ويذكر الباطل ويبين بطلانه، هذا هو المنهج العلمي، وهذه هي الأمانة العلمية.

وأشرت من قبل أيضا إلى كتاب أ، د، محمد أمحزون: "تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين"، و"فتنة مقتل عثمان" للدكتور/ محمد الصبحي.

إذن، فالسؤال: هل هدف مروان إلى تقديم الحقيقة عن علي، أم هدف إلى رسم صورة كاريكاتورية مسيئة، لا تمت للحقيقة بصلة؟

أعتقد أن ما قدمناه واضح على أنه قدم صورة كاريكاتورية مسيئة، مجردة عن الحقيقة، قائمة على الهوى والزيف، لماذا إذن فعل ذلك؟

"لا راحة لحسود"، و"الحاسد مغتاذ على من لا ذنب له"، مقولة تكشف حقيقة لماذا يهاجم المستغربون عليا، ولماذا يهاجمه السفهاء من الهمج الرعاع،

فالحاسد يغتاز على من لا ذنب له، وهؤلاء يغتazon من أعدائهم، فيهاجمون من لا ذنب له، حسدا وبغيا وعجزا وخورا.

وهذا يذكرني بالمثل (أوسعوني ضربا وأوسعتهم سبا)، فمع الإخفاقات في هزيمة الخارجين، يتحول المنهزمون إلى صناعة عدو آخر، ومهاجمته، كي يشعروا بقليل من الراحة، وينالوا بعض التنفيس النفسي، ولكن هيهات، فلا راحة لحسود، وبذلك ينظر إليهم الأعشى هازئا:

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنَه الوعلُ

"المرء مخبوء تحت لسانه" هل تعرف لمن هذه العبارة؟ إنها لعلي بن أبي طالب (انظر الفاضل للمبرد)، تقصر قدرات مثقفنا المتواضعة أن يقول مثل هذه الكلمات الأربع! قدرات غذاها وسمنها لتكون مؤهلة للحديث عن الترهات والتوافه، والتفنن في الاحتقار والاستصغار والتعالي.

نعم، ما تكتبه وما تقوله يكشف حقيقة نفسك، ويكشف ما داخلك، ويكشف خباياك، ولذلك يفضح الإنسان قلمه ولسانه، أفليس من الأجدر بالمرء أن ينشغل بما يحسنه؛ ف(قيمة كل امرئ ما يحسن)، كما يقول علي أيضا (انظر الإيجاز والإعجاز للثعالبي)، حين ينطلق الإنسان في العالم الذي يحسنه يُبدع، وحين ينطلق في العالم الذي لا يحسنه يخزي ويُقذع.

وأختم مقالاتي بما نقله ابن عبد البر في الاستيعاب^(١)، عن الشعبي، قال: قال لي علقمة: تدري ما مثل علي في هذه الأمة؟ قلت: ما مثله؟ قال: مثل عيسى

(١) ١١٣٠/٣. وانظر فضائل الصحابة لأحمد، ٥٧٥/٢.

ابن مريم، أحبه قوم حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه.

هو صحابي من صحابة رسول الله، وهو رجل من رجال الأمة، لماذا إذن لا

نستطيع العيش إلا على لحمه وعرضه ودمه، بين قوم أفرطوا في حبه، بل ولا زالوا

يأكلون باسمه، وبين قوم أفرطوا في بغضه، بل ولا زالوا يقتلونه كل يوم!

المراجع

١. الإبانة الكبرى، ابن بطة، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، الرياض: دار الراجعة للنشر والتوزيع، (بدأ صدور أجزاءه منذ ١٤١٥هـ).
٢. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المقرئزي، تحقيق: جمال الدين الشيال، وآخرون، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٣. الآثار لأبي يوسف، تحقيق: أبو الوفا، بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
٥. أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام _ الخوارج والشيعة، فلهوزن، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م.
٦. أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام _ الخوارج والشيعة، فلهوزن، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م.
٧. أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
٨. الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط ١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، ١٩٦٠م.

٩. أخبار النحويين البصريين للسيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦ م.
١٠. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح المقدسي، بيروت: عالم الكتب.
١١. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦ م.
١٢. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، تحقيق: د، محمد سعيد عمر إدريس، ط ١، الرياض: دار الرشد، ١٤٠٩ هـ.
١٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، إشراف: زهير الشاويش، ط ٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٥ م.
١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢ م.
١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤ م.
١٦. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، د علي محمد الصلابي، الشارقة: مكتبة الصحابة، ٢٠٠٤ م.
١٧. الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١ م.
١٨. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

١٩. أصول علم العربية في المدينة، مجلة الجامعة الإسلامية، سنة ٢٨، العددان: ١٠٥-١٠٦، ١٩٨٧-١٩٨٨ م، ص ٣٠٠.
٢٠. الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، القاهرة: مكتبة القرآن.
٢١. أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م.
٢٢. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، إسحاق بن الحسين المنجم، ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ.
٢٣. أمالي الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧ م.
٢٤. الأمالي لأبي علي القالي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٦ م.
٢٥. الإمامة والرد على الرافضة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: د، علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط ٣، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥ هـ.
٢٦. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين المقرئ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ م.
٢٧. الأمثال، أبو عبيد القاسم ابن سلام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط ١، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠ م.

٢٨. الأموال لابن زنجويه، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ط١، السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦م.
٢٩. الأموال للقاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، بيروت: دار الفكر.
٣٠. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة وبيروت: دار الفكر العربي، ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٢م.
٣١. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٢. أنساب الأشراف، أحمد البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م.
٣٣. الأنساب لسلمة الصحاري، تحقيق: د محمد إحسان النص، ط٤، ٢٠٠٦م.
٣٤. الأوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، أ، د، عبد الله الحجيلي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م.
٣٥. بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم العمري، ط٤، بيروت: بساط.
٣٦. البدء والتاريخ، المطهر المقدسي، بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية.
٣٧. البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٧م.

٣٨. البديع لابن المعتز، ط ١، دار الجيل، ١٩٩٠ م.
٣٩. برنامج (موعد في المهجر)، منشورة في يوتيوب:
<https://www.youtube.com/watch?v=46oNX3DdSpw>
٤٠. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، بيروت: دار صادر، ١٩٨٨ م.
٤١. البلدان لابن الفقيه الهمداني، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت: دار الكتب، ١٩٩٦ م.
٤٢. البناية شرح الهداية، بدر الدين العيني، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م.
٤٣. بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١/ ٣٥٦.
٤٤. البيان في مذهب الإمام الشافعي، يحيى بن أبي الخير العمراني اليماني، تحقيق: قاسم محمد النوري، جدة: دار المنهاج، ١٤٢١ هـ.
٤٥. البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ.
٤٦. تاريخ ابن أبي خيثمة، تحقيق: صلاح بن فتحى هلال، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦ م.
٤٧. تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط ٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨ م.

٤٨. تاريخ الأدب في العصر الإسلامي لشوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف.

٤٩. تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٣ م.

٥٠. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، يوليوس فلهوزن، ترجمة: د/ محمد عبد الهادي، القاهرة، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ضمن سلسلة الألف كتاب، ١٩٦٨ م.

٥١. تاريخ الطبري، ط ٢، بيروت: دار التراث، ١٣٨٧ هـ.

٥٢. تاريخ العرب العام، سيدو، ترجمة: عادل زعير، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧ هـ.

٥٣. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، كلود كاهن، ترجمة: بدر الدين القاسم، ط ١، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، ١٩٧٢.

٥٤. التاريخ الكبير للبخاري، الهند: دائرة المعارف العثمانية.

٥٥. تاريخ المدينة لابن شبة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، ١٣٩٩ هـ.

٥٦. تاريخ بغداد... إلخ طيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢ م.

٥٧. تاريخ خليفة بن خياط تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ٢، دمشق - بيروت: دار القلم، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧ هـ.

٥٨. تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
٥٩. تاريخ مدينة الكوفة وتأسيسها وتطورها الحضاري، منير جهاد، مجلة كلية المأمون، عدد ٣٤، ٢٠١٩ م.
٦٠. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ط ٢، المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراف، ١٩٩٩ م.
٦١. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٦ م.
٦٢. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، أبو المظفر الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣ م.
٦٣. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الأصبع، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٦٤. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، بيروت: دار الكتب العلمية.
٦٥. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، أ، د، محمد أمحزون، القاهرة: دار السلام، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
٦٦. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، أبو الحسن بن ذي الوزارتين، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩ هـ.

٦٧. التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عبد الحي الكتاني، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط ٢، بيروت: دار الأرقم.

٦٨. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، وآخرون، المغرب: مطبعة فضالة - المحمدية، (بدأ النشر منذ ١٩٦٥ م).

٦٩. التطور الاقتصادي في العراق، د محمد سلمان حسن، بيروت: المكتبة العصرية.

٧٠. التعازي للمبرد، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧١. تعظيم قدر الصلاة، للإمام محمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٦ هـ.

٧٢. تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤ م.

٧٣. تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣ هـ.

٧٤. التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ.

٧٥. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩ م.

٧٦. التمثيل والمحاضرة، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١ م.

٧٧. تهذيب الأسماء واللغات، النووي، تحقيق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧٨. التهذيب في اختصار المدونة، خلف القيرواني المالكي، تحقيق: محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ٢٠٠٢ م.

٧٩. الثقات لابن حبان، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٣ م.

٨٠. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، القاهرة: دار المعارف.

٨١. جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، بدأ صدوره منذ ١٩٦٩ م.

٨٢. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤ هـ.

٨٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف.

٨٤. جامع معمر بن راشد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢،
المجلس العلمي بباكستان، ١٤٠٣هـ.
٨٥. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، الهند: مجلس دائرة المعارف
العثمانية، ١٩٥٢م.
٨٦. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن
حسن، وآخرون، ط٢، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
٨٧. حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ودار
الفكر، ١٩٩٦م.
٨٨. الحيوان، للجاحظ، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
٨٩. الخراج لأبي يوسف، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن
محمد، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث،
٩٠. الخراج لقدامة بن جعفر، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
٩١. الخراج ليحيى بن آدم، ط٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٤هـ.
٩٢. خطط الشام للمقريزي، ط٣، دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣م.
٩٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ط٢،
الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م.
٩٤. دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، بيروت: دار
الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

٩٥. الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، بيروت: دار الهلال.
٩٦. رد المختار على الدر المختار، ابن عابدين، ط ٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢ م.
٩٧. رسالة تشتمل على ما ذكره ابن تيمية في منهاجه فيما يتعلق بالإمامة والتفضيل، الحسن بن إسحاق الصنعاني، تحقيق: عبد العزيز السقاف، ط ١، صنعاء: دار التيسير للطباعة والنشر، ٢٠١١ م.
٩٨. الرسائل السياسية للجاحظ، بيروت: دار الهلال.
٩٩. الرسول، حياة محمد، بودلي، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الحميد جودة السحار، القاهرة: مكتب مصر.
١٠٠. رسوم دار الخلافة، أبو الحسين الحراني، تحقيق: ميخائيل عواد، ط ٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٦ م.
١٠١. روض الأخييار المنتخب من ربيع الأبرار، محمد بن قاسم الأماسي الحنفي، حلب: دار القلم العربي، ١٤٢٣ هـ.
١٠٢. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، ابن قدامة، ط ٢، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢ م.
١٠٣. الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٠٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ط ٢٧، بيروت، والكويت: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٩٤ م.

١٠٥. الزهد لأحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

١٠٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، بدأ النشر عام ١٩٩٥م.

١٠٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

١٠٨. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

١٠٩. السنة لابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

١١٠. السنة لأبي بكر بن الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، الرياض: دار الراية، ١٩٨٩م.

١١١. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

١١٢. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

١١٣. سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

١١٤. سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٤م.

١١٥. سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

١١٦. السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

١١٧. سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦م.

١١٨. سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند: الدار السلفية، ١٩٨٢م.

١١٩. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

١٢٠. سيرة ابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م.

١٢١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة، ١٤٢٣هـ.

١٢٢. شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.

١٢٣. الشرح الكبير على متن المقنع، ابن قدامة، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

١٢٤. شرح صحيح مسلم، النووي، ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

١٢٥. شرح مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.

١٢٦. الشريعة لأبي بكر الآجري، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، ط ٢، الرياض: دار الوطن، ١٩٩٩م.

١٢٧. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

١٢٨. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

١٢٩. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٣٠. الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٩١هـ.

١٣١. الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

١٣٢. طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢ م.
١٣٣. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٨٤ م.
١٣٤. طبقات علماء أفريقيا، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
١٣٥. الطرق الحكمية لابن القيم، مكتبة دار البيان.
١٣٦. عصر الخلافة الراشدة، د أكرم العمري، الرياض: مكتبة العبيكان.
١٣٧. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ.
١٣٨. العقيدة والشرعية في الإسلام، جولد تسيهر، ترجمة: د/ محمد يوسف موسى، وآخرون، مصر: دار الكتب الحديثة.
١٣٩. علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفتري عليه في العالمين، عبد الستار الشيخ، ط ١، دمشق: دار القلم، ٢٠١٥ م.
١٤٠. عمدة الكتاب، أبو جعفر النحاس، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، ٢٠٠٤ م.
١٤١. العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيقيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، دار الجيل، ١٩٨١ م.

١٤٢. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، القاضي أبو بكر العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٩هـ.

١٤٣. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لبن سيد الناس، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، بيروت: دار القلم، ١٩٩٣م.

١٤٤. عيون الأخبار، ابن قتيبة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

١٤٥. غياث الأمم في التياث الظلم، إمام الحرمين الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، ط ٢، مكتبة إمام الحرمين، ١٤٠١هـ.

١٤٦. الفاضل للمبرد، ط ٣، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٤٢١هـ.

١٤٧. فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، محمد بن عبد الله الصبحي، ط ٢، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٣م.

١٤٨. فتوح البلدان، البلاذري، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.

١٤٩. الفروق، أبو العباس القرافي، بيروت: عالم الكتب.

١٥٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٥١. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله محمد عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.

١٥٢. الفهرست، ابن النديم، تحقيق: رضا-تجدد.

١٥٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

١٥٤. قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

١٥٥. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

١٥٦. الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.

١٥٧. الكفاية في علم الرواية... إخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

١٥٨. الكوفة- نشأة المدينة العربية الإسلامية، أ، د، هشام جعيط، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

١٥٩. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ط ٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م.

١٦٠. المبسوط للسرخسي، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣م.

١٦١. المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر المالكي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ.

١٦٢. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب: دار الوعي، ١٣٩٦هـ.

١٦٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث.

١٦٤. مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

١٦٥. المجموع شرح المذهب، للنووي، دار الفكر.

١٦٦. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ط٦، بيروت: دار النفائس، ١٩٨٧م.

١٦٧. محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ.

١٦٨. محمد بن أبي بكر الصديق - حياته وأحواله زمن الفتنة، نضال عباس.

١٦٩. مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود الأندلسي، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ١٤٢٣هـ.

١٧٠. مختصر خليل، خليل بن إسحاق، تحقيق: أحمد جاد، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٥م.

١٧١. المدونة للإمام مالك بن أنس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.

١٧٢. مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م.

١٧٣. مروج الذهب للمسعودي، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م.
١٧٤. مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة - دراسة نقدية، يحيى بن إبراهيم اليحيى، الرياض: دار العاصمة.
١٧٥. المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.
١٧٦. المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
١٧٧. مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م.
١٧٨. مسند أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥م.
١٧٩. مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
١٨٠. مسند البزار: تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، بدأ النشر ١٩٨٨م.
١٨١. مسند الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.
١٨٢. مسند علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يوسف أوزبك، بيروت: دار المأمون للتراث، ١٩٩٥م.
١٨٣. مشكاة المصابيح... إخطيب التبريزي، تحقيق: الألباني، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.

١٨٤. المصاحف لابن أبي داوود، تحقيق: محمد بن عبده، القاهرة: الفاروق الحديثة، ٢٠٠٢م.
١٨٥. مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.
١٨٦. مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، الهند: المجلس العلمي، ١٤٠٣هـ.
١٨٧. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: رسائل جامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: دار العاصمة، دار الغيث، ١٤١٩هـ.
١٨٨. معجم ابن الأعرابي، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٨هـ.
١٨٩. معجم ابن المقرئ، تحقيق: عادل بن سعد، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ.
١٩٠. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
١٩١. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
١٩٢. معجم الصحابة، ابن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصراقي، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٨هـ.

١٩٣. معجم الصحابة، البغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الكويت: مكتبة دار البيان، ٢٠٠٠م.

١٩٤. المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

١٩٥. المعلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله المازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط٢، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٧م.

١٩٦. المغني، ابن قدامة، القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٦٨م.

١٩٧. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، شمس الدين ابن خمارويه، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

١٩٨. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، عناية: هلموت ريتز، ط٣، ألمانيا: دار فرانز شتايز، ١٩٨٠م.

١٩٩. مناقب الشافعي للبيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٠م.

٢٠٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٢٠١. المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٢٠٢. منهاج السنة، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

٢٠٣. منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، أ، د، سليمان العيد،
نشر شبكة الألوكة.

٢٠٤. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق: حسين سليم أسد
الداراني، دمشق: دار الثقافة العربية، ١٩٩٠ م.

٢٠٥. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، مجموعة من المؤلفين،
الرياض: دار الفضيلة، ٢٠١٢ م.

٢٠٦. موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء
التراث العربي، ١٩٨٥ م.

٢٠٧. موقع المرصد السوري، بتاريخ ٤ يناير ٢٠٢٠ م، بعنوان: المرصد
السوري لحقوق الانسان: ٣٨٠ ألف قتيل حصيلة سنوات الحرب في سوريا.

٢٠٨. موقع المركز الدولي للعدالة الانتقالية.

٢٠٩. موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، د، سعد الماجد، المنصورة:
دار الهدى النبوي، والرياض: دار الفضيلة، ط ١، ١٤٣١ هـ.

٢١٠. نشر الدر في المحاضرات، أبو سعد الآبي، تحقيق: خالد عبد الغني
محفوظ، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ م.

٢١١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري، القاهرة:
وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.

٢١٢. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تحقيق: إبراهيم
السامرائي، ط ٣، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥ م.

٢١٣. نظرية السجن الإصلاحي في فكر الإمام علي بن أبي طالب، علي عمران، مجلة الفرات، ع٧
٢١٤. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م.
٢١٥. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م.
٢١٦. الولاية والقضاة للكندي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
٢١٧. الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د عبد العزيز العمري، الرياض: دار أشبيليا للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

*** **

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
الجزء الأول	١٩
اختراقات الخطاب الحداثي في قراءة تاريخ الصحابة	٢١
تطبيع وعي المسلمين تجاه القدح في الصحابة	٢١
نقل الدين إلى "النقد الثقافي"	٢٢
إهانة التاريخ رواية بدون رواية	٢٦
تضخيم الخلافات والأخطاء	٢٨
الصحابة ومغالطة "التجربة البشرية"	٣١
مغالطة مقولة "البشر ليسوا الدين"	٣١
قراءة سيرة الرسول بوصفها تجربة بشرية	٣٣
الفهم الخاطيء لقراءة التجربة البشرية	٣٥
احترام مكانة أهل الفضل	٣٨
هل الدفاع عن الصحابي تقديس له؟	٣٩
هل الدفاع عن الصحابي دعم للأيدلوجيات المعاصرة؟	٤٣
مصطلحا الرافضي والناصبي	٤٥
مدخل عن النقد التاريخي	٤٧

الموضوع	رقم الصفحة

الدليل قبل التأويل	٤٧
كتابة التاريخ لا تبدأ من الفرضيات والنتائج	٥٠
التحليل السياسي والتحليل الأسطوري	٥١
الخطأ في تبسيط الظواهر المعقدة	٥٣
القراءة الساخرة والقراءة العلمية	٥٤
قراءة المفاضلات!	٥٥
إثبات الحكم ونفيه في ضوء المنطق العلمي	٥٦
هل المشكلة في المصادر التاريخية أو في التعامل معها؟	٥٧
لماذا أستخدم أسلوباً تصويرياً في مناقشة د/ مروان؟	٥٩
الجزء الثاني	٦١
علي بن أبي طالب، أم "علي" مروان الغفوري؟	٦٣
مظاهر أسلوبية أم ظواهر نفسية؟!	٧٠
أين المنهج العلمي في مقالات د/ مروان؟	٨٦
أ/ النتائج والأحكام عند مروان	٨٦
ب/ جمع الروايات عند مروان	٨٩
ج/ منهج مروان في نقد الروايات	٩٤
د/ منهج مروان في الاقتباس	٩٨
منهج علمي أم منهج حكواتي؟!	١٠٠

الموضوع	رقم الصفحة
البخاري ومسلم في روايات مروان	١٠٩
التدليس على القراء، والتزوير في النقل عن البخاري.....	١١٥
الافتراء على عمر بن الخطاب، وعلى مسلم.....	١١٧
الافتراء على ابن حجر	١٢٠
استخدامات مروانية أخرى للصحيحين!	١٢٣
تجاهل روايات الصحيحين	١٢٣
تزويره لابن تيمية والذهبي وابن كثير	١٢٥
افتراءات وتزويرات على ابن تيمية المفترى عليه	١٢٥
تزوير على الذهبي	١٣١
السلطة العلمية، المنهكة بالتزوير.....	١٣٣
تزويرات أخرى، أشير إليها فحسب	١٣٦
الكفاءة العلمية على المحك!	١٣٨
مروان يناقش مروية نوم علي على الفراش.....	١٣٨
تضعيف الصحيح وتصحيح الضعيف.....	١٤٧
مع نهج البلاغة ومع الشعراء	١٥٠
مروان يثبت أن نهج البلاغة مكذوب	١٥٠
مع الشعراء أيضا.....	١٥٤
تناقضات منفلة.....	١٥٨

الموضوع	رقم الصفحة
خداع المنهج.....	١٥٨
علي خرافة!.....	١٦٠
ازدواجية الأسلوب.....	١٦٢
القلم المُلجَم، حين يبرر لابن ملجم.....	١٦٥
إلزام برسول الله!.....	١٦٩
تناقضات أخرى.....	١٧٠
مصادر التاريخ، خطوات علمية أم سطوات ليلية.....	١٧١
إحصاءات المصادر في مقالات مروان.....	١٧١
الروايات المنسوبة المصدر.....	١٧٦
مصادر مروان القديمة والحديثة.....	١٨٠
أ/ رسالة العثمانية للجاحظ.....	١٨٠
ب/ حجج النواصب في منهاج السنة.....	١٨٣
ج/ أفكار المستشرقين.....	١٨٥
الجزء الثالث.....	١٩٣
هل كان علي جباناً؟ أم فارساً شجاعاً؟.....	١٩٥
الشجاعة ليست بالقتال فقط.....	١٩٦
علي في معركة بدر.....	١٩٨
علي في معركة أحد.....	١٩٩

الموضوع	رقم الصفحة

علي في غزوات النبي وسراياه - مجاهدًا وقائدًا	٢٠٠
علي رجل المهام	٢٠٦
علي وحروب الردة	٢١١
علي والفتوحات في عهد عمر	٢١٢
علي عند مقتل عثمان	٢١٨
تعقيب مسألة أن عليا أعمش العينين	٢١٩
تعقيب بشأن أن عليا كان يتقي برسول الله ﷺ	٢٢٣
تعقيب بشأن أن عليا كان يطحن يوم خير	٢٢٨
تعقيب بشأن أهمية حامل اللواء في الحروب	٢٣١
علي الروايات الحديثية	٢٣٣
أولاً [أحاديث علي في ١٦ كتابًا من كتب السنة تبلغ ١٢٠٠ حديثًا]	٢٣٤
ثانيًا [مرويات علي في مسند أحمد تعادل مرويات بقية العشرة]	٢٣٥
ثالثًا [هل أحاديث علي تتعلق بامتياز الشخص؟]	٢٣٧
و[العبرة احتقار للفقهاء الإسلاميين]	٢٣٨
رابعًا [تصنيف أحاديث علي وموضوعاتها، وأحاديثه في مناقب الصحابة]	٢٣٩
خامسًا علي يروي في مناقب الصحابة	٢٤٠
سادسًا من الذي روى مناقب علي؟	٢٤٤
سابعًا موضوعات الأحاديث المتعلقة بمناقب علي	٢٤٦

الموضوع	رقم الصفحة
ثامناً استنساخ الفضائل.....	٢٤٩
علي عليه السلام علمه وفقهه.....	٢٥٢
أولاً علي الفقيه.....	٢٥٣
ثانياً علم علي عليه السلام	٢٦٠
ثالثاً الصورة العلمية لعلي عليه السلام لدى الإمام مالك.....	٢٦٢
رابعاً نماذج من الفراسة في أقضية علي.....	٢٦٨
خامساً صور مختلفة من علم علي واجتهاده.....	٢٧١
سادساً علي يصحح للصحابة أخطاءهم.....	٢٧٣
سابعاً الصحابة يحيلون السائلين إلى علي.....	٢٧٨
ثامناً علي وعلم الكتابة.....	٢٨٠
تاسعاً دور علي في نشأة علم النحو.....	٢٨٤
خاصف النعل كان يعمل ويتصدق.....	٢٨٨
ولو كان فقيراً، فهل الفقر عيب؟!.....	٢٨٨
ولو طالب بحق زوجه، فهل المطالبة بالحق نقيصة، وعيب؟!.....	٢٨٩
ولو لم ينفق في جيش العسرة، فلماذا تلمزه؟!.....	٢٩٢
وعلي، كالمسيح، كان يعمل ويكد.....	٢٩٤
ثم هل كان علي فقيراً؟ وهل لم يكن يجد ما يتصدق به؟.....	٢٩٩
ألم تقرأ عن صدقات علي وأوقافه؟.....	٣٠١

الموضوع	رقم الصفحة

مصادر أموال علي	٣٠٤
الغني الزاهد	٣٠٦
هل علي بلا تاريخ ولا مهارات؟!	٣٠٨
هل كان النبي يختار رجلاً بدون كفاءة؟	٣٠٩
وأبو بكر أيضاً؟	٣١٤
وعمر أيضاً؟	٣١٥
وعثمان أيضاً؟	٣١٨
حتى الزبير!	٣١٩
ماذا يقول عنه سعد بن أبي وقاص؟	٣٢١
تعقيب بشأن أهمية المستشار	٣٢٢
تعقيب بشأن حراسة المدينة أثناء حروب الردة	٣٢٣
آثار علي ومكانته الأدبية	٣٢٦
أولاً [تهافت المقولة منطقياً]	٣٢٦
ثانياً [مصادر الآثار الأدبية]	٣٢٧
ثالثاً [آثار علي في أقدم كتب الأدب]	٣٢٨
رابعاً علي في عيون الأدباء	٣٣٠
خامساً لماذا يتناقض مروان؟	٣٣٣
سادساً من مقولات علي رضي الله عنه	٣٣٤

الموضوع	رقم الصفحة
لمحات من القيم ذات البعد النفسي والاجتماعي	٣٤٠
في وصايا عليٍّ وحكِّمه	٣٤٠
التواضع بين المدح والذم	٣٤٠
إكرام الناس سلوك نفسي رفيع	٣٤١
معايير التفاضل	٣٤٢
قيم نفسية في السلوك السياسي	٣٤٣
قيم نفسية في سلوك العلاقات	٣٤٥
مقاييس الناس	٣٤٨
قيم نفسية في السلوك الاجتماعي	٣٤٨
مكانة علي عند النبي ﷺ	٣٥٠
صور من مكانة علي عند النبي	٣٥٠
فضائل نعيمها ولا نستدعيها	٣٥٣
الجزء الرابع	٣٥٩
شرعية الخلافة	٣٦١
بيعة كبار الصحابة لعلي	٣٦١
محاولة علي رفض الخلافة	٣٦٨
قراءة في روايات الطبري بشأن بيعة علي	٣٧١
إجماع علماء الإسلام وشهاداتهم بشرعية خلافة علي	٣٧٣

٣٧٥	منظور سياسي لبيعة علي
٣٧٥	خلافة علي تتمه للخلافة الراشدة
٣٧٧	الإجماع ليس شرطاً في صحة الإمامة
٣٨٠	ما الإشكال المترتب على القول بعدم صحة خلافة علي
٣٨٢	تعقيب بشأن حديث "غدير خم"
٣٨٤	تعقيب بشأن الفتوحات في خلافة علي
٣٨٩	سردية الجمل وصفين والنهروان
٣٩٠	حق الحاكم في ضبط النظام
٣٩٢	الحاكم يحاسب على مسؤوليته بحسب استطاعته
٣٩٣	هل مروان يبرر للجماعات الإرهابية التمرد على الدولة؟
٣٩٤	علي الخليفة يحاول لملمة الصفوف (سردية معركة الجمل)
٤٠١	دوافع الزبير وطلحة في خروجهم على علي
٤٠٥	حقيقة موقف علي في معركة صفين
٤٠٨	علي والخوارج
٤١٢	على ضفاف الجمل وصفين والنهروان
٤١٣	كيف أنصف علي المتمردين عليه، قولاً وفعلاً؟
٤١٦	فرية تعاقد علي مع "المرتزقة" مقابل المال
٤٢١	الصحابة المشاركون مع علي في حروبه

حروب علي لم تكن حروب فتنة.....	٤٢٣
مَن الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة؟.....	٤٢٨
اتهام علي أنه تحالف مع قتلة عثمان.....	٤٣١
عدد القتلى ولعبة الأرقام.....	٤٣٤
اتهام علي بقتل الزبير وطلحة.....	٤٣٩
اتهام علي بسفك الدماء والرغبة في القتال.....	٤٤٢
الفتنة في نبوءة الرسول ﷺ، مؤيدة لموقف الخليفة علي.....	٤٤٤
البحث عن الشيطان، من قتل عثمان؟.....	٤٤٦
من الشيطان عند مروان؟.....	٤٤٧
هؤلاء بريئون من دم عثمان.....	٤٤٨
البحث عن ابن سبأ!.....	٤٥٣
الجهل بقاتل عثمان على التحديد.....	٤٥٥
هل أهل العراق هم من قتل عثمان؟.....	٤٥٦
هل أهل مصر هم من قتل عثمان؟.....	٤٥٧
ماذا تقول الروايات الصحيحة عن دور الأشر؟.....	٤٦٠
لماذا قَدِمَ أهل العراق إذن المدينة؟.....	٤٦٦
هل قتلة عثمان هم الذين بايعوا عليا وأكروهوا الناس؟.....	٤٦٨
لماذا إذن لم يقيم علي بالقصاص من قتلة عثمان؟.....	٤٦٩

الموضوع	رقم الصفحة

معاوية وأهل الشام هم الذين عرقلوا تنفيذ القصاص من قتلة عثمان	٤٧٤
اتهام الصحابة بالسلبية تجاه مقتل عثمان.....	٤٧٥
علي وعبيد الله بن عمر بن الخطاب	٤٧٧
فقط الكوفة! أين الولايات المخطوفة؟.....	٤٨٠
الولايات التي استشهد علي وهي تحت ولايته	٤٨١
هل الكوفة شوهدت الدين؟.....	٤٨٣
هل الكوفة مدينة بلا تاريخ؟.....	٤٩١
الكوفة بلد الإشعاع الحضاري	٤٩٥
الكوفة العاصمة الثانية للدولة الإسلامية.....	٤٩٥
مؤسسة فاسدة! أم خلافة راشدة؟	٤٩٨
هل هذه مؤسسة عائلية؟	٤٩٨
علي وولاية عثمان.....	٥١٢
اختيار علي للولاية بحسب الكفاءات	٥١٦
ماذا عن محمد بن أبي بكر الصديق، والأشتر؟	٥١٩
تولية الفاجر	٥٢١
ومضات من سياسة علي وإدارته في الحكم	٥٢٣
السياسة الإدارية والتنظيمية	٥٢٣
السياسة المالية.....	٥٢٦

الموضوع	رقم الصفحة
التعامل القيادي.....	٥٣٠
علي الخليفة الورع!.....	٥٣٤
انشقاق خالد بن الوليد، وبيعة معاوية بن أبي سفيان	٥٣٦
سيناريو افتراضي	٥٣٦
بين خطأين	٥٣٧
لماذا لم ينشق خالد؟.....	٥٣٩
معاوية ينازع عليا على الخلافة.....	٥٤١
علي المجتهد في الحكم	٥٤٤
سيناريوهات إدارة الدولة بين يدي علي عليه السلام	٥٤٩
الملفات الشائكة.....	٥٤٩
السيناريو الأول، الذي اختاره علي	٥٥٤
ماذا لو اختار علي سيناريوهات أخرى؟.....	٥٥٧
وماذا بعد علي؟.....	٥٦٦
الحسن ومعاوية	٥٦٦
خلافة معاوية	٥٦٨
الملحق ١: تعقيبي على رد الدكتور مروان في مقاله "حارس الضريح"	٥٧١
حارس الضريح من "نباش القبور".....	٥٧٣
السجال بين الدافع والعلمية.....	٥٧٤

الموضوع	رقم الصفحة
فما أسلحة مروان لاغتيال حارس المقبرة؟.....	٥٧٦
مروان يمسك بسيف "التقديس".....	٥٧٨
ويشهر سيف "الكهنوتية".....	٥٨٥
ويحاول الضرب بسيف "الهاشمية".....	٥٨٥
تقمص مروان دور الضحية.....	٥٩٠
مَن الذي لجذوره غارز؟ ومَن الذي في خياله متقافز؟.....	٥٩٣
من الذي خدع القراء؟ [عن ابن تيمية].....	٥٩٣
الكوفة بين مروان الأول ومروان الثاني.....	٥٩٦
مروان يتقول علي ما يفهمه.....	٥٩٩
مروان يصبر على فضحي بما أنا منه براء.....	٦٠٣
نناقش مرويات أم خيالات؟.....	٦٠٤
من الذي يتقافز إذن؟.....	٦٠٦
قراءة منهجية لمقال حارس الضريح.....	٦١٠
مرة أخرى، مع منهجية مروان.....	٦١٠
وهذا المقال فيه أخطاء وتزويرات.....	٦١٣
مروان هل يحتج بالدين أم يتناقض؟.....	٦١٦
علي الحاكم والكاتب المحاكم.....	٦١٧
"مالك"، و"لابك"، و"سالك".....	٦٢٢

٦٢٢	مروان ابتعد عن التفكير العقلي
٦٢٩	الملحق ٢ الدكتور مروان يسيء للنبي وزوجه عائشة
٦٣٧	أخيراً، د مروان الغفوري هل يتبرأ من افتراءاته
٦٣٧	وينصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟!
٦٤٧	الملحق ٣: المنهج الحجاجي لابن تيمية في منهاج السنة
٦٤٩	حجاج ابن تيمية في منهاج السنة النبوية [١]
٦٥٦	حجاج ابن تيمية في منهاج السنة النبوية [٢]
٦٦٦	"خلافة علي في منهاج السنة" [٣]
٦٦٦	[١] رأي ابن تيمية في منهاج السنة في بيعة علي
٦٧٢	[٢] رأي ابن تيمية في منهاج السنة في حروب علي
٦٨١	[٣] رأي ابن تيمية في منهاج السنة في القصاص من قتلة عثمان
٦٨٥	تعقيب بشأن قول ابن تيمية أن أحمد بن حنبل
٦٨٥	أظهر الترييع بعلي في الخلافة
٦٨٦	أولاً ترييع أحمد بالخلافة أم بالفضل؟
٦٨٨	ثانياً هل أحمد هو من أظهر الترييع بعلي في الخلافة؟
٦٩٢	ثالثاً هل أحمد هو من ريع بعلي في الفضل؟
٦٩٣	رابعاً لماذا ورد أن أحمد ريع بعلي في الفضل؟
٦٩٥	خامساً وماذا عن ترييع أحمد لعلي بالخلافة؟

الموضوع	رقم الصفحة
خاتمة	٦٩٨
المراجع	٧٠٣
فهرس	٧٢٦



نقد القراءة الحداثية

لتاريخ الصحابة

مقررات الغفوري أنموذجاً

د. عبد المجيد محمد الغيلي

ليست قصة هذا الكتاب أنه دافع عن الصحابة فحسب، بل هو تصدّ لموجة حداثيّة معاصرة تتعامل باستخفافٍ مع تاريخ الجيل الأول بصفة خاصّة، ومع تاريخ المسلمين بصفة عامة، كما تتعامل باستخفافٍ مع تراث الأُمّة، وعلماء المسلمين عبر التّاريخ.

ومن ثمّ كان توجه الكتاب ليس لمجرد تفنيد كتابات باطلة بحق أحد الصحابة، بل كشف الآليات والدّعوى التي يتخذها الحداثيون للنّيل من الإسلام، وتراثه، ورجاله عبر التّاريخ، باسم العلميّة!

ولذلك، فكتابة مروان الغفوري، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - نموذجاً؛ نرى من خلالها حجم الاختراق، والاختلاق، والتّزوير، والإفك، والتّشويه، والانتقاص لتاريخ الصحابة، تحت مسمى إعادة قراءة التّاريخ!

لن يجد القارئ للكتاب ذهاباً إلى سرد فضائل عليّ ومناقبه، أو سرد الآيات التي تتحدّث عن صحابة رسول الله رضوان الله عنهم، أو سرد الأحاديث التي تذكر فضائلهم، بل سيجد جحاً علمياً، باستخدام مناهج تحليلية وتاريخية عديدة، تنقذ الخطاب الحداثي من داخله، وتكشف التناقضات التي فيه، كما تكشف الزيوف الكبيرة في حقّ التّاريخ.



www.hekmahyemanya.com
hekmahyemanya1@gmail.com



موقع حكمة يمانية